نوربير سيلامي
بمشاركة مئة وثلاثة وثلاثين إختصاصياً

المعجم الموسوعي في علم النفس

الجزء الثاني

التاء، الثاء، الجيم، الحاء

ترجمة
وجيه أسعد


منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق 2001

العنوان الأصلي للكتاب :

Dictionnaire usuel de Psychologie

NORBERT SILLAMY

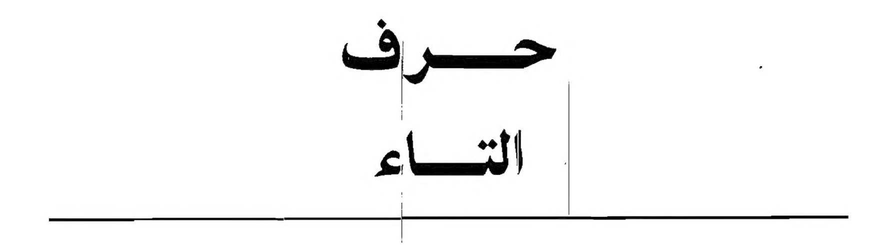
Bordas

المعــجم الموســوعي في علم الـنفس= Dictionnaire Usuel de Psychologie/ نوربير سيلامي؛ ترجمة وجيه أسعد. - دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠٠٠. - ٦ ج؛ ٢٤سم.

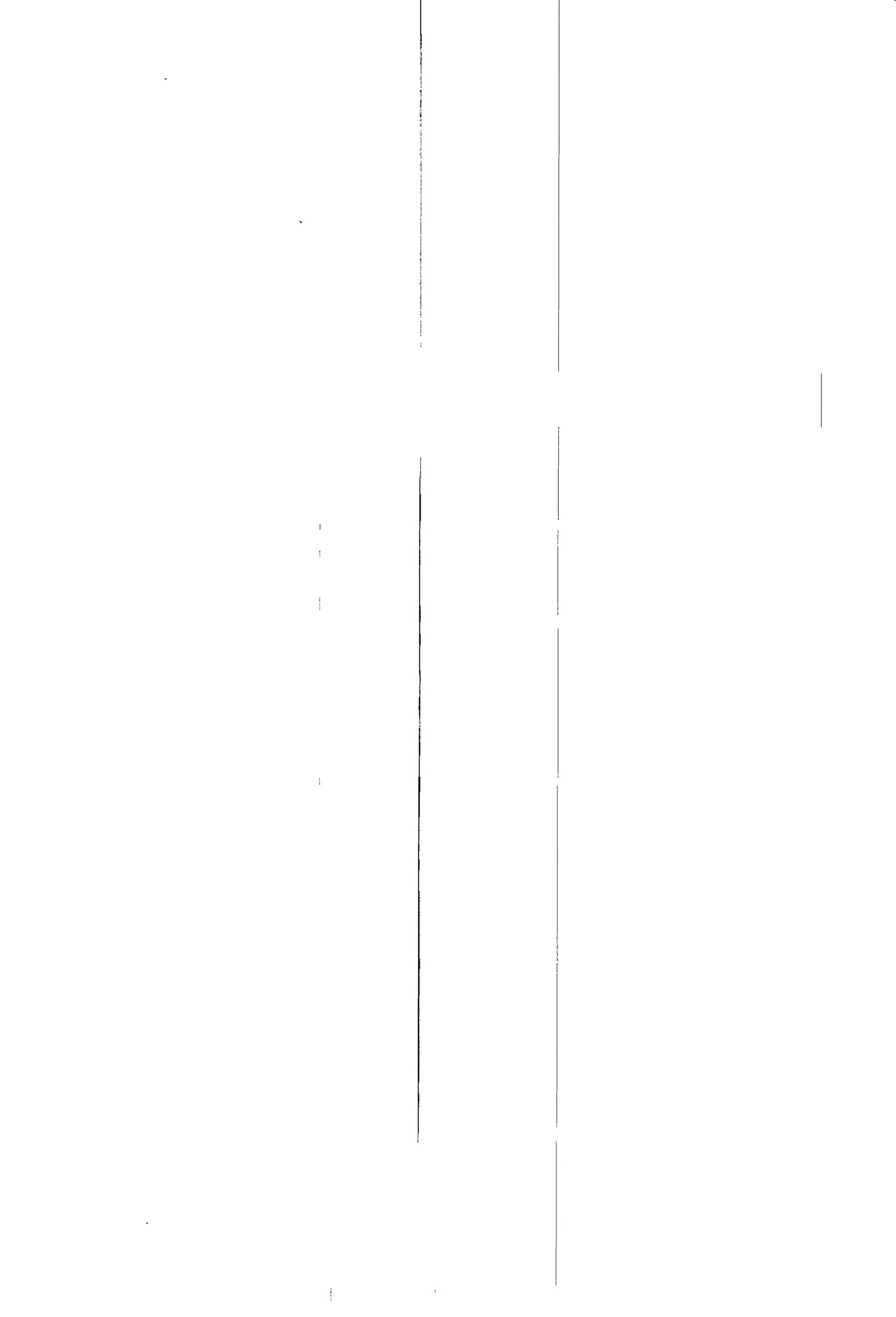
١- ٣ر١٥٠ س ي ل م ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- سيلامي ٥- أسعد

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع- ١٥٠٨ /٩/ ٢٠٠٠



حــــرف
التـــاء



التأتأة

F: Balbisme ou Bégaiement

En: Stuttering

D: Balbuties, Stotern

اضطراب في الكلام أصله موضع خلاف كبير.

أتاحت المجال ملاحظات عيادية ، تبدو فيها التأتأة مقترنة باختلالات أخرى، لتفسيرات مختلفة جداً: أمكن النظر إلى التأتأة أنها عاقبة اضطراب أساسي تنفسي محرك، أو عاقبة خلل أيضاً في الجملة العصبية الإنباتية في رأي بعض العلماء الآخرين إن التأتأة تكشف عن اضطراب التنظيم المكاني الزماني أوتكشف أيضاً عن غلبة غير وطيدة لإحدى كرتي الدماغ، يرافقها استعمال محارَب لليد اليسرى. وبعض المؤلفين الآخرين يشرح التأتأة بقصور سمعي (اضطراب رقابة الكلام بالأذنين). ولكن هذا التفسير لايمكنه أن يشرح هذه السمة المتناوبة للتأتأة التي لاتظهر إلا في العلاقة بالآخر، فالمصاب بالتأتأة لايتأتئ في الواقع عندما يكون وحيداً، وصعوباته تتفاقم على وجه العموم عندما ينبغي له أن يعبّر عن نفسه أمام جمهور يثير انفعاله. وهذا الجانب، المرتبط بواقع مفاده أن التأتأة تبدو على الغالب في أعقاب صدمة انفعالية أو خلال مراهقة عسيرة، أتاح المجال لتفسير هذه الظاهرة تفسيراً سيكولوجياً صرفاً. وإذا بدا أن العوامل السيكولوجية لايمكنها وحده أن تشرح الوقائع الملاحظة، فإن ثمة مع ذلك اتفاقاً على أن يُعزى إليها دور رئيس في إثارة الاضطراب، ربما الكامن، وفي تنوعات ظهوره. وربط التأتأة بعض المؤلفين، على الغالب، بخلل عام في التعبير، مستقل

عن التخلّف اللغوي الكلاسيكي. فالمصاب بالتأتأة يعاني صعوبات في الانتقال من الفكرة إلى الصياغة اللغوية. ويتفاقم هذا العسر، الذي يشعر به، أمام شهود: إنه يثير الجوانب المميزة للتأتأة: تكرار التصويتات، أي الفونيمات (**تأتأة ارتعاشية**، يتعثّر الفرد بالحرف الأول من الكلمة على وجه الخصوص) أو انغلاق أعضاء الصوت، ترافقه جهود عضلية لإحداث نطق لايأتي، ومحاولة لتعويض هذه الإخفاقات بسرعة النطق المفرطة في باقي سلسلة الكلام (**تأتأة نبرية**). والتأتأة الطفلية يمكنها في بعض الأحيان أن تتراجع تلقائياً، ولكنها تستقر في الأغلب لدى المتكلم وتستسلم بصعوبة لإعادة التربية التي تقرن على وجه العموم تقنيات العلاج النفسي، كالاسترخاء، بطرائق تقويم النطق.

G.MA.

تارد (غابريل دو) Tard (Gabriel de)

فيلسوف وعالم اجتماعي فرنسي(سارلا دور دون، 1843 باريس، 1904).

نشر تارد، بوصفه قاضياً في البدء، عدة مؤلفات تناولت **الإجرام المقارن** (1886)، **الفلسفة الجزائية** (1890)، **دراسات جزائية واجتماعية** (1892)، **الإجرام الاحترافي** (1897)، ولكنه كان عالم نفس وعالم اجتماع، وعلّم في الكوليج دو فرانس (1900)، وبذل جهوداً لاستخلاص قوانين الاختراع والإبداع السيكولوجية. وفي رأيه أن الإبداعية ذات علاقة في الجزء الأكبر منها بالتفاعلات الاجتماعية، ولهذا السبب، كلما كانت هذه التفاعلات عديدة وكثيفة، ازدادت حظوظ التجديد، ذلك أن الظاهرة الاجتماعية الأساسية هي **التقليد**. فثمة دائماً تقليد، فيما يتعلق بالأفراد أو الجماعِة، ولو أن هذه الظاهرة لاشعورية. ويختار المرء تجديداً اختياراً شعورياً عندما يراه مفيداً، ويكابد المرء بصورة لاشعورية سطوة شهرة شخص أو ثقافة جماعة يراها أكثر تطوراً أو أسمى. وعلى هذا النحو يشرح عدد من التصرفات، ولاسيما في مجالات الدُرجة، والآراء، والحياة الاقتصادية، والفن والأعراف. وتنتشر التجديدات بالتقليد ولكنها يمكنها أيضاً أن تلاقي معارضات عندما لا تكون متماسكة مع أشكال الحياة الاجتماعية الاقتصادية القائمة حالياً، أو عندما تصطدم أيضاً بتجديدات أخرى متناقضة (أساليب إنتاج جديدة أو أشكال جديدة من الحياة السياسية، على سبيل المثال). ونذكر من مؤلفات تارد الأخرى **قوانين التقليد** (باريس، ألكان، 1890)، **دراسات في علم النفس الاجتماعي** (1898)، **الرأي والجمهور** (باريس، ألكان، 1901)، **علم النفس الاقتصادي** (1902). (انظر في هذا المعجم: **التثاقف أو المثاقفة**، **علم النفس الاقتصادي**، **التقليد**، **السر**).

N.S.

التأمل

F: Méditation
En: Meditation
D: Meditation, Nachdenken

تركيز الفكر على فكرة فلسفية أو دينية.

التأمل هو النظر في موضوع فكري بانتباه ومنهجية، وإن بأسلوب هادئ، لمعرفته على نحو كلي واستخلاص عبرة منه. وعلى هذا النحو إنما كان رونه ديكارت (1590-1650) مدفوعاً، في كتابه **تأملات في الفلسفة الأولى** (باريس، 1641، الترجمة الفرنسية 1647)، إلى أن يميّز الجسم من الفكر، والروح من الجسم، المتحدة به مع ذلك، وأن يبسط أدلته على وجود الإله. والصلاة يمكنها أن تختلط بالتأمل عندما ينصبّ التأمل على موضوع ديني.

وفي الأديرة المسيحية يقوم الرهبان بتأملاتهم في صوامعهم أو في المصلى. وثمة، في صوامع زنْ، صالة تأمل لكل راهب فيها مكان تحدّده حصيرة من قش الأرز (تاتامي). وهذا التركيز، تركيز الفكر، الذي ينشد منح الواقع رؤية عميقة (يسعى أيضاً في البوذية، إلى بلوغ أفضل معرفة للذات، وإهمال ماليس أساسياً وحتى إلى استبعاد كل رغبة في الذات، كيما يفضي المرء إلى اليقظة و**النرفانا**، أي إلى التحقيق الأسمى للوجود، حيث يجد الكمال، والسلام، والسعادة). ويصبح التأمل، في البوذية زن، غاية في ذاته، وفي البراهمية، الديانة الخاصة للهند، يكمل التأمل تقنيات اليوغا، في حين أن المؤمنين، في التيبت، يستخدمون **ماندالا**، رسماً ينسخ الكون بصورة إجمالية وفق النظرية الهندية في نشأة الكون، بوصفها دعامة التأمل. ويتفق ممارسو الزن، والبراهميون، وممارسو اليوغا، على أن يروا في التأمل تلك القوة الفاعلة الرئيسة.

N.S.

التأمل: دراسة المخطط الدماغي الكهربائي في حالات التأمل

F: Méditation (etude électro-encépha lographique des états de Méditation)

كانت عشرات من الدراسات قد خصّصت، في نحو من خمسة عشر عاماً، للتغيرات في المخطط الدماغي الكهربائي التي ترافق التأمل بصورة عامة والتأمل والوجد الصوفيين الشرقيين بصورة خاصة. وقاد مجموع هذه الدراسات، التي كان بعضها قد أُجري بواسطة تقنيات التحليل الآلي، التقنيات الأكثر إتقاناً، إلى النتيجة التي مفادها أن تغيّراً في إيقاع ألفا يرافق التأمل في غالبية الحالات: تنامي غزارتها وسعتها، بطء تواترها وانتشارها الأمامي نحو المناطق الجبهية، في حين أنها تشغل الجزء الخلفي من الدماغ الإنساني عادة، ومن المناسب أن نلاحظ أن مثل هذه التغيرات في المخطط الدماغي الكهربائي خلال التأمل تتصف بالابتذال المشوّش إذا أخذنا بالحسبان مايلي:

1) أن التأمل يكون حالة من فك الارتباط الذهني مع العالم الخارجي، ذي علاقة بإبطاء الاستقلاب العام، والاستقلاب الدماغي على وجه أخص، يدلّ عليه استرخاء عضلي، وانخفاض استهلاك الأوكسجين، ونقص كبير في الإيقاع التنفسي، وزيادة في المقاومة، ونقص في تركيز الدم بسكر اللبن.

2) أن كل الحالات التي تؤدي إلى إبطاء الإستقلاب الدماغي أو التي تتعلق بإبطاء من هذا النوع، ترافقها التغيرات نفسها في المخطط الدماغي الكهربائي، بدءاً من مجرد فرط التهوية الرئوية (المسؤولة عن نقص الأكْسجة الاحتشائي بفعل

نقص حامض الكربون في الدم) وحتى الانخفاض المبتذل في اليقظةالتي تسبق النوم.

وعيب نوعية التغيرات في المخطط الدماغ الكهربائي، التي ترافق التأمل، يبرهن عليه تماثل التغيرات، أياً كان نموذج التأمل المعنيّ، بدءاً من التأمل المشهدي الذي يمارسهالراهب الياباني خلال جلسته **زا - زن** في اتجاه بوذا، وحتى التأمل الساذج الذي يمارسه الشاب المغربي، في تأمله المسمى«المتعالي»، الذي يدندن «صيغته المقدسة»، مروراً بالتأمل المؤثر بتواضعه ورزانته الذي تمارسه أخت العناية الإلهية لبورتيه والأخ الدونيميكاني الراكع على مركعه. فمن المتعذر إذن أن يقبل المرء أن لإيقاع ألفا أيضاً (ولو أنه «يتعزّز»و«يتباطأ» و«ينتشر في الجانب الأمامي من الدماغ») علاقة من العلاقات أياً كانت بمحتوى التأمل أو الوجد الصوفيين، ويقبل قبولاً أقل أيضاً أنه يمثّل تجسيداً للتأمل أو الوجد ذاته. إنها مع ذلك هي الخطوة التي كان أولئك الذين استخدموا التعلم الأداتي بالتغذية الراجعة الحيوية قد خطوها بنشاط في الولايات المتحدة الأمريكية، هادفين إلى تعزيز إيقاع ألفا لدى أي فرد يُقترح عليه أن يكتسب، في بضع ساعات، تلك «الحكمة» التي تقابل عشرين سنة من التأمل. (انظر في هذا المعجم: **التعلّم بالتغذية الراجعة الحيوية، مخطط الدماغ الكهربائي، التعزيز، اليقظة**).

H.G.

Tinbergen (Nikolaas) — تانبرجن (نيكولاس)

عالم انغليزي في سيكولوجيا الحيوان، من أصل نيرلاندي (مولود عام 1907 في لاهاي، البلدان المنخفضة). دكتور من جامعة ليد (البلدان المنخفضة) عام 1932، سُمّي أستاذ علم الحيوان التجريبي في هذه الجامعة عام 1947. ودُعي إلى التعليم في أوكسفورد محاضراً أول الأمر (1949)، ثم أستاذاً (1966). ويساهم تانبرجن مع كونارد لورنز، كونه مرتبطاً بعلاقات معه، في تأسيس مدرسة للإثولوجيا الإيجابية (أو الوضعية) [دراسة السلوك الحيواني العفوي]، التي تطرح مبدأ فاعلية عفوية للعضوية، متميّزة من كل استجابة لمنبه. ويعتبر تانبرجن أن دراسة السلوك الحيواني تساعد على فهم الأسباب البيولوجية العميقة للسلوك الإنساني ويؤكد، في هذا السياق، أهمية الإثولوجيا لعلم النفس، وعلم الاجتماع، والطب النفسي، والدراسة العلمية للحرب. ونذكر من مؤلفاته: **دراسة الغريزة** (1951، مترجم إلى الفرنسي)؛ **السلوك الاجتماعي لدى الحيوانات** (1953، مترجم إلى الفرنسي بعنوان **الحياة الاجتماعية لدى الحيوانات**)؛ **عالم الطبيعة الفضولي** (1959، مترجم إلى الفرنسي بعنوان **كراسات عالم الطبيعة** 1961)؛ **السلوك الحيواني** (1965)؛ **الحيوان في عالمه** (المجلد الأول، 1972، المجلد الثاني1973). واقتسم عام 1973 جائزة نوبل للفيزيولوجيا والطب مع ك. فون فريش وكونارد لورنز (انظر هذا المعجم: **الإثولوجيا، لورنز**).

N.S.

F: Trophallaxie ou Trophallaxis **تبادل الغذاء**

En: Trophallazy

D: Trophallaxis

مصطلح ابتكره و.م هويلر (1918) للدلالة على تبادل الغذاء بين أفراد مستعمرة من الحشرات الاجتماعية.

الحشرات الراشدة تغذي اليرقات وتلعق على الغالب إفرازات هذه اليرقات. والعاملات، لدى السرفات، تغذي الثنائي الملكي الذي يطلق بدوره بعض الموادالغذائية تغذي عاملات أخريات و يرقات. ومن الممكن، إذا خلطنا موادإشعاعية النشاط بعسل خلية نحل، أن نتبع انتقال الغذاء «المحدّد» وسط مستعمرة من النحل الذي يشغل هذه الخلية. وتؤمّن وظيفة تبادل الغذاء صيانة التماسك الاجتماعي وتؤمن على وجه الاحتمال أيضاً انتقال الإعلام داخل الجماعة. (انظر في هذا المعجم: **الفيرومون**).

N.S.

التبادلية بين ضــروب الوعي

F: Réciprocité des Consciences

En: Reciprocity, Reciprocation

D: Gegenceitigkeit, Wechselwirkung

حالة ناجمة عن عمل متبادل أو هذا العمل نفسه.

ليس بوسعنا أن نتكلم إلا بمعنى تقريبي على تبادلية الوعي الحيواني والوعي الإنساني، على الرغم من أن للفقاريات العليا، ولاسيما الحيوانات العليا، تبادلات نفسية معنا. وعلى أي حال، فنحن نقصر الملاحظات التي ستلي على التبادلية بين الإنسانية.

وتفترض **التبادلية بين ضروب الوعي** أول الأمر أن قصدية شعور تتّجه نحو وعي أو عدة ضروب أخرى من الوعي وأن الأمر هو على هذا النحو دائماً على الرغم من بعض المظاهر. وربما تمرّ هذه القصدية بـ **صفات** ملتصقة بالغير أو معبّرة عن وجوده، ولكن على هذه القصدية أن تسعى، من خلال هذه الصفات، إلى بلوغ فرديته ذاتها حتى يكون ثمة تبادلية بين ضروب الوعي بصورة حقيقية وليس مجرد لقاء في الأفكار أو قيم منفصلة عن الفرد. ثم إن كل وعي يُقاد بذلك ذاته إلى أن يتصوّر ضروب الوعي الأخرى على أنها خاضعة لهذه البنية الأساسية التي يجدها في نفسه. وضروب الوعي يمكنها عندئذ أن تسمى «متبادلة» بمعنى أنها تكوّن معاً شبكةً كلٌّ عنصر منها يحتوي الاعتراف بالعناصر الأخرى ويعزو إليها في النفوذ المعدوم نوع القصدية الموجودة لديه. ولكن مثل هذه التبادلية غير كاملة: إنها

أكثر موضوعية أو تمثيلية مما هي بين ذاتية. وللخروج من ضرب من مذهب ذري لضروب الوعي، لاينبغي فقط أن يكون لديها، بوصفه شكلاً **قبلياً**، استشراف **أنا أخرى**، وأنها تنقل عنها أن لديها، أي هذه الأنا الأخرى، استشرافاً بالمقابل يماثل استشرافها؛ فلابد أيضاً لكل وعي أن يدرك الحضور المشخّص لوعي آخر أو عدة ضروب أخرى محدّدة من الوعي وأن تدرك حضوره هي. ونقول باختصار إن التبادلية ينبغي أن تكون وجودية. ويتضمّن مثل هذا الإدراك مباشرة معرفة ضرب من وحدانية الغير، يكشف وجهه عنها، واللقاء الأول «وجهاً لوجه» يحتوي إعلاماً لايحلّ محله إعلام آخر، ولكن هذه البداية تطرأ عليها فيما بعد احتمالات نمو معرفي ووجداني يمكنه أن يكون متغيّراً جداً. والمعرفة المتبادلة يمكنها أن تظلّ سطحية، أو تغتني مع الزمن، أو تضيع في ضروب من سوء الفهم. أما فيما يخص العواطف، فثمة تبادلية بين ضروب الوعي في اللامبالاة أو الكره الذي يشعر به الواحد بالنسبة للآخر. وإذا كان شكل القصدية، من جهة أخرى، متبادلاً، فإن محتويات الحيوات النفسية المتواجهة ومستوياتها، يمكنها أن تتفاوت وتتنافر: بوسعنا أن نحب أحداً يكرهنا أو لايهتم بنا إلا قليلاً. أو أن الاهتمامات تتوزّع في الدوائر المتشعّبة للشخصية (المنطقة الحيوية، الفكرية، إلخ). ويبدو إذن أننا عاجزون عن أن نجعل التبادلية بين ضروب الوعي والحب متماهيين. ولكن هذه الخلاصة ليست واضحة بقدر ما تبدو. ذلك أن كل إدراك ندرك به الغير يولد، في الواقع، في ضرب من الغيرية المتبادلة. فـ**الأنت**، من جهة، معروضة على **الأنا** منذأن تولد؛ وهي تريد حتماً، ما دامت باقية في العالم، وجود الضروب الأخرى من الوعي وحضورها، وذلك هو الصورة الأولية العامة للحب. والأنا، من جهة أخرى، التي تدرك الأنت لن تدركها لو أنها لم تكن في البدء تريد وجودها وحضورها. فثمة إذن ضرب من إرادة الارتقاء المتبادل في الفعل الذي به ينكشف الغطاء عن الغير، ويشمل هذا الفعل معرفة وإرادة وحباً. والحقيقة هي أن تبادلية البدء يمكن بسرعة كبيرة أن تقنّعها ميول مفككة ومعادية توقف الدينامية البدئية،

دينامية بين الذاتية. وشبه الحتمية في هذه القطيعة لاتمنع مع ذلك أن تكون من الناحية الظاهرية والميتافيزيقية ثانوية. ومهما يكن محزناً ما يكون عليه تنافر الناس، فإنه لايتيح لنا أن نعتبر تعددية ضروب الوعي شراً، لأن هذه التعددية متوجّهة مبدئياً نحو ارتقاء متبادل. وإذا لم يكن هذا الارتقاء معاقاً، فإنه يؤدي إلى **نشوء متبادل** لضروب الوعي حيث يتجاوز وعي الأم ووعي البنت تعاقب التأثيرات المتبادلة في تزامن نهائي وضرب من الهوية المتغايرة.

فالموقف الذاتي لإحداهما يكون إرادة الأخرى، الإرادة نفسها. وتفضي تبادلية ضروب الوعي على هذا النحو إلى كمال «النحن». وسيكون ولاريب أمراً طوباوياً أن نأمل في أن يكون بوسع هذه الدرجة من التبادلية أن تتوطّد «فعلياً» ماوراء **الثنائيات**، دون أن تنحدر إلى وعي جماعي أو طبقي، مع أن كل ثنائية تكون مدعوّة إلى أن تخدم أهدافاً كلية. ولكن تبادلية ضروب الوعي، ولو محدودة، تقدّم حلاً ذا امتياز لشكل الواحد والمتعدّد. (انظر في هذا المعجم ما يلي: **الصداقة**، **الحب**، **النفوذ المعدوم**، **العطف**، **النحن**).

M.N.

تبدّل مكان جزء من الصبغي

F: Translocation

En: Translocation

D: Translokation

مصطلح استخدمه كالفان بلاكمان بريدج (1917) للدلالة على تحويل في المادة الصبغية.

ثمة **تبدّل بسيط طرفي في مكان جزء من الصبغي** عندما يتحطّم صبغي ويرتبط الجزء المتحرّر بصبغي آخر. ويوجد **تبدل متبادل في مكان جزء من الصبغي** عندما يتبادل صبغيان أجزاءهما.

ويلاحظ لدى الموجود الإنساني تبدلات عديدة في مكان أجزاء من الصبغيات، يمكنها أن تنتقل انتقالاً وراثياً وتكون مسؤولة عن ضروب من التوحيد الصبغي أو التثليث الصبغي. (أنظر في هذا المعجم: **الزيغان الصبغي، الصبغي، المنغولية، التثليث الصبغي**).

J.M.F.

التبظير

F: Cunnilinction

En: Cunnilingus, Cunnilinetus

D: Cunnilingus

مداعبة منطقة البَظَر في الفرج باللسان والشفتين.

هذه الممارسة الجنسية، التي لاتزال على الغالب تُعتبر ضرباً من الانحراف، منتشرة، ويتعاظم انتشارها، ولاسيما في الأوساط المثقفة. فنحو 61 المئة من الرجال الذين تلقّوا تكويناً جامعياً و 54 بالمئة من الذين تخرجوا من المدارس التجهيزية في الولايات المتحدة (high school)، كانوا يستخدمون هذا النوع من المداعبة عام 1972. وينكبّ 60 من الرجال في فرنسة، وفق تقرير سيمون، على هذه الممارسات الفمية التناسلية. والتبظير يمكنه أن يقود إلى هزة الجماع لدى النساء اللواتي لم يكن قط قد شعرن بها خلال مجرد الجماع.

M.S.

التبغ

F:Tabac
En: Tabacco
D: Tabak

نبات من سلالة السلاناسه، نوعه الرئيس هو نيكوتيانا تاباكوم، يعطي التبغ للاستنشاق والمضغ والتدخين.

أمريكة هي المنشأ الأصلي للتبغ. وكان مبشر من المبشرين الإسبان قد نقله إلى أوربة عام1518، ولكن جان نيكو (نيم، نحو 1530- باريس، 1600)، سفير فرنسوا الثاني إلى البرتغال، هو الذي أدخله إلى فرنسة ونصح به كاترين دو ميديسي علاجاً للشقيقة. وتجفَّف ورقة التبغ وتخمّر ثم تعرض للهواء قبل الاستهلاك. وتحتوي ورقة التبغ مواد شتى، لاسيما القلويات وأهمها، **النيكوتين** ($C_{10}H_{14}N_2$)، الذي عزله عام 1828 بوسيل وريمان. والنيكوتين سمّ من أكثر السموم عنفاً، ويكفي مقدار 30 إلى 60 ملغ ليسبّب موت إنسان (د. غيلّرم، 1972، ص. 7). ولفافة التبغ العادية دون مِرْشح تحتوي 1.45 إلى 2.95 ملغ من النيكوتين، حسب الأنواع. إن الفرنسيين استهلكوا، عام 1978، 82.5 مليارلفافة تبغ (أي نحو 2000 لكل شخص عمره أكثر من خمسة عشر عاماً) واستهلك الأمريكيون 615 ملياراً (أي 3365 لفافة تبغ لكل راشد).

والإدمان على تدخين التبغ إدمان على المخدرات السامة التي تستقر بالتقليد على الأغلب. فالفرد، الصغير جداً في بعض الأحيان، يتجاوز الانزعاج الذي تسببه لفافة التبغ الأولى ليقلّد الراشدين. ويستهلك المدخنون المعتدلون 3 إلى 10 لفافات يومياً، والمدخنون المواظبون يستهلكون من 15 إلى 40. والأكثر تعرضاً للسم هم الذين يبتلعون الدخان ويدخنون عادة في مكان مغلق. ويؤثر التبغ على جهاز

دوران الدم (خفقان القلب، تشنّج، فرط توتر)، وجهاز التنفس، وجهاز الهضم، والجملة العصبية. إنه يشجع احتشاء العضلة القلبية، ومنشأ آفات قلبية وعائية وسرطانات عديدة. ويقدر الإنغلير بـ27000 عدد الموتى الناجم عن التبغ سنوياً. والتبغ، في رأي الأستاذ دانيل شورتز (1975)، مدير وحدة البحوث الإحصائية في I.N.S.E.R.M، مسؤول عن موت 37000 شخص سنوياً في بلادنا. ونذكر، بين مضار هذا المخدر، تأثيره في معدل ولادات قبل الأوان (14 بالمئة) وفق تقرير حكومي أمريكي نشر عام 1979، وفي الإملاص (الطفل المولود ميتاً). وبيّن إحصاء أُجري عام 1972 في بريطانية العظمى أنه كان لدى الأمهات اللواتي اعتدن على تدخين التبغ أطفال يولدون موتى أكثر مما لدى الأمهات اللواتي لايستهلكنه (زيادة 30 بالمئة). ولوحظ، أخيراً، أن لأطفال المدخنات وزناً عند الولادة يقلّ عن وزن الأطفال الآخرين وأن نموهم الجسمي والعقلي أكثر بطئاً. وواقع أن طفل المدخّنة يتلقّى دماً يفتقر إلى الأوكسجين ويحتوي النيكوتين أمرٌ يشرح هذه التفاوتات على وجه الاحتمال.

ولايسمّم الدخان مدخّنيه فحسب، ولكنه يسمم أيضاً غير المدخنين الذين يوجدون عادة في مكان مغلق يغزوه الدخان. وبغية الحماية من التسمم اللاإرادي، وصوناً لصحة المدخنين أنفسهم، إنما حظّر قانون 9 يوليو (تموز) 1976 تدخين المدخنين في الأماكن ذات الاستخدام الجماعي ولاسيما في المدارس ومنشآت الاستشفاء كما في وسائط النقل العام. والنضال ضد التبغ عسير، ذلك أنه يصطدم بفوائد مالية كبيرة. والواقع أن 40.000 مزارع، و50.000 بائع تبغ، و10.000 مستخدم في مصلحة الاستثمار الصناعي للتبوغ والكبريت، كانوا يعيشون، عام 1975، من صناعة التبغ، في حين أن الدولة تتلقى 7 مليار فرنك ضرائب شتى. وهذا المشكل يسبّب قلقاً متعاظماً بمقدار مايرتبط الإدمان على التبغ بأفراد أصغر عمراً فأصغر وبمقدار ماتكون ضحاياه أطفالاً أعمارهم تتراوح بين 13سنة و11. ففي فرنسة، 45 بالمئة من المدخنين من المراهقين من 12 سنة إلى 18. (انظر في هذا المعجم: **المخدّر، الاعتماد، المرحلة الفميّة، الإدمان على المخدّرات السامة**).

N.S.

تبلوف (بوريس ميكائيلوفيتش) Teplov (Boris Mikhaïlovitch)

عالم نفس روسي (تولّد، 1869 - موسكو، 1965).

أجرى تبلوف، بعد دراساته في كلية التاريخ الفيلولوجي من جامعة موسكو (1925)، بحوثه الأولى في الإحساسات والإدراكات، البصرية، و ثم عُني بمشكلات الفن وبـ **سيكولوجيا القابليات الموسيقية** (كتاب ترجمه إلى الفرنسي ج. دوبران، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1966). وبيّن، انطلاقاً من ملاحظاته للموسيقيين (لهؤلاء قدرة على التمييز أكثر إرهافاً عندما يتعلق الأمر بالعلامات الموسيقية التي تصدرها آلاتهم) ومن ملاحظات مماثلة يمكن أن تجرى مع الذوّاقين المحترفين وصانعي العطور، أن التمرين كان بوسعه أن يعدّل وينمّي الوظائف الحسية.

وتابع تبلوف أعمال إيفان بتروفيتش بافلوف (1849-1936) التي تناولت **النماذج السيكولوجية**. ومن المعلوم أن بافلوف كان قد لاحظ، خلال بحوثه في المنعكسات الشرطية، فروقاً فردية في العمل الوظائفي للجملة العصبية العليا لدى الكلاب، وفروقاً تتميّز بـ **القوة**، **والتوازن**، **والحركية**، لسيرورات الإثارة والكفّ، وميّز بافلوف أربعة نماذج من التغيرات الفردية: **النموذج الضعيف – غير المتوازن**، الذي تنقصه الحيوية، النموذج **القوي - غير المتوازن**، النموذج **الضعيف– الكسول**، الهادئ، وذا الدم البارد، النموذج **القوي – الحركي**، الفاعل. وهذه النماذج الأربعة تقابل النماذج التالية لدى الإنسان على التوالي في تصنيف هيبوقراط (377-460 ق. م): **السوداوي** (خجولاً، قلقاً)، **الغضبي** (حيوياً،

مبتكراً، غضوباً بسرعة)، **البلغمي** (صبوراً، عنيداً)، **الدموي** (سريعاً، حيوياً)، ووضّح تبلوف وفريقه خاصة أخرى، خاصة **التركيز**، مرتبطة بالتغيرات الفردية في إدراك العتبات الفرقية. وكان تبلوف، الذي كان يدير مخبر علم النفس الفيزيولوجي في معهد علم النفس ويضطلع بوظائف رئيس التحرير لمجلة **Vo-prossy Psikologii** (مسائل في علم النفس)، عضواً في أكاديمية العلوم البيداغوجية للاتحاد السوفييتي (انظر في هذا المعجم: **المنعكس الشرطي**، **بافلوف**).

M.C.

التبنّي

F: Adoption

En: Adoption

D: Adoption

فعل مقصود لشخص يرغب في أن يتّخذ قانونياً طفلاً لم يلده ابناً أو ابنة.

ممارسة التبني موجودة في غالبية المجتمعات الإنسانية وفي العصور الأكثر إيغالاً في القدم. فالناس، في روما القديمة، كانوا يتبنون أطفالاً ليؤمنوا عبادة الأجداد أو ليتجنّبوا انطفاء أسرة أو قبيلة. ويُقدّم رضيع لدى بعض الشعوب بوصفه هدية صداقة أو مودة. وثلث الأطفال متبنون منذ الولادة في موكيل، جزيرة من بولينيزيا (ويكلر)، ولكنهم يظلون مع أمهاتهم حتى فترة الفطام ويحتفظون مع آبائهم بعلاقات وثيقة وودية. والتبني، لدى بعض القبائل في جزر موري، من مضيق توري، منتشر إلى هذا الحد الذي يتعذّر فيه عملياً وضع أي نسابة دقيقة. كذلك في جزر أندامان أو في بورنيو، لكل فرد إمكان أن يتبنى أطفالاً بمقدار مايرغب، بمن فيهم العبيد أو الأسرى، إذا رضي هؤلاء بذلك. وبوسع من كان قد أضاع طفلاً، في أوماها، أن ينيب منابه أحداً بالتبني ولو كان راشداً.

ويُلاحظ سلوك التبني لدى الحيوانات أيضاً. وليس من النادر في الواقع أن يرى المرء إناث الحيوانات ترضع وتحمي صغاراً ليست صغارها. وهذا السلوك، الذي ينتمي إلى غريزة الأمومة، أتاح على وجه الخصوص، لأطفال مهملين أن تستمرّ حياتهم خارج كل وسط إنساني. وبوسعنا أن نذكر، بين الحالات الأكثر صحة، حالات يوجد لها توثيق دقيق، حالة الأطفال - الذئاب في ميدنابور.

ويخضع التبنّي، لدى الإنسان، إلى دافعيات معقّدة: سيكولوجية (الرغبة في أن يمنح المرء نفسه ذرية وأن يدلّل طفلاً)، اقتصادية (الرغبة في تحويل إرث)، اجتماعية (الرغبة في نقل اسم، لقب)، وفلسفية وأخلاقية، إلخ. وطلبات التبني بفرنسة، في تصاعد مستمر منذ بعض السنين؛ بل أن عددها يفوق كثيراً عدد الأفراد الذين يمكن تبنيهم. وكان عدد الأطفال البالغ عمرهم أقل من ست سنوات 6700 فقط، 31 كانون الأول (ديسمبر)، من 38545 ربيب دولة (يتامى، مهملين، «لقطاء»). ولم يكن ممكناً أن يُقترح للتبني مايقارب نصفهم، من جرآء القصور الجسمي (17 بالمئة) أو العقلي (29 بالمئة)؛ وثمة عدد معيّن منهم كان له أجداد أو أخوة وأخوات لم يكونوا يريدون الانفصال عنهم؛ وبعضهم، أخيراً، كان قد وُضع لدى أسرة معيلة حيث كانوا يشعرون بالسعادة. ولهذه الأسباب جميعها، كان التبني من نصيب جزء ضعيف من هذه الفئة من السكان (نحو ألفين من هؤلاء الأربّة). ويضاف إلى هذا العدد ألف طفل على وجه التقريب نجموا عن أعمال خاصة، إذ كان آباؤهم أو أمهاتهم أو مجلس الأسرة قد رضوا بالتبني شرعاً. وتتخذ الخدمات الاجتماعية المسؤولة ذلك الحد الأقصى من الضمانات لتجنّب إخفاقات مؤلمة. والطفل للتبني يخضع لعدد معيّن من الفحوصات الصارمة، الطبية والسيكولوجية، هدفها أن تكشف شذوذات جسمية أو عقلية. ويشكّل «الآباء المرشحون للتبني»، من جهتهم، موضوع استقصاء طبي نفسي اجتماعي معمّق يهدف، من جهة، إلى تحديد الشروط المادية والاجتماعية التي ستكون بانتظار الطفل، وإلى الاطمئنان، من جهة أخرى، أن ليس ثمة «محذورات من النسق السيكولوجي تقف عائقاً في سبيل أن يتحقّق مشروع التبني (مرسوم 10 أيار [مايو] 1963). وهدف الفحص الطبي النفسي الإلزامي لطالبي التبني أن يكشف الشخصيات المصابة بالاضطرابات إصابة خطيرة جداً، والقساة جداً بحيث لايتكيّفون مع الوضع الجديد، أو الذين لايمثّل طفل بالنسبة لهم سوى وسيلة لحلّ مشكل شخصي. فلا ينبغي أن يبحث عن الطفل لتزيين ضرب من الوجود أو لتهدئة

الجرح النرجسي، لدى رجل أو امرأة، الذي سبّبه اجتياز الشعور بعقمهما. فإذا كان الأمر على هذا النحو، فإن بوسع المرء أن يخشى أن يبدو الطفل المتبنّى وكأنه الدليل الحي الدائم على هذا القصور. ومن «المناسب أن نكرّر، يقول ميشيل سوله، أن التبني لم يُشرَّع لتسكين آلام ثنائي، بل لتأمين سعادة الطفل».

وعلى الرغم من كل هذه الاحتياطات، ليست ضروب التبني نجاحات كلها. والأسباب يمكنها أن تكون شتّى. وذلك يرتبط، في جزء منها، أطفال التبنّي الذين ليست اضطراباتهم السلوكية عيوباً وراثية بقدر ما هي نتيجة الإقامة المديدة الجديدة في المؤسسة أو نتيجة تغيرات متواترة جداً في المرضعات. وتمكّن بعضهم أن يلاحظ في الواقع أن الرضّع الذين اندمجوا قبل سن العام في منزل تبنّ مستقر كان نموّهم نمواً سوياً ومرْضياً، في حين الأطفال الذي جرى تبنيهم في زمن أكثر تأخراً بكثير كانوا يُظهرون اضطرابات في الطبع تجعل تبنيهم مخفقاً. والإخفاق يمكنه أن يُعزى إلى الآباء المتبنين عندما تنقصهم المرونة أو عندما يرفضون رفضاً لاشعورياً واقع أن الطفل يمكنه أن يتمايز عن صورتهم المثالية الخاصة ويؤكد فرديته على نحو مختلف. فرغباتهم الخائبة الأمل، ومخاوفهم من أن يظهروا بمظهر القساة جداً أو بمظهر عدم الكفاية من القسوة، تساهمان في صعوباتهم. وتبدو هذه الصعوبات على وجه الخصوص بنسبة مرتفعة من الأطفال والمراهقين المتبنين بين طالبي الاستشارة في مراكز الصحة العقلية. وهذه النسبة في الولايات المتحدة، حيث يحصى 1,4 بالمئة من الأطفال المتبنين، تقع بين 2,4 و 3,5 (جـ. جـ. لاوتون، س. ز. غروس، 1964)؛ وترتفع هذه النسبة إلى 2,7 في بريطانية بحسب م. همفري، س أونستيد (1963-1964). وبواعث الاستشارة الأكثر تواتراً هي السرقة، والكذب، والعدوانية (إزاء الأم على وجه الخصوص)، والأفعال الجنسية المباغتة. والمرحلة الأكثر حراجة هي المراهقة، مرحلة الوضع موضع التساؤل وتوطيد الذات. وفي رأي كليمون لونه (1971)، نجد لدى بعض الأطفال المتبنين (أقلية ضعيفة)، الذين يُظهرون اضطرابات خطيرة في السلوك وقلقاً كبيراً، صورتين

متمايزتين للأم: إحداهما مؤاتية، تُضفى عليها الصفة المثالية، مرتبطة بماضٍ مجهول، مشحون بالحنين، والأخرى مؤذية تتبلور عليها كل المطالبات التي تعقب الإحباطات المحتومة، إحباطات الحياة اليومية. «أو أن العكس يحدث: صورة امرأة خطرة وعدوانية، ساحرة، ترتبط بما أمكن للطفل أن يسمعه يُقال عن موضوع أمه الطبيعية، والصورة الأخرى تضفي الأمن، ولكنها لاتضفيه بصورة تكفي لإيقاف قلقه. وتظل هذه الصورة المزدوجة للأم ملتبسة بالطبع، ولكنها تشرح أن ثمة، لدى هولاء الأطفال، سلوكاً متناقضاً إزاء الأم، في حين أن علاقاتهم بأبيهم لاتتيح المجال لصعوبات على وجه العموم».

وأحد المشكلات الأكثر حساسية التي تواجه الآباء المتبنين يكمن في أن يُكشف للطفل إجابة طبيعية، نحو السنة الرابعة من عمره، في الفترة الزمنية التي يبدأ خلالها في طرح أسئلة عن ولادة الرضّع. فالطفل الذي يُقال له إنه كان مهملاً، ثم متبنّى، سيدمج هذه الكلمات، ولو أنه لايفهمها، في سياق انفعال ملائم، متحرّر من كل رجع مأساوي. وهذا الكشف، الذي يحصل في مناخ من الحب، لن يكون بوسعه أن يستشعره أنه يهدّد الأمن الذي يحتاجه. إن لزوجين لايزالان فتيين، متوازنين، منسجمين، كل الحظوظ في أن يحقّقا بسعادة تبني طفل، وبخاصة إذا أُرشدا في مساعيهما الأولى. (انظر في هذا المعجم: **العوز الوجداني**، **الأسرة**، **الطفل المتوحش**).

N.S.

التثبيت

F: Fixation

En: Fixation

D: Fixierung

تعلّق مغال بشخص، بشيء أو بامتثال لاشعوري (صورة ذهنية مثالية).

ينصبّ الكلام، في نظرية التحليل النفسي، على تثبيت **الليبيدو** عندما يتركّز هذا الليبيدو على واحدة من المراحل التالية (الفمية، الشرجية، القضيبية) من النمو النفسي الجنسي. والليبيدو يمكنه، خلال مرحلة نضجه الطويلة، أن يتركز أو يتوقّف بفعل أحداث من حياة الطفل: فقدان والد محبوب، قصور عاطفي مبكّر، إرضاع مديد بمغالاة من الثدي، إلخ. وهذا التثبيت يهيىء الفرد لأوضاع ستسوّل له نفسه النكوص إليها عندما يصطدم في حياته اللاحقة بصعوبات تبدو له أنها متعذّرة التجاوز. . ومثال ذلك أن التلميذ الذي يتعرض لإزعاجات رفاقه يمكنه أن يعود إلى مصّ إبهامه، ويبلّل فراشه، ويتكلم كطفل رضيع، إذ يبتكر على هذا النحو شروط ماضٍ قريب يحنّ إليه. ولايقود كل تثبيت إلى العصاب بالضرورة، ولكنه عامل يجعل الطفل ذا استعداد للعصاب (انظر في هذا المعجم: **النكوص**).

N.S.

التثليث الصبغي

F: Trisomie

En: Trisomy

D: Trisomie

زيغان صبغي يكمن في وجود صبغيّ جسدي زائد عن العدد المقرر: أحد الصبغيات يتشكّل من ثلاثة نماذج بدلاً من اثنين.

ثمة عدة أشكال من التثليث الصبغي معروفة لدى الإنسان، ولاسيما الأشكال التي تتخذها الصبغيات 13-18-21. والتثليث الأكثر تواتراً هو تثليث الصبغي 21، الذي اكتشفه جـ. لوجون عام 1959. إن هذا التثليث الصبغي 21 هو المسؤول عن المنغولية. والتثليث الصبغي 18، الذي وصفه جـ. هـ. إدواردز عام 1960، والتثليث الصبغي 13 الذي وصفه كلوس باتو عام 1960، هما الأكثر ندرة بكثير. والتشوّهات في الحالتين تبلغ حداً تصبح إمكانية عيش الأطفال ضعيفة جداً. (انظر في هذا المعجم: **الزيغان الصبغي**، **تصنيف الصبغيات، الصبغيّ**).

M.S.

تجربة أرسطو

F: Expérience d' Aristote

En: Aristotle's illusion

D: Aristotelischer Verscuch

انطباع بازدواج شيء نمسّه (دون أن ننظر إليه) بالسّبابة والوسطى المتصالبتين.

هذه التجربة، المنسوبة إلى أرسطو، يمكنها أن تجرى بكريّة (كلة)، بقلم، بأرنبة الأنف، بأي شيء صلب ذي حجم صغير نضعه بين الإصبعين المتصالبتين. فالاتصال اللمسي يمنح الوهم أن الفرد أمام شيئين متمايزين بدلاً من شيء واحد. (انظر في هذا المعجم: **الوهم**).

N.S.

تجربة تاستوفان

F: Expérience de Tastevin

En: Tastevin's illusion

D: Tastevin - taüchung

تجربة أنجزها جـ . تاستوفان (1973) توضّح دور المخطط الجسمي في تموضع الإدراكات اللمسية.

بيّن المؤلف، منطلقاً من تجربة أرسطو التي تكمن في أن يُفحص، فحصاً لمسياً، شيء صغير بالسبابة والوسطى متصالبتين، أننا إذا نبهنا أنملة الإصبعين معاً بفرجار خاص أحد طرفيه تحلّ محله كرية صغيرة، فإن الفرد يحسّ بلسعة الطرف في الإصبع التي تنبّهنا الكرة الصغيرة، **والعكس بالعكس**. هذا الوهم ناجم عن موقع الإصبعين المعكوس. والفرد يدرك التنبيهين حيث إصبعاه ينبغي أن توجدا عادة، التنبيه الخاص بالوسطى بدلاً من السبابة وتنبيه السبابة بدلاً من الوسطى، على الرغم من أنه يعلم أن الإصبعين متصالبتان. (انظر في هذا المعجم: **المخطط الجسمي**).

N.S.

تحت المهاد

F: Hypothalamus

En: Hypothalamus

D: Hypothalamus

منطقة من قاعدة الدماغ تقع تحت المهاد وتنفصل عن المهاد بتَلَم محدّد كل التحديد، وتجمع التكوّنات الرمادية التي تحيط بأرضية البطين الثالث (تجويف مركزي مملوء بالسائل الرأسي الصلبي).

يؤدي تحت المهاد دوراً رئيساً في ضبط الوظائف الإنباتية للعضوية كالنوم، والتنفس ودوران الدم، والإفرازات الهرمونية، ويحافظ على حرارة الجسم ثابتة نسبياً، وينظّم ضربات القلب والتوازن الهيدروجيني، ويضبط المنعكسات الجنسية. ونميّز، من الناحية الفيزيولوجية، أربع زمر من النوى: **الزمرة الأمامية** (النوى فوق البصرية والنوى حول البطينية)، **الزمرة المتوسطة** (النواة الظهرية المتوسطة، والنواة البطنية المتوسطة، ونواة الحدبة)، **الزمرة الخلفية** (النوى الحَلَمية)، **الزمرة الجانبية**.

ويتلقّى تحت المهاد، الملتقى العصبي الغدّي الحقيقي، واردات كثيرة من النخاع، وجذع الدماغ، والتكوّن المشبّك والمهاد، والجملة الطرفية، والفصّ الجبهي، والفص الصدغي، إلخ. والارتباطات الصادرة أقل عدداً. ونحن نميّز، من هذه الارتباطات، الحزمة تحت المهادية النخامية، التي تكوّنها، من جهة، المحاور اللانُخاعية (الخالية من النخاعين) وعصبونات نوى تحت المهاد فوق البصرية وحول البطينية، التي تفضي إلى خلف النخامى، وتكوّنها، من جهة أخرى،

الألياف الخالية من النخاعين الصادرة من نوى شتى تنتهي على مستوى النتوء المتوسط. وخلايا النوى فوق البصرية والنوى حول البطينية هي خلايا عصبية إفرازية، أعني أنها ليست فقط ذات خصائص مورفولوجية ووظيفية للخلايا العصبية، ولكنها ذات خصائص للخلايا الغدّية أيضاً. ونلاحظ على وجه الخصوص أن محورها لايكوّن تشابكاً مع خلية عصبية أو عضو متلقّ، ولكنه ينتهي باتصال مع الأوعية الشعرية التي ينصبّ فيها إفراز هرموني. وتؤلف هذه الخلايا وحدة وظيفية يسميها برتا (و)إ. شارر (1940) «الغدة بين الدماغية».

ويراقب تحت المهاد فاعلية النخامى بفضل اتصالات عصبية وعائية موجودة بين هذين التكوّنين. ومن المعلوم، منذ أعمال شارر وبرغمان، أن الهرمونات المسماة نخامية خلفية، مثل **الأوسيتوسين** و **.A.D.H** (هرمون ضد إدرار البول)، المسمى أيضاً **بيتريسّين** أو **مقبض الأوعية** لأنه يقلص الشرايين ويرفع الضغط الشرياني، هي في الواقع هرمونات تفرزها خلايا عصبية إفرازية للنوى فوق البصرية وحول البطينية من تحت المهاد. وهذه الهرمونات المرتبطة بالبروتيئين تهاجر سالكة طول محاور الحزمة تحت المهادية النخامية، وتصل إلى النخامى الخلفية حيث تتراكم. ويسبّب خراب النوى المهادية فوق البصرية داء السكر التفِه، الذي يتميّز بإفراز للبول مفرط (بُوال)، المسؤول بسرعة عن تجفيف السوائل الذي يمكنه أن يتطورّ إلى الموت إن لم يكن ثمة سائل معوّض. ويرتبط إفراز .A.D.H بعوامل عديدة: إن نقص الحجم يحرّضه، أي انخفاض الكتلة الدموية الدائرة، وتحرّضه حرارة مرتفعة، والحالات الوجدانية كالانفعال، والأسيتيلكولين والمورفين. ويكبحه البرد، والأدرينالين، والنورادرينالين، والكحول.

أضف إلى ذلك أن تحت المهاد يفرز عناصر قادرة على أن تؤثر في إفراز خلف النخامى: **العوامل المحرّضة** (,M.R.F. , L.R.F, F.R.F., C.R.F., T.R.F. G.R.F.)، ذات المفعول الذي يحرّض الإفرازات النخامية، و**العوامل الكابحة** (M.I.F. , P.I.F. , G.I.F.) التي تكبح هذه الإفرازات. ويُلاحظ أن الاختصارات

الانغليرية بالأحرف الأولى للعوامل تحت المهادية التي تطلق الإفراز تنتهي بالحرفين R.F. (**عامل محرّض**) وعوامل العناصر الكابحة تنتهي بالحرفين I.F. (**عامل كابح**). فمنذ أن يُعرف أحد هذه العناصر، ويحلّل، بل يُركّب أو يُستخدم في العلاج، يحلّ الحرف H (**هرمون**) محل الحرف F(**عامل**). وهكذا يصبح T.R.F هو T.R.H.. وتحت المهاد يراقب، بواسطة النخامى الخلفية، العمل الوظائفي لـ: 1) **الغدد التناسلية** (F.R.F. يسبّب تحرير الهرمون الجريبي المحرّض أو F.S.H، وL.R.F. يسبب تحرير الهرمون الملوتن أو L.H.)؛ 2) **الغدة الدرقية** (T.R.F. يؤدي إلى تحرير الهرمون الدرقي المحرض أو T.S.H.)؛ 3) **قشر الغدتين الكظريتين** (يحرض G.R.F. إنتاج هرمون الموجه القشري أو A.C.T.H.). ويؤثر تحت المهاد أيضاً في **النمو** بواسطة G.R.F. (**العامل المحرض لهرمون النمو**) و G.I.F (**العامل الكابح لهرمون النمو**) الذي ينظّم هرمون الموجّه الجسمي أو S.T.H.، فالأول يحرض النمو والثاني يكبحه؛ ويراقب **الإفراز اللبني** بواسطة P.I.F. (العامل الكابح للبرولاكتين) وتصبّغ الجلد بواسطة M.I.F. (**العامل الكابح للهرمون المحرض لإفراز القتمين**) وM.R.F. (**العامل المحرّض للهرمون المحرض لإفراز القتمين**).

وأوضحت تجارب التخريبات المتموضعة أو الكلية لتحت المهاد دور هذه المنطقة بين الدماغية في السلوك:

1) تسبّب آفة في **النوى المتوسطةوالبطنية** زيادة كبيرة في الشهية، والبدانة وتقليص الفاعلية؛ أضف إلى ذلك أن فرد التجربة يصبح متوحشاً وعدوانياً. وتحريض هذه النوى نفسها مسؤول عن الخَلْفَة. وبوسع المرء أن يستخلص من هذه التجارب أن النوى البطنية المتوسطة ذات علاقة بـ «مركز الشبع». وتسبّب، على العكس، آفة في تحت المهاد الجانبي نقصاً في الشهية ونحولاً، في حين أن التحريض الكهربائي لهذه المنطقة يزيد الشهية، وذلك أمر يظهر في زيادة الوزن. وثمة قبول بأن هذه المنطقة ذات علاقة بـ«مركز الجوع».

2) يؤدي تحت المهاد دوراً ذا أهمية في التعبير عن الانفعالات. ومثال ذلك أنه يسهّل إطلاق ارتكاسات غضب شديد، لدى هر حُرم من قشرته الدماغية، ولكنه غضب ذو مدة زمنية قصيرة (**غيظ زائف** أو «غضب مصطنع»).

وإذا استأصلنا، على العكس تحت المهاد، فإن الهر يظل لامبالياً ولم يعد يبدي أي انفعال.

3) يتدخّل تحت المهاد أيضاً في الفاعلية الجنسية النوعية. والواقع أننا إذا رفعنا النخامى لفأر ذكر، فإن هذا الفأر لم يعد له فاعلية جنسية. ولكننا إذا طعّمناه في منطقة تحت المهاد بنخامى مصدرها فأر أنثى، فإن الحيوان لايستعيد بسرعة فاعليته الجنسية فقط، ولكنه يستعيد أيضاً فاعليته الجنسيَّة المذكّرة. فالرقابة النخامية للجنسية ترتبط إذن بتحت المهاد. والنخامى، في هذه التجربة، تفقد السمة الدورية لعملها الوظائفي التي تميّز الفاعلية الأنثوية، لتتّخذ سمة مستمرة تميز الذكر.

والعمل الوظائفي لتحت المهاد خاضع لتأثير عوامل عديدة كالنور الذي يحرّض وضع البيض لدى الدجاج، أو الحرارة التي تبطىء لدى بعض الأنواع من الحيوانات المنزلية فاعليةالتكاثر. وتؤدي البيئة، هي أيضاً، دوراً ذا أهمية. فالحيوانات المتوحشة لاتتكاثر على وجه العموم في الأسْر، إلا إذا عاشت في حدائق طبيعية، حيث تجد الشروط المألوفة لحياتها. ووجود الشبيه أمر لاغنى عنه أيضاً حتى تحدث الإباضة لدى بعض الإناث. فالحمامة الأنثى المنعزلة لاتبيض. ولكننا إذا وضعنا في قفصها مرآة تعكس صورتها، فإن ذلك يكفي لكي تعود إلى أن تبيض. (انظر في هذا المعجم: **النخامى**).

M.S.

F: Echolocation ou Echolocalisation **التحديد بالصدى**

En: Echolocation, Echolocalization

D: SchalloKalisation, Widerhallpeilung

الاشتقاق: من اليوناني echo، «تكرار صوت يرجعه جسم»، و Locus أي «مكان» عمل يهدف إلى تحديد مكان حاجز أو جسم في الفراغ باستخدام ظاهرةالصدى.

هذا المصطلح كان عالم البيولوجيا الأمريكي دونالدر ر. غريفان، المولود عام 1915، قد استخدمه للمرة الأولى عام 1944 للدلالة على نمط التوجّه وتحديد أماكن الفرائس، نمط تستعمله الوطاويط. وتُصدر هذه الوطاويط، عندما تطير، أصواتاً متقطعة، ذات تواتر متغير، يتعذر على الإنسان أن يسمعها، ويتيح صداها أن يحدّد موضع الأشياء المحيطةتحديداً كاملاً.

وكان الأول الذي درس نظام التوجّه لدى الوطاويط هو العالم البيولوجي الإيطالي لازاوسبالّنزاني (1729 -1799)، الذي كان يعتقد أن هذه الحيوانات «ترى بآذانها» (1793). ولم يكن ثمة بدّ من انتظار القرن العشرين حتى يتّضح لغز القابلية لدى الوطاويط للطيران في الظلام الكامل وتجنّب الحواجز. ففي عام 1938 مدّد غريفان وغالامبو أسلاكاً حديدية في غرفة من السقف حتى الأرضية وأفلتا الوطاويط التي كانت عيونها مغطاة. ولم يمنعها ذلك من الطيران، وتجنب الحواجز كلها. ثم سُدّت آذانها، فأصبحت الصدمات عندئذ متواترة كثيراً. وحدث الأمر نفسه عندما أسكتها العالمان المذكوران اللذان استنبطا أن الوطاويط كانت تُصدر

أصواتاً تعكسها الحواجز وتدركها هذه الوطاويط بالسمع. وتم البرهان فيما بعد على أن الوطاويط من نوع ميوتيس تُحدث أصواتاً متقطعة خصائصها تتغير مع الأوضاع.

ومثال ذلك أن تواتر الأصوات لدى الوطاويط عندما تصيد الحشرات تقع، في مرحلة البحث والاقتراب، بين 50 و100 كيلو هرتز، إذ يفصل بين الإصدار والإصدار الذي يليه فاصل زمني قدره بين 50 من ألف من الثانية أو 100. وينتقل تواتر الصوت، خلال الطور النهائي من القبض على الفريسة، إلى 25 أو 30 كيلو هرتز، ويتقلّص الفاصل الزمني إلى 5 بالألف من الثانية، وذلك أمر يُكثر من إصدار الإشارات ويتيح ضرباً دقيقاً جداً من تحديد وضع الفريسة. وبيّن غريفان عام 1953 أن الطيور من نوع الغاشادو التي تبني أعشاشها في الكهوف من المناطق المدارية في أمريكة الجنوبية تتوجّه أيضاً في الظلام بفعل التحديد بالصدى. والأمر نفسه ينطبق على ضرب من العصافير الصغيرة، **الخطّاف**، التي تعيش جماعات كبيرة في كهوف آسية الجنوبية (نوويك وميدوي، 1959). والدلافين والفقمات تستخدم الصوت أيضاً لتتوجه وتجد غذاءها، كما بيّن على وجه الخصوص إيفانز ودريهر (1960)، (و) هـ. كيلوغ الذي غطّس في حوض، كانت حوتيات تتحرك فيه، شبكة ذات ثقوب ضخمة كان بعضها مسدوداً بصفائح من زجاج الوقاية الشفّاف. ولم يسجل سوى 2 بالمئة من الأخطاء. والتحديد بالصدى، الذي يتدخّل في بعض الأوساط عندما لم يعدممكناً للرؤية أن تكون كافية لتأمين التوجّه، ذو علاقة بالشروط الحسية الخاصة، ولكنها ليست أكثر إثارة من الآليات البصرية التي نستخدمها لنؤمن توجّهنا ونتجنّب الحواجز.

N.S.

تحريض الإبداع الفكري

F: Synectique
En: Synectics
D: Synektik

تقنية تحريض الإبداع الفكري، أعدّها الأستاذ وليم جـ. جـ غوردون من «معهد ماساشوست التكنولوجي» (الولايات المتحدة الأمريكية)، المؤلفة من استخدام واعٍ للآليات السيكولوجية قبل الشعورية التي تسود في كل فاعلية مبدعة.

ثلاث مسلّمات تؤسّس هذه الطريقة: الأولى تكمن في أن الإبداعية يمكنها أن تنمو إذا فهمنا السيرورات النفسية التي تدعمها؛ والثانية تجعل العنصر الانفعالي مبدأ الإبداعية الأساسي، حتى قبل العقلانية؛ وتكمن المسلمة الثالثة في أن علينا النفوذ إلى هذه العناصر اللاعقلانية لزيادة حظوظ النجاح في حلّ مشكل. وتحريض الإبداع الفكري يمكنه أن يُطبّق على فرد، ولكنه تقنية جماعة على وجه الخصوص. فمجموع الأفكار لدى جماعة يفوق، في رأي غوردون، مجموع الأفكار الذي يمكن أن يقدمه الأشخاص الذين ينتمون إلى هذه الجماعة إذا أخذنا كلاً منهم على حدة. والسبب أن الجماعة تؤلف تحريضاً إضافياً، إنها تخلق ضرباً من التدريب، وتمنح أعضاءها عاطفة التضامن والأمن التي تنمّي جرأة كل عضو، وتقودهم إلى مجازفة أكبر. وتضمّ جماعات التحريض، تحريض الإبداع الفكري، خمسة إلى ثمانية أعضاء، ذوي تكوينات مختلفة (بيولوجيين، أطباء نفسيين، علماء نفس، فيزيائيين، إلخ)، ينظرون في المشكلات انطلاقاً من وجهات نظر شتى، ويقابلون آراءهم في المناقشات التي يمكنها أن تشمل فترة زمنية طويلة إلى حدّ كاف. (انظر في هذا المعجم: **تفتيق الأفكار**، **الإبداعية**، **الجماعة**).

N.S.

تحسين النسل

F: Eugénique ou Eugénisme

En: Eugénics

D: Eugenik

طريقة مبنيّة على قوانين الوراثة تستخدم كل الوسائل التي يمكنها تحسين العرق الإنساني.

هذا المصطلح، الذي صاغه فرانسيس غالتون (1822-1911)، يشمل الهاجس القديم الذي مفاده صيانة أجيال المستقبل من العيوب الوراثية. فتحريم غشيان المحارم الكلي مظهر من مظاهره، وقتل الأطفال، الذي كان يعيث فساداً لدى بعض الشعوب، مظهر آخر (كان السبارطيون يلقون الأطفال المولودين حديثاً غير الأسوياء في قاع هاوية).

أراد غالتون، المقتنع أن العرق الإنساني الذي كان قد طرأ عليه انحطاط منذ الحضارة الاغريقية القديمة، أن يُحلّ محل الاصطفاء الطبيعي اصطفاءً أكثر ذكاء، مبنيّاً على البحث عن أفضل شروط التكاثر. ومنح لهذا القصد، عام 1904، **كلية لندن الجامعية** مخبراً مخصّصاً لتشجيع هذا الفرع الجديد من المعرفة وأوجد عام1908 **التربية الاجتماعية ذات العلاقة بتحسين النسل**.

وتلاقي أفكاره، التي تستند إلى كشوف جوهان ماندل (1822-1884) ونظريات شارل داروين (1809-1882)، حظوة كبيرة واستمرّ انتشارها في العالم. وعلى هذا النحو إنما تقرّر، منذ عام 1907، بعض الولايات كأنديانة، في الولايات المتحدة الأمريكية، أن تجعل عقيماً كل مريض عقلي، وكل ضعيف عقلياً أو

مصاب بالصرع. وفي فسحة من الزمن قدرها بعض العقود من السنين، تبنّت المواقف نفسها ثلاثون ولاية أمريكية، ومنطقتا ألبرتة وكولومبية البريطانيتين في كنده، والدانمارك (1929)، والسويد (1935)، والنرويج، وفنلندة، وسويسرة (كانتون فود). ولكن هذه الممارسة، التي كانت موضع مناقشة من قبلُ، اتّخذت في ألمانية، مع انتصار النازية، أبعاداً مخيفة؛ فلم يكن المرضى الذين رُؤي أنهم غير قابلين للشفاء هم فقط الذين كانت النازية تفرض عليهم العقم، بل كانت أيضاً تفرضها على جماعات إتنية كاملة، كالغجر، والجانحين، بل الكسالى! وذكرى هذه المأساة ستتسلّط من الآن فصاعداً على كل ذاكرة وستُنعش عداوة شخصيات عديدة لتحسين النسل.

ويظهر هذا الفرع من المعرفة مع ذلك مفيداً دون شك عندما يتوجّه إلى الثنائي الذي يريد ألا يكون له سوى الأطفال الأصحاء. وأسهم هذا الفرع من المعرفة، من هذا المنظور، في جعل الفحص السابق على الزواج إلزامياً، فحص تأسّس للمرة الأولى في البلدان الإسكندنافية عام 1918. ولم يكن هدف هذا الإجراء أن يمنع الزواج بين أشخاص يحملون مرضاً أسرياً وراثياً، بل هدفه فقط أن يجعلهم مطّلعين على المخاطر التي يمكنهم أن يعرّضوا ذريتهم المحتملة إليها. وشغلت المشكلات الخاصة بالعقم اللاإرادي اهتمام علماء تحسين النسل أيضاً، وهم الذين اقترحوا التلقيح الاصطناعي علاجاً له. وأوصوا أيضاً، في وقت مبكر جداً، بالإجهاض الشرعي للنساء اللواتي لديهن أسباب للاعتقاد أن الطفل المنتظر حامل شذوذ صبغيّ أو حامل آفة خطيرة كتليّف البنكرياس الكُيَيسي. ويهتم تحسين النسل أيضاً بالتخطيط الأسري والعون المادي والمعنوي الواجب تقديمها إلى الأسر الكثيرة الأطفال، من حيث أن عدة استقصاءات بيّنت أن ثمة علاقة بين عدد الأطفال في أسرة ومستوى ذكائهم. ويمكننا القول إن تحسين النسل يكون بهذه الصفة من الصحة العقلية. (انظر في هذا المعجم مايلي: **الزيغان الصبغي، الإجهاض، الأسرة، الأخوة**).

N.S.

F: Socianalyse ou Socioanalyse التحليل النفسي الجماعي
En: Socioanalysis
D: Sozioanlyse

تحليل عيادي لجماعة.

يفهم عالم النفس الأمريكي جـ. ل . مورينو (1889-1974) من هذه التسمية صدى قبول أعضاء جُدُد في جماعة على هذه الجماعة وعلى شخصية الأفراد الذين يؤلفونها. «سيبيّن التحليل العيادي الجماعي، كتب هذا المؤلف يقول، إن كان انضمام بعض المشاركين سيُسهم في اندماج الشخصية أو عدم اندماجها، وبوسعه فضلاً عن ذلك أن يدلّ على الكيفية التي سيعمل بها فرد عمله الوظائفي بانسجام مع أعضاء الجماعة الآخرين» (1932) . وتقنيات التحليل العيادي الجماعي هي القياس الاجتماعي والدراما النفسية والدراما الاجتماعية. واستخدم مؤلفون آخرون، فيما بعد، الكلمةنفسها في معان مختلفة. والتحليل العيادي الجماعي ضرب من التحليل النفسي للجماعة، في رأي بعض المؤلفين الذين يعتبرون أن للجماعات متخيّلاً ولاشعوراً جماعيين (أ. أمار، 1950). وهو يندرج، بالنسبة لبعضهم الآخر مثل جورج لاباساد، في الخط المباشر لدينامية الجماعة. أما ماديا وجاك فون بوكستيل، فإنهما جعلاه ضرباً من «البحث العمل» الذي ينزع إلى تعديل العمل الوظائفي لجماعة طبيعية (ثنائي أو مؤسسة)، إذ يحلّل ويفسر الأوضاع التي تمر بها الجماعة، ويحيل إليها، ماأمكن ذلك، صورة أمينة لعملها الوظائفي الخاص.

(انظر في هذا المعجم: **جماعة التشخيص ، دينامية الجماعة، البحث العمل**).

N.S.

التحليل العاملي

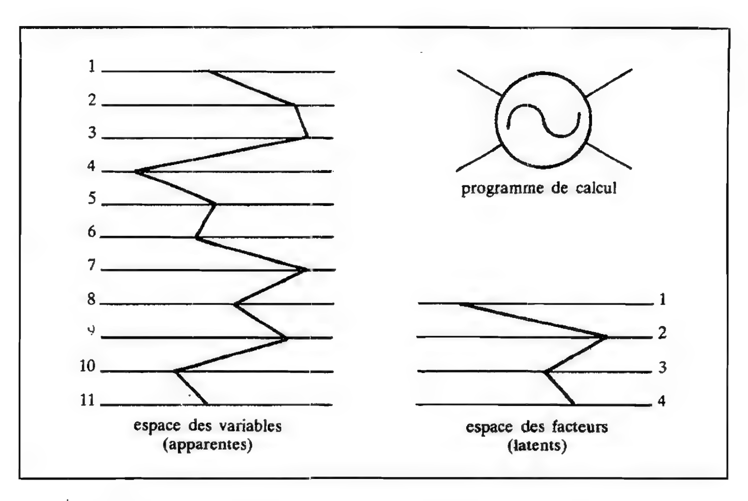
F: Analyse factorielle
En: Factorial analysis
D: Foktorenanalyse

تقنية إحصائية موضوعها إبراز العوامل المشتركة (استخراج العوامل) بين مجموعة من المتغيرات ذات الارتباطات التي لايُستهان بها.

هذه التقنية صاغها، نحو عام 1900 ، شارك إدوار سبيرمان (1863-1945) الذي كان يبحث عن أن يوضّح أن لدى كل فرد، توضيحاً على نحو دقيق وعلى نحو يمكننا تقييمه كمياً، قابلية عقلية عامة (يسميها العامل «G» [أي عام]) تؤثّر تأثيراً مختلفاً في النتائج التي ينالها فرد عندما ينجز مهمات شتّى.

والعامل G شبيه بضرب من الطاقة الذهنية تتوزّع توزعاً غير متساو بين قابليات مختلفة (مثال ذلك قابلية الاستدلال المنطقي، قابلية الرسم البياني، إلخ). ونمو التحليل العاملي يُعزى إلى علماء نفس انغليز (النظرية المَلَكية للبنية الذهنية) وأمريكان (النظرية الأوليغارشية). وتبدو العوامل في هذا المنظور كأنها عودة ذات نزعة إيجابية للشرح الشكلي بملكات النفس. فـ«الملكة» و«العامل» لهما أصل واحد من الناحية الاشتقاقية في اللغة الفرنسية، ولكن مصطلح «عامل» اتخذ دلالة علمية دقيقة، إذ يستند وجود العامل إلى ملاحظات موضوعية (مجموعة من الدوائر) ومنهجية (بيانات إحصائية). ولم يصبح التحليل العاملي، الذي ينطوي على حسابات رقمية ذات حجم كبير، أداة مريحة لعلم النفس الفرقي إلا مع الحاسبات الالكترونية التي أوجدت الشروط المناسبة للبحث في العوامل؛ وهذه التقنية انتقلت من علم النفس إلى فروع علمية أخرى مع ذلك.

والعوامل - التي تسمّى أيضاً **متغيرات كامنة** أو خفية - المستخلصة من منظومة من المتغيرات الملاحظة- وهي **المتغيرات البادية** أو البيّنة، ولكننا نسميها «متغيرات» فقط- ناجمة عن حساب يحوّل حيّز المتغيّرات إلى حيز عوامل ذي أبعاد أضعف بكثير. والرسم البياني لكل فرد يجد نفسه على هذا النحو وقد تقلّص إلى عناصره الأساسية (انظر التخطيطية التالية).



يتحوّل، في هذا المثال، رسم بياني يعكس نتائج مجموعة من 11 رائزاً، إلى رسم بياني عاملي ذي 4 أبعاد.

وتستند طبيعة وشروط استخدام التحليل العاملي وأهميته، بصورة أساسية، إلى أربع مقدّمات إبستيمولوجية، أي:

أ) مبدأ **التغيرات المتلازمة** (جـ. س. ميل) التي نفترض أن ثمة مجالاً بحسبها لوجود ضرب من الارتباط السببي عندما تتغيّر جوانب مختلفة من ظاهرة واحدة تغيراً مترابطاً. مثال ذلك: إذا كانت عدة روائز، خاصة بأعمال آلية، مترابطة ترابطاً

إيجابياً، فإنها تدل على قابلية واحدة أو عامل آلي يتدخّل في هذه الأعمال المختلفة.

ب) قاعدة **الاقتصاد التصورّي** (موسى أوكهام) التي يُستحسن بموجبها عدم لإفراط في الإكثار من الكيانات الشرحية والتي تقود، إذا طبقناها والحال هذه، إلى بحث عن تصورّ يلغي الإسهاب، أو شيوع المحتوى، الذي يكشف عنه ارتباط المتغيرات للاحظة، فعامل واحد يمكنه أن يأخذ على عاتقه تغطية عدة متغيرات.

جـ) مبدأ **تجريد العوامل** التي ليست وقائع ملاحظة ولاتنصبّ بصورة مباشرة على مظاهر مادية، ولكنها عوامل كامنة ويعود إلى الباحث أمر اكتشافها بين الأنماط الشكلية التي يقدمها التحليل العاملي.

د) شرط **التعبير بالأبعاد** عن متغيرات ينبغي تحديدها على سلالم قياس، مثال ذلك علامات على الروائز، علامات مدرسية، قياسات من كل ضرب، فالمعطيات ينبغي إخضاعها للحساب الرقمي.

وتتيح هذه الأفكار الموجِّهة أن ندرك مراحل كل بحث عاملي، أي:

1- بيان معطيات الملاحظة أو التجريب على صورة مصفوفة متغيرات / أفراد؛

2- وضع مصفوفة ارتباطات بين المتغيرات؛

3- تقليص البُعدية ووضع مصفوفة أولى للإشباعات؛

4- دوران مناسب لحيّز العوامل بهدف إيجاد طراز مناسب يتجلّى في المصفوفة الحاسمة للإشباعات.

أ) جدول المعطيات

المعطيات هي العلامات التي ينالها أفراد العينة (أ، ب، جـ، د. . ك) في كل اختبار (م1، م2. . . . م11). وتكوّن المتغيّرات منظومة وليس بعضها مستقلاً عن بعضها الآخر، وعلى ارتباطها إنما يُبنى البحث عن العوامل المشتركة.

	جـــدول المعطيـــات					
أفراد / اختبارات	أ	ب	ج	د	. . .	ك
م1	12	10	4	8	. . .	11
م2	8	3	11	7	. . .	9
.	.	.	.	.		.
.	.	.	.	.		.
.	.	.	.	.		.
م11	13	5	9	14	. . .	8

ب) جدول الارتباطات

بما أن توزيع المعطيات توزيع طبيعي (بالفرض)، فإننا نحسب معاملات الارتباطات الخطّية بين كل المتغيرات حيث نأخذها اثنين اثنين. وجدول هذه المعاملات مصفوفة مربعة، متناظرة بالنسبة للخط القطري الأساسي، إذ أن عناصر هذا المستقيم القطري مساوية لـ1 (ارتباط كامل لمتغيّر مع نفسه). ويُقتصر إذن في المنشورات على نسخ نصف مثلثي لهذا الجدول.

	جـــدول المعـــامـــلات					
	م1	م2	.	.	.	م11
م1	1.0	.8	.	.	.	-.6
م2	.8	1.0	.	.	.	.4
.	.	.				.
.	.	.				.
.	.	.				.
م11	-.6	.4	.	.	.	1.0

جـ) جدول الإشباعات

المتغيرات تترابط ترابطاً وثيقاً أو هي مستقلّة عملياً، وفقاً لكون الارتباطات الخطّية قوية أوضعيفة . فالمتغيرات، في الفرض الأول، ذات علاقة بعدد صغير من العوامل ؛ وعدد العوامل في الفرض الثاني، مرتفع من الناحية العملية ارتفاع عدد المتغيرات . ويستند تقليص البُعدية لحيّز المتغيرات (ننتقل، في المثال المضروب، من 11 إلى 4) إلى فرض تبعية خطية للمتغيرات الظاهرة إزاء العوامل (فرض خطية يسوغها توزيع طبيعي للمعطيات) . فكل متغير يُعتبر على هذا النحو تركيباً خطّياً لعوامل معاملات توازنها تُسمّى هنا «إشباعات»، هذه المعاملات مذكورة في مصفوفة مستطيلة أو جدول الإشباعات . مثال :

م2 = 0,4ع1 (ع= عامل) + 0,1ع2 + 0,6ع3 + 0,2ع4+E

	جـــدول الإشـــبـــاعـــات				
	ع1	ع2	ع3	ع4	هـ2
م1	.7	.2	.41	.3	0,78
م2	.4	.1-	.61	.2	0,57
.	.	.	.	.	.
.	.	.	.	.	.
.	.	.	.	.	.
م11	.5	.6-	.3	.2	0,74

ونبيّن رياضياً أن الإشباعات هي أيضاً معاملات ارتباط للعوامل بالمتغيّرات، مثال ذلك: ارتباط (م2، ع3) = 0,6 . والعوامل ع1، ع2،ع3، ع4، مشتركة بين المتغيرات الأحد عشر (11)، ولكن التوفيق الخطي لكل متغير يتيح المجال دائماً لبقاء عامل ذي أهمية قليلة، يشار إليه بـ E، والمقصود به إما أنه عامل نوعي للاختبار، وإما أنه عامل راسبي. وكلما كان هذا العامل ضعيفاً، كان التوفيق الخطي للعوامل مع المتغير متلائماً. وهذا التلاؤم يقيمه المعامل هـ2، المسمّى «الشيوع»، الذي يدل على النسبة المئوية لمربع المحيد النموذجي الذي يشرحه المعامل. وهذا المعامل هـ2 يساوي مجموع مربعات الإشباعات، فكلما كان قريباً من 1، كانت المطابقة أفضل.

د) دوران حيّز العوامل

حيز العوامل الذي تحدّده على هذا النحو مصفوفة الإشباعات ليس حلاً وحيداً، إنه يكوّن فقط أحد الأنظمة العاملية الممكنة. فبوسعنا، بمجرد دوران حول الأصل، أن ننتقل إلى نظام عاملي له البُعدية نفسها، ولكن الأفراد فيه سيتحدّد موقعهم على نحو مختلف، أي برسوم بيانية عاملية مختلفة. إن للدوران إذن نتيجة مفادها أن نعيد توزيع الإشباعات دون تغيير معاملات هـ2 الثابتة في كل دوران، واختيار الحيز النهائي للعوامل ذو علاقة بنفاذ بصيرة الباحث، الذي ينبغي له أن يجد النموذج ذا الدلالة الأقوى، وثمة مع ذلك برامج حساب تتيح إجراء بعض الدورانات النموذجية.

والتحليل العاملي يتيح المجال لعدة نماذج من الجوانب العاملية التي يختلف بعضها عن بعض وفقاً للدور الذي تؤديه العوامل فيها. فالعامل الذي يتدخّل في كل المتغيرات، دون أن يُسمّى «العامل العام» (عامل G)، والعامل ذو الإشباعات المعدومة، أو التي يمكننا إهمالها، في بعض المتغيرات، الذي لايتدخل بالتالي إلا في زمرة من المتغيرات الأخرى، يسمى «عامل زمرة»، وأخيراً، العامل الذي يتدخل بصفة راسبية في متغير واحد يسمى «عاملاً نوعياً» للمتغير المعنيّ. والنماذج العاملية الثلاثة الأكثر تكراراً هي:

النموذج ذوالعامل العام الذي تكمله عوامل نوعية بالنسبة لكل متغيّر من المتغيرات (نموذج سبيرمان)؛

النموذج ذوالعامل العام الذي تكمله عوامل زمرة (النموذج المَلَكي)؛

النموذج المتعدّد العوامل الذي لايُستخدم عاملاً عاماً، بل يستخدم فقط عوامل زمرة (النموذج الأوليغارشي).

وهذا النموذج الأخير ذو أهمية خاصة عندما نفلح، بدوران محكم، في أن نجعل عدداً كبيراً من الإشباعات عدماً (أو يمكننا إهمالها)؛ ويوصف النموذج عندئذ بأنه ذو «بنية عاملية بسيطة». وتوصل تورستون إلى أن يستخلص بنيةبسيطة للقابليات العقليةبعوامل مائلة (أي غير متعامدة) سمّاها عوامل أولية: ل لفظي، ررقمي، إ إدراكي، م مكاني، س ل سهولة لفظية، إلخ. وبما أن هذه العوامل مترابطة، فإن تحليلاً عاملياً يتيح استخلاص عامل عام يسمى «عاملاً عاماً من نسق ثانٍ»، ينضمّ إلى نقطة الانطلاق لدى سبيرمان، إذ يوضّح تصوره على مستوى من التجريد أعلى.

فكل نموذج عاملي ينبغي أن تفسّره المواجهة مع الواقع الملاحظ، أي أن يفسّره فحص الإشباعات لكل عامل في كل متغيّر. وتنجم دلالة عامل من العوامل عن التأثير الذي يمارسه على المتغيرات بإشباعاته. وهذا التطبيق الدلالي للنموذج على الواقع السيكولوجي لايمكن أن يقدمه الحساب الرياضي. (انظر في هذا المعجم: **الارتباط**، **المميّز الدلالي**، **التعبير بالأبعاد**، **الرسم البياني للقطبية**).

A.A.M. (و) **J.M.M.**

تحليل العمل

F: Analyse du travail

En: Job analysis

D: Arbeitsanalyse

تفكيك عمل إلى أجزائه الأكثر بساطة لأهداف الملاحظة أو القياس.

تحليل العمل أول مرحلة من مراحل تنظيمه العلمي. إنه ينشد بلوغ أفضل مردود بفعل إتقان الحركات غير الكاملة وحذف الحركات غير المجدية؛ وبفعل تحسين مجموعة الآلات وتكييفها مع الإمكانات الإنسانية؛ وبفعل تعديل أشكال النقل والاستقبال للإعلام في منظومة الإنسان- الآلة. ويساعد تحليل العمل، حين يلغي الحركات الخطرة، على الوقايةمن الحوادث. وهو يُستخدم لتقييم العمل بغية حساب الأجور، وكذلك لتأسيس طرائق بيداغوجية تستخدم خلال التعلّم المهني. وينطبق تحليل العمل على كل المجالات المهنية، الإدارية والصناعية على حد سواء، ولكنه إنما يُطبَّق على وجه الخصوص على المجال الصناعي، الذي بلغ فيه تحليل العمل نموّه الأقصى. وكان فريدريك وينسلو تايلور (1856 -1915) وتلامذته، وفرانك وليليان جيلبرث، قد أنجزوا التحليلات المنهجية الأولى. وانكبّ هؤلاء بصورة أساسية على دراسة الحركات والزمن. ولكن تحليل العمل امتدّ، مع التقدم التكنولوجي ونمو العلوم الإنسانية وتطور الأفكار، إلى دراسة المواقع ومنظومات الناس- الآلات. ويُشاد **تحليل الحركات**، الحالي دائماً، على الملاحظة. فهي قد تكون مباشرة، عندما يسمح إيقاع العمل بذلك، أو «مسلّحة بالأجهزة» عندما تكون الحركات سريعة جداً أو متزامنة. ويستخدم الملاحظ في هذه الحالة شتى

أساليب التسجيل المرئي أو المسموع. وأعدّ ف. ب. جيلبرث **آلة التصوير الدوّار** التي تكمن في تصوير انتقال أداة مجهزة بمصباح كهربائي، فنحصل على هذا النحو على صورة مسار الحركة الذي يمكننا دراسته ومقارنته بتخطيطيات أخرى. ويُستخدم **التصوير السينمائي** حالياً، وهو تصوير يتيح أن نفحص صورة بعدصورة كل مراحل حركة مع الأزمنة المقابلة.

ونسمّي **عينة العمل** تلك الطريقة التي تكمن في جمع عدد معيّن من الملاحظات، في فاصل من الزمن ثابت، خلال مدة محددة. ومثال ذلك أننا إذا استخدمنا كاميرا آلية، فإننا نسجل صورةً كل ثلاث ثوان، خلال ساعتين ونصف. وهذه الطريقة أسهل من الملاحظة المستمرة، وهي، إضافة إلى ذلك، تزرع الاضطراب في سلوك العامل أقلّ من أي طريقة أخرى. والتحليل يمكنه أيضاً أن يقتصر على **الأخطاء** المبيّنة خلال عمل أو التي تظهر في منتجات نُبذت خارج رقابة النوعية. ويستعمل أيضاً في المخبر أجهزة تمثيل الموقع، أجهزة تعيد تكوين شروط العمل ويمكنها أن تُستخدم في تحليل الحركات بقدرِ ماتستخدم في تكوين العمال وانتقائهم. وتُستخدم أيضاً، إلى جانب هذه الدراسات الموضوعية بصورة دقيقة، طرائق استفهامية ينبغي للعامل فيها أن يصف الموقع الذي يشغله، ومكانه بالنسبة للآخرين، وطبيعة تدخّلاته، والصعوبات التي يصادفها، والإشباعات التي يؤمّنها له عمله.

وتستدعي أيضاً طريقة **الحوادث الخطرة**، التي يرتبط بها اسم جـ. س. فلاناغون، شهادات العمال الذين يُطلب إليهم أن يقصّوا، ويصفوا، ويناقشوا (جماعياً عند الاقتضاء) حوادث متميّزة حديثة، ذات العلاقة المباشرة بموقع العمل المدروس، مؤاتية أم غير مؤاتية ولكنها ذات دلالة دائماً. ويكون تقدير الملاحظات موضوع تنسيق يجعل استغلالها الإحصائي ممكناً. إن ف. ب. جيلبرث حلّل كل الحركات إلى سبعة عشر عملاً أولّياً أو مايسمى في اللغة الانغليزية Therbligs. وتتوقّع **جمعية المهندسين الميكانيكيين الأمريكية**، من جهتها، خمسة أعمال

أساسية ممكنة: العملية في المادة (0)، والنقل (⟵⟶)، والتخزين (∇)، والرقابة، (☐)، والانتظار أو انقطاع العمل (∇). وأفضت منظومة ط. ز. ق. (**طرائق زمن قياس**)، منظومة المهندس الأمريكي هارولد برايت مينار (المولود عام 1902)، القائمة على ملاحظات لاتُحصى، قيست زمنياً، إلى وضع لوائح تجدول بعض الحركات الأولية. والمرء يمكنه أن يقرأ فيها، بزمن صغير يبلغ أجزاء من مئة ألف من الساعة، الأزمنة المتوسطة (سرعة طبيعية) لبلوغ شيء قريب (يقع على مسافة2 إلى 80 سم) ومسكه، وتحريكه، ووضعه في الموضع المطلوب، وتحريره، وإطلاقه، إلخ. وهذه اللوائح تنطوي على مزية مفادها أنها تجنّب قياس الزمن المباشر (المحظور في الولايات المتحدة منذ عام 1941) الذي يثير عداوة العمال. ومن الممكن، انطلاقاً من كل الملاحظات المقنّنة، أن نرى على شاشة، بصورة خطّ بياني، سير عمل. وينبغي أن تكمل تحليل العمل دراسةُ الإعلام الذي يسري في منظومة الإنسان- الآلة. فالعامل تطلعه باستمرار على مرحلة صنع الشيء إشاراتٌ صادرة عن الآلة. وهذه الإشارات، الموضّحة والصريحة بصورة عامة، تجدول وتُعلّم خلال التعلم. والمقصود رنين أوشاشات منيرة تعلن أن الآلة ينبغي تموينها مجدداً بالمادة الأولية و أنها تسخن سخونة يكتنفها الخطر، وأن طوراً من دورة الصناعة قد اكتمل، إلخ. وثمة إشارات أخرى غير مجدولة، وغير مذكورة خلال التعلّم لهذا السبب، يكتشفها العامل ذاته بالتجربة. ومثال ذلك أنه يحكم على نوعية مزيج من لونه، وقوامه، يقيّمه بنظرة واحدة. ويُلاحظ أن العمال الأكثر مهارة يكوّنون لأنفسهم جدولاً هاماً بهذه الإشارات غير الصريحة. ويستجيب العامل لهذه المعلومات التي تقدمها الآلة بحركات متكيّفة هي شرط نجوعه. ويظل للعامل، حتى في الأعمال التي أُضفيت عليهاالآلية إضفاء كبيراً، هامش من المبادرة والحرية، بل الإبداعية، هامش يتيح له أن يستعمل خصائصه الأكثر إنسانية وأن يسود الآلة (انظر في هذا المعجم: **جهاز القيادة**، **قياس الزمن**، **ثيربليغ**).

N.S.

التحليل النفسي

F: Psychanalyse
En: Psycho- analysis
D: Psychoanalyse

طريقة لعلاج الأمراض النفسية بالتقصّي السيكولوجي العميق وتفسير التصرفات (أفعال، كلام) ونتاجات الفرد، أصبحت مجموعة من المبادئ والقواعد للمعرفة النظرية وعلم اللاشعور.

يرتبط مصطلح «التحليل النفسي»، بالنسبة للرابطة العالمية للتحليل النفسي، بنظرية بنية الشخصية وعملها الوظائفي، وبتطبيق هذه النظرية في مجالات أخرى من المعرفة، وأخيراً بتقنيةعلاجية نوعية. وتستند مجموعة المعارف إلى كشوف سيكولوجية أساسية لفرويد هي القاعدة لهذه المجموعة من المعارف (المؤتمر الثلاثون، القدس 1977).

وإذ لاحظ الأستاذ س. فرويد، الاختصاصي الفييناوي في الأمراض العصبية والتلميذ القديم لشاركو (جـ. م) وهـ. م. برينهايم (نانسي)، تلك المفعولات الضارة التي تسبّبها بعض الأحداث والأعراض الصدمية التي تبدو منسيّة، فإنه أثبت وجود صلة بين هذه الأحداث والأعراض الملاحظة واستنتج وجود **لاشعور دينامي**. فبعض أفعالنا بدءاً من أكثرها ابتذالاً (نسيان وضع رسالة في البريد) وحتى أكثرها غرابة (طقس غسل اليدين لدى بعض العصابيين، على سبيل المثال) مشروطة، يؤكد فرويد، بأسباب غامضة ولكنها واقعية. وللأعراض العُصابية معنى، وبوسعنا أن نفهمها شريطة تجاوز بعض المقاومات التي يوجد اللاشعور خلفها. ويجرّب فرويد على التوالي، ليفلح في فهمها، التنويم المغناطيسي (الذي لم يعجبه، لأن رائحة السحر تفوح منه)، ثم الإيحاء («بوسعك

أن تتذكّر ماضيك»)، وأخيراً طريقة الترابط الحر («قل كل مايخطر ببالك»). وهذه الطريقة الأخيرة بانت أنها الأفضل لأنها تحترم الشخص.

وإذ يُخضع الفرد لـ **القاعدة الأساسية** التي تكمن في أن يعلن مايخطر بباله ويستشعره، دون أن ينسى شيئاً، حتى ولو أن ذلك يبدو له عبثاً، غير معقول أو غير مناسب، فإنه يقيم مع المحلّل نموذجاً ذا امتياز من التواصل يلائم بروز النتاجات اللاشعورية. إنه لايعاني العلاج بل يُسهم فيه. ولايحدث اكتشاف لاشعوره بضرب من التحطيم، بل بعد مسيرة طويلة إرادية، ليتعلّم خلالها أن يواجه كل أفكاره، حتى الأكثر بشاعة، وأن يسوس انفعالاته التي لم يكن يستطيع أن يسودها في الماضي واتّقاها بكبتها. ولايفلح إلا بعد أن يهجر المقاومات. ويسعى المحلّل النفسي جاهداً ليظلّ خلال الجلسات حيادياً بصورة كاملة، ويترك المريض يعبّر عن نفسه دون تقييد ولكنه يفسّر مقاوماته واتجاهاته إزاءه (**التحويل**). ويسعى العلاج التحليلي إلى أن يجري تغيرات عميقة ودائمة في الشخصية إذ ينمّي قدرة الأنا على الاندماج.

إنه إذن ضرب من إعادة التربية السيكولوجية (بواقع ثلاث إلى أربع مرات أسبوعياً) يمتدّ طوال شهور بل سنين ولايمكننا الشروع فيه إلا إذا تحقّقت بعض الشروط. وأهمها: إرادة المريض في الشفاء التي لولاها لايمكنه أن يحترم الأعراف الأساسية: انتظام الجلسات، قاعدة عدم الإغفال، إلخ، وكل الجهود المقبولة تظل عبثاً؛ مستوى عقلي وثقافي كافٍ (متخلّف أمي عاجز عن الاستبطان الدقيق لايمكنه أن يفهم دقائق اللاشعور)؛ عمر متقدم قليلاً (يصعب على المرء في عمر النضج أن يغير اتجاهاته). وينبغي أن يدير العلاج التحليلي معالج ذو تأهيل عالٍ، عانى هو ذاته تحليلاً تعليمياً وأجرى تحليلات تحت المراقبة.

وأتاح التحليل النفسي توضيح عدد معيّن من الوقائع النفسية التي استخلص س، فرويد قوانينها. واكتشافه الرئيس هو اكتشاف **جنسية الطفولة**، التي تولد مع الحياة وتمرّ بمراحل مختلفة قبل أن تبلغ المرحلة التناسلية بالمعنى الحقيقي للكلمة، حيث الهدف الجنسي هو الجماع الطبيعي مع شريك من الجنس المقابل. ولكن

الدوافع (القوى البيولوجية) خاضعة، من الولادة إلى البلوغ، لعدد معين من العوامل التي تؤثر في قدرها. ومن الضروري، لوصف هذه الأحداث النفسية، أن ننظر إليها من وجهة نظر **دينامية** (نزاع بين القوى المتواجهة)، **اقتصادية** (كمية الطاقة المصروفة)، و**موقعية** (بنيةالشخصية). وسبق فرويد على هذا النحو إلى أن يعدّ نظريته، المنقّحة باستمرار والمتطورة على نحو مستمر، التي يمكننا أن نذكّر بمبادئها الكبرى: 1) كل تصرف ينزع إلى أن يلغي توتراً شاقاً (**مبدأ اللذة**)؛ 2) يفرض العالم الخارجي بعض الشروط التي ينبغي أخذها بالحسبان (**مبدأ الواقع**)؛ 3) للتجارب البارزة ميل إلى أن تتكرر (**قسر التكرار**)؛ 4) الجهاز التنفسي يحتوي على مراجع: **الهو** (مجموعة من الدوافع الأولية خاضعة لمبدأ اللذة)، **الأنا العليا** (مجموعة من المحرمات الأخلاقية المستدخلة)؛ **الأنا** التي وظيفتها تكمن في أن تحلّ النزاعات بين الدوافع والواقع أو بين **الهو والأنا**؛ 5) عندما لاتفلح **الأنا** في أن تجعل الفرد متكيّفاً مع وسطه أو في أن تشبع حاجاته، تحدث اضطرابات السلوك (نكوص، عصاب، اضطرابات نفسية جسمية، جنوح، إلخ)، التي يتيح علاج التحليل النفسي إصلاحها أو شفاءها.

وكان علاج التحليل النفسي، الموقوف في البدء على تحليل الراشدين العُصابيين، قد توسّع تدريجياً فشمل الأطفال والمجرمين والفصاميين. ولكن التحليل النفسي لايقتصر على أن يكون علاجاً. إنه أصبح **علم نفس الأعماق**، ضرباً من العلم الذي يشرح السلوك الإنساني، قادراً على أن يقدّم فروضاً خصبة لمختلف العلوم الإنسانية، ولاسيما علم النفس التكويني، والطب النفسي، والبيداغوجيا، وعلم الاجتماع، والأنتروبولوجيا. (انظر في هذا المعجم: **أدلر**، **العقدة**، **التحليل النفسي التعليمي**، **الفرويدية – الماركسية**، **هورنه**، **اللاشعور**، **يونغ**، **كلاين**، **الهفوة**، **الليبيدو**، **النزعة السيكولوجية**، **الدافع**، **رانك**، **الكبت**، **النكوص**، **السرّ**، **المرحلة**).

N.S.

التحليل النفسي التعليمي

F: Analyse didactique

En: Training analysis

D: Lehrananalyse, Didaktische analyse

علاج تحليلي نفسي ينبغي للمحلل النفسي المستقبلي أن يخضع له.

يقتضي التكوين التحليلي النفسي، بالإضافة إلى المعارف النظرية المكتسبة في الجامعة وفي جماعات الدراسات المتخصّصة، تحليلاً نفسياً شخصياً ذا مدة زمنية طويلة (من سنتين إلى أربع سنوات برفقة محلل خبير توافق عليه المراجع العليا في المهنة). والمقصود بصورة أساسية تحليل مصيره أن يقدم للفرد نوراً يتيح له أن يعرف نفسه، وارتكاساته اللاشعورية، وأن يفهم على وجه الخصوص، حين يعيشها، صعوبات التحليل النفسي ومبادئه، ولاسيما مقاومات العلاج والتحويل. فالتحليل النفسي التعليمي يكوّن طوراً لاغنى عنه وحاسماً في تكوين المرشح، ذلك أن محللاً نفسياً لايمكنه أن يأمل في أن يفهم مرضاه إلا إذا فهم نفسه. إن «علاج المريض يبدأ، يمكننا القول، في شخص الطبيب. وهو إذا أتقن فقط أن يتدبر أمره مع نفسه إنما يمكنه أيضاً أن يتدبر أمره مع المريض(. . .) وهذا هو السبب الذي من أجله لايكفي أن يحوز الطبيب، في التحليل التعليمي، منظومة من المفاهيم. ينبغي له، بوصفه محللاً، أن يفهم أن التحليل يعنيه هو ذاته، وأنه شريحة من الحياة الواقعيةوليس طريقة يمكنه أن يتعلّمها.» (ك. خ. يونغ، 1962، ص. 158-159 من الترجمة).

وعندما يتقدّم التحليل النفسي التعليمي تقدماً كافياً، يسمح للمحلّل النفسي المرشح أن يباشر تحليلات تحت المراقبة (اثنين على الأقل)، تحليلات عليه أن يقدم تقريراً عنها بانتظام إلى ممارس محنّك. وينشد التحليل النفسي المراقب هدفين رئيسين: أن يجعل المحلل النفسي في مرحلة التكوين يحتاز الشعور بعواطفه إزاء مرضاه (عكس التحويل) ويجعله يدرك مايميّز التحليل النفسي من الأنماط الأخرى من العمل العلاجي النفسي (التوجيه المعنوي، الدعم السيكولوجي، الإيحاء، إلخ). وفي رأي بينيديك أن هدف المرحلة الأولى من تكوين المحلل النفسي أيضاً زيادة حريته الانفعالية، وهدف المرحلة الثانية تكامل تجربته التحليلية وتقدير قدرته على التحليل الذاتي. (انظر في هذا المعجم: **المرض الخلاق**).

N.S.

التحليل الوجودي

F: Analyse existentielle

En: Existential analysis

D: Daseinanalyse

طريقة من طرائق العلاج النفسي حدّدها لودفيغ بانسفنغر، انطلاقاً من عام 1927، وتقوم على مقاربةٍ تفهم الموجود الإنساني.

يقتبس التحليل الوجودي مفاهيمه من الفلسفية الوجودية، و فينومينولوجيا م. هيديغر على وجه الخصوص. إنه، من جهة، يعارض الطب النفسي الكلاسيكي القائم على التشخيص (الذي يصرف النظر عن الموجود المريض ليحيل أعراضه إلى جداول **قبلية** لتصنيف الأمراض)، ويعارض التحليل النفس، من جهة أخرى، الذي يبحث عن شرحٍ تاريخي ويحيل إلى ميتاسيكولوجيا ذات نزعة آلية. وإذا كان المرض يُعتبر «نمطاً وجودياً»، أسلوباً من الوجود في العالم، خاصاً بموجود متحقّق، فإن التحليل ينبغي أن يكون وصف العالم الذي يعيشه المريض، ضرباً من النفوذ إلى عالمه الشخصي، عالم الدلالات، بغية أن يعيد تكوين التنظيم الداخلي الأصيل، الموضوع الرئيس الذي يضفي البنية. وعرض بنسفنغر التصور الذي أشاد عليه طريقته في كتابه «**الأشكال الأساسية للوجود الإنساني ومعرفته**»، كتاب أكمله فيما بعد بنشر عدة«حالات».

ويسلك التحليل الوجودي وفق الأبعاد الثلاثة، أبعاد «الواقع الإنساني». أولاً، **الفرد**، أسلوبه في عيش العلاقة بين الشخصية، أو «الحال الثنائية» للحب، وعلاقة التعايش الاجتماعي، أو «الحال الجمعية»، وحاله المفردة في الوجود. ثانياً،

الحركة الوجودية، أي أسلوبه في الاندماج بالمجتمع، والكلام والتواصل باللغة، اتجاهه الأساسي بوصفه موجوداً متحققاً. ثالثاً، **المخطط الإجمالي للعالم**، أو «انفتاحه على العالم» الذي يسبر المعالج النفسي، ليفهمه، ذلك الأسلوب الذي يعيش الفرد به المكان، والزمان، والسببية، والاستمرارية (**أو المقولات الوجودية**) ومقولات أخرى أكثر نوعية ينقلها الفرد إلى مرتبة يضفي فيها صفة الموضوع على عالمه.

وغرض المعالج النفسي يكمن في أن يفهم مريضه معاً «موجوداً - في - العالم» و«موجوداً - سائراً - على الدرب». ويكمن أيضاً في قيادته إلى أن يفهم نفسه بوصفه موجوداً أصيلاً، قادراً على أن يختار قدره ويؤثر فيه. ولاقى **التحليل الوجودي** صدىً قوياً جداً، ولاسيما في البلدان الأنغلوساكسونية، وبخاصة لدى الأطباء النفسيين وعلماء النفس، كميدارد بوس، دانيلو كارنيلو، ف. إ. فرانكل مبدع **التحليل الوجودي**، ف. إ. فون جيبساتل، رولان كوهن، رولو مي، هـ. ك. رومك، إ. ستروس.

R.M.

التحوّل

F: Conversion

En: Conversion

D: Konversion

التحول تعبير جسمي عن نزاع نفسي لاشعوري، عن انفعال، عن حالة وجدانية مكبوتة.

يعبّر الميل المحظور عن نفسه تعبيراً رمزياً بأعراض جسدية، حتى لايصبح شعورياً تحت طائلة أن يولّد الحصر. وهذه الأعراض الجسمية، التي ليس لها أي سبب عضوي، يمكنها أن تكون محرّكة (شللاً على سبيل المثال) أو ذات علاقة بالحساسية (خَدَر أو آلام متموضعة) أو حسية (ضيق حقل الرؤية أوصمماً، إلخ). وتدل لغة الجسم هذه على «المجاملة الجسمية» التي تكلم عليها س. فرويد (1939-1856) وتقدّم مخرجاً لسيرورات نفسية لاشعورية. ولاختيار العضو أو الجهاز الجسمي الذي يتحقّق التحول فيه دلالة خاصة أيضاً يتيح التحليل النفسي، أو التقنيات الإسقاطية، أن يكتشفه. ويكون التحول آلية دفاع أساسية للهستريا. ولاينبغي للتحول، لأن له وظيفة تعبير، أن يلتبس بمظاهر عصبية إنباتية (اصفرار، احمرار الوجه، رطوبة اليدين، تسارع ضربات القلب، إلخ)، ولابالاضطرابات النفسية الجسمية ذات المصدر الانفعالي، المتواترة لدى الأشخاص الحساسين والقلقين. (انظر في هذا المعجم: **الطب النفسي الجسمي**).

M.S.

التحوّل (أو الانقلاب إلى الضد)

F: Renversement dans le Contraire

En: Reversal into the opposite

D: Reversion ins- Gegenteil, Verkehrung ins- Gegenteil

آلية دفاعية للأنا ينقلب بها هدف دافع من الدوافع، إذ ينتقل من الفاعلية إلى السلبية أو العكس. وعلى هذا النحو إنما تتحوّل الرغبة في فعل الشر إلى رغبة في المعاناة، ورغبة المرء في أن يرى إلى أن يُرى، وحادث مكدر إلى استيهام مستساغ (يصبح حيوان خطر صديقاً مخلصاً)، إلخ.

(انظر في هذا المعجم: **تكافؤ الضدين أو ثنائية المشاعر**، **آلية الدفاع**، **الارتداد على الذات**).

M.S.

التحويل

F: Transfert

En: Transfer, Tranference

D: Ubertragung

1- في علم النفس التجريبي انتقال مهارة مكتسبة في مجال معيّن إلى فاعلية مجاورة على وجه التقريب. مثال ذلك أن معرفة الضرب على الآلة الكاتبة يقلّص زمن تعلّم الكتابة الآلية. 2 - في علم النفس العام، نتكلم على تحويل عندما تتّسع عاطفة يعانيها شخص بالنسبة لـ«موضوع» (شخص، حيوان أو شيء) لتشمل موضوعات أخرى. مثال ذلك أن الحب الذي يشعر به شخص لشخص يشمل كل ما يمسّه: ثيابه، بيته، بلاده... 3 - في التحليل النفسي، نسمّي تحويلاً كل سيرورة سيكولوجية، مرتبطة بآليات التكرار، تنزع إلى أن تنقل إلى أشخاص أو أشياء، حيادية في الظاهر، انفعالات واتجاهات كانت موجودة في الطفولة.

التحويل الذي يقيمه المريض مع المعالج، في العلاج التحليلي، علاقة وجدانية خاصة، لاتلائم الوضع الراهن ولكن البنيات السيكولوجية القديمة هي التي تحدّدها. ونقل عواطف الحنان إلى المحلل يسمى **التحويل الإيجابي**، وتحويل عواطف عدائية يسمى **التحويل السلبي**. والتحويل، من حيث هو تكرار دقيق لأوضاع وانفعالات مرتبطة بـ **الصور الذهنية المثالية**، صور الأب والأم والأخوة، إلخ، يتيح للمريض - مع إبانات المعالج - أن يفهم تصرّفه ويسوّيه مجدّداً ليأخذ العناصر الراهنة بالحسبان. إنه يكون إذن، بالنسبة للمحلل «أقوى الأدوات

العلاجية» (س. فرويد). ويقوم بين المحلل ومريضه، في العلاج بالتحليل النفسي، تبادل نفسي وجداني يمرّ فيه التواصل. فالمعالج، على الرغم من رغبته، ليس أبداً تلك المرآة الأمينة التي يريد أن يكون. وإذا كان المريض يُظهر له عواطف صداقة، فمن المحتمل أن يستجيب المحلّل على نحو مناسب؛ كذلك إذا كان تحويل المحلَّل سلبياً، فإن من الممكن أن يرتكس المحلِّل بضرب من النبذ. فمواقفه التي يستجيب بها لمواقف المريض تسمّى **التحويل المضاد**. وإذا لم يع المحلل عواطفه، فإن المعالجة لن تتقدم أو هي تخفق. ولهذا السبب تشكّل رقابة الميول إلى **التحويل المضاد** جزءاً من الجوانب الأكثر أهمية في تكوين المحلل النفسي. (انظر في هذا المعجم: **التعلم**، **الانزياح**، **التحليل التعليمي**، **العلاج التحليلي الجماعي**، **الصورة الذهنية المثالية**، **التأويل**).

N.S.

التخريف

F: Fabulation

En: Fabrication

D: Erfindungsgable, Krinkhafte, Einbildung

عرض أحداث متخيّلة، تحاكي الواقع غالباً، على أنها واقعية دون قصد الخداع.

نميّز ضربين من التخريف، الأول «سوي»، متواتر لدى الصغير المتأثر بالقصص والحكايا أو الأفلام، التي تدهش خياله، والآخر مرضي. فالفرد في الحالة الأولى لايجهل أنه يصنع حكايات مختلقة؛ وهو غير واع لتخريفه في الحالة الثانية. ويبتكر المخرّف تلقائياً روايات حقيقية ينسب إلى نفسه فيها دوراً يمكنه أن يسترعي إعجاب الغير أو شفقته. إن دراسات جان بياجه (1896-1980) لـ **بناء الواقعي لدى الطفل** 1937 بيّنت أن التخريف كان متواتراً على وجه الخصوص لدى الأطفال الذين لهم عمر أقلّ من سبع سنوات. وهؤلاء الأطفال يمكنهم الإجابة عن الأسئلة المطروحة إذ يخترعون حكاية لا يصدقونها. إنهم يتصرفون على هذا النحو تجنّباً للتفكير، أو لأنهم لايعرفون الجواب ولايجدون جواباً أفضل، أو لأنهم يظلّون متعقلين باعتقاد سابق. والتخريف لدى الراشدين يراه المرء على وجه الخصوص لدى الهستيري، المصاب بهوس الكذب في العادة، أو لدى الأفراد المزهوّين وضعيفي الذكاء. والتخريف، الذي يحدث تعويضاً عن عاطفة من الدونية أو عن إخفاق وجداني، يمكنه أن يولّد هذيانات انفعالية أو متخيلة.

ويجـعل جـان دولي (المولود عـام 1907) مـصطلح التـخريف وقفـاً على «هذيانات الذاكرة»؛ والمخرّف، بالنسبة لهذا المؤلف، هو من يعتبر نتاجاته المتخيّلة ذكريات صحيحة ويخدع نفسه وهو يخدعنا. وتلك هي، على سبيل المثال، حالة مرضى مصابين بذهان كورساكوف. وثمة نموذج من التخريف يلاحظ في أمراض الذاكرة الفجوية: فالمرضى يبتكرون، ليعوّضوا عن ضروب الخسارة في الذاكرة، وقائع جديدة أو أحداثاً، وينصبّ الكلام في هذه الحالة على **تخريف يخلو من الذكاء** أو **تخريف هاذ**. فالتخريف يمكنه أن يكون مسؤولاً عن شهادات كاذبة أو وشايات لا أصل لها أو اتهامات ذاتية. إنه، بهذه الصفة، موضوع اهتمام طبي قانوني (انظر في هذا المعجم: **هوس الكذب**).

M.S.

تخطيط كهربائية الدماغ

F: Électro- encéphalographie

En: Electroencephalography

D: Elektroencephalographie

تقنية سبر لفعالية الدماغ الكهربائية تكمن في التقاط فروق الطاقة الكامنة بين الخلايا، بواسطة مساري كهربائية تُوضع على فروة الرأس السليمة وفي تسجيل هذه الفروق، بعد التكبير.

يظلّ هذا النمط من التقصّي ناقصاً جداً ولايعطي سوى صورة جزئية وتقريبية جداً لفعالية الدماغ الكهربائية، ولكنه يقدم معلومات مفيدة على الأقل. وكانت التسجيلات الأولى التي مورست على دماغ الحيوانات العاري قد أنجزها الطبيب الانكليزي ر. كاتون 1875 وبراودفيكس - نيمانسكي الذي أنتج «المخطط الكهربائي لدماغ» كلب. وطبّق الطبيب النفسي هانْز برْجر (إيينه، ثورانْج، ألمانية الشرقية، (1873 -1940) هذه الطريقة على الإنسان، عبر الجمجمة وفروة الرأس السليمة (1924). ونشر أعماله عام 1929، ولكن تقنيته لم تعرف النجاح الحقيقي إلا بدءاً من عام 1934؛ واغتنت هذه الطريقة، فيما بعد، بإتقانات تقنية عديدة. فثمة مساري كهربائية، مبلّلة بمحلول مملح بشدة وتحافظ على الاتصال بفروة الرأس بخوذة، تلتقط فروق الطاقة الكامنة، التي تنتقل إلى مكبّر وتسجّلها ريشات على شريط ورقي يتحرك بسرعة ثابتة. وتزدوج المساري الكهربائية على الأغلب في أثناء التسجيل (**الطرائق الثنائية القطب**: مسريان يوضعان في حقل واحد من التأثير) أو

يرتبطان، على نحو أندر، بمسرى مرجع (الطريقة **الوحيدة القطب**: فرق الطاقة للمسرى الفاعل يقيم قياساً على مسرى موضوع خارج الحقل، على الذقن، على سبيل المثال). ويجري التجميع زوجياً وفق مخططات تركيب مخصّصة لضرب من السبر المنهجي لكل القشرة الدماغية؛ والتركيبات الرئيسة عرضانية، طولانية، ودائرية. والعادة أن الرسم يحصل عليه الطبيب أو التقني والفرد في حالة الراحة؛ وهذا التسجيل تكمله تقنيات تفصيل أكثرها استخداماً هي اختبار التنفس السريع والعميق خلال ثلاث ثوان، الذي يسبّب الانخفاض في مقدار غاز الكربون بالدم، واختبار التنبيه الضوئي المتقطّع (ومضات ضوئية قصيرة المدة جداً تحدث بتواتر من ثلاث ومضات إلى مئة بالثانية). وهذان الاختباران مخصّصان لجعل الرسم «حسّاساً» وإظهار الشذوذات الكامنة. ولبعض الأشكال، من الأشكال التي يحتويها رسم التخطيط الكهربائي للدماغ، سمة إيقاعية، ذات تواتر مميّز، ولأخرى مظهر اشتدادي وذات تشكّل خاص. ونميّز، في الفاعليات الإيقاعية، أربع زمر من التواتر: 1) زمرة **دلتا**: المؤلفة من موجات غير منتظمة، تواترها أدنى من 4 هرتز وسعتها بين100 و vu150؛ 2) زمرة **تيتا**: موجات ذات تموّج جيبي من 4 إلى 7 هرتز وأكثر من vu50، وذات هبّات قصيرة المدة (طبيعية لدى الأطفال)؛ 3) زمرة **ألفا**: موجات منتظمة ذات تموج جيبي من 8 إلى 13 هرتز ومن 30 إلى vu50 (هذا الإيقاع، الأساسي لدى الإنسان السوي، توقفه يقظة الانتباه)؛ 4) زمرة الإيقاعات السريعة ذات تواتر أعلى من 13 هرتز، منها إيقاع **بيتا** (من 15 إلى 18 هرتز ومن5 إلى vu10، على شكل مغزلي أو على شكل هبّات، يختفي هذا الإيقاع خلال حركة، إرادية أو فعل منعكس، أو لمجرد تصوّره الذهني). ويعتبر حالياً أن الرسم الطبيعي لراشد يحتوي فقط إيقاعي **ألفا وبيتا**. أما الأشكال الاشتدادية، فإن سمتها المميّزة أنها ذات دلالة مرضية دائماً على وجه التقريب. والأكثر تواتراً منها هو «الذروة» (عارض قصير المدة وحادّ، فولتاجه عال، يعبّر عن تفريغ عنيف ومتزامن من زمرة من العصبونات) و «الذروة– الموجة» (ذروة تليها

موجة بطيئة). ويصعب أن نحدّد حدود رسم لكهربائية الدماغ طبيعي، مادامت تطرأ عليه تغيّرات فيزيولوجية عديدة. ونذكر من هذه التغيرات، أول الأمر، تلك المرتبطة بالعمر: تظهر فاعلية الدماغ الكهربائية لدى الطفل منذ قبل الولادة (جـ. ر. سميث، 1941)؛ وخلال بعض الأشهر من الولادة، نسجّل بصورة أساسية إيقاعات **دلتا** غير منتظمة، ولايظهر إيقاع **ألفا** قبل نحوٍ من ثلاث سنوات؛ والمظهر النهائي يُكتسب نحو الرابعة عشرة من العمر (بين 10 و 20 حسب الأفراد). وثمة سبب آخر للتغيّرات ناجم عن مستوى من التيقّظ (نميّز في النوم خمس مراحل، موسومة على نحو إجمالي ببطء الإيقاع، أضف إلى ذلك أن فاعلية قد تظهر خلال المرحلة المقابلة للنوم العميق، فاعلية ذات 7 هرتز، ومدة قصيرة، ومرتبطة بحركات عينية أمكن لبعضهم أن يبيّن أنها تتزامن مع فاعلية حلمية. وهذه الواقعة كانت تسمّى «الطور المفارق». وإسهام التخطيط الكهربائي للدماغ في العيادة الطبية كبير الأهمية في الصرع؛ إنه يتيح معاً تحديد المظاهر الكهربائية غير السوية وتموضعها الطبوغرافي؛ فالمعلومات المجموعة أفضت إلى تصنيف جديد لأشكال الصرع، مع الأخذ بالحسبان معاً تلك الجوانب العيادية والتشريحية وجوانب التخطيط الكهربائي للدماغ. والتسجيل المنجز خلال أزمة واضحة من الصرع مميّز ولكنه نادر، وتفسير رسوم التسجيل المجموعة في الفاصل الحرج شائك: المخطّط الكهربائي للدماغ طبيعي على الغالب، حتى بعد اختبار التحسيس، وذلك أمر لايعني إطلاقاً أن الصرع غير موجود. وعلى العكس، إن المخطط الكهربائي للدماغ، لدى شخص يُعتبر «سوياً»، لايمكنه أن يكشف عن أزمات، غير مدركة عيادياً. ويُستخدم تخطيط كهربائية الدماغ في مراقبة المعالجة ضد الصرع وتكيّفها و يستخدم بصورة عامة لتشخيص الغالبية من الأمراض الدماغية ومراقبتها (أورام، رضّات الجمجمة، آفات وعائية، إلخ). ويقدّم تخطيط كهربائية الدماغ، بالنسبة لكل الأمراض العقلية ذات الأساس العضوي (ضروب الخَبَل، حالات الخلط العقلي، إلخ)، معلومات مفيدة. ولكن الدراسات العديدة التي بحثت في إقامة ارتباط بين

رسوم المخطط الكهربائي للدماغ والمظاهر العقلية أو الوجدانية (القلق، الفصام، الجنوح) بانت مخيّبة للأمل: فأي عنصر ذي دلالة لم يكن استخلاصه ممكناً (إن لم يكن تواتر الرسوم الطبيعية). ويؤدي، على العكس، تناول منتجات المغيّر النفسي إلى تغيرات متميّزة جداً في المخطط الكهربائي للدماغ.

ويفتتح، حالياً، إتقان تقنيات التسجيل (النقل عن بعد وتحليل الإشارات الإلكتروني، والتثبيت الدائم أو الزرع بالانحياز المجسّم مساري كهربائية صغيرة داخل الدماغ)، منظورات جديدة للعيادة وعلم النفس العصبي التجريبي. ويتيح هذا الإتقان على وجه الخصوص دراسة الطاقات الكامنة المذكورة (استجابات على مستوى القشرة الدماغية لتنبيهات حسية)، دراسة يمكنها أن تُستخدم لتشخيص قصور خاص (سمعي، لاسيما بصري) أو أن تستخدم أيضاً لتحليل سلوك تجريبي. وتخطيط كهربائية الدماغ يمكنها أن تقترن بتسجيلات أخرى (تخطيط كهربائية القلب والكهربائية العضلية، إلخ).

وأخيراً، أصبح الفحص الطبي التخطيطي الكهربائي للدماغ عنصراً من العناصر الأساسية لتشخيص الموت الدماغي، وهو مشكل ذو حدّة منذ تكاثر الغيبوبات وزرع الأعضاء. وبمقتضى التعميم الوزاري بتأريخ 24 نيسان (أبريل) 1968، يستند هذا التشخيص على وجه الخصوص إلى معاينة إلغاء الفاعلية الكهربائية للدماغ، إلغاء يظهر برسم خطّي (أو **متساوي الكهربائية** على سطح فروة الرأس، السطح كله)؛ وينبغي أن يكون التسجيل لتخطيط كهربائية الدماغ متلاحقاً خلال أربع إلى ست ساعات أو خلال ساعة ثم يستأنف بعد أربع وعشرين ساعة. (انظر في هذا المعجم: **الصرع الأساسي أو الخفي**، **الصرع**، **النوم**، **التيقّظ**).

J.MA.

تخطيط الكهربائية العضلية

F: Électromyographie

En: Electromyography

D: Elekromyographie

تقنية تسجيل للظاهرات الكهربائية (تغيّرات الطاقة الكامنة والتيارات) التي تحدث في العضلات، إما في حالة الراحة، وإما خلال التقلّص العضلي الإرادي أوالذي يسبّبه منبّه (لدراسة الوصل العصبي العضلي).

يتحقّق التسجيل إما بواسطة مسارٍ كهربائية تُوضع على الجلد، وإما، على الأغلب، بواسطة أبر تدخل في العضلة، بصورة موازية للألياف (تسمى «متحدات المحور»). ويتيح الرسم الحاصل تقييم عدد الوحدات الحركية المجنّدة، وسعة الطاقات الكامنة المجموعة ومدتها. ويسهم هذا الفحص، في علم الأمراض، إسهاماً واسعاً في توضيح طبيعةالأمراض العضلية وتحديد مداها أيضاً.

وفي علم النفس التجريبي، يُستخدم هذا الفحص، على الأغلب، في إطار سبرٍ لمخطط متعدّد لدراسة الارتكاسات لدى فرد (توتّره العضلي عنصر أساسي) في وضع معين. (انظر في هذا المعجم: **المسماع العضلي**).

J.MA.

التخلّف العقلي

F: Arriération

En: Backwardness

D: Zurückgebliebenheit

حالة شخص يُبدي تخلفاً عقلياً محسوساً بالنسبة إلى الأفراد من عمره.

هذا التخلف يمكنه أن يكون إجمالياً أو لايصيب إلا جزءاً من حياته النفسية. ونميّز لهذا السبب، التخلف العقلي من التخلف الوجداني.

فالتخلف الوجداني يمكنه أن يمضي مترافقاً مع التخلف العقلي أو يصادف لدى أشخاص ذوي ذكاء سويّ. إنه ذو علاقة بتثبيت على مرحلة من الطفولة ويظهر على نحو أساسي باستمرار تصرّف طفلي، وغياب الاستقلال، وحاجة كبيرة إلى الأمن، وتثبيت مغال على الصور الأبوية، واتجاه أناني، وحكم صبياني. والتخلف الوجداني يمكنه، على خلاف التخلف العقلي، أن يتطور وهو قابل للتحسّس بتأثير عمل علاجي نفسي ملائم.

أما **التخلف العقلي** فهو التعبير عن عجز في الوظائف العقلية يبين مبكّراً ولايمكنه أن يعوَّض مبدئياً أبداً. وليس التخلف العقلي كياناً عيادياً، بمعنى أن جميع الحالات لاتُظهر الخصائص نفسها، وإيقاع النموّ عينه، والبداية ذاتها، والسبب نفسه، ولاتقتضي الطرائق عينها في العناية والعلاج أو إعادة التربية» (إدغار أ. دول، 1964 ترجمة، ص 1345)، على الرغم من أن لكل المتخلفين عدداً معيناً من السمات المشتركة. ونميّز بصورة كلاسيكية، حسب أهمية التخلف العقلي، **المعتوهين** (تربيتهم غير ممكنة)، **والبلهاء** (تربيتهم شبه ممكنة، ولكنهم عاجزون عن

الاستقلال الاجتماعي)، و**الضعفاء عقلياً** (تربيتهم ممكنة). وثمة تصنيفات تراتبية أخرى، قائمة على استخدام الروائز في علم النفس التقني وحاصلات ذكاء، لا تزال مستعملة لأنها، من جهة، تستند إلى مفهومات تخلو من التضمين الذي يحطّ من قدر المفحوص ولأنها، من جهة ثانية، تتيح تفرعات أكثر دقة في التخلف العقلي. ولكن التصنيف الفرنسي والتصنيف الأمريكي الذي اعتمدته منظمة الصحة العالمية هما من التصنيفات الأكثر استخداماً (انظر الجدول في نهاية المقال). إنهما غير متطابقين مع الأسف، وذلك أمر قد يكون في بعض الأحيان مصدر التباس.

والإحصاءات الخاصة بالتخلف العقلي تنقصها الدقة والتجانس، ولاسيما فيما يخصّ الأشكال «الخفيفة» من هذه الحالة التي يصعب تقييمها جداً. وفي رأي المؤلفين أن في فرنسة مليوناً أو مليونين من المتخلفين عقلياً (من 2 إلى 4 بالمئة من السكان). إنه لأسهل كثيراً أن نحصل على معطيات عددية دقيقة لموضوع حالات التخلف الخطيرة، التي تقتضي عنايات خاصة وعون شخص ثالث وتفيد من معونة الدولة. وفي بلادنا، تُقدَّر نسبة التخلف الخطير بين 3 و6 بالمئة، وهي في الدانيمارك تبلغ 4,28 بالألف (أ. دوبون، 1975).

أسباب التخلّف العقلي كثيرة: 1- في رأي س. بروغجر (1942) أن ما يقارب من نصف أطفال أبوين، عندما يوجدلديهما طفل متخلف، يصابون (46,1 بالمئة) بالآفة نفسها؛ 2- الجهاز الوراثي قد يكون موضع اتهام أيضاً من جراء زيغانات صبغية كالتثليث الصبغي 21؛ وقد تكون المسألة أيضاً مسألة عواقب اضطراب في استقلاب الغلوسيدات (مرض هورلر على سبيل المثال)، والشحميات (العته الكمْني، تيه- ساكس) أو البروتيدات؛ 3 - إصابة سمّية إنتانية خلال الحمْل (سفلس، حصبة ألمانية، توكسوبلازموز، كحول أو عقاقير تناولتها الأم)؛ 4 - رضوض ولادية؛ 5 - التهاب الدماغ أو السحايا لدى الوليد، إلخ. ويوجد أخيراً عدد كبير من حالات التخلف العقلي (70 المئة تقريباً) تظل أسبابها غير معروفة، ويجمعها الانغلوساكسونيون، بعض الأحيان، تحت مصطلح

الجماعة المتبقّية أو دون الثقافية. ويبدو أن كثيراً منهم ذو علاقة بـ «إهمال ثقافي» وآخرون بقصور وجداني مبكّر.

والوقاية من التخلف العقلي ممكنة في بعض الحالات، بفضل الكشف عن الزيغانات الصبغية (فحص الصيغة الصبغية) والآفات والسموم، كشف يليه عند الاقتضاء توقيف الحمل. فرائز ر. غوتري، الذي يتيح التعيين التقريبي لكمية فينيل ألانين في الدم مطبّق في بلدان عديدة، بصورة مطلقة على كل الأطفال الذين يولدون حديثاً (نسبة الذين يرازون من المولودين حديثاً تبلغ، في فرنسة، 90 بالمئة تقريباً). والوقاية من التخلف تمر أيضاً بالتلقيح ضد الحصبة الألمانية، تلقيح الفتيات الصغيرات، وعلاج السفلس، والقواعد الصحية الغذائية في أثناء الحمل، ونصائح في تحسين النسل.

وقدوم متخلّف إلى العالم مأساة بالنسبة للأبوين دائماً. إنهم يعانون، إذ يُصابون إصابة عميقة في صورة الذات لديهم، عاطفة من الإخفاق خطيرة وضيقاً شديداً إزاء موجود حالته تدعو إلى الرثاء ومستقبله غامض. فبعضهم، اليائس كلياً والمصاب بالذهول على مايبدو، لايشرع في شيء بل يبدو أنه لا يتمنى شيئاً لهذا الطفل، الذي سيمضي عجزه متعاظماً، وبعضهم الآخر، على العكس يحاولون، إذ ينفون الواقع، أن يجعلوه مطابقاً لصورة كانوا يتمنّون أن يكون، وذلك أمر لايمكنه إلا أن يعقّد وضعاً هو الآن شديد الصعوبة. وكلهم ينبغي لهم أن يجدوا، إضافة إلى عون الدولة المادي، دعماً سيكولوجياً يتيح لهم توضيح تصرفهم (ينذر بعض الآباء جهودهم كلها إلى الطفل المعوق ويهملون الأطفال الآخرين). ويبين ضرورياً في بعض الأحيان وضع المتخلف في منشأة متخصّصة مقيماً فيها أو نصف داخلي أو خارجي، سيفيد فيها من تربية تلائم حالته. وهدف هذه التربية أن تجعله يبلغ أكبر استقلال ممكن. فنصيب كبير مخصص في هذا النموذج من المؤسسات للتدريب الجسمي (إدخال الرياضة في نشاطات المتخلفين كانت ضرباً من التقدّم الكبير)، للتدريبات النفسية الحركية، واكتساب معرفة في حدّها الأدنى ضرورية للحياة الاجتماعية. وتشجّع تربية المعوقين، في إطار هذا القصد، كل اللقاءات،

لا اللقاءات مع المعوقين الآخرين فحسب، بل اللقاءات مع أشخاص أسوياء، في الشارع، والنقل العام وأماكن عامة أخرى. ولاتمضي هذه السياسة دون تعقيدات، ذلك أن مشكلات الفهم المتبادل تطرح نفسها في بعض الأحيان. ولكن حضور المربي القادر على أن يترجم للمحيط رغبات تلميذه وحاجاته سيتيح تذليل العقبات. أما فيما يخص التعلّم، فإن كل مهمة تُقسم إلى عمليات متدرّجة، وكل نجاح يكافأ مكافأة مباشرة (حلوى، مداعبة، تهنئة، سماع موسيقى، إلخ). وعون الأبوين ثمين جداً، وعلى وجه الخصوص عندما يتناغم مع عمل المربين. ولذلك تنظّم عدة منشآت مناقشات في جماعات صغيرة واجتماعات تُقدَّم خلالها المعلومات على صورة محادثات أو عرض أفلام. (انظر في هذا المعجم: **الزيغان الصبغي، وجود الحموض الأمينية في الدم، الاعتلال الجنيني، الاعتلال الدماغي، اضطرابات استقلاب الغلوسيدات، والوذمة المخاطية [قصور الدرق]، اضطراب الشحام، داء المقوسات**).

حاصل الذكاء	التصنيف الفرنسي	التصنيف الأمريكي (تبنته منظمة الصحة العالمية) مقياس: وشلر	ترمان
80- 75 - 70 - 65 -	الضعف العقلي الخفيف: ح. ذ.: 65 – 80	ذكاء محدود: 69 - 80	ح. ذ: 68 - 80
60 - 55 - 50 -	الضعف العقلي المتوسط: ح. ذ.: 50 – 64	تخلف عقلي خفيف: 55 - 68	ح. ذ: 52 - 67
45 - 40 - 35 - 30 -	الضعف العقلي العميق أو البله: ح. ذ: 30 – 49	تخلف عقلي معتدل أو متوسط: 40 - 54	ح. ذ: 36 - 51
25 -		تخلف عقلي حاد: 25 - 39	ح. ذ: 20 - 35
20 - 15 -	التخلف العقلي أو العته: ح. ذ: يساوي أو أقل من 29	تخلف عقلي عميق: ح. ذ يساوي أو أقل من 24	ح. ذ: يساوي أو أقل من 19

N.S.

تخيّلات النعاس

F: Hypnagogies

En: Hypnagogic imagery

D: Hypnagogische, Halluzinationen

تخيلات النعاس هي «صور، وإحساسات وهمية، تحدث خلال الفترة الزمنية التي يغلبنا فيها النوم، أو حينما لانكون مستيقظين بصورة تامة».

هذا التعريف، تعريف أ. موري يعود تأريخه إلى عام 1861، ولكن مورو (دو تور) كان قد تصرف، منذ عام 1845، تصرف الرائد حين بيّن أن استخدام بعض السموم يسبّب حالات غسقية يكتنفها الخطر. ونشر ليون هيرفه دو سان - دينيس (باريس 1823 - باريس 1892)، بعد موري، ملاحظاته الذاتية عن الأحلام ووسائل توجيهها، ونشر إي. دولاج، في بداية هذا القرن، كتاباً في الحلم، خصّص فيه فصلاً لدراسة الصور النعاسية. ويعود إلى إ. ب. لوروا مع ذلك كتابة التأليف الأدقّ لـ **رؤى نصف النوم** 1926).

وكان عياديو نهاية القرن التاسع عشر، الذين واجهوا تشكيلة كاملة من النُفاسات غير المتمايزة أيضاً، يرافقها التخشّب، والسرنمة، إلخ، قد لاحظوا من جهتهم أن الميل إلى التخيلات النعاسية كان واحداً من استعدادات مرضاهم الرئيسة «الذين اقتصروا على الإحساسات والصور» وفق تعبير بيير جانه (1889)، دون أن نتكلّم على تخيلات نعاسية تسببها الإصابات الدماغية الصريحة التي تنتمي إلى ميدان الأمراض العصبية.

وكل أولئك الذين شغلتهم مفعولات السموم على الحياة النفسية صادفوا ظاهرة تخيلات النعاس : فبعض حالات النشوة، وبعض الرؤى الملوّنة الناجمة عن المسكالين، وبعض «الجنان المصطنعة» التي يُحدثها الأفيون، وكذلك غالبية مايشبه هذيانات الحلم الناجمة عن المخدرات، تتضمّن تخيلات نعاسية. وأخيراً صادف تجريبيون عديدون، ألفوا سيرورتي النوم واليقظة، ظاهرة الصورة الذهنية؛ ونرجع إلى دراسات ب. كورسي للتخيلات المرئية، ودراسات شولتز للصور التي تطرأ خلال الاسترخاء ودراسات جـ. ك. بونوا للحلم المُستثار و«حالات التخيّلات النعاسية المحرّضة والموجّهة».

وتتكوّن صور النعاس في داخلية الشعور؛ إنها تُدرك مع ذلك والعينان مغلقتان في أغلب الأوقات. وبوسع الفرد أن يؤثّر عليها من الناحية الذهنية ويعدلّها أو يقبل إيحاء مصدره شخص آخر يفرض عليها تحوّلات شتى. إنه مقتنع، بوصفه يعي السمة «غير الواقعية» لاستيهاماته، أن إدراكاته التي يتمثّلها بالصور لاوجود لها بالنسبة للغير ولايجعلها مرتبطة بأية «قوة» غريبة؛ ولا يلتمس، لشرحها، أي دائرة تأثير تلقائية للموجودات أو الأشياء، ولايخلطها بهذه الموجودات أو الأشياء، ولا بالأماكن التي تحيط به، كما يفعل في حالة الهلوسة. وتخيلات النعاس تُعتبر المكان الخارجي الموضوعي، ولو أنها تُسقَط فيه، قاعاً وإطاراً، ولكن هذا القاع وهذا الإطار يظلان حياديين ولايتداخلان أبداً مع محتواها. إن في ذلك إنما يكمن الفارق الكبير الذي يفصل صور النعاس عن الهلوسات الحقيقية. والمرء يمكنه أن يندهش، في نهاية المطاف، من أن يرى كلمة «هلوسة» تقترن في الأغلب بمصطلح «تخيل نعاسي»؛ فثمة في ذلك التباس مؤسف. فمصطلح «هلوسة النعاس» كان الاستعمال قد كرّسه، ولكنه غير مسوَّغ بصورة تامة. والأصح أن نتكلم على «صور» نعاسية أو «رؤى» نعاسية كما يؤكد إ. ب. لوروا.

وفي تخيلات النعاس، المسماة غالباً «هلوسات الحلم»، نجد أنماطاً من إرصان الحلم: **تكثيفاً أو تحديداً مضاعفاً**، **انزياحاً** أو اشتقاقاً، التمثل بالصورة البصرية أو الصورة المادية، **ترميزاً** و**إضفاء الصفة البصرية**، مع أن اختلاطات الإحساسات وتوليد الأصوات أشكالاً هندسية وصوراً وألواناً - أي الترابطات ذات الطبيعة المختلفة كـ «السمع الملوّن» حيث يقترن لون بصوت - يمكنها أن تكون متواترة. وثمة، إذا تجاوزنا هذه العناوين الكلاسيكية التي تنطبق على الحلم وتخيلات النعاس على حد سواء، خصائص أخرى لهذه التخيلات. والواقع أن المعيش النعاسي ينبعث من مستوى من الشعور «مصاحب للنوم». فليست محتوياته إذن محتويات يمليها الفكر التأملي ولامرتبطة بتغيّرية الحلم المظلمة، وليست خاضعة بالضرورة إلى الإرصان الثانوي؛ إنها على الغالب تُصطفى ويُحافظ عليها على نحو ذي دلالة بصورة مباشرة: تذكّرات مجزّأة، وذكريات مندفعة ذات علاقة بموضوعات محدّدة، ومجموعات من الصور العدوانية، المازوخية، الجنسية، وإضفاء للصفة البصرية ذو شحنة انفعالية قوية، حالاتها الوجدانية تتغيّر بفعل نقص اليقظة. (انظر في هذا المعجم: **تعاقب الأفكار السريع**، **حالة مصاحبة للنوم**).

H.F.

التدجين

F: Domestication

En: Domestication

D: Domestikation

عمل يُساق بفعله حيوان إلى أن يعيش ، على نحو شبه دائم ، في ارتباط وثيق مع الإنسان.

التدجين، الذي يفرضه الإنسان على وجه العموم، يمكنه أيضاً أن ينشده الحيوان. والأنواع المدجّنة عديدة جداً: الحشرات (النحل، دودة الحرير. . .)، الطيور (البط، الوز. . .)، الثدييات (الحصان، الثور. . .)، إلخ. وثمة خلْط على الغالب، في اللغة الرائجة، بين تدجين وإسلاس انقياد. وربما يعود ذلك، على وجه الاحتمال، إلى واقع مفاده أنه يصعب أن نعلم ماإذا كان التصرف لدى حيوان من الحيوانات نتيجة تجاربه وحدها، الفردية المفردة، ومكتسابته الخاصة (إذا كان قد تعرض لإسلاس الانقياد)، أم إذا كان تصرفه مشروطاً بواقع مفاده أن العِرْق الذي ينتمي إليه، وقد أصبح مدجناً، كان موضع اصطفاء وتكيّف من الناحية الوراثية. والواقع أن الاصطفاء الذي يقود إلى التدجين كان اصطفاء خاصّاً جداً، بمعنى أن الإنسان يوجّهه بغية أهداف محددة: عمل (حيوانات الجر)، غذاء (الماشية. . .). ويسهم التدجين في تغيرات محسوسة في مورفولوجية الحيوانات (زيادة اللحم على سبيل المثال) وفيزيولوجيتها (إنتاج أغزر في الحليب والبيض) وفي صفاتها النفسية على حد سواء. وهي تتعوّد بسهولة على الإنسان كما تتعود على رفيق من النوع،

لأنها عانت بصورة مبكّرة جداً، «بصمة» الإنسان الإدراكية (التعلّم الخفي")، ومسافتها الحرجة، فيما يتعلّق به، تتقلّص إلى حدّها الأدنى بالقياس على المسافة الحرجة لمثيلاتها التي ظلّت متوحشة. ومن الممكن أن نسلس انقياد ذئب، ولكنه لن يصبح أبداً طيّعاً ككلب. والكلب يمكنه أن يصبح متوحشاً، ولكنه لن يكون «متوحشاً» كذئب، ذلك أن الكلب أُسلس انقياده ودُجّن معاً، في حين أن الذئب لايمكنه أن يكون إلا سلس الانقياد. (انظر في هذا المعجم: **إسلاس الانقياد، مسافة الهروب، التعلّم الخفيّ أو البصمة الإدراكية**).

I.R. (ترجمة **J.WA.** إلى الفرنسية)

التدريب الذاتي المنشأ

F:Training autogène

En: Autogenie training

D: Autogene training

أسلوب علاجي جيد التحديد ينشد أن يبلغ فرد من الأفراد ضرباً من زوال التقلّص العضلي والحشوي يتيح انفراجاً سيكولوجياً. وثمة، إلى جانب هذا التعريف، غير النوعي والواسع، تعريف آخر أكثر تعقيداً ونوعية: التدريب الذاتي المنشأ طريقة سيكولوجية فيزيولوجية من إزالة التقلص التركيزية الذاتية، طريقة حدّدها مخترعها أنها تقنية علاجية إجمالية، وقف على الأطباء.

كان جـ. ش شولتز قد نظّم التدريب الذاتي المنشأ في ألمانية. وعُني شولتز، الطبيب العام الذي أصبح طبيباً نفسياً ومعالجاً نفسياً، بالتجديد الذي أسهم به التنويم المنغاطيسي، بداية القرن العشرين، في مجال العلاج النفسي الإيحائي. ولكنه، شأنه شأن فرويد، عمل مبكراً على تقدير محاذيره، وفي حين كان فرويد قد دلف في درب التحليل النفسي، كان شولتز قد ابتكر التدريب الذاتي المنشأ. وإذ انطلق شولتز من ملاحظات متّحدة الاتجاه خاصة بالتغيرات الفيزيولوجية وتغيرات إدراك الجسم (إحساسات عضوية داخلية)، التي تنطلق خلال عملية التنويم المغناطيسي، فإنه جعل من سيرورة الانطلاق هذه موضوع تمرين منهجي، تدريباً حقيقياً مخصّصاً للحصول على ضرب من فكّ ذاتي للارتباط.

وثمة تمييز بين دورتين في التقنية. تشمل الأولى ست مجموعات من التمارين ذات علاقة على التوالي بالعضلات، والجملة الوعائية الجلدية للأعضاء، والقلب، والتنفس، وأعضاء البطن، والرأس أخيراً. ويتبنّى الفرد وضعاً جسمياً

خاصاً، ويمارس التمارين وهو جالس على كرسي أو مقعد منخفض (وضع «حوذي العربة» النعسان)، أو متمدّد على مقعد وثير (نموذج البولمان)، أو ممدد على ديوان. وتبدأ التمارين ببحث عن الهدوء بواسطة صيغة إيحائية ذاتية. ويظل الفرد صاحياً ويمكنه أن يوقف التمرين، ولكنه يبلغ ضرباً من التنويم المغناطيسي الذاتي على هذا النحو. واستعادة الوضع السابق تنفذ بعناية، في آخر كل جلسة، وفق تعاقب سريع يعيد العضوية إلى حالة التوتر الطبيعي. ويتطلّب كل تمرين خمسة عشر يوماً من التدريب، مع مراقبات أسبوعية يقوم بها المعالج النفسي. وينبغي للفرد أن ينجز التمارين السابقة لينتقل إلى تمرين جديد. فكل الجسم تتأمّن المحافظة عليه في حالة جيدة على هذا النحو ويسترخي تدريجياً، بفعل المعالج في البداية، ثم بفعل المريض ذاته. ويدوم التدريب الكامل، الذي يتطلّب ممارسة التمارين عدة مرات في اليوم، من ثلاثة إلى أربعة أشهر. وليس ثمة أي حركة تقتضي التنفيذ، والمسألة تقتصر على تمارين ذهنية من «التركيز النفسي الداخلي»، مع استرخاء جسمي مزامن، وفق صيغ موضوعة مسبقاً ويكرّرها الفرد في ذاته ببطء.

وعندما الفرد يبلغ المهارة في ممارسة تمارين الدورة الأولى، بعد فترة من التدريب المنتظم تمتدّ من ستة أشهر إلى سنين، يمكنه أن يرتقي إلى الدورة العليا التي تتيح له على نحو مباشر أن يتوصّل إلى فك الارتباط النوعي. والمقصود بذلك طريقة علاج نفسي عميق لا يمكن أن يمارسها إلا الأطباء المتمرّسون في تقنية التحليل النفسي. والتنويه ينصبّ على نموّ الاستدخال السيكولوجي، الذي لوحظ من قبل على مستوى الإدراك الداخلي للجسم (الحساسية الداخلية أو الإحساسات العضوية الداخلية). فالفرد يدع بعض امتثالات الألوان والأشكال وبعض الاستيهامات المختلفة، ذات الدلالة الوجدانية أو ذات دلالة التسامي، تستقرّ في ذهنه. وهذا العمل في العمق، الذي يتجاوز مجرد السكينة العصبية الإنباتية، يفضي إلى تغيير عميق في الشخصية.

وتقتضي ممارسة علاج نفسي من هذا النوع تكوينياً عملياً مسبقاً عبر **التدريب الذاتي المنشأ التعليمي**. وإنجاز التمارين الصحيحة، المنتظم والمثابر، ترافقه الرقابة

الموضوعية، التي يمارسها معالج تكوّن هو ذاته بهذا الفرع من المعرفة، يفضي وحده إلى تقدّم في تعلّم هذه التقنية ويضمن أن تكون النتائج دائمة. فالاسترخاء الذاتي التركيزي يطرح مشكل «المخط الجسمي» بالنسبة للمريض والطبيب على حد سواء. والتكوين العملي بطريقة شولتز يمكنه أن يتمّ بجلسات فردية أو جماعية. إنه لايكون فحسب، إلى جانب تعلّم واقعي ومفيد لهذه الطريقة، أداة علاج نفسي شخصي، ولكنه يكون أيضاً وسيلة رائعة لتحسين العلاقات بين الطبيب ومريضه.

وانطلاقاً من التقنيةالأصلية، كان بعضهم قد ابتكر تقنيات أخرى لن نفحص منها سوى الطرائق الإجمالية ذات نقطة الانطلاق العلاجية النفسية. فمدرسة ستراسبورغ، مع د. دوران دو بوزانْجن، ت. كاميرر، طوّرت التدريب الذاتي المنشأ الجماعي، ولكنها احتفظت له بمظهره بين الإيحائي. ومنحت مدرستا ليون (جـ. برجوره) وباريس (م. سابير) طريقة التدريب الذاتي المنشأ اتجاهاً أكثر اتصافاً بالتحليل النفسي، إذ استخدمتا الملاحظات لبنية اللغة والتحليل الدقيق لهذه اللغة، عبر احتياز الشعور بالتحويل المضادّ للمعالج وتبعاً لعلاج متلائم مع حاجات الفرد وإمكاناته. إن م. سابير، ج. دو أجورياغيرّا هما اللذان، على وجه الخصوص، يعلنان صراحة أنهما يستندان إلى التحليل النفسي. فتقنيتهما تحرّض المتخيل على نحو انتقائي، المرتبط بالممارسة الجسمية في علاقتها بـ«موضوعات» المريض التاريخية، وتشجّع التقنيتان ضرباً من تحويل الاضطراب الجسمي، إذ تتركان الفرد يجد دفاعاته ويتجاوزها، في الحوار الدينامي الذي ينعقد بينه وبين المعالج النفسي.

وتعليمات التدريب الذاتي المنشأ ذات علاقة بالتقنية المستخدمة. ويعرف التدريب الذاتي المنشأ لدى شولتز، الذي يسميّه بعضهم «شولتز الصافي»، تعليمات واسعة جداً، تمسّ مجموع الآفات النفسية الجسمية وحالات التوتر الناجمة عن حياتنا الاجتماعية، المهنية والأسرية. ونحن، مع البدائل التحليلية لطريقة شولتز، نبلغ التعليمات العامة لتقنيات العلاج النفسي المقتبسة من التحليل النفسي. (انظر في هذا المعجم: **التنويم الذاتي، العلاج النفسي، الاسترخاء**).

M.Bu.

F: Détérioration mentale **التدهور العقلي**

En: Mental deterioration

D: Intelligenz - Abbau

ضعف عقلي ناجم عن الشيخوخة الفيزيولوجية، عن مرض عقلي، أو عن إصابة مرضية في الدماغ.

يبدأ الذكاء في الانحسار على نحو غير محسوس، لدى غالبية البشر، بدءاً من الخامسة والعشرين أو الثلاثين من العمر. وهذا التناقص الطبيعي سويّ بقدر التناقص الذي يصيب قدراتنا الجسمية أو الحسية. ونسميه «تدهوراً فيزيولوجياً» لنميّزه من الضعف المرضي الناجم عن الأمراض العقلية، ولاسيّما أمراض الخَبَل. ولاينطوي التدهور العقلي بالضرورة على إصابة عضوية في الدماغ. فالكفاية العقلية لشخص من الأشخاص يمكنها أن تنقص دون أن تكون طاقة الذكاء الكامنة، لهذا السبب، مصابة. إن الشخص لايستخدم في هذه الحالة كل مصادره (وذلك أمر بارز على وجه الخصوص في الحالات الاكتئابية على سبيل المثال).

و«قياس» التدهور العقلي ممكن بفضل طريقة الروائز. إن عالمة النفس الأمريكية هاريت بابكوك هي التي قدّمت عام 1930 أول برهان على هذا الإمكان، بدءاً من مقارنة النتائج الحاصلة في بعض الاختبارات. وفي رأي هذه المؤلفة أن ثمة قدرات عقلية تقاوم الشيخوخة وضروب العدوان المرضي، وأخرى، أكثر عطوبة بكثير، تزرع هذه العواملُ نفسها ألوان الخلل فيها. فالروائز العقلية يمكنها إذن أن تقدّم إلينا معلومات عن هذا الموضوع. وستُعتبر النتائج الحاصلة في الاختبارات

التي «لاتظلّ صالحة» مؤشراً لكفايةالفرد الحالية، والنتائج الحاصلة في «الروائز التي تظل صالحة» مؤشراً لكفايته القصوى السابقة، والفارق بين النتيجتين يعبّر عن «التدهور في قياسه النفسي». ولكن في هذا الرقم الإجمالي يمثُل في وقت واحد التدهور الفيزيولوجي الناجم عن العمر والتدهور المرضي المحتمل الذي نبحث عن تقييمه. فلابد إذن من أن نُسهم في ضرب من التصويب، إذ نطرح العلامة التي تقابل التدهور الفيزيولوجي، الذي تقدمه بعض الجداول، من العلامة الإجمالية.

ويمكننا القول، على وجه العموم، إن الروائز غير اللفظية «تبقى صالحة» أقلّ بكثير من الروائز اللفظية. ولهذا السبب يستخدم بعض علماء النفس، ليحسبوا التدهور العقلي، اختباراً من كل فئة (مثال ذلك الرائز د48، اختبار غير لفظي للذكاء العام، مشبع بالعامل G [عام] إشباعاً قوياً، وروائز مفردات لغوية). وينصح دافيد دشلر (1890-1981)، من جهته، أن تُؤخذ من مقياسه [سلّمه] أربعة روائز «تبقى صالحة»، اثنان منها لفظيان وآخران غير لفظيين، وأن تؤخذ أربعة روائز «لاتظل صالحة، موزّعة على النحو نفسه.

وتقدم العلاقة التالية حاصل التدهور أو **مؤشر التدهور**.

$$\frac{\text{الروائز التي تبقى صالحة} - \text{الروائز التي لاتبقى صالحة}}{\text{الروائز التي تبقى صالحة}}$$

وإذا ضربنا نتيجة هذه العلاقة بمئة، فإننا نحصل على «نسبة الفقدان المئوية» أو «نسبة التدهور». وتمثل في موجز وشلر - بليفو جداول تدل، في كل شريحة من العمر، على التدهور الطبيعي الذي ينبغي طرحه من نسبة الفقدان المئوية لنحصل على مؤشر التدهور المرضي. وهذا المؤشر، مؤشر التدهور المرضي المحسوب على هذا النحو، يساوي الصفر وسطياً، بالنسبة للأفراد الأسوياء، أياً كان العمر. ويُعتبر أن ثمة إمكاناً للتدهور المرضي عندما يكون الفقدان أعلى من 10 بالمئة وأن التدهور مؤكد على وجه التقريب عندما يكون أعلى من 20 بالمئة.

والطريقة أكثر بساطة مع مقياس وشلر لذكاء الكبار (.W.A.I.S) . فالعلامات الخام تتحول إلى علامات مقنّنة بواسطة جداول مختلفة عن تلك التي تستعمل في قياس الذكاء، وذلك أمر يتيح لنا أن نستبعد مفعول التدهور الفيزيولوجي وأن نقيّم التدهور المرضي تقويماً مباشراً، لأن هذا التدهور المرضي يطابق التدهور في القياس النفسي . ويُعتبر مؤشر التدهور ذا دلالة بدءاًمن 15 أو20 بالمئة .

وكلما كان المؤشر مرتفعاً، كان احتمال تدهور مرضي لدى الفرد كبيراً .

وتتيح لنا أيضاً بعض الروائز التي لاتنتمي إلى القياس النفسي أن نكشف عن وجود تدهور مرضي . مثال ذلك أن ج. دو . أجورياغيرا ومعاونيه استخدموا عام 1964 اختباراً مكانياً لجان بياجه وباربر إنهيلدر (1948، ص 248 - 291) ليبيّنوا أن بعض المرضى المصابين بالتدهور التنكّسي كانوا يستدلّون، في بعض الحالات، كما يفعل الأطفال . وتُستخدم في هذه التجربة قارورة نصفها مملوء بسائل ملوّن، ذات وجوه مستطيلة الشكل تدخل في غلاف من القماش السميك يتخذ شكلها، وتُعرض في أوضاع مختلفة، وتُرسم القارورة فارغة في الأوضاع المطابقة على ورقة . وعلى المريض أن يمثّل سطح السائل كما يراه لو أن القارورة لم تكن في غمدها السميك . فالمريض لم يعد يمكنه استخدام قدراته الإجرائية، في ضروب الخبل التنكسي عندما تكون الإصابة الدماغية منتشرة ويعاني المريض من ضعف عقلي؛ إنه **ينفي الثبات في** السائل ويمثّل السطح منحنياً باتجاه انحناء القارورة، الاتجاه نفسه : إن مستوى الماء مرسوم على نحو يوازي قاع الوعاء الزجاجي أياً كان وضع هذا الوعاء . (انظر في هذا المعجم : **العجز الحركي، الخبل**) .

M.S.

الترابط

F: Association

En: Association

D: Assoziation

اتحاد حادثين نفسيين أو عدة حوادث، أو ارتباطها، أو تقاربها.

لعناصر الحياة الذهنية، العقلية والوجدانية على حد سواء، خاصية ارتباطها بعضها ببعض، حتى دون أن نكون شاعرين بها وبصورة مستقلة عن إرادتنا. فأرسطو (384-322 ق.م) بيّن، إذ لاحظ أن استدعاء الذكريات كان ميسوراً بفعل تذكّر انطباعات أخرى، أن ثمة بين بعضها وبعضها الآخر علاقات **تشابه** (الأبيض يستدعي الثلج، الحليب...)، أو **تضاد** أو تقابل (الأبيض يستدعي الأسود، أو أخيراً علاقات **اقتران** مكاني أو زماني (الأبيض يجعلني أفكر بالشتاء أو بكومات الثلج الألبينية). وكانت دراسة هذه القوانين الأولية للترابط في المستوى الأول من علم النفس خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وأفضت إلى الترابطية التي حاولت إرجاع الفاعلية الذهنية إلى هذه الآلية وإلى الترابط بالاقتران على وجه الخصوص. وإذا كانت مع ذلك حياتنا مصنوعة دون شك من ارتباطات لا يُحصى عددها بين الأفكار، والعواطف، والإحساسات، والكلمات، والارتكاسات النفسية الجسمية، إلخ، فالحقيقة أن إرجاعها إلى حركة آلية من تجمّع عناصر مبعثرة (الذرية السيكولوجية) غير ممكن. وهذا هو السبب الأساسي الذي من أجله كانت نظرية الترابطية موضع انتقاد عنيف، ثم إهمال.

ومشكل الترابط شغل علماء النفس مجدّداً مع ذلك بعد انحسار دام عدة عقود من السنين. ويُلاحظ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ضرباً من تجديد الاهتمام بهذه البحوث التي تندرج على الأغلب في إطار علم النفس التجريبي (في علاقة بمشكلات التعلّم والذاكرة. . .) أو في إطار علم النفسي الألسني، وفي إطار علم النفس العيادي بعض الأحيان أيضاً. ومثال ذلك أن شارل أوزغود بيّن كيف كان ممكناً إقامة الارتباطات بين الكلمات والتجربة المعيشة، وكيف كان ممكناً شرح الرابطة بين الاستجابات الترابطية الحاصلة في بعض الحالات. فكلمة «أفعى» على سبيل المثال تستدعي على الأغلب استجابة من نوع «خوف» أو «ذعر». فإذا اتفقنا أن لقاء أفعى «أ» يثير الخوف والتراجع (ت) على وجه العموم، إذ يترك فينا ضرباً من الانطباع باقياً، انطباع تجربة غير مستساغة، فإننا نسلّم أيضاً أن مجرد أن نلفظ اسم الأفعى (أَ) يمكنه أن يثير فينا ارتكاسات عصبية إنباتية (ر) نكون شاعرين بها قليلاً أو كثيراً؛ وهذه الارتكاسات ستؤدي بدورها دور المنبّه (م) الذي سيحدد استجابة لفظية «ذعر» (تَ)، ونستخدم الترسيمة التالية لنمثّل هذا الوضع:

أفعى(أ) ⟵ تراجع (ت)

كلمة «أفعى» (أَ) ⟵ (ت م ⟵ أم) ⟵ كلمة «ذعر» (تَ)

وأدخل شارل أوزغود، في الثنائي الكلاسيكي منبه- استجابة (م - آ) الشخص واستعداده للارتكاس تبعاً لتجاربه المعيشة، بشكل سيرورة وسيطة: ر د ⟵ م د (إذ أن «د» هو الحرف الأول من كلمة دلالة)، ويسمي هذه السيرورة **سيرورة العلامة**، ولكننا نسميها مع فرانسوا جوديله (1965) «الانطباع الدلالي». وأحد المبادئ الأساسية لهذه النظرية هو التحويل الممكن لانطباع دلالي من كلمة إلى أخرى تحت تأثير الاقتران، كما يحدث ذلك في تجارب الإشراط.

وليس لدراسة الظاهرات موضع البحث فائدة نظرية فقط. إن كل شذوذ في تسلسل الأفكار، في ممارسة الطب النفسي، يميّز عرضاً من اضطراب عقلي:

فالخبل يتميّـز بعدم التماسك، والفصام بالغرابات (نعاني الصعوبات الكبرى في محاولتنا أن نتابع قول مريض، ذلك أنه قد يحدث له أن يتوقّف عن الكلام فجأة، كما لو أنه كُبح فوراً، وأن ينتقل على نحو سريع، دون مرحلة انتقال من فكرة إلى أخرى)، ويقفز المصاب بالهوس، من جهته، في حديث متهافت «من الديك إلى الحمار» وفق تجانس الأصوات (إذ أن رنين الكلمة يكفي ليوقظ كلمة أخرى)، ويشهد المرء لديه «هروباً للأفكار» حقيقياً، وذلك علامة رقابة عقلية ووجدانية قاصرة.

ودراسة الترابطات، بالنسبة للمحللين النفسيين، أكثر أهمية أيضاً، ذلك أنه لاوجود لفكرة لاتحيل، شعورياً أو لاشعورياً، إلى عناصر نفسية أخرى ترتبط بها هذه الفكرة. فكل امتثال وحدة منفصلة (نظير وحدة معجمية) ترتبط بأخرى في شبكة واسعة (كما المونيمات تنسج القول) ومعناها متعلّق بالمجموع. ولهذا السبب، وعلى الرغم من التحريفات، والتشوّهات، والتقنّعات الطارئة، يمكننا أن نجد مجدداً أثر حدث مطمور في الذاكرة إذا سلكنا درب الترابطات العفوية. (انظر في هذا المعجم: **رائز ترابط الكلمات، الترابط اللفظي، الترابطية**).

N.S.

F: Association Verbale **الترابط اللفظي**

En: Verbal association

D: Verbalassoziation

استحضار كلمة أو عدة كلمات عقب منبّه معيّن.

مفهوم الترابط، الذي يرقى تاريخه إلى العصور القديمة، واحد من المفهومات الأكثر أهمية في علم النفس. فالتقارب الملازم لعنصرين نفسيين يحقق رابطة مفعولها أنها تسبّب ظهور واحد من العنصرين عندما نتذكّر العنصر الآخر. وتستند الترابطات اللفظية إلى الروابط الموجودة بين الكلمات التي تكوّن مفردات شخص. وتدرس هذه الترابطات اللفظية بدءاً من التجربة الترابطية التي أدخلها كارل غوستاف يونغ: يستجيب الفرد لكل كلمة- منبه يلفظها المجرب بكلمة أخرى تنبعث في فكره بالدرب الترابطي. وهذا الاختبار لايمكنه أن يكون «بسيطاً» أو «متتابعاً». فالفرد في الحالة الأولى لاينبغي له أن يقدّم سوى إجابة واحدة عن الكلمة - المنبه، وفي الحالة الثانية، يقدم الفرد عدة كلمات خلال زمن محدّد (س. ن. كوفر، 1958). وتدرس على هذا النحو **الترابطات الحرة** (الفرد يعطي الكلمة التي تخطر في ذهنه) **والترابطات المراقبة** (ينبغي له أن يجيب عن الكلمة - المنبه بكلمة مرادفة، بكلمة ضد، إلخ). فثمة بدائل تجريبية عديدة، من هذا النمط، ممكنة: **ترابطات متسلسلة**، حيث تصبح الكلمة التي يجيب بها الفرد عن الكلمة- المنبه كلمة - منبهاً جديداً ينبغي له أن يجيب عنها، وهكذا دواليك (ف. جوديله،

1960)، **وترابطات – جمل** (الجراب ينبغي له أن يكون جملة)، إلخ. وتؤخذ بالحسبان، في هذه التجارب، عدة دالّات ثابتة: زمان الارتكاس، عدد الكلمات المقدّمة (في حال الترابط **المتتابع**)، العلاقات الدلالية التي تربط المنبه بالاستجابات، المظاهر الكمية والكيفية للعلاقات الترابطية. واستطاع بعضهم على هذا النحو أن يوضّح وجود بنية تراتبية في الترابطات اللفظية: يتكلم بعضهم على «تنظيم متفوّق» (ف. ل. ويلز، 1927) عندما فئة الكلمة: الاستجابة تشمل المنبه (برقش - طائر)، وعلى «تبعية» عندما فئة المنبه تشمل الكلمة - الاستجابة (طائر- برقش)، وعلى «تنسيق» عندما تنتمي الكلمتان إلى فئة واحدة (برقش – صُفاريّة).

وأتاحت البحوث التجريبية في الترابطات الحرة وضع بعض المعايير. إن غراس كنْتْ(و) أ. جـ. روزانوف قدّما، بدءاً من قائمتهما من مئة كلمة، توزيع الإجابات لألف شخص راشد سوي، ونظاماً من التصنيف، وقام بالأمر نفسه عام 1916 هـ. ودرو (و) ب. لوول بالنسبة لإجابات ألف طفل أعمارهم من تسع سنوات إلي اثنتي عشرة، وبمتناولنا أيضاً في الوقت الراهن معايير ألمانية (و. أ. روسل (و) أو. ر. ميسيك، 1959)، وفرنسية وإيطالية، وبولونية، إلخ. ومن الممكن أن نحلّل، بفضل هذه الأعمال، تحليلاً أفضل إجابات الفرد، وأن نعرف على سبيل المثال نسبة «المبتذلات» (الإجابات التي نصادفها على النحو الأغلب) ونسبة الإجابات الأصلية أو «ذات التكوين الخاص» (التي لم يقدّمها شخص آخر)؛ وبين هذه الإجابات الأصلية، توجد إجابات كثيرة منها بليغة. وليس بمقدورنا دائماً، مع ذلك، أن نعتمد على جداول التكرارات، ذلك أنها تنتهي إلى أن تصبح قديمة. فللكلمات حياة، إنها تكتسب معاني جديدة في الاستعمال اليومي الذي نستخدمها به. ولكن طريقة الترابطات اللفظية مفيدة على الرغم من قصورها؛ وبساطتها تتيح البحوث التي تحدث في وقت واحد في عدة بلدان. وعلى هذا النحو إنما استطاع بعضهم مقارنة الإجابات الأكثر تواتراً، التي يقدمها الطلاب الألمان، والأمريكيون، والفرنسيون، والبولونيون، عن الكلمات الموجودة في قائمة كنت

روزانوف. فنحو نصف هذه الإجابات متكافئة من وجهة نظر المعنى، أما نسبة المبتذلات، فإنها تختلف، على العكس، اختلافاً ذا مغزى في هذه الجماعات: 80 بالمئة لدى الأمريكيين، وتهبط إلى 20 بالمئة لدى البولونيين. فالدراسات بين الثقافية بيّنت أن الترابطات الحرة منوطة على نحو أوثق باللسان منها بالاتجاهات الاجتماعية الثقافية: إن الأفراد ذوي الثنائية اللغوية لايجيبون على النحو نفسه وفق اللغة المستخدمة في التجارب. (انظر في هذا المعجم: **الترابطية**).

I.K.

التر ابطية

F: associationnisme

En: Associationism

D: Assoziationspsychologie

نظرية تتكوّن الحياة الذهنية بحسبها من سلاسل ترابطية من الحوادث الأولية الشعورية.

المذهب الترابطي، الذي أسّسه جون لوك (1632-1704) ودافيد هيو(1711 -1776)، طوّره ألكسندر بين، هربرت سبنسر، وجون ستيوارت ميل (1806 -1873)، على وجه الخصوص. فالحياة النفسية، في رأي هيوم، تحكمها قوانين الترابط التي تكافىء أهميتها بالنسبة لعلم النفس «أهمية الجاذبية بالنسبة للفلك...». إن الإحساسات موجودة في قاعدة المعرفة، وما إن يترجمها الدماغ إلى صور وامتثالات حتى يرتبط بعضها ببعض بحيث أن استحضار إحداها يسبّب التذكّر الآلي للأخريات التي كانت ترتبط بها؛ «الفكر مزرعة من الصور»، كان الفيلسوف الفرنسي هيبوليت تين (1828-1893) يقول ليدل على ارتباطها العضوي. وعرف المذهب الترابطي دوياً كبيراً في ألمانية لدى جوهان ف. هربرت، ث. فخنر، و. وندت، هـ. إيبانغوس، ولكن منظّري **نظرية الغشطالت** وهنري برغسون في فرنسة (**المادة والذاكرة**، 1896) كانوا قد انتقدوه بعنف كبير. واللوم الرئيس الذي يمكننا أن نوجّهه إليه يكمن في اعتبار العضوية موجوداً منفعلاً تحكمه قوانين ميكانيكية، والفكر ركاماً من العناصر النفسية تتجمّع تجمّعاً آلياً، بدلاً من رؤية وحدته، واستمراره، وبنيته. ويحتوي هذا المذهب مع ذلك عدداً من الأفكار

الصحيحة التي نجدها مجدّداً في أصل عدة نظريات حديثة: نظرية إ. ر. غوتري أو نظرية ك. ل. هول في التعلّم على سبيل المثال، أو نظرية بافلوف أيضاً في المنعكسات الشرطية، وحتى نظرية فرويد في التحليل النفسي. وكانت الأفكار الجديدة قد أغنت النظرية الترابطية ولكنها عدّلتها تعديلاً عميقاً. ودراسات الإشراط قدّمت البرهان على أن العضوية ليست منفعلة؛ ففي حال التعلم على سبيل المثال، يُفضَّل تقديم منبهين على التوالي (مع فاصل زمني قدره خمسة أعشار من الثانية) بدلاً من تقديمهما معاً، ذلك أن الأول يؤدي دور الإشارة ويهيء العضوية للارتكاسات. فالمحللون النفسيون، من جهتهم، بيّنوا أن للحياة الذهنية تماسكاً، واستمراراً، ودينامية، حيث تتدخّل الرغبة، والحصر، وآليات دفاع الأنا.

N.S.

التربية

F: Éducation

En: Education

D: Erziehung

فن تنمية الاستعدادات الكامنة، الجسمية، والعقلية، والأخلاقية، الموجودة لدى شخص من الأشخاص.

كان هدف التربية في الزمن الماضي جعل الطفل متماثلاً مع مثال اجتماعي معيّن. فالإنسان ذو التربية الجيدة كان يعرف أعراف جماعته وعاداتها ويتمثّل ثقافتها ويحترم تقاليدها. وعلى هذا النحو كان الفتى الانغليزي يتصرف تصرف **الرجل المهذب** ويطمح الضابط البروسي الشاب إلى «الموت بجدارة». فوظيفة التربية كانت إذن تأمين خلود ثقافة معيّنة وتجنّب كل قطيعة بين الأجيال. وكانت التربية قائمة، لبلوغ هذا الهدف على مفاهيم كالطاعة، والانضباط، والواجب، ولم يكن المربون يترددّون في اللجوء إلى السوط، إذا اقتضت الضرورة، وإلى التخويف، أو إلى وسائل إكراه أخرى. ولم يكن اللجوء إلى العنف مع ذلك أمراً لاغنى عنه، ذلك أن الطفل كان يتطلّع إلى المثال المنشود، بالنظر إلى أن هذا المثال مشترك بين الجماعة كلها، ويسعى جاهداً إلى أن يعيد إنتاج سلوكات الأعضاء في محيطه الذين كان يتماهى معهم.

وحدث ضرب من الانقلاب في المنظور مع تقدّم علم النفس، وانتقل الطفل إلى المستوى الأول من اهتماماته. فينّظر من الآن فصاعداً إلى أن يتفتّح الطفل تفتحاً كلياً، وينجز طاقاته الكامنة إنجازاً أكمل مايمكن، أكثر من النظر إلى

إندماجه في مــجــتــمع الراشــدين. وليس هذا الغــرض جــديداً لأن مــونتين (1533-1592)، وكومينوس (1592-1670)، ولــوك (1632-1704)، ولاسيما روسو (1712–1778)، كانوا قد أوصوا من قبل، في القرون الماضية، ألا يُبحث عن تغيير طبيعة الطفل، بل بالحري عن اكتشاف استعداداته، واحترام حاجاته، وإيقاعه وأصالته، بهدف أن نمدّ يد العون له لينمو في وسط نمواً متناغماً. والتربية لاتعتبر الطفل راشداً تنقصه المعارف والقدرة على الحكم، بل ترى فيه، على العكس، فرداً له ذهنيته الخاصة وتحكم القوانين النوعية نموه النفسي البيولوجي. فالطفولة ليست مرضاً، بل مرحلة ضرورية لإعداد الإنسان، وهي الفترة الزمنية الخصبة التي يُجري فيها الموجود الإنسان تعليمه، ويتمثّل البنيات الثقافية المعقدة لجماعته التي يعيش فيها، ويبدع ويجدّد. وتترك التربية لكل طفل، إذ تخضع لقوانين تكوينه السيكولوجي وقوانين نموه، أمر إيجاد إيقاعه الشخصي (**إيقاعه الحركي** العفوي) وتساعده على أن يحقّق ذاته، هو نفسه، بدلاً من أن تقصد صياغته. إنها تبحث في المدرسة، على سبيل المثال، عن أن تفرّد التعليم، وتشجّع العمل الجماعي الحر، بدلاً من أن ترغم الطفل على أن يسلك درب الصف كله وتفرض عليه سرعة متوسطة.

ومهمات المربي كثيرة. وأول مهمة له تكمن في أن يعلّم الطفل أن يحافظ على صحته، وتجعله يكتسب عادات حياتية سليمة ويحافظ عليها. والمهمة الثانية تكمن في أن يدربّه على مراقبة حالاته الانفعالية، وأن «ينقذه من هذه العقد من الانفعالات» (جـ. شاتو) التي تجازف في أن تعوق نموه. ولاتعني السيادة على انفعالاته أنه يكبتها، بل السيطرة عليها إذ يعارضها بفاعلية الإحساسات والفكر. وعلى هذا النحو إنما يُقاد الطفل إلى التغلّب على خوفه من الظلام، إذ يتعلم أن يتعرّف في ضجيج الليل، في الريف، على صرخة دثيمة [فأر الحراج]، وهروب خَبَل [طائر بحجم الغراب يأكل الحشرات]، أو على مشية جُعْل. وليس القصد أن نقلّل من شأن الوضع بل القصد أن يتمثّله الطفل بوضوح. «الهدوء، يقول هنري والون، يكمن في غلبة الإدراك أو الفكر المألوفة على الانفعال». وسيتيح هذا

التوجّه للفكر أن يقارب كل وضع جديد دون حصر وأن يتحمّل خيبات الأمل دون كثير من المشقة.

والتربية لايمكنها، و على الرغم من أنها تنشد تحقيق الذات، أن تهمل تنشئة الفرد الاجتماعية، الذي لايستطيع أن يجهل أعراف المجتمع الذي يعيش فيه، ولا الدور الذي يُدعى للقيام به في كنفه، ولاوجود الإنسان الآخر. ونحن نهمل على الأغلب مع ذلك، في مجتمعنا حيث تنتشر روح المنافسة في كل مكان، في ملاعب الألعاب المتلفزة والمشروع في المدرسة وحتى في الشارع، أن نعلّم الأطفال قواعد الحياة الاجتماعية، والكياسة والتضامن والحسنى واللطف.

وتربية الطفل إنما تعني أن نفتح عيونه على العالم، ونجعله يكتشف إمكاناته الشخصية والواقع الخارجي. ولايقتصر دور المربي على أن يقود الطفل إلى أن يريد بلوغ غرض معيّن، وعلى أن يشجعه ويحرضه، بل على أن يطلعه بالدقة على صعوبات المشروع وحظوظه في النجاح. ويكون الإعلام الجيد إغناء بالنسبة للطفل ذلك أنه يجعله أكثر اطمئناناً. وإذ نسمح له أيضاً أن ينخرط في تجارب ذات جرعات محكمة التعبير، متناسبة مع ميوله، وقواه، واستعدادته، ومهارته، فإننا ننتج له المناسبة ليتغلب على العقبات التي يصادفها، وسيوطّد النجاح ثقته بنفسه. ومثل هذا التصرف التربوي يفترض معاً أن يعرف الطفل معرفة صحيحة وأن يعرف المربي ذاته معرفة معيّنة. فإذا كان المربي رجلاً أو مقداماً، فإن من المحتمل أن يكبح فاعلية الطفل، أو، على العكس، أن يطلقه في دروب تكتنفها المجازفة كثيراً. إن عليه أن يكون قادراً على أن يقيّم الوضع وعلاقة القوى الراهنة تقييماً حكيماً. مثال ذلك أن تسلّق شجرة ذات ارتفاع متوسط، حالة أغصانها تنسجم مع تسلق ميسور، تجربة يحاولها غالبية الأطفال. فإذا كان المربي يحمل في نفسه حصراً بحيث يحول بينه وبين تقييم الوضع بصورة صحيحة، فإنه سيصف هذا الوضع أنه أخطر ويمنع هذه الفاعلية، إذ يصبح المنع في ناظريه احترازياً. وسيكون الأمر على المنوال نفسه بالنسبة لكل تجربة من هذا النوع، وسيبحث الطفل، الذي يعيش العالم بوصفه

خطراً، عن البقاء في حماية الراشد، بدلاً من أن يتعلّم الاستغناء عنه بالتدريج (وذلك هدف التربية)، إلا إذا جرّب المغامرة، منتهكاً حرمة المنع، بمعزل عن رقابة الأشخاص الكبار. وهؤلاء ينبغي لهم على الأغلب أن يثقوا بتلاميذهم ويقبلوا أن يحقّق التلاميذ بعض التجارب، ولو أنها مؤلمة قليلاً، في سبيل أن يجنّبوهم تجارب أشد خطورة، ذات عواقب مأساوية في بعض الأحيان. مثال ذلك أن بإمكاننا، بدلاً من أن نمنع الطفل من اللعب بالنار، أن نتركه، بعد أن نحذّره من أن النار تحرق، يقترب من الموقد ليحسّ بحرارته الشديدة. والتربية لايمكنها أن تُبنى فقط على نظام من ضروب الإجازة والمنع، من المكافآت والعقوبات. إنها تقتضي الحوار بالحري بين الراشد والطفل، والإصغاء والشرح، والصبر والفهم، وتقتضي روح التسامح والسيادة على الذات. والطفل، منذ العمر الغضّ، موجود عاقل، قادر على أن يتلقى الشروح ويفهم بواعث منع، ولكنه حسّاس أيضاً للعدالة والظلم. ولهذه الأسباب، ينبغي للاعتباطي والنزعة السلطوية أن تُستبعدا من التربية. وإذا قبل الراشدون أن يقيموا مع الأطفال علاقة مبنيّة على احترام الآخر، والصراحة والصدق، فإن الأطفال سيمنحونهم ثقتهم ولايترددون في أن يكشفوا لهم عن مشكلات تعذّبهم. وإذا رفضوا ذلك، إما لأنهم يرتابون في أن يكون هذا الاتجاه ممكناً، وإما لأنهم يخشون ضياع جزء صغير من سلطانهم، فإنهم يجازفون بشدة في أن يثيروا لدى شركائهم الصغار تصرفات تسود فيها الخشية والهروب.

وتختلف التربية باختلاف الأماكن والثقافات والعصور. وكل شعب يربي أطفاله بالأسلوب الذي يُحكم به؛ وفي الأسرة، التي تعكس بنيتها التنظيم الاجتماعي، إنما تُكتسب الأسس الثقافية التي سيكتمل تطور الشخصية انطلاقاً منها. وسيجد الراشد، بالنظر إلى أن غالبية التصرفات الإنسانية مكتسبة، أمراً طبيعياً أن تكرّر السلطة السياسية نموذج السلطة التي كان قد رُبي فيها، وسيكون سلوكه أمام السلطة العامةشبيهاً بالسلوك الذي كان يسلكه إزاء أبويه. فالتجارب والعادات المكتسبة في الطفولة ستضغط إذن ضغطاً كبيراً على مستقبل الفرد.

وتبدأ التربية الأسرية منذ ولادة الطفل وتتحقّق في التفاعل المستمر الذي يقوم بينه وبين أبويه. فالتواصل يجري، أولاً، على مستوى تحت شعوري، تواصل غير لفظي ومحض وجداني، ولكنه سرعان مايكتمل باستخدام الكلام والاستدلال. وثمة مع ذلك، على الرغم من أن كل فرد يعترف بالأهمية الحاسمة للتربية الأولى، قليل من الآباء الذين يتساءلون عن أسلوبهم في التصرف مع أطفالهم، كما لو أن الإنسان يملك «ضرباً من الحدس البيداغوجي الفطري الذي يمنحه العلم الكلي والعصمة» (إدوار كلاباريد). وتقوم تربيتهم الخاصة مقام المرجع بالنسبة لهم، إما لتمجيدها وإما لمعارضتها، ويكتشف المرء وراء أسلوبهم في تربية صغارهم طموحاتهم الخائبة الأمل ورغباتهم الشخصية، بقدر مايكتشف مخاوفهم وآراءهم المسبقة. فبعضهم يريدون أن يتفوّق أبناؤهم في كل ظرف، ولايترك بعضهم الآخر لهم أية حرية، خوفاً من أن يتحرّروا من وصايتهم أو من أن يتعرّضوا إلى هذه المخاطر أو تلك. وسلوكهم لاينظّمه الواقع، بل المتخيّل والاستيهام. ويفهم المرء أن خيبة أملهم تكون كبيرة عندما لايستجيب الطفل لتوقّعهم أو عندما ينجز مشروعاً شخصياً مختلفاً عن مشروعهم. فالتربية الأسرية مهمة حسّاسة إلى الحد الأقصى، تختلف باختلاف الأشخاص، والأوساط، والظروف. وكل الأسرة وحدة دينامية في تغيّر مستمر، من جراء الولادات والوفيات التي يمكنها أن تعدّل بنيتها، ومن جراء نمو الأطفال وشيخوخة الآباء. فغير ممكن إذن أن نذكر قواعد تربوية، بالنظر إلى أن الشيء المناسب الوحيد هو المرونة التي تتيح التكيّف مع الأمزجة، والأحداث، وتطور الأعراف. وكل تربية هي تربية وحيدة، ذلك أنها منوطة بشخصية الطفل، وطبعه، ومكانه في الكوكبة الأسرية، وكثير من المتغيرات الأخرى. إنها تقتضي، إضافة إلى معرفة سيكولوجية، انفتاحاً فكرياً يتيح احترام فرديته ويعترف له بحقه في أن يكون مختلفاً عن أبيه وأخوته وأخواته، وليس عن التلاميذ الآخرين فقط. ولاينبغي للتربية أن تنشد جعل التصرفات متماثلة بل أن تجعلها بالحري مختلفة وفق شخصية كل طفل، وأن «تكوّن أناساً قادرين على أن

يقرروا بحكمة مكانهم في العالم وأن يتصرفوا بحكمة، أي وفق مقتضيات الكلي في الوضع المشخّص، وهم يعرفون مايفعلون ولماذا يفعلونه» (إيريك ويل، 1956، ص53).

وليست التربية من اختصاص الأسرة حصراً، ولا من اختصاص المدرسة. فكلا المؤسستين تتناوبان، تعزّزهما (أو تعارضهما) مؤسسات أخرى كالكنيسة، والجيش، والحركات الشبابية، والجمعيات الثقافية أو الرياضية، ووسط العمل، والنقابات، إلخ. ويلاحظ إيريك ويل (1904 -1977) في نهاية المطاف أن «كل إنسان يربّي، شاء أم أبى، بأقواله وأسلوب تصرفه أولئك الذين يقيم علاقة معهم؛ فكل قول وكل عمل يؤثّران في الآخرين ويكوّنانهم كما يكوّنان فاعلهما» (المرجع المذكور سابقاً، ص54). فثمة كثير من التأثيرات المتنوعة، القادمة من آفاق مختلفة، تضمن للفرد حريته لأن عليه أن يختار درباً، على الرغم من التناقضات. فهو سيدلف إذن في الدرب الذي يلائمه على نحو أفضل، مستسلماً للغوايات أو الضغوط، ولكن ذلك يحدث دائماً تبعاً لشخصيته الخاصة. وبوسعنا أن نقول إذن إن الفرد ذاته هو الذي يحدّد ذاته، هو الذي يحقّق مشروعه الشخصي ويكمل تربية نفسه. (انظر في هذا المعجم: **الأسرة**).

N.S.

التربية الخاصة

F: Éducation spéciale

En: Special education

D: Sondererziehung, Sonderpadagogik

استخدام وسائل بيداغوجية خاصة معدّة لتؤمّن للأطفال غير المتكيّفين نمواً أمثل لإمكاناتهم كلها.

تتوجّه التربية الخاصة إلى أفراد لديهم اضطرابات دائمة أو معوّقات شديدة في المجالات الحسية والحركية والعقلية أو الطبعية. وهاجس جعل الأطفال المعوقين يفيدون من طرائق بيداغوجية متكيفة مع حالتهم أمر هو الآن قديم جداً. فالقس شارل دو ليبه (1712-1789) وضع في القرن الثامن عشر نظاماً لغوياً إشارياً للصمّ البكم وأسّس مدرسة لاستقبالهم، واخترع فالنتان هولي (1745-1822) الكتابة البارزة وشيّد، في باريس، مؤسسة للعميان. ولكن مشكل تربية الأطفال غير المتكيفين إنما طرح على نحو حاسم انطلاقاً من الفترة الزمنية التي وُضع فيها قانون الإلزام المدرسي (1882) موضع التطبيق. ووجب مع ذلك انتظار أكثر من عقدين من السنين حتى يصمّم وزير من وزراء التعليم العام أن ينظّم تعليم المعوقين: ألّف جوزيف شوميه عام 1904 لجنة عهد إليها أمر انتقاء المصابين بالتخلّف العقلي وأوكل إلى ألفريد بينه (1857-1911) مهمة وضع الأداة الملائمة. فنشر بينه، بعدعام، سلّمه القياسي للذكاء، بالتعاون مع تيودور سيمون (1873-1961). وتأسّس الصف الأول الاستكمالي، عام 1907، المخصّص لاستقبال الأطفال المصابين بالتخلف العقلي، ومنح الصفة الرسمية قانونُ 15 نيسان (أبريل) 1909

مثل هذه الصفوف المستحدثة. وستكون هذه الحركة التي مُنحت على هذا النحو نموّ التعليم المتخصص، مع الأسف، مكبوحة بفعل الحربين العالميتين؛ وإذا كان عام 1911 قد شهد في ستراسبورغ ولادة الصف الأوروبي الأول للمصابين بالغَمَش، فإن الصفوف العامة، بعدد قليل، لن تكون مفتوحة لذوي السمع الضعيف والمصابين بالإعاقة الحركية إلا في نهاية 1944. ووجب مجدّداً، لمواجهة الحاجات الفعلية، أن تُطلب المبادرة الفردية بإلحاح، وكان المتطوعون هم الذين، على الغالب، نذروا أنفسهم خلال زمن طويل أيضاً لتربية الأطفال الذين يعانون الصعوبات. فالإرادة الطيبة والحدس غير كافيين مع ذلك، في هذه المهنة العسيرة، إذا لم يرتكزا على معارف سيكولوجية وبيداغوجية متينة. فثمة مدارس تكوين المربين منحت إذن تعليماً مناسباً، وأنشأت معاً وزارات العدل والتربية الوطنية والشؤون الاجتماعية دبلوم دولة. وكان يوجد، في أول كانون الثاني (يناير) من عام 1973، 35000 مربّ يمارسون عملهم، منهم 8600 نالوا دبلوم الدولة. ورأى النور، بصورة موازية، عددٌ كبيرمن المنشآت المتخصّصة، وهناك 1116 معهداً طبياً بيداغوجياً كانت موجودة في بلادنا عام 1970، تمثّل قدرة استيعاب كلية تبلغ 73000 مكان. وأصدر رئيس الدولة، بهدف تنسيق كل المبادرات والأعمال التي بوشر بها على أرض الوطن، لمصلحة الأطفال والمراهقين والراشدين غير المتكيّفين، قانون التوجيه مراعاة للأشخاص غير المتكيفين، تكون بموجب نصوصه الوقاية من ضروب عدم التكيف، وكشفها، وتكوين المعوقين وتوجيههم، واندماجهم الاجتماعي، وتوصّلهم إلى ممارسة النشاطات الرياضية والتمتع بأوقات الفراغ، أقول «تكون واجباً وطنياً». والتربية الخاصة يمكنها، من الآن فصاعداً، أن تبدأ قبل سن السادسة وتستمر بعد السادسة عشرة، إما في منشآت عامة، وإما في مؤسسات خاصة نالت الموافقة. وثمة لجان تربية خاصة مؤلفة من ممثّلين عن وزارة التربية الوطنية والعمل الصحي والاجتماعي، وصناديق التأمين على المرض، وتجمّعات آباء الأطفال غير المتكيفين، ومنشآت التربية الخاصة، تفحص كل الحالات التي تُعرض عليها وتوجّه الأطفال نحو المنشآت التي يمكنها أن

تناسبهم: صفوف خاصة (للمصابين بالعاهات الحركية والدماغية، وبالعاهات الحسية، وبالقصور العقلي)، معاهد طبية بيداغوجية، إلخ. وكانت الصفوف الخاصة تستقبل، العام الدراسي 1977-1978، 178000 تلميذ من تعليم الدرجة الأولى و12000 تلميذ من تعليم الدرجة الثانية، ويتوزّع هؤلاء التلاميذ الأخيرون على 1179 شعبة تربية خاصة في كليات (الكلية منشأة مدرسية في فرنسة لتلاميذ المرحلة الأولى من التعليم الثانوي) و80 مدرسة وطنية للاستكمال.

وصفوف الاستكمال - التي يمكنها أن تكون مرتبطة بالمدارس العامة الابتدائية أو متجمّعة في «مدارس وطنية للاستكمال» أو في «مدارس مستقلة للاستكمال»- مخصّصة للتلاميذ الذين تقع أعمارهم بين ست سنوات واثنتي عشرة ولا يمكنهم متابعة التعليم الطبيعي من جراء قصورهم العقلي (مرسوم وزاري بتاريخ 12 آب (أوغسطس) 1964 يوضّح أن حاصل الذكاء ينبغي له أن يكون بين 50 و 75). وهذه الصفوف تستقبل عملياً تلاميذ يعانون تأخّراً قدره سنتان وأكثر أو لديهم حاصل ذكاء قدره 65 نقطة أو 80 (مع هامش من خمس نقاط أكثر أو أقل) في مقياس بينه -سيمون. وتحدّد النصوص الرسمية عدد تلاميذ الصف الواحد بـ15 تلميذاً، ولكن الأغلب أنهم أكثر عدداً من 15. ويتلقّى المعلمون الذين تُوكل إليهم هذه الصفوف الخاصة تكويناً سيكولوجياً بيداغوجياً مناسباً (يحوز نحو 57 بالمئة منهم شهادة أهلية لتعليم غير المتكيفين) ويكيّفون تعليمهم مع التلاميذ بعد أن يقيّموا إمكاناتهم العقلية الفعلية. وهذا التعليم، العملي والمشخّص بصورة أساسية، يستند إلى ملاحظة الوسط (وقائع الحياة اليومية، في البيت والشارع) ويلتمس كل حدث قادر على أن يسترعي الانتباه (الألعاب الأولمبية، الطيران في الفضاء، قدوم الخريف، السقوط الأول للثلج، إلخ). وثمة أوقات راحة ونشاطات للترويح عن النفس (غناء، تمارين إيقاعية، استرخاء...) ينصّ عليها استخدام الزمن، تجنباً للتعب الذي يسبّبه توتر عقلي مستمر. وهؤلاء التلاميذ يمكنهم، بعد الثانية عشرة من العمر، متابعة دراستهم في مدارس الاستكمال أو

شعب التربية الخاصة في الكليات، التي أسسها قرار 27 كانون الأول (ديسمبر) 1967، ولكن إصلاح التعليم في 11 تموز (يوليو) 1975، الذي يوصي بأن يُوجَّه هؤلاء الأطفال توجيهاً مرناً، يتسامح بإبقائهم في البنيات الأولية.

إن المعاهد الطبية البيداغوجية هي منشآت عامة أو خاصة تعمل بوصفها داخلية أو بأشكال شتى من الحياة الخارجية، تستقبل الأطفال في العمر المدرسي، الذين يعانون قصوراً في الذكاء (تخلّف بسيط، متوسط أو عميق) يقترن على الأغلب باضطرابات أخرى. وسن القبول يمكنه أن ينخفض سنة والبقاء في المنشآت يمكنه أن يستمر حتى سن الرشد. وتبذل المعاهد الطبية البيداغوجية، المندمجة في الحاضرة أو القريبة من مركز مديني، جهدها لتحافظ على صلات الطفل بأسرته ومحيطه. وثمة فريق تربوي وطبي اجتماعي كامل، مؤلف من معلمين ومربين متخصصين، ومصحّحي النطق، وعلماء النفس، والمدلّكين، ومختصين في إعادة التربية للحركية النفسية، ومساعدين اجتماعيين، وأطباء عامين ونفسيين، موجود تحت تصرف الطفل ليؤمّن له العناية الطبيّة والسيكولوجية والتربوية التي يمكنها أن تشجّع نموه العام إلى الحد الأقصى. ونتائج هذه الجهود المتضافرة كلها مرضية نسبياً ومشجعة. وتخلص دراسة من دراسات ر. مازان (1972) عن صيرورة المراهقين الخارجين من المعاهد الطبية المهنية، دراسة انصبّت على15 منشأة، إلى أن التكوين المتلقى في المعاهد الطبية التربوية عامل ذو أهمية في الاندماج الاجتماعي الجديد. والواقع أن 12,4 بالمئة فقط، من أولئك الذين لم يقضوا إلا ستة أشهر أو سنة في معهد طبي تربوي، يشغلون وظيفة مأجورة، في حين أن هذه النسبة المئوية ترتفع إلى 28,8 بالمئة بالنسبة للمراهقين الذين ظلّوا في هذا المعهد من سنة إلى سنتين، وإلى 58,8 بالمئة بالنسبة للذين أقاموا فيه أكثر من سنتين. (انظر في هذا المعجم مايلي: **العمى، التخلف العقلي، المعوق، العاهة الحركية الدماغية، الصمم**).

J.L.

التربية المستمرّة

F: Education permanente

En: Recurrent education, Continuous education

D: Stetige fortbulding

التربية المستمرة مفهوم فرض نفسه في البلدان المتطورة بدءاً من الخمسينيات. وتبرز الحاجة، في عهد التكنولوجيا، إلى المعارف المكمّلة، بل التصحيحية، ذلك أن كل يوم يقدّم كشوفاً جديدة تضع يقينيات الأمس موضع التساؤل، وينبغي للمعرفة المكتسبة أن تكون باستمرار موضع إكمال، وتصحيح، وتعديل. إن ضرباً من التدريب الفكري المستمر هو وحده الذي يمكنه أن يتيح التكيف مع هذه الحركة، وتجديد المعارف، والانفتاح على الجدّة، ومواجهة ارتيابات المستقبل دون خشية. وكشف سبر أُجري في الولايات المتحدة الأمريكية بداية الستينبات أن 61 بالمئة من الراشدين كانوا قد شعروا بالحاجة، في فترة زمنية معينة، إلى ارتياد الحلقات الدراسية. ولكن التربية المستمرة لاترتد إلى ماكان يُسمّى في الزمن الماضي «تربية الراشدين»، و«التربية الشعبية»، أو «التعليم بعد المدرسي» الذي تنظمه جمعيات خاصة أو السلطات العامة، وكان يشمل مجموعة من النشاطات «التي كان بعضها ذا علاقة باختصاص جزئي، وبعضها الآخر بتسليات تحدث بالمناسبات» (رونه ماهو، 1965). ولاتختلط كذلك بالاستكمال أو التعمّق في مهنة. وإذا كانت التربية التقليدية، بما في ذلك الاستكمال بعد المدرسي، الذي كان يهدف إلى إنعاش المعارف المكتسبة سابقاً، متكيفة مع مجتمع سكوني، فإنها لم تعد متكيفة مع مجتمع ذي سمة تقنية يتبدّل تبدلاً مستمراً. فالأشخاص، في المجتمع الحديث،

ينتقلون على الغالب من منطقة إلى أخرى، ويغيّرون المهنة والوضع الاجتماعي؛ وثمة مهن قديمة زالت وظهرت مجدداً. والمرء يمكنه أن يتنبأ أن غالبية المراهقين الذين يغادرون المدرسة في أيامنا هذه لن يمارسوا، في مرحلة نضجهم، تلك المهنة التي أعدّوا أنفسهم لها، وسيكون للكثير منهم، خلال عشرين عاماً، مهن لانعرفها حالياً. وكان إ. نيمارك قد لاحظ من قبل، عام 1962، في السويد، أن 42 بالمئة، من فئة من السكان عددها 4500 إنسان، كانوا قد غيّروا فاعليتهم المهنية بين 20 و28 عاماً من العمر. وما انفك هذا الاتجاه، منذ ذلك الزمن، يزداد، ومن المحتمل أن تكون إعادة التكيّف المهني، «لا مرة واحدة، بل عدة مرات، هي قاعدة المستقبل»، يقول عالم النفس السويدي تورستن هوزن (1968، ص99). وتنشد التربية المستمرة على وجه الضبط أن تتيح للأفراد أن يحدّدوا موقعهم في الزمن الراهن ويُعدّوا على وجه الخصوص لعالم الغد، وأن يتكيفوا مع ضروب التقدم وتغير المجتمع، وإن يسودوا المستقبل، إذ تقدّم إليهم، إي التربية المستمرة، وسائل بلوغ المعارف التي يحتاجونها أو ذات الصلة باهتماماتهم. وبسبب كون التربية المستمرة «صادرة عن غائية لاتتميّز منها من الناحية العملية، وليست هذه الغائية شيئاً آخر سوى الديمقراطية» (إدغار فور، 1971، ص 162)، فإن بلداناً عديدة، كألمانية الغربية، والدول الإسكاندينافية، وفرنسة، إلخ، ابتكرت تشريعاً يتيح للعمال «تدريباً إضافياً» وإتقاناً وهم يستمرون في الوقت ذاته بقبض أجورهم. ونظّم وزير التربية الوطنية في بلادنا، بعد عام 1968، تجربتين تندرجان في إطار التكوين المستمر: قبول عمال غير حائزين على البكالوريا في الجامعة (فانسين) وإيجاد وحدات قيمية متراكمة تتيح الحصول على دبلوم. وكانت، من جهة أخرى، عدة قوانين قد صدرت، 16 تموز (يوليو) 1971، تتناول التكوين المهني، والتربية المستمرة، والتعلّم، والتعليم التكنولوجي، ومشاركة المستخدمين المالية. وثمة مع ذلك مقاومة يبديها جزء كبير من فئة السكان الراشدين لسلوك هذا الدرب الذي يقتضي، في الحقيقة، جهداً منتظماً ومنهجياً. وفي حين أن الأطر والعناصر الأكثر تعلماً يقبلون عن طيب خاطر هذا الإلزام الجديد، نقدّر بـ 5 بالمئة فقط عدد العمال الذين

يقبلون الالتزام بمثل هذا النظام. فالتعب من جهة، والذكرى الباهتة وغير الممتعة لسني الدراسة التي هُجرت بصورة مبكرة، من جهة أخرى، وعدم تلاؤم الطرائق البيداغوجية لهذا التعليم الجديد في بعض الأحيان أيضاً (تعليم ينبغي له أن ينطلق من مشكلات عملية)، هي موانع تنتصب أمام العمال على طريق الثقافة. وليس من السهولة منح الراشدين ميلاً إلى التعلّم، والإتقان، والتثقّف. فهذه الرغبات تتطلّب أن ينميها المربون منذ أيام المدرسة الابتدائية. إن في هذه المرحلة إنما يكون قدر التربية المستمرة موضع رهان. فعلى المعلمين أن يقتنعوا بذلك. وينبغي للمدرسة ألا تكون فقط ذلك المكان الذي يجري فيه نقل علم، على صورة معارف مرتّبة، مصنّفة، منظّمة، على التلميذ أن يسجّلها، ولكنها ينبغي أن تكون أيضاً الحيّز الذي يستيقظ فيه الذكاء ويمارس الفكر نشاطه. إن عليها أن تحرّض الفضول العقلي لدى الطفل، وتعلّمه أن يلاحظ الوقائع المروية والتفكير فيها، وأن يحدّد موقعه في غزارة المعلومات ويؤلف بينها، ويحاور ويحاكم محاكمة منطقة. ولا ينبغي لها أن تكتفي بتسميع المعرفة العامة أو إعادة إنتاجها، بل ينبغي لها أن تنمّي الأصالة والابتكار والإبداع، الشخصية. وعليها أن تعلم التلاميذ أن يفكروا بدلاً من الحفظ، وأن يستخدموا المعلومات التي تحتويها المكتبات، ومكتبات الأفلام، والأماكن الأخرى لحفظ المعارف، بدلاً من استذكارها. فالتربية المستمرة تندرج، ونحن نرى ذلك، في سيرورة تعلّم مستمر يبدأ منذ الطفولة الأولى ويستطيل حتى نهاية الحياة. وإذ تتجاوز التربية المستمرة ضرباً من النظام، فإنها تمدّ حقل تأثيرها على مجالات ذات صلة بها وتشمل التعليم من النموذج المدرسي واستخدام أوقات الفراغ، لتكون وحدةمستمرة من التكوين الكلي للإنسان، حيث يكون بوسع المدرسة والحياة أن تلتقيا. (انظر في هذا المعجم: **الثقافة**).

N.S.

التركيب التعبيري

F: Syntagme

En: Syntagm, Phrase

D: Syntagma, Sats

تجمّع من وحدتين لغويتين أو أكثر (مونيمات) يمكنه أن يكوّن جملة (تمطر السماء)، عبارة (في الأعلى) أو كلمة كما في الفرنسية re- viens [أي أعود].

ينصبّ الكلام، منذ أيام فردينالد دو سوسور (1857 -1913) على «خطّية» اللسان ويدلّ على تعاقب الوحدات الألسنية في القول باسم «السلسلة المحكيّة». ودراسة العناصر في السلسلة المحكية تسمى دراسة **التركيب التعبيري**.

وبالنظر إلى أن اللسان يتصف بظاهرة **الانبناء المزدوج**، فإن كل قول من هذه الأقوال يمكنه أن يوصف بأنه تركيب وحدات تتكرر، أي وحدات يمكنها أن تظهر مجدداً في رسائل أخرى، بتنظيم مختلف أو غير مختلف. وثمة، بالنسبة لكل لسان، تقييدات لإمكانيات تركيب العناصر. ومثال ذلك أن أداة التعريف أو التنكير، في الفرنسي، يسبق الاسم دائماً، في حين أنها تلحق الاسم في الروماني. وترتيب العناصر **المحدِّدة - المحدَّدة**، الأكثر شيوعاً في الانغليزي والألماني، عكس الترتيب بالفرنسي. وترتيب **التصويتات (الفونيمات)**، على مستوى الانبناء الثاني، ليس ملائماً فحسب، بل إن بعض تركيبات التصويتات ممنوعة. فتعاقب (tl) في الفرنسي متعذّر، وبعض الألسنة، كالألسنة القوقاسية، تقبل مجموعات الصوامت الثقيلة، وبعضها، كالألسنة التاهيتية،

لاتقبل سوى التعاقبات صامت + صائت. وتُفحص، في دراسة لسانٍ، بعد استخلاص أصناف الوحدات (وهو أمر ذو علاقة بـ **الاستبدالية**)، باسم **علاقات التركيب التعبيري** توافيق الوحدات الممكنة والممنوعة. وأساس هذا البحث يكوّنه مانسميه **السياق**. وتقديم سياق عنصر ألسني يكمن في ذكر العناصر التي تسبقه وتليه. ونحدّد، انطلاقا من هذا السياق، مانسميه **توزيع** وحدة بوصفه مجموعة من السياقات التي يمكنها أن تظهر فيها.

وعرض أنصار **التوزيعية**، في الألسنية الأمريكية، ليوانر بلومفيلد (1849-1887) وخلفاؤه بمن فيهم زيلّيغ سابيته هاريس (مولود عام 1909)، دراسة توزيع العناصر في السلسلة أنها الإجراء الوحيد الدقيق بغية التحقّق من الوحدات ودراسة سلوكها في التركيب التعبيري معاً. إنهم نبذوا **الإبدال** المعتبر أنه أسلوب ذهني. وينهج نيكولاس تروبتزكوي (1890 -1938) وخلفاء مدرسةبراغ في أوروبة، على العكس، في زمنين: إنهم يستخلصون الوحدات أول الأمر بالإبدال، ثم يدرسون علاقاتها في السلسلة. (انظر في هذا المعجم: **الانبناء**، **المونيم**، **النموذج التفسيري**، **التصويت [الفونيم]**).

N.M.

التزامن والتزمّن

F: Synchronie et Diachronie

En: Synchrony and Diachrony

D: Synchronie und Diachrony

سمة ظاهرة لوحظت في مرحلة معيّنة، في حالتها الآنية (**التزامن**)، **أو، على العكس، بالنسبة لفترات زمنية أخرى من تطورها، بالنسبة لتاريخها على سبيل المثال** (**التزمّن**).

هذا التمييز أدخلته في الألسنية، مع بنية نظرية، **محاضرات في الألسنية العامة** ألقاها عام 1916 فردينالد دو سوسور (1857-1813).

يُقال عن واقعين ألسنيين إنهما **تزامنيان** عندما ينتميان إلى تزامن واحد، أي عندما يكونان على حدّ سواء موجو دين في مرحلة معينة من تطور لسان. وينتمي عنصران إلى التزمّن، فهما إذن **تزمّنيان**، عندما يدخلان مرحلتين من تطور لسان.

وعندما لايأخذ تحليل بالحسبان سوى الظاهرات التزامنية ولاينظر في اللسان، لهذا السبب، في فترة معيّنة من تطوره، أي بصرف النظر عن حالته السابقة، يكون هذا التحليل **تزامنياً**. وهذا التحليل يتيح تكوين المنظومة الألسنية للسان وشرحها، كما تعمل عملها الوظائفي في فترة معينة. وعندما يدأب تحليل، آخذاً بالحسبان وقائع تزامنية، على أن يصف تطور لسان معين، يكون هذا التحليل **تزمنياً**. ومن الواضح أن كل عرض يعزو إلى الألسنية التزامنية وضع الألسنية الستاتيكية وإلى ألسنية التزمنية وضع الألسنية الدينامية، ينسب ضرباً من الخارجية

والاستقلال الكليتين إلى هذين البعدين من التحليل. وكل توكيد تكون بموجب الظاهرات التزامنية وحدها منهجية - بالنظر إلى أن الوقائع التزمنية تكون من جهتها غير منهجية، منعزلة، عرضية وغير قابلة للشرح من الناحية الألسنية- يفضي أيضاً إلى افتراض استقلال كامل بين هذين التحليلين.

ويبيّن تاريخ الألسنية الحديث، ولاسيما بفضل إسهامات رومان جاكوبسون (1896-1982) وأندره مارتينه (المولود عام 1908)، أن التمييز بين الفئتين من الدراسات أكثر تعقيداً. فالتحليل الوظيفي في التزامن يتيح إدراك الآليات الأساسية التي تشرح العمل الوظائفي للسان من الألسنة. والحال أن هذه الآليات تؤدّي، على حد سواء، دوراً في العمل الوظائفي التزامني والعمل الوظائفي التزمني للسان. أضف إلى ذلك أن التحليل التزمني، من حيث أن التزمن يعرض تاريخ منظومة ألسنية معينة، ينبغي أن يكون بالضرورة مسبوقاً بتحليل تزامني، لأنه هو وحده الذي يتيح على وجه الدقة تكوين منظومة لسان معين.

R.V.

التشتّت

F: Dispersion

En: Dispersion, scatter

D: Dispersion, Streuung

تبعثر الملاحظات التي تكوّن مجموعاً إحصائياً من جانبي النزعة المركزية لهذا المجموع.

الإحصاء مزوّد بوسائل دقيقة لتقييم تغيّرية سمة أنماطُها أو قيمها تتغير تبعاً للأفراد أو الفئات الإحصائية. وتكون جماعة من السكان ضعيفة التشتّت، من وجهة نظر التغيّرية المدروسة، عندما تكون الفئات الكبيرة من الناحية الرقمية في جوار النزعة المركزية، فالفئات الأكثر بعداً تكون ذات تكرار (أوكتلة) أضعف. وبوسعنا، في هذا النوع من التوزيع، أن نشرح عرض المعطيات بمؤشر دقيق يسمى «مقياس التشتت» لأنه يعكس تموّجات المتغير بدءاً من قيمة مركزية، قيمة توصف بـ«المقياس الموضعي» لأنه يشير إلى أنه يشرح التموضع الإجمالي، أي نسق مقدار المتغير بالنسبة للمجموع الملاحظ. وإذا كان التوزيع متجمّعاً حول القيمة المركزية، فإن المتغير يتغير قليلاً وينبغي لمقياس التشتت- الذي يجب أن يقيس هذه الدرجة الضعيفة من التغيرية - أن يكون قريباً من الصفر. ويفقد مفهوم التشتت دلالته في حال غياب النزعة المركزية (كالتوزيع الذي يشبه خطه البياني حرف J على سبيل المثال).

وثمة مؤشرات تشتت عديدة، ولن نحدّد فيما يلي سوى الأكثر شيوعاً منها، إذ نعيّن نموذج المتغير الذي ينطبق عليه كل مؤشر منها، على سبيل الحصر في بعض الأحيان.

1 - عندما تكون الملاحظات **وصفية** والمجموع موزّعاً إلى فئات بحسب أنماط المتغير المختلفة (سلم **اسمي** أو مدونّة مصطلحات)، يلجأ علماء النفس إلى مؤشر التشتت الذي استعاروه من نظرية الإعلام. والواقع أن هذا التبعثر، تبعثر المعطيات في الفئات المختلفة، يجد أصله في النظرية الحركية للغازات، عندما ربط الفيزيائي النمساوي لودفيغ بولتزمان (فيينا، 1844، فيينا، 1906)، الذي كان يبحث عن أن يقيس «الاضطراب الجزيئي»، هذا المفهوم بمفهوم **الأنتروبيا** في الغاز بوصفه منظومة ديناميـة حرارية. وهكذا يشرح ظهور المصطلح في العلوم الإنسانية للدلالة على درجة التباين، تباين المعطيات في مجموع أو للدلالة أيضاً على كمية الفوضى أو فقدان التنظيم في المجموع. وهذه الانتروبيا، التي يسهل جداً تقييمها بواسطة ضرب من مجرد جدول لوغاريتيمي لـ 3 (أو 4) عشريات، تقدّمها الصيغة التالية:

$$H= -\Sigma fi.\ logzfi = logz\ N- \frac{1}{N}\ \Sigma ni.\ log2ni$$

(في وحدة مزدوجة لكمية الإعلام بالملاحظة).

واللوغاريتمات الماثلة في هذه الصيغة هي لوغاريتمات ثنائية (قاعدة Z)، وبما أن بمتناولنا على وجه العموم جدول لوغاريتمات عشرية (قاعدة 10)، فإننا نجري الحساب بواسطة هذه اللوغاريتمات العشرية، ولكن المفروض أن نقسم النتيجة الحاصلة على لورغاريتم 210=0,301 للحصول على الأنتروبيا بالوحدة المزدوجة للإعلام، وقيمة H تُفسّر أيضاً بأنها مقياس **الريب** لدى الملاحظ فيما يخصّ نمط عنصر من عناصر مجموع إحصائي ملاحظ، عندما يعلم الآن توزيع التكرارات. ونقول بعبارة أخرى إن H هي **الإعلام المتوسط بالملاحظة، آخذين بالحسبان تكرار كل فئة**. فعندما تكون كل الملاحظات مركّزة في فئة واحدة، يعلم الملاحظ مسبقاً ذلك، ويكون الريب عدماً (H=0).

وعندما تكون الملاحظات أيضاً موزّعة بين الفئات كلها، يكون ريب الملاحظ في حده الأقصى ويساوي :

$$Hmax = \log 2K = \frac{1}{0{,}301} \log 10K$$

K تمثّل عدد الفئات .

وفي الحالات الوسيطة، تقع الأنتروبيا بين 0 وHmax: $0<H<Hmax$. ومثال ذلك : ضروب من التشتت المختلفة لثلاث عينات من 18 ناخباً سئلوا عن أفضلياتهم السياسية، في توزيع من 4 فئات : يمين (م)، يسار (س)، وسط (و)، دون رأي (در).

آ) حالة قصوى حيث تكون كل الملاحظات **مركزة في فئة واحدة**، فتباين المعطيات عدم، والتنسيق بالتالي في حده الأقصى، وينجم عن ذلك أن H=0، وذلك أمر يقابل **ريباً عدماً**، أي يقابل إعلاماً كاملاً لكل عنصر .

ب) حالة وسطى حيث تكون الملاحظات موزعة توزيعاً **غير متساو**، فثمة إذن تباين معيّن بين المعطيات، وبعض الفوضى بالترابط .

والإعلام المتوسط الذي يقدّمه جواب ناخب من العينة هو 1,67 وحدة إعلام .

جـ) حالة قصوى حيث تكون الملاحظات كلها موزعة **بالتساوي على وجه التقريب** على الفئات الأربع، فتباين المعطيات والتنسيق يبلغان المستوى الأقصى .

والريب المتوسط بالملاحظة هو هنا وحدتان إعلاميتان .

وإذا أضفنا إلى مجموع معيّن فئة واحدة، فإننا نزيد أيضاً ريب الملاحظ فيما يخصّ جواب ناخب يؤخذ، مصادفة وذلك مايبيّنه المثال التالي جيداً : نحدّد 5 فئات إذ نميز بين يمين (م) وأقصى اليمين (أ. م)، فتتوزع العينة المذكورة أعلاه توزعاً على فئات .

وإدخال نمط إضافي، بالنسبة للمجموع نفسه، يرفع الأنتروبيا من 1,67 إلى 2,13، وبما أن الأنتروبيا القصوى ازدادت أيضاً، فإن علاقة H/Hmax لاتتغير إلا من 0,83 إلى 0,92 (انظر الشكل 2 في نهاية المقال).

2 - عندما تكون السمة الملاحظة متغيراً **ترتيبياً**، يكون المقياس الموضعي (أو مقياس النزعة المركزية) هو الملاحظة الوسيطة، ويقاس التشتت، مع هذا النموذج من المتغير، بمؤشرات الرتبة، المسماة **الرُبَيع والعَشير والمئين**، التي تبنى فقط على معيار ترتيب الملاحظات وعلى تنضيد المجموع المرتب في 10,4 أو 100 فئة متتالية للعد نفسه. ولنضرب مثلاً على ذلك 14 فرداً مبوبين بحسب قدراتهم المتناقضة (الشكل 3 في نهاية المقال).

وسنلاحظ أن التوزيع الربيعي لايحدث بدقة دائماً (4 فئات من 3 أفراد بالنسبة 14 فرداً). وتتيح القدرات العقلية لفردين في الربيع 1 والربيع 3، أي الرابع والحادي عشر، أن نحكم على تشتت المجموع حول أفراد الوسيطين السابع والثامن. وإذا كانت هذه القدرات تجاوز القدرة الوسيطة، فإن زمرة الأفراد الملاحظين ضعيفة التشتت، والزمرة متجانسة نسبياً؛ وإذا كان الربيع الأول، على العكس، منخفض جداً بالنسبة للفرد الخامس والربيع الثالث، فإننا نلاحظ تدرّجاً للقدرات الفردية بحيث أن زمرة الأفراد تكون غير متجانسة، من وجهة نظر المتغير المدروس.

3 - عندما يكون المتغير **قياسياً** (مثال ذلك قدرات تُقيّم بحاصل الذكاء)، بوسعنا أن نحدّد الربيع الأول والربيع الثالث (الأدنى والأعلى) بعد ترتيب الأفراد، وبوسعنا أيضاً تقييمهما على سلم القياس ونقيس عندئذ الانحراف بين الربيعي.

ويتيح هذا الانحراف بين الربيعي أن يقارب ضروب التشتت لمختلف الجماعات في ميدان حاصل الذكاء . ومن المفضّل مع ذلك، بما أن ضروب الوسيط (و) ليست على وجه العموم متماثلة بالنسبة لهذه الجماعات المختلفة، أن نقارن بين الانحرافات بين الربيعية النسبية، الربيع الأدنى- الربيع الأعلى/ و لكل جماعة . وإذا كانت المعطيات متجمّعة، فإن بوسعنا أن نقيم الربيعات وفق طريقة إقحام الوسيط فيها، إذ نجري التقطيعات الربيعية على رسم بياني للتكرارات المتجمعة . ويُحدَّد العشير أو المئين على الرسم البياني للتكرارات المتجمّعة بتنضيد عشر فئات (أو مئة) لها الأهمية الرقمية نفسها . ويمكننا استخدام الانحراف بين العشيري ع1 - ع9 (من الأول إلى قبل الأخير، وذلك أمر يستبعد أطراف السلسلة) مؤشراً على التشتت، وكذلك الانحراف بين العشيري النسبي ع1-ع9

وإذا كنا لانُعنى إلا بالمظهر الترتيبي لمتغيّر قياسي (مثال ذلك أننا لانعلّق أهمية على القيمة الداخلية لحاصل الذكاء، بل فقط على رتبة الأفراد الذين خضعوا للروائز) فإن مؤشر التشتت الذي ينبغي استخدامه هو **الانحراف المتوسط** بالنسبة للوسيط، أي متوسط الأبعاد بين قيم الملاحظة (V) ووسيطها (M)، أي :

$$eM = \frac{1}{N} \Sigma/V - M$$

إذا كانت المعطيات فردية ؛

$$eM= \Sigma fi/Vi - M$$

إذا كانت المعطيات مبوّبة .

ويستخدم بعض المؤلفين مع ذلك مؤشراً قريباً هو الانحراف المتوسط بالنسبة للوسط الحسابي، أي :

$$e_v = \frac{1}{N} \Sigma /V-\overline{\overline{V}}/$$

$$e_v = \Sigma f_i /V_i-\overline{\overline{V}}/$$

ويستخدم مؤلفون آخرون الانحراف الوسيط المسمى أيضاً الانحراف المحتمل، وهو القيمة الوسيطة لمجموعة الانحرافات.

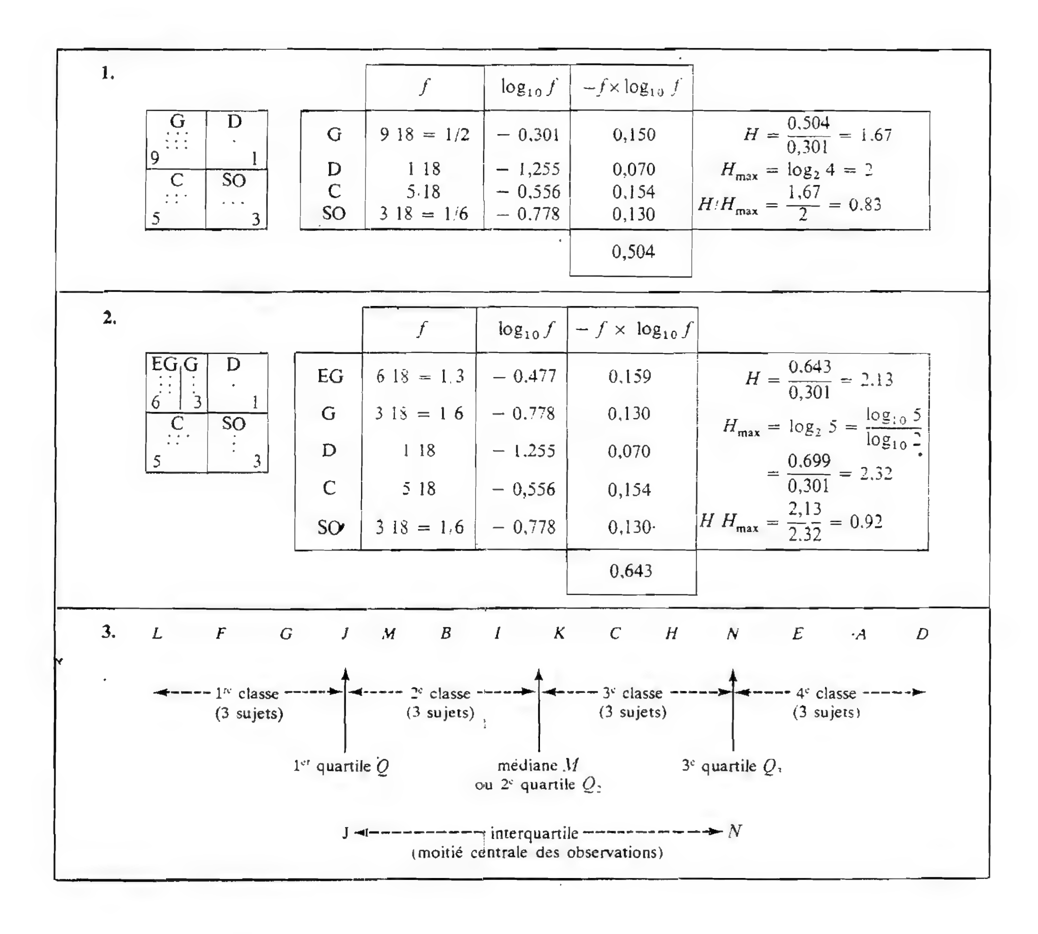
4 - إذا كان المجموع يتميّز بمتغيّر قياسي (مثال ذلك رائز من روائز القياس النفسي)، فإن مؤشر التشتت الأكثر شيوعاً في الاستخدام هو الانحراف المعياري. والواقع أن حساب الانحراف المتوسط يقوم على إهمال الإشارات الجبرية وهو إجراء غير صحيح من الناحية الجبرية. ونستخدم الانحراف المعياري لهذا السبب في قياس تشتت القيم حول الوسط الحسابي على أساس التخلّص من القيم الجبرية بطريقة رياضية سليمة وذلك بتربيع الانحرافات، فتصبح جميعها قيماً موجبة.

فالانحراف المعياري (ع) ويرمز له أحياناً بالرمز

$$Q = \frac{\sqrt{\text{مجـ}(\text{س}-\bar{\text{س}})^2}}{\text{ن}}$$

حيث سَ= الوسط الحسابي، ن= عدد القيم، س رمز يدل على المتغير موضوع التحليل الذي يتخذ عدة قيمة س1، س2، س3

الانحراف المعياري موضوع مقال خاص في هذا المعجم. (انظر في هذا المعجم: **الانحراف المعياري، التوزيع، الإعلام، النزعة المركزية، المتغيّر**).



1.

	f	$\log_{10} f$	$-f \times \log_{10} f$
G	9/18 = 1/2	− 0,301	0,150
D	1/18	− 1,255	0,070
C	5/18	− 0,556	0,154
SO	3/18 = 1/6	− 0,778	0,130
			0,504

$$H = \frac{0{,}504}{0{,}301} = 1{,}67$$

$$H_{max} = \log_2 4 = 2$$

$$H/H_{max} = \frac{1{,}67}{2} = 0{,}83$$

2.

	f	$\log_{10} f$	$-f \times \log_{10} f$
EG	6/18 = 1/3	− 0,477	0,159
G	3/18 = 1/6	− 0,778	0,130
D	1/18	− 1,255	0,070
C	5/18	− 0,556	0,154
SO	3/18 = 1/6	− 0,778	0,130
			0,643

$$H = \frac{0{,}643}{0{,}301} = 2{,}13$$

$$H_{max} = \log_2 5 = \frac{\log_{10} 5}{\log_{10} 2} = \frac{0{,}699}{0{,}301} = 2{,}32$$

$$H/H_{max} = \frac{2{,}13}{2{,}32} = 0{,}92$$

3.

J.M.M.

تشخيص رورشاخ النفسي F: Psychodiagnostic de Rorschach

En: Rooschach test

D: Rorschachtest

تقنية إسقاطية قائمة على التفسير الحرّ لأشكال طارئة.

ابتكر مؤلف هذه الطريقة من سبر الشخصية، الطبيب النفسي السويسري هرمان رورشاخ (1884 -1922)، رائز إدراك وبان له، انطلاقاً من معطيات اختبارية، أنه كان بوسعه أن يستخلص منه عناصر إعلام عن شخصية الذين ريزوا.

وتتألف مادة هذا الرائز من عشر لوحات مستطيلة بعدا كل منها 20×27 سم، تمثّل بقع حبر متناظرة مطبوعة على ورق مقوّى. خمس منها رمادية مع أنساق لونية متغيّرة، اثنتان رماديتان وحمراوان (اللوحة3,2)، واللوحات الثلاث الأخيرة متعدّدة الألوان. ويُدعى الفرد إلى أن يقول مايراه في هذه البقع. وهو غير محدود في الزمان ولا في عدد الإجابات. ثم إن هذه الإجابات يرمّزها الفاحص الذي يأخذ العنصر الذي حدّد الإجابة بالحسبان (كل البقعة أو جزءاً منها فقط)، وصفة الشكل المدرك (ش)، واللون (ل)، والحركة (ح)، والمحتوى (شكل إنساني، حيواني، نباتي، معدني. . .)، وأصالة التفسير أو ابتذاله، إلخ. مثال ذلك أن الفرد يصرّح، في اللوحة 3 أن الجزء الأحمر من البقعة يمثّل فراشة. وستوضع علامة لهذه الإجابة: ت ش + ح آ ب. وهذا يعني أن في الإجابة: تفصيل كبير (ت)، شكل

حسي (ش +)، حيواني (ح)، إجابة مبتذلة (آ ب) أي أن هذه الإجابة يقدمها فرد على الأقل من عشرة أفراد. وتُوضع هذ المؤشرات المجموعة، بعد الترميز، في علاقة بعضها مع بعض. فبعض العلاقات أساسية: «نموذج الفهم» الذي يأخذ بالحسبان التكرار الخاص بأنماط الفهم المختلفة خلال الاختبار، و«نموذج الرجع الداخلي» أو «نموذج التجربة الداخلية»، الذي يوازن بين الانفعالات (التي تعبّر عنها الاستجابة ح) والانفعالات المعبر عنها في الخارج (استجابة ل). ويخبر التفسير، الحسّاس جداً، عن خاصّية ذكاء الفرد ووجدانيته، كما يخبر عن الاضطرابات العقلية المحتملة التي يمكن أن يبديها هذا الفرد (عصاب، ذهان، مرض عقلي للدماغ). ولتشخيص رورشاخ النفسي ضرب من الصحة المؤكدة (بنجامان وإيبو، بروسل وهيتش)، ولكنه أداة وصفية يصعب استعمالها لمن لم يتلقّ التكوين الطويل والتدريب اللذين تقتضيانه. وتشخيص رورشاخ النفسي، من جهة أخرى، قليل الاتصاف بالصفة الاقتصادية، إذ أن تصحيحه يتطلّب عدة ساعات عمل. وأخيراً، يظلّ أيضاً غير كامل وتنقصه القواعد النظرية المتينة، على الرغم من التحسينات التي أسهم بها عدة باحثين كصموئيل جـ. بيك (المولود عام 1896) وزيغمونت أ. بيوتروسكي (المولود عام 1904).

ونحن سنفحص على التوالي، لنوضّح التعديلات التي أُدخلت على هذا الرائز، تعديلات المدرسة الهنغارية لفيرينيك ميري، الخاصة بوضع العلامات وتفسيره، و تعديلات منديل شاختر الخاصة بإدارته في الجماعات الصغيرة.

N.S.

يأخذ ف. ميري ومعاونوه بالحسبان، في ورقة الفرز الخاصة برائز رورشاخ، خمسة أعمدة: الأعمدة الأربعة المألوفة، الموقوفة على التعاقب لأنماط الفهم، للمحدّدات، للمحتوى و للتقييمات الخاصة (ابتذال، أصالة، تخريف مرافق. . .)، وعمود جديد مخصّص لـ «الارتكاسات النوعية». ويذكر إ والد بوم

واحداً وسبعين ارتكاساً نوعياً. ويجد الهنغاريون مئة وخمسين ارتكاساً موزعة على سبع عشرة زمرة: توقّفات، أوصاف، التعبيرات شفهياً عن المستدخَلات، خصائص طفولية، ارتكاسات مفارقة، إلخ. وهذه الارتكاسات، الملاحظة في أسلوب الإجابات والمؤشرات التضمينية للتواصل اللفظي، هي ذات قيمة كبيرة في فهم النمط الخاص بإعداد الانطباعات.

وأعدّ علماء النفس الهنغاريون، انطلاقاً من هذه المعطيات وباستخدامهم الطرائق الإحصائية الملائمة، سلالم تشخيصية مختلفة: ا) سلالم الارتكاسات الحسية- الذهانية الهذائية؛ ب) سلالم التمايز والمرض الاجتماعي والعصاب؛ جـ) الفصام مع مؤشرات إحصائية أُعدّت انطلاقاً من فئة سكانية هنغارية. ويتضمّن السلّم الأول ثلاثاً وعشرين علامة تلائم تشخيصاً للفصام، ويجمع السلم الثاني عشرين علامة غير ملائمة لمثل هذا التشخيص؛ د) سلالم الألفة مع مؤشرين: العلامات التسع التي تدخل في تركيب المؤشر الأول لوحظت في جماعات من الأفراد الذين يشغلون موقعاً جيداً في القياس الاجتماعي؛ والعلامات الست لوحظت في جماعات من الأفراد الذين يشغلون موقعاً رديئاً في القياس الاجتماعي؛ هـ) سلالم الإعداد، القائمة على الفارق بين جماعات الأفراد المبدعين، ذوي المردود العقلي المرتفع، وجماعات الأفراد الأسوياء (المستقرين) ذوي الإبداعية الضعيفة. ويتألف السلم من عشر كوكبات من الجماعات.

والإسهام الأكثر أهمية للمدرسة الهنغارية في تفسير رائز رورشاخ يكمن في إدخال فكرة السمة، سمة **التحريض للوحات** (انظر مقال م. شاختر، في إ. سترن، **الرائز في علم النفس العيادي**، باند 1. 1947). وهذه هي الدلالة الخاصة للوحات:

اللوحة **I**: التصرف في وضع جديد، المظهر، اتجاه السؤال: «من أنت»؛ التقييم الذاتي؛ عقدة الدونية.

II: تسوية النزاع بين الجسمي والانفعالي، بين الجنسية والوجدانية.

III : التماهي [التوحّد]؛ معرفة الذات؛ الألفة.

IV : اللوحة الأبوية، الاتجاه إزاء السلطة.

V : حسّ الواقع؛ الهروب من الواقع.

VI : الجنسية.

VII : لوحة الأم.

VIII : التكيّف الوجداني.

IX : الجهد الذهني؛ المردود؛ الإعداد؛ التصعيد.

X : الحيّز الاجتماعي؛ حيّز الحياة لدى الفرد.

وارتكاسات الأفراد على اللوحات تُفسَّر من وجهة نظر الصفة التحريضية التي يُعترف لها بها. ونحن نحلّل الارتكاسات من وجهة النظر هذه، مستندين إلى الفئات التالية: آ) التغيرات في إيقاع الترابطات (زمن الارتكاس، عدد الاستجابات لكل لوحة)؛ ب) التوقّفات (رفض، صدمة، اضطراب، نفي)؛ ج)التعاقب. إن عكس الترتيب هو الذي، على وجه الخصوص، يدلّ على منطقة الشخصية التي تمسّها سمة التحريض للوحة؛ د) تراكم العلامات من النسق نفسه يدل على منطقة حساسة. ومثال ذلك أن تراكم الاستجابات الواضحة – المبهمة يدل، بالنسبة للوحة **V**، على الحصر في مواجهة الواقع؛ ويدل، بالنسبة للوحة **VI**، على الحصر إزاء الجنسية؛ ويدل على الخوف، بالنسبة للوحة **I**. ويدلّ تراكم الابتذالات على التكيف القسري في الوضع الذي تميّزه اللوحة. والتفسير القائم على سمة التحريض للوحات يقدّم، في التشخيص العيادي، نقاط صوى ذات أهمية. مثال ذلك أن اللوحة **IX** حساسة بالنسبة لأعراض الإرهاق العصبي النفسي، ولأعراض الاكتئاب بالنسبة للوحتين **X,IX**، ولأعراض العصاب بالنسبة للوحات **VIII,VI,IV**، ولأعراض الذهان بالنسبة للوحات **X,V,III**.

F.M.

يكمن رائز **رورشاخ الجماعي** أو **العلاقة** -رورشاخ، في رأي لوفولاند (1963)، في إدارة الرائز لشخصين أو عدة أشخاص (أربعة إلى ستة في الحد الأقصى) **معاً** يجتمعون حول اللوحة نفسها. ويفحص الأشخاص معاً رسم اللوحة، ويعلنون مايرونه فيها ويبذلون جهدهم في الوصول إلى إجماع ليقدموا **إجابة واحدة** للوحة. ويدوّن الفاحص بأمانة تصرفات كل شخص، أفكاره، وطريقة تعامله مع اللوحات، إلخ. وبوسعه أن يضع، بفضل هذه الملاحظات، تحليلاً لسلوكات و«معيش» عضوي الثنائي أو الجماعة التي ريزت.

وهذه التقنية يمكنها أن تؤلف مدخلاً لعلاج الجماعة النفسي. وهي مفيدة في دراسة النزاعات بين الزوجين والتوترات في كنف الخلايا الجماعية الصغيرة، الأسرية أو المهنية على سبيل المثال.

M.Sc.

تشكّل البدين

F: Pycnomorphie

En: Pyknomorphy

D: Pyknomorphie

مجموعة من خصائص البدين المورفولوجية في نمذجة إ. كريتشمر.

يبدو البدين فرداً ضخماً، ذا قامة متوسطة، مستديراً كل الاستدارة، أطرافه قصيرة، وجهه عريض ومستدير، عنقه سمين، وصدره منتفخ. ويقابل هذا النموذج المورفولوجي عادة مزاجاً دورياً (يُظهر ميلاً إلى التغيرات الدورية في المزاج). ويُظهر البدين، على المستوى النفسي المرضي، استعداداً مسبقاً للذهان الهوسي الاكتئابي. (انظر في هذا المعجم: **النمذجة الحيوية**، **الذهان الهوسي الاكتئابي**).

N.S.

التشكّل الخارجي F: Ectomorphie ou Ectomorphisme

En: Ectomorphy

D: Ektomorphie

الاشتقاق: من اليوناني ektos، أي «خارجي» وmorphê، أي «شكل».
مجموعة من الخصائص التشكّلية لنموذج المتشكّل خارجياً في نمذجة و. هـ. شيلدون.

يبدو المتشكل خارجياً فرداً كبيراً، دقيقاً، رهيفاً، سريع العطب، ذا عضلات ضئيلة وأطراف طويلة بكفاية نسبياً، دماغه وجملته العصبية المركزية هما، بالنسبة لكتلة الجسم الكلية، كبيران ويميلان، مع الجلد، إلى السيادة على اقتصاد الجسم. وهذا الجسم، الذي يبدو ذا سطح أكثر مما هو ذو حجم يجد نفسه أكثر عرضة لمنبهات الوسط. وكان مصطلح «المتشكل خارجياً» قد اختير بالإحالة إلى الوريقة الخارجية للجنين، التي تُشتقّ منها الجملة العصبية وأعضاء الحواس والجلد. ويقابل هذا النموذج التشكّلي عادة مزاج النموذج المخّي. والمتشكّل خارجياً نظير نموذجي **الدماغي** لدى كلود سيغو **والناحل** لدى إ. كريتشمر. (انظر في هذا المعجم: **النمذجة الحيوية، النحول**).

N.S.

F: Endomorphie, Endomorphisme **التشكّل الداخلي**

En: Endormophy

D: Endormophie

مجموعة من خصائص النموذج الحشوي الجسمية في نمذجة و. هـ. شيلدون.

يبدو النموذج الحشوي فرداً ذا جذع نام على وجه الخصوص (صدر مدوّر وبطن ضخم) وجسم سمين، رخو، دون بروز عضلي، وتشغل الأحشاء لديه وجهاز الهضم مكاناً كبيراً. وكان مصطلح التشكل الداخلي قد اختير بالإحالة إلى الوريقة الداخلية للجنين، التي تشتقّ منها العناصر الوظائفية للجملة الهضمية، كلها على وجه التقريب. ويقابل هذا النموذج المورفولوجي عادة مزاجاً **حشوياً**. والنموذج الحشوي هو نظير **النموذج الهضمي** لدى كلود سيغو و**النموذج البدين** لـ إ. كريتشمر. (انظر في هذا المعجم: **النمذجة الحيوية**).

N.S.

F: Mésomorphie ou Mésomorphisme **التشكّل المتوسط**

En: Mesomorphy

D: Mesomorphie

مجموعة من الخصائص المورفولوجية للنموذج المتشكل من الأديم المتوسط في نمذجة و. هـ. شيلدون.

هذا النموذج يبدو فرداً رياضياً، ذا تكوين جسمي متين، وعضلات قوية، يعبّر مظهره الجسمي عن الصلابة والبأس. وكان مصطلح «المتشكل من الأديم المتوسط» قد ابتُكر بالرجوع إلى **الأديم المتوسط**، أو وريقة الجنين المتوسطة، نشأ منه الهيكل العظمي وجهاز العضلات. ويقابل هذا النموذج المورفولوجي على وجه العموم مزاجاً **جسمياً**. والمتشكل من الأديم المتوسط نظير نموذجي **الرياضي** لدى إ. كريتشمر و**العضلي** لدى كلود سيغو. (انظر في هذا المعجم: **النمذجة الحيوية**، **المزاج الجسمي**).

N.S.

تشنّج المهبل

F: Vaginisme

En: Vaginism

D: Vaginismus

تقلّص لا إرادي، تشنجي ومؤلم للمهبل، يحول دون أي ولوج.

هذا المرض ذو علاقة، دائماً على وجه التقريب، برفض لاشعوري للجماع، إما بفعل الخشية من الفعل الجنسي ذاته، أو من حمل محتمل، وإما بفعل رفض الشريك. والرجل مسؤول، في حالات كثيرة، عن سلوك رفيقته: عندما لايتقن، بسبب الخَرَق أو العجز، أن يشاركها لذته، أو إذا علمت أيضاً أنه لم يكن وفياً... ولكن قد يحدث أيضاً أن يكون تشنج المهبل ذا علاقة بجنسية مثلية كامنة لدى المرأة. وثمة، في التشنج الحقيقي، تشنج المهبل، حساسية فرجية قصوى تظهر بتقلّص مؤلم، دائم، للصارّة الفرجية المهبلية، حساسية تتهيّج بفعل أوهى اتصال أو أوهى فكرة جنسية. وتشنج المهبل الأولي، الذي يظهر منذ العلاقة الجنسية الأولى، ذو منشأ نفسي، والتشنج المهبلي الثانوي، الذي يبدو بعد فترة زمنية طويلة على وجه التقريب من الحياة الجنسية السوية، قد يكون ناجماً عن عوامل عضوية (تمزّقات في العجان لم تندمل جيداً، التهاب المهبل الفطري أو الناجم عن الطفيليات. إلخ) أو عن نزاع وجداني. ويمكننا أن نجد بين أسباب تشنج المهبل السيكولوجية الأكثر تواتراً، تربية مغالية في الصرامة (كان الفعل الجنسي معروضاً أنه غير طاهر وغير أخلاقي، محفوف بالخطر)، أو عدواناً جنسياً (هتك الحرمة،

الحرمة، محاولة اغتصاب)، أو نجد أيضاً ذكرى بعيدة، ولكنها مؤلمة دائماً، للخلاف بين الأبوين. ويكفي مجرد الإيحاء، على وجه العموم، للتغلّب على المحرمات الأسرية والتربوية، ولكن علينا، عندما يكون النزاع أكثر عمقاً، أن نلجأ إلى علاج نفسي مستوحى من التحليل النفسي. والثنائي هو الذي ينبغي معالجته عندما يكون تشنج المهبل ناجماً عن الزوج (انظر في هذا المعجم: **ماسترز [وليم]**).

M.S.

تشولاكوف (كيريل) Tscholakov (Kiril)

طبيب نفسي بلغاري (غاغاليا، مقاطعة روسّه، بلغارية، 1897 - صوفية، 1963).

دُعي تشولاكوف، إذ استمر طبيباً نفسياً، إلى التعليم في بلوفديف (بلغارية) حيث احتّل كرسي علم الأعصاب والطب النفسي من عام 1953 حتى موته. ونشر أكثر من مئتي عمل علمي (منها 12 دراسة أحادية) في مشكلات علم النفس المرضي، والفصام، والأعصبة، وابتكر طريقة علاج نفسي سمّاها «نزع الانسداد السيكولوجي الفيزيولوجي». وفي رأي هذا المؤلف أن كل صدمة نفسية تسبّب تضيّقاً في حقل الشعور لدى الشخص المعنيّ، ويليه انفصال عن الذكريات التي أحدثت صدمة في السيرورات العصبية الدينامية الأخرى. ويسمى الانفصال «انسداد التجربة النفسية الصدمية». وطريقته العلاجية تكمن في إعادة إنتاج هذه التجربة المذكورة، تحت التنويم المغناطيسي، التي يطلقها المعالج النفسي إطلاقاً فاعلاً. ويُطلب إلى المريض، لبلوغ مايسميه تشولاكوف «نزع الانسداد السيكولوجي الفيزيولوجي»، أن يتمدّد على ديوان، في غرفة غارقة في النور الخفيف، ويدعوه المعالج، بعد أن يثير لديه بالكلام نوماً مغناطيسياً خفيفاً، أن يتذكّر الحادثة التي انفعل بها انفعالاً قوياً. ويتوصّل المريض تدريجياً (في بعض الجلسات أحياناً) إلى أن يكرر الحادثة، مع كل مكوّناتها الانفعالية والحركية، وتمّحي حالة النوم المغناطيسي، في نهاية الجلسة، بالكلام. وتندمج التجارب «المغلّفة» بهذا الأسلوب في تيار الحياة النفسية وتكفّ عن أن تكون مصدر اضطرابات عصابية. وما يميز هذه الطريقة من التقنية التي ابتكرها جوزيف بروير (1842-1925) هو أنها لاتتطلّب حالة عميقة من النوم المغناطيسي، بل تتطلب بالحري حالة من النعاس، وسطيّ بين اليقظة والنوم المغناطيسي.

C.C.

التصرف، المسلك

F: Conduite

En: Conduct

D: Benehmen

مجموعة من الأعمال تبحث بها عضوية عن أن تتكيّف مع وضع معيّن.

الحوادث النفسية كلها، في سيكولوجيا بيير جانه (859-1947) ، أعمال، كل عمل تصرف كامل له موضوع وهدف، وغائية. ولا يُفهم تصرف من التصرفات، حتى الأبسط منها، فهماً حقيقياً إلا إذا نُظر إليه في نشوئه وسياقه، أي بالنسبة لكل مايمكنه أن يحدّده ويكون في تفاعل معه. فالعمل والتواصل، وحتى الفكرة، تصرفات. ويرى المرء أن هذا المصطلح لايرتدّ إلى معطيات مادية، موضوعية، وإلى ارتكاسات العضوية على منبهات، كما كان يفهمها السلوكيون، ولكنه يشمل الأسلوب الذي به تبرز الشخصية في وضع معيّن. وفي رأي دانيل لاغاش (1903-1972) أن كل «تصرف قول» له دلالة وظيفية متكوّنة بوصفها جواباً عن دافعية. إنه، يقول، «مجموعة من الأعمال المادية أو الرمزية، ذاتية المنشأ أو غيرية المنشأ، تنزع بواسطتها عضوية في وضع من الأوضاع إلى أن تقلّص التوتّرات والحاجات التي تهدّد وحدتها وتحرّكها، وإلى أن تحقق إمكاناتها أيضاً» (1960، ص276). ويدمج مفهوم التصرف مكوّنات حركية عديدة، فيزيولوجية، وسيكولوجية ويعبّر عن التفاعل الدائم، تفاعل الفرد ووسطه. (انظر في هذا المعجم: السلوك، [بيير] **جانه**).

N.S.

التصعيد

F: Sublimation

En: Sublimation

D: Sublimation, Sublimierung

سيرورة سيكولوجية لاشعورية تنزاح بواسطتها بعض الدوافع الجنسية، التي تنفصل عن «موضوعاتها» الأولية، نحو «موضوعات» غير جنسية ذات قيمة اجتماعية إيجابية (فاعلية فنية، بحث عقلي...).

كان س. فرويد (1856 -1939) قد أدخل في علم النفس مصطلح التصعيد الذي يدلّ على آلية دفاع من آليات الأنا. ولم يكن ينطبق في الأصل إلا على الدوافع الجنسية، ثم امتدّ ليشمل الدوافع العدوانية. كتب س. فرويد يقول «إننا نعلم أن بعض الغرائز، التي تعوقها الموانع، لاتفلح في بلوغ هدفها؛ والمقصود بها هذه الدوافع الغريزية ذات الأصل المعروف، التي تنزع إلى هدف محدّد، ولكنها لايمكنها أن تتوصّل إلى الإشباع، ومن هنا منشأ تأسيس توظيف، دائم وذي ميل دائم، في موضوعات. ففي هذه الفئة إنما ينبغي لنا أن نصنّف، على سبيل المثال، هذه العواطف، عواطف الحنان، التي لاتفضي أبداً إلى إشباع الرغبة الجنسية التي تنجم عنها هذه العواطف عينها» (1932، ص. 133 من الترجمة الفرنسية). واستخدام الطاقة الليبيدية هذا يُعتبر ضرباً من النجاح، **ذلك** أنه يتيح تفريغاً للتوتر يتلاءم مع القوانين الأخلاقية والاجتماعية. ويكون التصعيد ضرباً خاصاً من **الإنزياح**، يتيح لأشكال دافعية أولية أن تندمج في **الأنا**، ويرضي في الوقت نفسه

مقتضيات **الأنا العليا** والمحيط، ويحافظ على جزء كبير من الطاقة الليبيدية.
والتصعيد شبيه بعمل الإنسان الذي يقنّي سيلاً ليجعل منه طريق مواصلات نهرية وإنتاج طاقة كهربائية. إنه يؤدّي دوراً ذا أهمية في تكييف الفرد مع وسطه، ذلك أنه يتيح توافقه الاجتماعي دون أن يؤذي نموّه الشخصي. وهكذا يمكن أن تشرح العدوانية المصعّدة بعض مهن الجراحين والعسكريين أو الرياضيين. (انظر في هذا المعجم: **الإبداعية الفنية، آلية الدفاع**).

M.S.

التصنيف

F: Classification
En: Classification
D: Klassifizierung, Klassifikation

عملية منهجية قوامها أن يجمع الفرد ذهنياً في عدد معيّن من المجموعات، التي تسمّى «أصنافاً»، معطيات (حوادث، أشياء، موجودات) تنطوي على سمة أو عدة سمات مشتركة.

التصنيف سيرورة أساسية من سيرورات الفكر هدفها أن تجد بسرعة شيئاً بواسطة المكان الذي يشغله (تصنيف مصطنع) أو أن تهيّء اكتشاف القوانين بتقريب أشياء تشترك اشتراكاً كبيراً بتشابهات طبيعية (تصنيف طبيعي). وهذه العملية، التي وضّحتها من قبل العصور الإغريقية القديمة باسم «تكوين المقولات»، كانت الفلسفة خلال العصور الوسطى قد عمّقتها في المناظرات الشهيرة الخاصة بـ «تكوين المفاهيم» (خصام الكليات) وكان علماء النفس المعاصرون (ماكس ويرذايمر وجون بياجه (و) جـ. س. برونر، على وجه الخصوص) قد حلّلوها في مجال «تكوين المفاهيم» والإبداعية. وتتّخذ الفاعلية التصنيفية، المبسوطة في جوانبها المنطقية، أهمية خاصة وتسمى على الغالب باسم **النمذجة** في علوم الإنسان أو **قوانين التصنيف** في علوم الطبيعة. فكل تصنيف يفترض ثلاثة نهوج: التحليل، المقارنة، تجريد الفروق الفردية. إنه ينطوي، أقلّه، على فرض، إن لم يكن على نظرية، يتناول السمات الأساسية للظاهرات أو الأشياء المأخوذة بالحسبان.

والتصنيف، من وجهة نظر التحليل السيكولوجي، ذو علاقة بالضرورة الماثلة، بالنسبة للموجود الإنساني (وللحيوان أيضاً)، في أن يقلّص تعقّد بيئته،

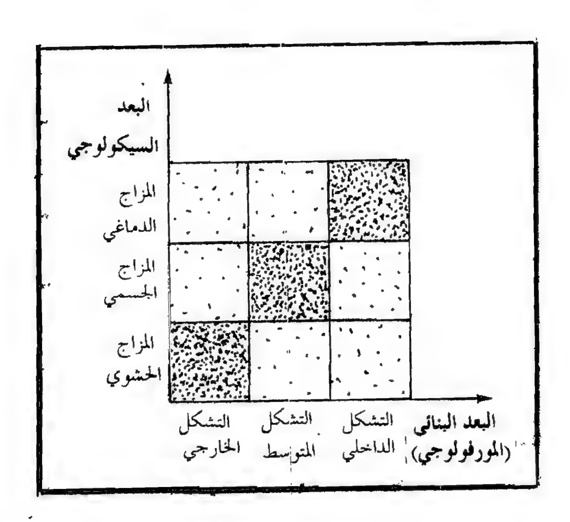
ويعدّ استجابة مناسبة لمنبهات متماثلة. إن الموجود الإنساني إنما يتعلّم أن يستجيب على نحو منتظم وملائم حين يجمع، بالتماثل، أشياء وأوضاعاً وأحداثاً. فالتصنيف يبدو إذن أنه آلية من آليات تكييف السلوك: يظهر الطفل الصغير خشيته أمام الأشخاص أو الحيوانات الذين لايمكنه أن «يصنفهم» بين من يألفهم، ويتقن الطفل ذو السنتين من العمر، في هذه المرحلة، أن يفصل مكعباته وكراته إلى صنفين من الألعاب التي تُستخدم للبناء أو للدحرجة. وبسط بياجه نظرية، قائمة على ملاحظات عديدة، يتطور فكر الطفل بحسبها تطوراً يتبع أطواراً معينة (الحسي -الحركي، قبل الإجرائي، والحدسي)، قبل أن يتوصل، بين السابعة والثانية عشرة، إلى مرحلة **العمليات المشخّصة**، التي تنطوي على مهارة وضع الموجودات في أصناف (وكذلك «الترتيب»)، ثم إلى مرحلة **العمليات الصورية** نحو الثانية عشرة أو الرابعة عشرة من عمره. ويبني الطفل والراشد أيضاً فاعليتهما الفكرية وسلوكهما على التصنيف، ذلك أننا لاندرك العالم إلا من خلال الأشكال، أو **الغشطالتات**، وهي أنماط الموجودات التي نضعها ذهنياً في أصناف مناسبة. واللغة هي، من جهة أخرى، المظهر الاجتماعي لهذه الآلية السيكولوجية، آلية تكوين المقولات، بالنظر إلى أن المفاهيم هي، على نحو من الأنحاء، بطاقات نلصقها على الموجودات المتجمّعة في أصناف.

ويكوّن التصنيف، من وجهة النظر العلمية، نقطة انطلاق إلزامية لمن يلاحظ الظاهرات ويجمعها وفق وجهة النظر التي يعتبرها متكيّفة مع بحثه. ، فعلوم الإنسان لايمكنها، في مجالات عديدة، أن تتجاوز التصنيف. ومثال ذلك أن نموذجاً سيكولوجياً (المنطوي، المنبسط، إلخ) يتحدّد بوصفه مجموعاً من السمات المميّزة، إذ أن الأفراد الذين يتصفون بهذه السمات يكوّنون صنفاً من الأفراد جيد «النمذجة». وإذا كان بوسعنا أن نوزّع مجموعاً من الملاحظات وفق معايير متجانسة نسبياً، إذ نعلّقها بنماذج مختلفة - أنماط من كل صنف -، فإننا نكوّن تصنيفاً نسميه على الغالب «نمذجة». ومثال ذلك أن نمذجة القياس الحيوي لوليم هربرت شيلدو (1899 -1977)، القائمة على معايير بنائية (مورفولوجية)، تصنّف الأفراد إلى

«متشكّل من الأديم الباطن»، «متشكل من الأديم المتوسط»، أو «متشكّل من الأديم الظاهر» (انظر الشكل في نهاية المقال).

والتصنيف يمكنه أن يكون بسيطاً أو وحيد البعد كالتصنيف الذي ذكرناه آنفاً. وعندما يكون ممكناً أن تُصنّف الوحدات نفسها، وحدات الملاحظة، وفق معايير أخرى، فإننا نغني التصنيف الذي يصبح على هذا النحو «ثنائي البعد»، «ثلاثي البعد» أو «متعدّد الأبعاد» أيضاً. ويصنف و. هـ شيلدون الأفراد أيضاً وفق معايير سيكولوجية إلى «النموذج الحشوي»، «النموذج الجسمي» «النموذج الدماغي»؛ وإذ تتنضّد هذه النمذجة على النمذجة السابقة، فإنها تقدّم تصنيفاً ثنائي البعد كما يبيّن الرسم البياني أدناه الذي يُظهر، فضلاً عن ذلك، رابطة إحصائية بين السمات البنائية والسمات السيكولوجية.

وخلاصة القول، لايبدو التصنيف أنه نهج أولي للفكر فحسب، ولكنه يبدو أيضاً أنه التقنيةالأساسية لتنظيم معطيات الملاحظة في كل عمل علمي. (انظر في هذا المعجم: **التعبير بالأبعاد، بياجه، شيلدون**).



J.M.M.

تصنيف الصبغيّات

F: Caryotype ou Karyotype
En: Karyotyp
D: Karyotyp

تصنيف صبغيات خلية من الخلايا.

نحصل على تصنيف الصبغيات من زراعة أجزاء من نسيج (نخاع عظمي أو دم على سبيل المثال) يُوضع في وسط غذائي ويظلّ في درجة حرارة 37 مئوية. ويحصل توزّع الصبغيات بمعالجة تنقص التوتر، تُثبَّت وتُكوّن بهدف فحصها بالمجهر وتصويرها. فلكل خلايا موجود حي تصنيف طبيعي واحد، ولكل نوع اصطفاف صبغي معيّن. وكانت اتفاقيات دنفر (1960)، ولندن (1963)، وشيكاغو (1966)، وباريس (1971)، قد حدّدت تصنيف الصبغيات لدى الإنسان الطبيعي، وصنّفت الصبغيات الجسمية، التي يبلغ عددها أربعاًوأربعين صبغية تقترن كل اثنتين منها معاً، منذ مؤتمر دنفر، بترتيب متناقص الحجم وتبعاً لموقع القسيمة المركزية؛ أكبرها يحمل الرقم 1، وأصغرها الرقم 22. ونميّز فيها سبع زمر تبدأ بالحرف الأجنبي A وتنتهي بالحرف G (الصبغيات 21، 22، ذات الحجم الصغير جداً) (انظر الشكل). وتحتفظ الصبغيتان الجنسيتان، المصنفتان على حدة، بتسميتيهما الكلاسيكية: XX لدى المرأة، yx لدى الرجل. وندلّ على التصنيف الصبغي الطبيعي لدى الرجل بالصيغة 46 ,yx، وبالصيغة 46 ,xx لدى المرأة، بحسب مدوّنة المصطلحات لشيكاغو. أما الزيغان الصبغي، فإننا ندل عليها بصيغ أخرى، 21+yx,47، بالنسبة لتصنيف الصبغيات المنغولي، أو yxx,47، بالنسبة لتناذر كلينيفلتر. والمولود الأخير من مدونات المصطلحات، المتبنّى خلال مؤتمر باريس (1971)، ناجم عن استخدام طرائق جديدة في تلوين الصبغيات: طريقة دوتريّو ولوجون، الطرائق التي تستخدم محلول جيمسا والمجهر العادي، أو التي

تستخدم أيضاً الكيناكرين، منتجاً ومضانياً، والمجهر ذا الأشعة فوق البنفسجية، إلخ. وأتاحت هذه الطرائق الجديدة أن توضّح وجود حزم عرضانية (ذات عرض وتوزع يتغيران تبعاً للصبغيات، ولكن ترتيبها ثابت بالنسبة لكل زوج من الصبغيات) وأن تستدرك بعض الأخطاء. (انظر في هذا المعجم: **الزيفان الصبغي**).

التصنيف الصبغي في كل خلية

تصنيف صبغي لرجل طبيعي نشره مخبر علم الخلية وعلم الوراثة للأستاذ أ. ستاهل، المركز الاستشفائي والجامعي في مرسيلية.

M.S.

التصويت (الفونيم)

F: Phonème

En: Phoneme

D: Phonem

عنصر مجهور من اللغة له قيمة مميّزة، مستخلصة بالتقابل مع أصوات أخرى من لسان معيّن.

كان مفهوم التصويت (الفونيم)، وحدة وظيفيةمن النطق الثاني، قد تحدّد للمرة الأولى خلال المؤتمر العالمي الأول لعلماء اللغة، الذي انعقد في لاهاي (البلدان المنخفضة) عام 1928. ولكل تصويت سمات مميزة تفرّقه عن التصويتات الأخرى من اللسان المنظور فيه. وهكذا فإن /P/ و/b/، في الفرنسية، تصويتان، ذلك أن الفارق بينهما وحده يتيح تمييز وحدات ذات دلالة (أو **مونيم**) مثل Pain و bain أو ample وamble. ولايعني التصويت شيئاً في ذاته، ووظيفته تكمن في أن يتيح التمييز بين الدلالات. والوجه الدّال للمونيم يتكوّن على هذا النحو من تصويتات (فونيمات)مختلفة.

ومثال ذلك أن دالّ المونيم /mal/، في الفرنسية، يتألف من ثلاثة تصويتات /l/am/. ونرى أيضاً أن ترتيب التصويتات ملائم، لأن المونيم /lame/ يتميّز عن المونيم السابق فقط بالترتيب العكسي لتصويتاته /lam/. ويُقال في بعض الأحيان إن التصويت وحدة قائمة بذاتها، أعني أن قيمته بحضوره أو غيابه، وليست بالتغيرات الطارئة زيادة أو نقصاً على صفة واحدة. فثمة التباس إذا تجاوزنا عتبة معينة؛ وهكذا ففي القولين «je prends un pain» و «je Prends un bain» لايحدث تواصل لأن

السامع يسمع التصويت /p/ إذا أخفت السامع التصويت /b/. ذلك أن هذين التصويتين لايتيمزان في الفرنسية إلا بعدم الاهتزاز في الحبال الصوتية في التصويت المهموس /p/ ، بالتقابل مع اهتزازات الحبال الصوتية في التصويت المجهور /b/. فسمتا «المهموس» و«المجهور» لـ /p/ و/b/ هما **سمتان ملائمتان**. وحدّد التصويت بعضُ المؤلفين، ومنهم رومان جاكوبسون (1896-1982)، أنه حزمة من السمات الملائمة. ومثال ذلك أن للتصويت (الفونيم) /p/، في الفرنسية، السمّات الملائمة التالية: **مهموس** (مقابل /b/، **مجهور**)، **شفتاني** (مقابل/f/، **شفوي سنّي**)، **فمّي** (مقابل /m/، **أنفي**). وسمة الانفجاري للتصويت /p/، غير ملائمة، على العكس، لأنها لاتقابل أي سمة منقبضة).

وهذا التصوّر، تصور التصويت، منظور إليه أنه حزمة من السمات الملائمة المتزامنة، هو تصور خلفاء نيكولاس سيرغيفيتش توربتزكوي (موسكو 1980- فيينة، 1938)، وهو على وجه العموم، على الرغم من بعض الفروق، تصور علماء اللغة الأوروبيين. والتشديد في أوروبة ينصبّ على الفارق والتقابل اللذين يؤسّسان الملاءمة. وفي الولايات المتحدة، ينظر ليونار بلومفليد إلى التصويت أنه أسرة من الأصوات تشترك في خصائص صوتية هي وحدها التي تملكها. ولكل لسان عدد معيّن من التصويتات، وهذه التصويتات يمكنها أن تمضي من عدد يقارب الخمسة عشر (الألسنة البولينيزية) إلى عدد يتجاوز الثمانين، وتلك هي الحالة في بعض لغات القوقاز. (انظر في هذا المُعجم: **النطق**، **الصامت المنقبض**، **المونيم**، **الصامت الانفجاري**).

N.M.

التطلّع

F:Aspiration

En: Aspiration

D: Anspruch, Aspiration

رغبة حادّة تدفع الإنسان نحو هدف، نحو مثال.

لدى كل شخص صورة لذاته تشرط سلوكه والأغراض التي يعيّنها لنفسه. وينشد الأفراد الأفضل تكيفاً أهدافاً واقعية، ذات علاقة بقدراتهم ولا يرتابون في قدراتهم على بلوغها. وثمة آخرون، متأثرون بالشروط الاجتماعية (لأن آباءهم أو الأساتذة يطلبون ذلك، على سبيل المثال) يحدّدون لأنفسهم أهدافاً مغالية في مستوى ارتفاعها ويتعرضون على هذا النحو إلى خيبات الأمل، وذلك أمر يمكن أن يقودهم إلى عدم التكيّف. وآخرون، على العكس، يقترحون على أنفسهم أغراضاً أدنى من الأغراض التي يمكنهم تحقيقها. أما مستوى التطلع، فقد شكّل موضوع بحوث عديدة جداً، ولكن البحث القاعدة هو بحث ف. هوب (1930)، الذي باشره بإشراف كورت لوفن (1890-1947). وهناك نتيجة وحيدةمن الآن فصاعداً مفادها أن النجاح أو الإخفاق لايمكننا تحديدهما بعبارات موضوعية وأن النتيجة نفسها يمكنها أن تُعتبر نجاحاً بالنسبة لأحدهم وإخفاقاً بالنسبة للآخر. ومثال ذلك أن قفز طفل ستين سنتيمتراً سيكون ضرباً من النجاح. وإذا لم يفلح رياضي في أن يقفز الحاجر ذا المترين ونصف من الارتفاع، فإن ذلك لن يكون إخفاقاً، لأن الإنجاز أمر متعذّر عليه، ولكنه إذا وضع الحاجز على ارتفاع 1.80م، فإن بوسعه أن ينجح تارة وأن يخفق تارة أخرى. فالنجاح والإخفاق يتناسبان مع الأهداف التي

يعتبر المرء أنه قادر على بلوغها (**مستوى التوقع**)، آخذاً بالحسبان إمكاناته. فقد لاحظ ف. روبه (1957) أن الأطفال الذين يبالغ أهلهم في حمايتهم ذوو مستوى من التطلع معتدل ومستوى من التوقّع منخفض؛ ولأولئك الذين كانت تربيتهم تربية قاسية مستويان من التطلع والتوقع مرتفعان؛ وللأطفال الذين عانوا إحباطات مبكرة مستوى من التطلع مرتفع (مع أهداف يتعذر تحقيقها على الأغلب) ومستوى من التوقع منخفض. وأخيراً، لأولئك الذين كانوا محبوبين دون إفراط، ورباهم آباؤهم على نحو متسامح، مستوى من التطلع معتدل ومستوى من التوقع مرتفع. ولاحظ هـ. جـ. إيسنك و هـ. ت. هيـــملويت (1946, 1947) أن الهستيريين يحدّدون لأنفسهم أغراضاً أدنى من قدراتهم، في حين أن للمصابين بالنوراستينيا (النهك العصبي) أهدافاً أكثر ارتفاعاً من الأشخاص المتوازنين جيداً. وثمة روائز لمستوى التطلع تخبرنا عن شخصية الأفراد المفحوصين وتتيح وضع تنبؤات لسلوكهم في الحياة اليومية. (انظر في هذا المعجم: **الهدف**).

N.S.

تعاقب الأفكار السريع

F: Mentisme

En: Mentism

D: Psychischer film

ظاهرة نفسية تتميّز بتعاقب سريع للأفكار.

المؤلف الأول الذي وصف تعاقب الأفكار السريع كان دومون دومونتو. إنه حرّر عام 1867، بوصفه طبيب سجن مون سان ميشيل، سيرته الذاتية. وكان تعاقب الأفكار السريع، في رأيه، غليان فكري غير مراقب، يفرض نفسه على فكره خلال فترات النعاس والاستيقاظ (ذكر ذلك غ. هوير و أ. لاماش). ووصف ف. شاسلان، في كتابه **عناصر من علم العلامات**، تعاقب الأفكار السريع أنه «عرض من الأفكار ليس بوسع المريض أن يوقفه. . . » وألحّ عدة عياديين على القرابة بين تعاقب الأفكار السريع والحالة المعذّبة. ورأى بيير جانه، في كتابه **الوساوس والإرهاق العصبي** (1903)، في تعاقب الأفكار السريع، ضرباً من «الاجترار الذهني وأحلام اليقظة القسرية». وثمة تناذرات أخرى نفسية مرضية شتى تتضمن تعاقب الأفكار السريع أو حالات نفسية مشابهة جداً: الفكرة- الألم للسوداوي، إحادية الفكرة بعد الانفعالية، المواظبة الذهنية على فرط التوتر داخل الدماغ، الأورام الدماغية و التشبّعات السّمية، إلخ. وتعاقب الأفكار السريع يمكنه أيضاً أن يطرأ خلال أطوار العلاج: في الاسترخاء، تحت النوم المغناطيسي، خلال تحليل بالتخدير، وفي مراحل شتى من علاج بالنوم، إلخ.

وتعاقب الأفكار السريع، لدى الفرد السوي، متواتر نسبياً. إنه مرتبط، كصور النعاس، بشروط من الظهور الانتقائي: خدر ذهني ناجم عن تحريضات رتيبة: قطار، سيارة، على سبيل المثال، تعب جسمي، إفراط في العمل الفكري، صعوبة نزاعية تؤدّي إلى القلق، إلخ.

ولتعاقب الأفكار السريع تلك الخصائص السيميولوجية والبنيوية التالية:

أ) **تكرار الموضوع وتحديده**. فتكرار كلمة واحدة أو جملة واحدة، تعود باستمرار على نحو معذب، يلاحق الفرد. ويمتدّ الموضوع في بعض الأحيان على تشكيلة من الذكريات، وذلك إنما هو شريط من الذكريات يمرّ في الفكر ويمر مجدداً دون تغيير (تعاقب الأفكار السريع من فرط التذكّر، ينبغي تمييزه من الخطور الحلمي لشرائح من الماضي تبدو منسيّة، خطور يتضمن إسقاطات تمثّلها الصور). ولا يُلاحظ على وجه العموم أية دينامية خيالية، وأي إبداع لتعاقبات من الأفكار الأصلية. وهذا المعيار، معيار «الفقر» لم تثبت صحته مع ذلك، وقد يحدث أن يكون بوسع تعاقب الأفكار السريع أن يساعد على الإبداع الأدبي أو البحث الجمالي؛ ب) **الآلية**. إن الفرد لايمكنه أن يسيطر على فكره مهما كانت الجهود التي يبذلها. فإذا وجّه انتباهاً إلى الظاهرة، فإنها تمحي وتزول، لتعود على وجه السرعة، دون أن يكون بمقدوره أن يعارض هذا البدء الجديد؛ جـ) **القلق**. لاحظت غالبية المؤلفين أن تعاقب الأفكار السريع ترافقه حالة وجدانية يمكنها أن تصبح شاقة. و«هذا التكرار الآلي، الذي يعجز الفرد عن أن يتخلّص منه، يحدد ضرباً من الانزعاج وثورة الأعصاب، وانشغال بال حقيقي؛ وعندما يستطيل تعاقب الأفكار السريع ليشمل جزءاً من الليل، يحدث قلق شديد على وجه التقريب (. . .) ويصيب النفس ضربٌ من الحصر يتناسب مع درجة السلبية التي تعانيها هذه النفس. . .» (دومون دو مونتو)؛ د) **رجحان الأفكار**، ولكن ثمة مع ذلك أيضاً تعاقباً سريعاً ذا سمة سمعية (نغمة موسيقية، جملة من أغنية معروفة. . .) وذا سمة بصرية (قريباً جداً، عندئذ، من سجّل التخيّلات النعاسية).

ولم يكن مشكل الدلالة، دلالة تعاقب الأفكار السريع، قد دُرس دراسة كافية. فعندما تكون المسألة مسألة ذكريات واضحة ودقيقة، أُضفيت عليها صفة الموضوع وذات مظهر غير نزاعي، يبدو أن المحتوى الواقعي يمكنه أن يكون كافياً بذاته، دون أن يكون البحث عن دلالات عميقة أمراً ضرورياً. وعندما، على العكس، تتخذ أفعال أو ذكريات غير خطيرة في الظاهر أهمية مغالية، يمكننا أن نسلم أن الأمر أمر تضخيم رمزي ونبحث عن محتوى كامن لتعاقب الأفكار السريع كما لو أن الأمر أمر تعبيرات حلمية. فالاهتمامات المادية، والأسرية، والاجتماعية، والأخلاقية، إلخ، تقود بالحري، عندما يواجهها المرء في سياقات عصابية أو ذهانية إلى درجة كبيرة، إلى تفسير تعاقب الأفكار السريع على منوال معيش نفسي مرضي بصراحة. ولنشر أخيراً إلى أن «التكثيف» و«الانزياح» موجودان على الغالب في تعاقب الأفكار السريع، وأن الرمزية والنماذج البدئية رائجة فيه. (انظر في هذا المعجم: **التكثيف، الانزياح، تخيلات النعاس، حالة مصاحبة للنوم**).

H.F.

التعايش الحيوي

F: Biocenose ou Biocoenose

En: Biocenosis ,Biocoenosis

D: Biozonose

اشتقاقها: من اليوناني bio، حياة، و Koinos، مشترك.

مجموعة من العضويات الحيوانية والنباتية تعيش في منطقة معيّنة وتكوّن منظومة مستقرة.

غابة من الصنوبريات، وأخرى من الكستنائيات، هما ضربان من التعايش الحيوي النباتي (أو التعايش النباتي)، وحوض من بلح البحر تعايش حيوي حيواني (zoocenose). وبعض من هذه الضروب من التعايش الحيوي تسمى «مغلقة»، ذلك أن أنواعاً جديدة لايمكنها أن تستقر فيها إلا بصعوبة، على خلاف ضروب أخرى «مفتوحة» تتيح لأشكال أخرى من الحياة أن تنفذ إليها.

فالتعايش الحيوي منظومة دينامية تميل إلى أن تظلّ متوازنة على الدوام: مثاله أن عدد الأبوام دون قنازع يزداد إذا تكاثر فئران الحقول والحراج، ولكن قد يحدث في مرحلة أن تندر هذ القوارض بدورها إذا أصبحت فرائسها غير كافية، وتبدو هذه القوارض الصغيرة أنها تزداد عدداً من جديد، وذلك أمر يطلق التناوب الذي وصفناه سابقاً إطلاقاً جديداً إلى أن تستقر حالة مثلى من الكثافة بالنسبة لكل من النوعين. (انظر في هذا المعجم: **المجال الحيوي**).

N.S.

التعب

F: Fatigue

En: Fatigue, Tiredness

D: Ermüdung, Mudigkeit

نقص القدرة على العمل، يرافقه شعور بالانزعاج، ويبدو بعد جهد مديد ويختفي بعد مرحلة من الراحة.

التعب، يقول ب. بوغار (و) ل. كروك، «حالة فيزيولوجية عابرة ومتغيّرة الاتجاه تتميّز بنقص قابلية العضوية للإثارة وانخفاض فاعليتها الوظيفية (وبخاصة بالنسبة لوظائف العلاقة الخاصة بالجهاز العضلي المخطّط، وأعضاء الحواس، والجملة العصبية)؛ والتعب يرافقه إحساس جسمي ونفسي مرهق أو مؤلم، ويطرأ بصورة تعقب جهداً أو إرهاقاً ذهنياً أو حسياً، ويتغير اتجاه التعب تلقائياً بالراحة أو انقطاع الضرر المسبّب للتعب (ص 1758). والتعب، بوصفه ارتكاساً طبيعياً، هو، في الوقت نفسه، إشارة إنذار واستخدام دفاعات العضوية. فالجهد الجسمي الكثيف المستمر يقتضي تنشيط الاستقلاب الخلوي، ويتطلّب مزيداً من الأوكسجين والسكر، ويسبّب تسرّب البوتاسيوم وحلول الصوديوم محله، ويؤدي إلى تكوين فضلات عمل وظائفي كحمض اللبن. وتتعاظم الارتكاسات الخلوية لاستبعاد هذه العناصر الضارة، ولكن الفاعلية الحيوية الكيمائية مكبوحة بالنظر إلى أن الدم لايمكنه أن يقدّم الكفاية من الأوكسجين ويترتب على ذلك تسمّم ذاتي للجسم الذي يكون إحساسه بالتعب هو التعبر الذاتي عن هذا التسمم. ويظهر **التعب العضلي** بفعل نقص في قابلية إثارة العضلة، والتشنّجات، وتصلّب العضلة المؤلم. وهذا

التعب يمكنه أن يدرس بسهولة في المخبر بفضل أجهزة كمخطاط الطاقة العضلية لموسوأو مخطاط الدينامية لـ ش. هنري. وتبدو الأعصاب أنها لاتتعب، ذلك أنها تظل دائماً قابلة للإثارة. وثمة مع ذلك **تعب عصبي** يتمركز على مستوى المراكز الدماغية. وهذا التعب، الذي يعرفه الطلاب وسائقو المركبات، يسبّب الخدر الذهني والنعاس اللذين تكون علامتاهما النذيرة هما حكّة العينين والتثاؤب. ويمكننا الوقاية من هذا التعب، عندما نكون في سيارة، بالحرص على تهوية جيدة للمركبة لنستبعد غاز الكربون، وبالحفاظ على جو محيط ندي، وبالوقوف غالباً لتناول المشروبات الحارة المحلاة والمشي خلال خمس دقائق أو عشر.

وعندما يكون التعب عاماً، تتأثّر كل الأجهزة الكبيرة: التنفس وجريان الدم يتسارعان واليقظة تنقص، ويرى الفرد، الذي يشق عليه أن يثبّت انتباهه، أن زمن ارتكاسه يطول، وذلك أمر يعرضه للحوادث. ويتخلى **التعب الحاد** (الذي يحسبه المرء بعد جهد عنيف أو في نهاية نهار طويل من العمل، على سبيل المثال) عن مكانه بسرعة للراحة. أما **التعب المزمن**، الذي يلي جهداً يتكرّر يومياً، جهداً يفوق إمكانات التجديد الذي تقدمه الراحة، فإنه، على العكس، يستقر استقراراً تدريجياً ماكراً، وله مفعولات دائمة تمنحه سمة مرضية. ونلاحظه على حدسواء لدى العامل الذي يؤدي عملاً رتيباً، ذا إيقاع متسارع، في ورشة صاخبة، ولدى رجل الأعمال المكلّف بالمسؤوليات، أو لدى ربة الأسرة التي تحرّضها بإفراط أعمال «منزلية كثيرة». ويظهر التعب المزمن بنقص الاندفاعة الحيوية (غياب النشاط، فقدان الاهتمام بالعمل، انعدام الرغبة الجنسية) والاضطرابات الوظيفية الهضمية أو القلبية، والآلام المنتشرة (في الرأس، والبلعوم، وفي الظهر والبطن)، والصعوبات العقلية (تعذّر تركيز الانتباه، النسيان، أفكار مرهقة)، وتغيرات النوم (إفراط في النوم أو قلق) والمزاج (قابلية التهيّج، العدوانية، التشاؤم، القلق، وعدم اتخاذ القرار)؛ بل يسبب التعب المزمن في بعض الأحيان آفات نفسية جسمية (قرحة معدية، إفراط التوتر الشرياني). فالتعب إحدى مصائب العالم الحديث. ونقدّر أن نسبة العمال الذين تظهر عليهم اضطرابات عصابية ناجمة عن الإنهاك العصبي

الذي يسببه التعب المزمن، تبلغ الثلث. ونجد حتى لدى الأطفال مضارّ التعب، الذي يمكنه أن يظهر بانخفاض الفاعلية والتكاسل، والانطواء على الذات أو، على العكس، بفرط الفاعلية وعدم الاستقرار النفسي الحركي. وتعب التلاميذ ناجم، على الأغلب، عن تنظيم رديء لاستخدام الزمن وعن إفراط في الفاعلية (دروس الدين، والموسيقى، والرقص، والاستدراك...). وتجري حالياً بحوث هدفها أن تحدّد، تبعاً للعمر، أفضل تنظيم ممكن لنهار الأطفال. ومثال ذلك أنه لوحظ أن الساعات الأكثر ملاءمة لفاعلية عقلية كثيفة كانت تقع وسط الفترة الصباحية، والأقل خصوبة في بداية فترة بعد الظهر. ويتعب التلاميذ، من جهة أخرى، بعد خمس وأربعين دقيقة مخصصة لدرس ويشق عليهم أن يثبتوا انتباههم.

وعلاج التعب هو الراحة الكاملة، في الهواء الطلق. والاسترخاء مفيد أيضاً والعلاج الدوائي قاعدته الفيتامينات (12B,C . . .) والحديد. ولكن التقنية العلاجية الحقيقية وقائية: إنها تكمن في جعل الجهد متوازناً بفعل فترات زمنية من الراحة (بعض الفترات من الاستجمام في النهار، زمنُها يُحدَّد ويوزّع بإحكام، يجنّب التعب ويزيد المردود)، وفي تعويض صرف الطاقة بتغذية متوازنة، وفي تنظيم مواقيت العمل والبيئة، على نحو يلغي كل الأضرار (ضجّات غير مفيدة، إنارة معيبة، توترات بين الأفراد، إلخ)، وأخيراً في اتباع قواعد الصحة في الحياة (انظر في هذا المعجم: **الجو المحيط**، **تنسيق الإيقاع**، **العمل المسلسل**، **عبء العمل**، **الرتابة**، **أمن الطرق**، **الأمن في العمل**، **الكرب**).

N.S.

التعبير بالأبعاد

F: Dimensionnalisation

En: Dimensionalization

D: Dimensionalisierung

تُظهر العلوم الإنسانية اهتماماً متصاعداً بالطرائق المسماة «كمّية» وبالأنماط الرياضية، فهذه الأنماط تكون في بعض الأحيان مغالية في اللجوء إلى الأساليب المعقّدة بالنسبة لطبيعة المعارف التي يمكن مقاربتها تجريبياً في هذه المجالات. ومفهوم القياس، المفهوم الرئيس، يدعم الجهود التي بوشرت في هذا الدرب، ولكنه يظل موضوع مناظرات يكتنفها الالتباس أو ليست مقنعة كثيراً. وعلم القياس من جهة أخرى، شأنه شأن الإحصاء، فرع معرفة حساس مقاربته عسيرة. وهذا هو السبب الذي من أجله يبدو مفضلاً، في الحالة الراهنة للعلوم الإنسانية، أن نتبنّى وجهة نظر «التعبير الواقعي». التي ترتكز على أولية قياسية. ولاشيء يمنع الاختصاصيين مع ذلك أن يفيدوا من المكتسب القياسي في العلوم الرياضية، إذ يكيّفونه مع حاجاتهم في فكر متعدّد فروع المعرفة. ففكرة البعد مقترنة بفكرة المكان. يقول «تيودور ريبو (1839-1916)»: «المفهوم الحقيقي للمكان كان قد تكوّن حين استخلص علماء الهندسة القدماء تلك السمات الأساسية التي يسمونها الأبعاد من امتدادات شتى.» فالبعد إذن، في البدء، مقدار هندسي يتماهى مع الطول، وتمثيل السلالم السيكولوجية بسطوح مستقيمة لايزال يحمل أثر هذا التصور الأصيل. فمصطلح «البعد» يكافىء مصطلح «المقدار» في علوم الطبيعة ومصطلح «المتغيّر» في العلوم الإنسانية. واتخذ مع ذلك، في القاموس المعاصر،

دلالة إضافية أوسع بكثير، لأن الأمور انتهت إلى أن نصف بوصف «البعد» كل جانب خاص من ظاهرة معقّدة، وكل مكوّنة من مكوناتها وكل مظهر، دون أن يكون ضرورياً أن نوضّح ما إذا كان هذا البعد قابلاً للقياس أو غير قابل (مثال ذلك: أبعاد الشخصية، البعد العدواني في كنف جماعة، البعدالسياسي لحادث مختلف). ومجموعة الأبعاد التي يأخذها الملاحظ بالحسبان ليصف الوقائع الملاحظة تكون **مكاناً مجرداً**، **متعدد الأبعاد**، هو إطار المرجع لبحثه. ويقدّم توضيح آليات ووظائف، وارتباطات، في هذا المكان، «نمطاً» للظاهرة الملاحظة، أي تمثيلاًمبسّطاً، معبّراً عنه بالرمز، ينوب مناب الوقائع ذاتها. والأبعاد التي تتدخل في إعداد نمط من الأنماط يمكنها أن تكون من طبيعة مختلفة جداً، ويبدو، في ضوء التجربة المكتسبة الآن، أن خمسة تمييزات طرائقية يمكننا أن ندلي بها على النحو التالي:

1 - عندما تكون الملاحظات قابلة للجدولة بفضل مجموعة من السمات المميّزة المناسبة، المسماة «خاصيّات»، فإن مجموع الأنماط الملاحظة، أو النماذج، تحدّد بعداً **نموذجياً**، (مثال ذلك نمذجة كريتشمر أونمذجة شيلدون للأمزجة والميول السيكولوجية). وإذا كانت الخاصيّات - أي السمات النموذجية - تتيح تصنيف الملاحظات كلها دون استثناء ودون استخدام مزدوج، فإن النمذجة تصبح تصنيفاً والبعد النموذجي **مدوّنة تصنيف**، المسماة أيضاً **سلّم اسمي**؛ فمصطلح سلّم مأخوذ هنا بمعنى أوسع، لأن التدرّج غير موجود، بل ثمة فقط ضرب من تمييز النماذج. ويقيم معيار التصنيف، أي تميّز الممثّل لكل صنف، علاقة تكافؤ بين مجموع الملاحظات، تتيح إجراء تقسيم ليس سوى التصنيف. فالأبعاد ذات التفرّع الثنائي تدخل في هذه الفئة، لأنها توزع الملاحظات وفق نمطين شاملين ومانعين بالتبادل في وقت واحد (مثال ذلك: مؤنث - مذكر، متزوج - عازب، صادق - كاذب)، ونقول أيضاً إن المتغير ثنائي القيمة (صفر - واحد).

2 - عندما تقبل الملاحظات أن يميّزها عدد الوحدات التي تتضمنها كل ملاحظة منها (مثال ذلك: مدن يميزها عدد سكانها)، يُدخل هذا التوصيف بصفات الأعداد الأصلية بعداً يسمّى «البعد العددي الأصلي»، أي البعد الذي تعبّر عنه الأعداد الطبيعية. **فالقياس بالأعداد الأصلية** نحصل عليه إذن بعملية **عدّ عناصر الوحدات** (مثال ذلك عدد صنف إحصائي، علامة رائز قائمة على عدد الإجابات الصحيحة). ونظرية القياس شُيّدت بدءاً من هذا المفهوم، مفهوم القياس بالأعداد الأصلية (إودوكس دوكنيد [نحو 406 - نحو 335 ق. م]، أرخميدس [سيراكوز، 287-212 ق. م]).

3 - فكرة البعد تقترن، في اللغة الرائجة، بفكرة **القياس الحسابي**. والأبعاد المقصودة هنا تسمى «كميات»، «متغيرات كمية» أو **متغيّرات سلّمية**، إنها تُقاس بواسطة معيار يُتبنّى اصطلاحياً بوصفه وحدة قياس. وهذه الوحدة «يحتويها، وفق لغة منسوخة قليلاً، ذلك المقدار المطلوب قياسه عدداً معيناً من المرات، تاماً أو كسرياً». والخاصّية التي تميز هذه الأبعاد هي الإضافية، وذلك مانعبر عنه تعبيراً تقليدياً بقولنا إن «مجموع مقدارين من النوع نفسه، أو الفارق بينهما، هو مقدار من النوع نفسه». وقياسات المتغيرات السلّمية تُمثَّل على نصف مستقيم متدرج بانتظام بدءاً من القيمة «صفر» ويطلق عليه اسم **سلّم العلاقات** أو **السلم النسبي** أيضاً. وهما تسميتان يسوّغهما أن ضرباً من تغير الوحدة يعدّل القياسات كلهابالنسبة نفسها. فإذا كانت الوحدة الجديدة هي **ن** مرات أصغر من الوحدة السابقة، فإن القياس الجديد **ق** يصبح **ن** مرة أكبر من القياس البدئي **س** أي: **ق = ن س**. وهذا التصور يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتعريف الرياضي للقياس بوصفه تطبيقاً إضافياً لأجزاء مكان على المجموعة **ر**، مجموعة مرتّبة من الأعداد الواقعية الإيجابية. والقياس «**صفر**» يقابل صفراً مطلقاً (عدماً)؛ وينجم فقط إدخال القياسات السلبية، المسماة جبرية، عن اصطلاح الإشارة والاتّجاه (مثال ذلك: فائدة تُقاس بالإيجاب وتكلفة تقاس بالسلب، بوحدات ذات طبيعة واحدة).

وتبذل العلوم الإنسانية، إذ تلجأ بفعل الحاجة إلى المقادير المادية، جهدها لإدخال أكبر دقة في أعمالها حين تحدّد المتغيرات الكمية الخاصة بها، ومثال ذلك الأبعاد الحسية (قانون فيبر ـ فخنر: $S= K.Log\ x/xo$ وقانون س. س. ستيفنس: $\psi= k.Sn$)، ومؤشر القوة الصوتية يُقيّم بوحدات ذاتية (سونز، لامْبدا)؛

4 – نمو الروائز واختبارات علم النفس التقني قادت إلى تحديد المتغيّرات التي ليست قابلة للقياس الحسابي، ولكنها تنطوي على تغيرات، أي على انحرافات بين الملاحظات، ذات دلالة من الناحية الكمية. ونقول بعبارة أخرى إن المتغيّر من طبيعة تختلف عن طبيعة تغيراته؛ فالملاحظات لايمكننا أن نقيسها بالمعنى السابق، بل نقتصر على أن نحدّد معالمها بأن كل ملاحظة فيها تبتعد عن الأخرى ابتعاداً قليلاً أو كثيراً. إن بعداً من هذا النوع يتحدّد إذن بنقاط صوىً تسم درجات المتغير؛ والمسافات بين الملاحظات، مسافات تقاس بوحدة مناسبة، هي وحدها ذات الدلالة. والصفر لم يعد في هذه الحال صفراً مطلقاً، بل مجرد مَعْلَم جرى اختياره بصورة عملية (مثال ذلك ملاحظة متوسطة) ليؤدي دور النقطة الأصل في قياس المتغيرات التي تُحسب إيجابياً عند ارتفاع المتغير وسلبياً عند انخفاضه. ويمكننا أن نرقّم النقطة- الأصل بعدد آخر غير الصفر، بمئة على سبيل المثال. ومثل هذه المتغيرات تسمى **المتغيرات ذات الشدة** أو **متغيرات المستوى**، وتحديدها يتمّ بفروق الشدة أو المستوى. وتقدم الفيزياء أمثلة كلاسيكية على المقادير ذات الشدة: السرعة، التي يتصف تغيرها بوحدة الزمن أنه تسارع أو تباطؤ، والجهد الكهربائي يتحدد بفرق الطاقة الكامنة، والحرارة التي ألهمت سلالمها علماء النفس التقني. فالعلوم الإنسانية لجأت إلى عدد كبير من المتغيرات ذات الشدة التي تحددت معالمها (أو نقول أيضاً «قيست») على سلالم تسمى **السلالم ذات الفواصل المتساوية** أو **سلالم القياس**. وتسمية قياس (أو قياسي) يسوّغها أن ثمة مسافات محددة على هذه الأبعاد. ولنذكر على سبيل المثال، سلم قياس الذكاء الذي يقيس الفروق بين مستوى الذكاء (ح. ذ) بدءاً من نقطةوسطى ذات الرقم مئة، وتحديد العلاقات

العددية للاختبارات المدرسية من صفر إلى عشرين، التي لاتقيّم، إذا طُبّقت تطبيقاً موضوعياً، قدرات التلاميذ المطلقة، بل فروق القدرة المدرسية و مؤشر مقروئية نص (فليش- مولز)، الذي يقيّم درجة سهولة القراءة بين صفر (غير مقروء) ومئة (سهل جداً) وسلالم الاتجاهات لثرستون التي تتضمّن تسعة فواصل أو أحد عشر.

وكل متغيّر من متغيرات المستوى، المسمى على نحو أكثر شيوعاً «المتغير القياسي» يمكنه أن يتحولّ بتغير في الأصل وتغير في الوحدة: المتغير البدئي **ت** يأخذ عندئذ قيمة جديدة: **ت = ن س + قَ**.

5- ثمة نموذج آخر من البعد، متواتر جداً في العلوم الإنسانية، ناجم عن توضيح علاقة ترتيب في مجموع الملاحظات، أي عن علاقة خصائصها عدم التناظر (أ <ب علاقة تمنع ب < أ) والتعدّي (أ < ب و ب < جـ تفضي هذه العلاقة إلى أ < جـ). وهناك معيار ترتيب يتيح ترتيب الملاحظات بعضها إثر بعض دون توضيح طبيعةالانحرافات التي تفصل بينها. والملاحظات النماذج لمجموعة مرتّبة يمكن أن نرقّمها، أي أن نصفها بنعوت ترتيبية: الأول، الثاني، الثالث، الرابع، . . . ، لتشكّل سلماً يسمى **السلم الترتيبي**. وإذا كان تطبيق عدة معايير ممكناً على مجموع من الملاحظات، فإن هذه المعايير تحدّد كثيراً من الأبعاد المختلفة، بحيث أن المجموع الملاحظ يكون مكاناً متعدد الأبعاد (مثال ذلك ترتيب عينة من الأفراد وفق قابليتها المختلفة). وتقدّم سلالم الرأي، سلالم ر. ليكرت، أمثلة على مثل هذه الأبعاد (مثال ذلك آراء تتدرّج من «غير مناسب جداً» إلى «مناسب جداً»، مرقمة 5,4,3,2,1 أو -2,-1,0,1,2) في الرسم البياني السلمي للويس غوتمان (مولود عام 1916)، وفي المقارنة بالأزواج لترتيب الأفضليات، إلخ. وليس للرموز العددية هنا سوى قيمة ترتيبية غير إضافية، ولهذا السبب فإن مصطلح «قياسي ترتيبي»، المستخدم في بعض الأحيان، مصطلح سيء الحظ ذلك أنه يشوّه كلياً معنى كلمة «قياس». ومن المشروع مع ذلك أن ندرج متغيراً ترتيبياً بتقنين المعطيات،

وهذه العملية تقوم على تحديد فواصل بحيث تتوزّع الملاحظات إحصائياً في أصناف تراعي التوزيع الطبيعي أو توزيع غوس. وبمعزل عن هذا التحوّل، تحول السلم الترتيبي إلى سلم قياس، وبالنظر إلى ضروب السهولة في الحساب التي يقدّمها الإحصاء المعتمدعلى الدالاّت الثابتة، نشبّه الرموز العددية غالباً، رموز سلم ترتيبي، برموز سلم قياسي، وتظل النتائج الحاصلة على وجه العموم صحيحة في الترتيب التقريبي الذي تقتضيه العلوم الإنسانية.

وخلاصة القول، يبدو أن التعبير بالأبعاد في العلوم الإنسانية، إذا أمكننا استخدام بعض المنابع لعلم القياس العام، ينطوي على صعوبات خاصة: التماثل بين أبعاد ملائمة وأنماط معقّدة غالباً؛ استخدام غالب لقياسات مباشرة، أي لقياسات تلتمس عون الاستبطان، فهي لا تنطوي بالتالي على ضمانات الموضوعية التي تنطوي عليها القياسات غير المباشرة بالقراءة على أدوات قياس؛ التباس بين الخصائص المجردة للرموز العددية والخصائص المشخّصة للمتغيرات الملاحظة؛ صعوبة المقارنة بين متغيرات متشابهة في الظاهر، ولكنها تتدخّل في أنماط مختلفة، فهذه الصعوبة ناجمة عن عيب في إمكان المقارنة بين أنماط حيث لايزال يتعذّر أن نصوغ نظريات عامة تدمج الأنماط المختلفة على نحو متماسك. (انظر في هذا المعجم: **المقارنة، التكافؤ، القياس، الإحصاء، علاقة التعدي**).

A.A.M.(و)J.M.M.

التعتاع

F: begue

En: Stutterer

D: Stotterer

شخص يكشف عن اضطراب في النطق يكمن في صعوبة يعانيها عند لفظ بعض من التصويتات (الفونيمات) مثل الباء، التاء، الدال، الكاف، الجيم، أو عند بداية جملة.

التعتعة تكرارية (أو رقصية أيضاً) عندما تظهر بتكرار متقطّع لمقطع واحد، وتسمّى **اختلاجية** (أو كزازية) عندما يبدو جهاز التصويت متخثّراً في توتر ارتعاشي، تخثراً ينحلّ بإصدار الجملة الانفجاري المتسارع. وثمة شكل ثالث يسمى **الكابح** حيث يبدوالفرد غائباً آنياً قبل أن يبدأ الكلام. وجهود التعتاع ترافقها على الغالب اضطرابات في تنفيذ الحركة (خفقان جانبي الأنف، تكشيرات، تشنّج اليدين. . .) واضطرابات عصبية إنباتية (تقلّص الوجه. . .) كما لو أنه كان عليه أن يجنّد، ليتكلم، مثل هذه الطاقة التي تغزو كل جسمه. وهذا الاضطراب منتشر جداً لأن بعضهم يقدّر أن نسبة التعتاعين في أوروبة تبلغ 1 بالمئة من السكان، وتصيب الصبيان على وجه الخصوص أكثر من البنات، بنسبة 3 إلى 4 مرات. وظهورها مبكّر على وجه العموم (بين الثالثة والسابعةمن العمر)، ولكنها يمكنها أيضاً أن تكون عابرة لدى الطفل من ثلاث إلى أربع سنوات، الذي لاتزال لغته غير وطيدة، (تكرار كلمات أو مقاطع تعبّر بصورة خاصة عن التردد والبحث عن تتمّة لفظية)، وتختفي تلقائياً.

وأسباب التعتعة غير معروفة جيداً. فيرى بعض المؤلفين أن للوراثة ضلعاً فيها، ولكن تقييماتهم متباعدة جداً: إنها موجودة في رأي إ. بيشون، لدى 10بالمئة من أسر المستشارين، وموجودة في 34 بالمئة من الحالات في رأي ش. هاريل بيرو السنغالي (1974) وفي رأي س. بوريل ميزونه الفرنسي أيضاً؛ وموجودة لدى 60 إلى 70 بالمئة من السكان الذين دُرسوا، في رأي ب. برانجسلون (1943). وذكر بعضهم أيضاً ضرباً من الجانبية الضعيفة، أي الغلبة الوظيفية الضعيفة لجهة من جهتي الجسم على الأخرى: إن لدى 61 بالمئة من المصابين بالتعتعة في فرنسة و 65 بالمئة منهم في السنغال اضطرابات بسبب ضعف الجانبية؛ ولكن أجوريا غيّرا يجد نتائج طبيعية في الاختبارات الحركية لدى 68 بالمئة من الأفراد. ولايشرح القصور الألسني - التأملي (صعوبة التعبير شفهياً عن الفكرة جراء نقص الجاهزية المباشرة في الصور التي تبعث الكلمات) واقعاً مفاده أن التعتاع قادر على أن يقول خطاباً بعيداً عن نظر الغير، وأنه لم يعد يتعتع منذ أن يغنّي أو عندما يُطلب إليه أن يتكلم وهو يتابع بقلم الرصاص خطاً متموّجاً مرسوماً على ورق مقوى. فالغناء، بإيقاعه البارز، والمنحنى الجيبي المرسوم، كافيان ليعيدا للتعتاع ثقته. ويبدو إذن أنه يتردّد أن يدخل في علاقة لفظية مع الآخر عندما لايكون بمتناوله «دليل» أو «دعامة» مطمئنة.

وشخصية التعتاع هي غالباً شخصية فرد قلق، حسّاس وانفعالي والإحباطات والإزعاجات التي يعانيها يمكنها أن توجّهه نحو نموذج من السلوك مطالب أو، على العكس، تجعله ينطوي على ذاته؛ إنه، في هذه الحالة، يمكنه أن يطوّر حياة متخيّلة كثيفة ملائمة للإبداعية الفكرية أوالفنية. وبعض الأفراد من النخبة يفلحون وحدهم في أن يقلّصوا، بقوة الإرادة، تعتعتهم (يقال إن ديموستين أعاد تربية نفسه إذ أنشد الأشعار والحصى في فمه). ومن المفيد، لتصحيح هذا العيب في النطق، أن نستعين بالاختصاصيين (في التربية اللغوية المعادة، في العلاج النفسي) الذين يمكنهم، مع الدعم الوجداني لمن يحيطون به، أن يساعدوا الطفل على تجاوز صعوباته التواصلية. (انظر في هذا المعجم: **التأتأة - اللثغ**).

N.S.

F: Renforcement

En: Renforcement

D: Verstärkung, Bekräftigung

التعزيز

عمل هدفه جعل شيء أكثر قوة.

يحصل تعزيز سلوكٍ، في علم النفس، بفعل عوامل معزّزة كالاستحسان الاجتماعي، ومعرفة النتائج، والمكافآت والعقوبات. بعضها تسمى «إيجابية» عندما تحضّ الفرد على أن يعيد إنتاج السلوك نفسه، وبعضها الآخر تسمى «سلبية» لأنها تحوّله عن هذا السلوك، ولكنها توجّه كلها تصرف الفرد وتتيح له أن يختار الاستجابة الملائمة بين كل الاستجابات التي تكون ممكنة. وفي رأي ك. هول أن نظرية التعزيز تشرح كل تعلّم، بدءاً من تكوين العادات إلى اكتساب المعارف.

(انظر في هذا المعجم: **التعلّم**، **الإشراط**، **التعليم المبرمج**، **سكينر**، **ثورونديك**، **تولمان**).

N.S.

التعزيز الإيجابي، التعزيز السلبي F: Renforcement Posit-if, Renforcement négtif

En: Positive Renforcement, Negative Renforcement

D: Positive Verstärkung, Negative Verstärkung

لسيروات التعزيز الإيجابي (أو التعزيز السلبي) مفعول مفاده زيادة (أو إنقاص) احتمال أن تطلق إشارة خاصة، صادرة عن العضوية، استجابة سلوكية معينة.

طوبوغرافيا وأنماط العمل الوظائفي للدوائر العصبية، التي يكون استخدامها مصدر سيرورات التعزيز، يمكنهما أن تُدرسا بواسطة التجارب التي تُسمّى التنبيه الذاتي أو التوقف الذاتي. والمساري الكهربائية مزروعة، في هذه التجارب، في مناطق مختلفة من الدماغ، ويُمنح الحيوان (أو الفرد الإنساني) إمكاناً مفاده أن ينبّه نفسه بواسطة مسرى من هذه المساري الكهربائية أو، على العكس، أن يوقف تنبيهاً داخل الدماغ يفرضه المجرب بالضغط على رافعة.

وتقود المعطيات التجريبية إلى الخلاصة العامة التالية: تشكّل بعض البنيات الدماغية جزءاً من جملة للتعزيز الإيجابي (المكافأة، تحقيق رغبة، اللذة) يسبّب تنشيطها نتائج يبحث عنها الفرد وتعزّز السلوك الذي يولّده، وتنتمي البنيات الدماغية الأخرى إلى جملة للتعزيز سلبية (قصاص، نفور، ألم) لتنشيطها نتائج يبحث الفرد عن تجنّبها وتسبب الانطفاء التدريجي للسلوك الذي هو مصدرها.

وثمة وقائع تجريبية عديدة توضّح القيمة الكبرى للمكافأة المرتبطة بتنشيط جملة التعزيز الإيجابي. فعندما يكون لفرد التجريب أن يختار بين رافعتين إحداهما تقدّم الغذاء وأخرى إمكان أن ينبّه نفسه، أو عندما ينبغي له أن يختار، في متاهة على شكل الحرف الأجنبي T، بين الجهة التي يوجد فيها الغذاء والجهة التي توجد فيها رافعة التنبيه الذاتي، فإن فأراً جائعاً (يحمل مساري كهربائية مزروعة في جملة المكافأة) يؤثر التنبيه الذاتي على الغذاء، ولو أنه فقد الآن ثلث وزنه البدئي. ونلاحظ، من جهة أخرى، أنه يصعب جداً أن نحصل على كفّ للضغوط على رافعة التنبيه الذاتي بمعاقبة الفأر على كل ارتكاز على الرافعة بصدمة كهربائية يتلقّاها في قائمتيه.

وعندما تقدّم الضغوط على رافعة، معاً، التنبيه داخل الدماغ المعزّز وتعزيزاً طبيعياً واحداً أو عدة تعزيزات طبيعية على شكل طعام أو شراب، يبدو أن الدافعية التي هي مصدر السلوك الأداتي، والتي شدّتها يمكن أن يقيّمها تكرار الضغوط على الرافعة، يحدّدها الحاصل الجبري لمجموع النتائج المعززة (مفعولات التنبيه الكهربائي والتعزيزات الطبيعية) الناجمة عن هذا السلوك. فبوسعنا إذن أن نسلّم بأن مفعول المكافأة (أو العقاب) الناجم عن التنشيط التجريبي لجملة التعزيز الإيجابي (أو التعزيز السلبي) ذو طبيعة هي الطبيعة التي تنشأ في الشروط الطبيعية، وأن التعزيزات الطبيعية تتحقّق على وجه الدقة بفعل تنشيط البنيات العصبية التي تتيح المجال، في الشروط التجريبية، لاستجابات التنبيه الذاتي أو التوقف الذاتي.

وبعض المعطيات التجريبية يوضّح جيداً الدور الذي يؤديه، في تقيّدية السلوك، تنشيط جمل التعزيز والتجارب الوجدانية الناجمة عنه. والواقع أننا إذا «كافأنا»، بفعل تنبيه داخل الدماغ ملائم، كل طيف من العدوان يبديه فأر إزاء مثيله، فإننا نرى أن سلوكاً عدوانياً متعاظم الوضوح والاستقرار يتطوّر لدى الحيوان الذي نبهناه على هذا النحو؛ أضف إلى ذلك أننا نلاحظ أن تنبيه جملة التعزيز الإيجابي يجعل ارتكاسات الخوف لدى الماكاك (قرد آسيوي)، التي تثيرها في

العادة أفعى، أقل عنفاً، ويجعل درجة الهيمنة التي يُظهرها إزاء مماثليه أكثر شدة بوضوح. وأخيراً، عندما يصبح فأر مريضاً بفعل ابتلاع محلول سُمّي له بعض المذاق، فإنه ينمّي بسرعة نفوراً بارزاً من هذا المذاق؛ ولكن هذا النفور المكتسب سيكون أضعف بوضوح لو أن الحيوان يمكنه أن ينبّه نفسه في «جملة المكافأة» خلال اللحظة التي يبدو فيها أنه مريض.

والمعطيات من النسق العصبي الكيميائي أوضحت الدور الأساسي الذي تؤدّيه الجمل التي تولّد الكاتيوكولامينات في نشوء استجابات التنبيه الذاتي: الحصول على هذه الاستجابات طوال الدروب التي تولّد الكاتيكولامينات، مع تحرير النورادرينالين والدوبامين على مستوى نهايتها؛ كل مناورة تجريبية مفعولها أن يسهّل أو، على العكس، أن يوقف الانتقالات بين الوصلات العصبية، على مستوى الجمل التي تولّد الكاتيكولامينات، ذات صدى على هذه الاستجابات.

ويثير على وجه الخصوص تنشيط «جملة المكافأة» تحرير النورادرينالين في كنف اللوزة (نواة ذات مادة رمادية تقع فوق الجسم المخطط، وهي مكوّنة هامة من مكونات الجملة الطرفية). فالنورادرينالين يوهن العصبونات اللوزية التي تشكّل جزءاً من جملة كفّ سلوكي، إذ تسبّب على هذا النحو تخفيض قوة المفعولات التي تثبّط ارتكاسات العقوبة أو الشبع. وتكوّن اللوزة مكاناً مفضلاً حيث تحدث التفاعلات المعقّدة بين سيرورات التعزيز الإيجابي وسيرورات التعزيز السلبي. ومحصّلة هذه «الجبر الداخلي» هي التي ستتجلّى بمفعول تسهيل (أو توطيد) استجابة سلوكية معينةأو، على العكس، كفّها (أو انطفائها). (انظر في هذا المعجم: **الكاتيكولامين، الدوبامين، الجملة الطرفية، النورادرينالين، الوصل العصبي**).

P.K.

التعلّم

F: Apprentissage

En: Learning

D: Lernen

اكتساب تصرّف جديد عقب تدريب خاص.

التعلم سيرورة تكيّف يقدّم الفرد بفضلها استجابات ملائمة لبعض الأوضاع. إنه تركيب معقد لايرتدّ إلى أي تخطيطية وحيدة. وثمة في الواقع ضروب من التعلم حسية حركية (العزف على البيانو، والرمي بالقوس)، وتصورية (اكتشاف العلاقات والقوانين)، ولفظية (تلاوة قصائد)؛ وضروب من التعلم بإقامة صلات ارتباطية، بالإشراط، بالمحاولات والأخطاء، بالفهم المفاجىء (**حدس**)، بالإخصاب، بالمحاكاة، إلخ. ويشمل مفهوم التعلم مجالات هي من الاختلاف وظاهرات هي من التنوّع بحيث لايبدو أن بمقدور أي نظرية أن تشرحه شرحاً كلياً وعلى نحو مرضٍ بصورة تامة. وبوسعنا، في كثرة النظريات (احتفظ إرنست هيلغار بتسعٍ رئيسة منها)، إن نميّز التصورات التي توحي بها المذاهب الترابطية، السلوكية، الغشطالتية، ونظريات الإشراط، والإعلام، ونظريات التوسّط (س. إ. أوسغود) والتوازن (جـ. بياجه). ويتميّز التعلم، بالنسبة لنظرية الأعلام، بكمية الإعلام التي يحتاج إليها الفرد لإنجاز عمل معيّن. ففي البداية، عندما يكون الارتياب في حده الأقصى، يكون بحاجة إلى كثير من المعلومات، وحد أدنى من المؤشرات تكفيه فيما بعد، تحت تأثير الممارسة. وفي رأي ألكسي ليونتييف أن المرحلة الأولية تغزوها «أعمال صغيرة» كثيرة أو «عناصر فعل» يقتضي

كل منها رقابة الوعي؛ وفي المرحلة النهائية، يتجلّى التعلم، على العكس، بتخفيف الأعباء عن الذهن وبتوتر عصبي أقل بكثير، نظراً إلى أن كل هذه الأعمال الصغيرة سيطر عليها الفرد واندمجت في البنية العامة للعمل، بنية تتألف من هذه الأعمال الصغيرة. فالتعلم هو إذن، على وجه الضبط، تغيّر في تكيّف العضوية، ناجم عن تفاعلها مع الوسط. إنه تابع للنضج العصبي والفيزيولوجي (لانعلم طفلاً عمره ثلاث سنوات استخدام الدراجة الهوائية الخالية من مثبّتات) ولاينفصل عن التربية. والتعلم ذو علاقة، بالإضافة إلى ذلك، بعوامل شخصية أخرى، كالعمر، والذكاء، والدافعية، والوجدانية (انفعالية، قلق)، والموقف الفاعل على وجه التقريب من العمل المطلوب إنجازه، إلخ. وأفضل الشروط تتحقّق عندما يكون الفرد راشداً فتياً، ذكياً، فاعلاً، ذا دافعية سوية (الدافعية القوية يمكنها أن تولّد القلق). وتتدخّل أيضاً خصائص العمل (صعوبة، رتابة)، وتوزيع المحاولات (هذه المحاولات يمكنها أن تكون متتالية أو متباعدة في الزمان)، ووجود التعزيزات وطبيعتها (مكافأة أو عقاب)، في التعلم. فأهمية هذه السيرورة ليست محدودة باكتساب المعارف أو المهارات الخاصة: إن التعلم يشارك في إعداد الشخصية برمتها. والواقع أن كل اكتساب جديد، يلفت النظر إلى ذلك كورت لوفن (1890 -1947)، سواء كان من طبيعة حسية حركية، تصورية أو اجتماعية، يتردّد صداه في المكوّنات الأخرى للشخصية ويساهم في صياغة هذه الشخصية. ولايشك في ذلك أصحاب النظرية السلوكية، الذين يرون في السلوك نتيجة تعلم اجتماعي وفي المرض العقلي اضطراباً في هذه السيرورة:

«أعطني، قال جـ. ب واطسون، اثني عشرية من الأطفال السليمين، ذوي البنية الجيدة، وهيّئ لي ضرباً من الوسط الذي أحتاج إليه لتربيتهم، ألتزم، إذ آخذهم دون اختيار بينهم، بتنشئتهم على نحو أجعل منهم وفق مشيئتي اختصاصياً، طبيباً، تاجراً، رجل قانون، بل شحاذاً أو سارقاً، بمعزل عن مواهبهم، ونزعاتهم، وميولهم، وقابلياتهم، وعن مهنة أسلافهم وعرقهم». (**السلوكية**، ص104).

والمحلّلون النفسيون مقتنعون من جهتهم أن التربية الأولى أساسية في بناء الشخصية. إنهم، لهذا السبب، يسبرون الماضي البعيد لمرضاهم ليفهموا تصرفهم الحالي. وتمرد الطفل الصغير على أبويه يمكنه أن يجد نفسه مجدداً وقد انتقل في السلوك المعارض لدى الراشد، الذي يتعرّض لسلطة رؤسائه التراتبيين. فليس المقصود هنا ضرباً من «الإشراط»، أعني سلسلة من المنعكسات الشرطية، كما يعتقد بعضهم، بل بالحري تعميم تعلم اجتماعي. ونحن نعتقد، على وجه العموم، أن نظرية الإشراط لاتتيح لنا، مهما كانت مغوية، أن نشرح سيرورة التعلم. والواقع أننا نتوجّه، في الإشراط، إلى فاعليات تنتمي إلى استعدادات فطرية لدى العضوية. والحال أننا حين نعلّم حيواناً أن يتسلّق سلماً، على سبيل المثال، نقتضي منه أن يركّب عدة أفعال حركية مجموعها بعيد جداً عن استجابات بسيطة مشروطة. وبوسعنا، من جهة أخرى، أن نجعل أناساً وحيوانات ينجزون ضروباً من التعلم معقّدة إلى حد كبير، في حين أن من الصعب جداً أن نحصل من الناحية التجريبية على إشراطات ثانوية أو ثالثية، ويتعذّر علينا من الناحية العملية أن نحصل على إشراطات رابعية. وبعض الضروب من التعلم، أخيراً، ضروب تستخدم مالايتردّد بعض المؤلفين، مثل ن. ر. ف. مييتر، في تسميته «الاستدلال» لدى الحيوان، لاتفسرها على الإطلاق نظرية الإشراط. ومثال ذلك أن بعض الأفراد قادرون حتى يحلّوا مسألة جديدة، على أن يربطوا تعلّمين مختلفين لم يتلقوهما قط من قبل، مع ذلك، مقترنين أو متعاقبين. ويبدو جيداً أن الفرد، في هذه الشروط، لايكتفي فقط في تقديم استجابات آلية لمنبهات معقدة، ولكنه يدرك معناها ويتعلم دلالتها. وتؤكد أعمال ك. س. لاشلي، التي انصبّت على الثدييات الرئيسة، هذه القضية. فبعد أن علّم قرداً على أن يفتح ثلاث علب مغلقة بمزلاج، مستخدماً يده اليمنى فقط، دمّر القشرة الدماغية التي تأمر حركية العضو الأيمن السابقة. وعندما راز المؤلف هذا الحيوان، مستخدماً العلب ذات المزلاج نفسها، لاحظ أن هذا الحيوان ظل قادراً على أن يقدم الاستجابة الحركية نفسها، دون

صعوبة، بيده اليسرى. فعلينا إذن أن نفرض أن ثمة في هذه الحالة تعلّم عملٍ ذي دلالة، لامجرد ضرب من الإشراط.

والتعلم المهني أحد مجالات التطبيق الرئيسة للبحوث والنظريات السيكولوجية الخاصة بهذا الموضع. والطرائق الاختبارية (بدءاً من «تكوّن في الميدان» حتى التقنيات القائمة على دراسة الأزمنة والحركات) تظل مع ذلك راسخة جداً وتظل المبادئ النظرية مقتصرة على نصائح الحس السليم: تحليل الحركات المعقدة إلى عناصرها، المضيّ من المشخّص إلى المجرّد، عدم مباشرة عمل جيد إلا بعد تمثّل العمل السابق، ألخ. ولكن مساهمة علماء النفس لايُستهان بها مع ذلك. فبعد أن أنصفوا الاعتقاد القديم الذي مفاده أن التكرار يكفي لأن يقود إلى الإتقان، لفتوا النظر إلى أهمية الدافعية وذكروا وسائل التعزيز، ولاسيما شرحهم أهداف التعلم وفائدته وكذلك المزايا التي يمكنها أن تُستمدّ منه، وإعلام المتدرب ضروب تقدمه. (انظر في هذا المعجم: **الاستيلكولين**، **التعميم**، **الترابطية**، **السلوكية**، **الإشراط**، **التوسط**، **التعزيز**، **ثورندايك**، **تولمان**).

N.S.

التعلّم بالتغذية الراجعة الحيوية

F: Apprentissage par rétroaction biologique

En: Bio-feedback learning

D: Bio- feedback

برهن ن. إ. ميلر ومعاونوه (1969) وجود تعلّم أداتي لدى الحيوان بالتغذية الراجعة الحيوية، التي تمثّل «إشراطاً فاعلاً» شبيهاً بالإشراط البافلوفي. ويحصل هذا التعلم حين «نكافئ» حيواناً كل مرة يعدّل فيها العمل الوظائفي لحشا من أحشائه في اتجاه محدّد. وعلى هذا النحو إنما تعلّمت فئران وهررة، على سبيل المثال، أن تسرّع أو تبطئ إيقاعها القلبي، أن تزيد أو تنقص توترها الشرياني، أن تنمّي أو تقلّص إفرازها الكلوي أو تقلصاتها المعوية، أو سعة إيقاع ألفا في مخطّط دماغها الكهربائي. وكانت النتائج، لدى الإنسان، أقل اتصافاً بأنها مذهلة بكثير منها لدى الحيوان، وذلك أمر لم يمنع كثيراً من الأطباء وعلماء النفس الأمريكان من البحث عن تطبيقات طبية، سيكولوجية اجتماعية، بل سياسية، على التعلم الأداتي الحشوي وعلى تعلّم تعزيز الإيقاع في موجات ألفا على وجه الخصوص.

والتقنية المستخدمة تقنية من الأكثر بساطة: جهاز يسجّل الفاعلية الدماغية الكهربائية بواسطة مسريين كهربائيين، ثم يحذف - بحركة من المصافي - كل التواترات العليا أو الدنيا من تواترات إيقاع ألفا، ثم يطلق إشارة صوتية كلما كانت الموجات المصفاة- أي إيقاع ألفا - تبلغ سعة مختارة. ومهمة الفرد، الذي يُخبر بالوضع على هذا النحو، أن يجد الشروط التي يتوصّل فيها إلى أن يصون إيقاع

ألفا، أطول زمن ممكن، بسعة كافية لإحداث الصوت. وهذه الشروط ستكون على نحو أساس ممثّلة بحالة من الوعي الخاص (**حالة ألفا**)، حالة متكوّنة، في رأي علماء النفس الذين وصفوها في الولايات المتحدة الأمريكية، من «صحو داخلي» و«تجرد صاف». وتتيح حالة مثل هذه الحالة للفرد الذي يُعنى بها أن «تحسّن الوظائف الذهنية كالإدراك والذاكرة، وأن يتوصل إلى زيادة إبداعيتها ونجوعها». وبفضل مفعولها الذي يسبّب السكون والغبطة، قد يحدث، من جهة، أن تشفي الأمراض التالية: القلق بل عصاب الحصر في بعض الأحيان، الرهابات، الحالات الاكتئابية، العرّات العصبية، الصداعات، ضروب الأرق، العجز، التهاب القولون التشنّجي، الربو، الشقيقة، فرط التوتر الشرياني، القرحة المعدية وأمراض الجلد؛ وقد يحدث من جهة أخرى، أن تحلّ دون خطر محل الاستعمال اليومي للمسكنات والعقاقير الخفيفة أو الشديدة.

ويفهم المرء بسهولة أن الصحف اليومية الإخبارية كانت متحمّسة لهذا البرنامج وأنها خصصت له مقالات طويلة تطنب في مديحه، بما في ذلك مقالات المجلات والصحف اليومية الأكثر شهرة. ويفهم المرء منذئذ أن **عملاً عقلياً** كان قد نما إلى حد عجيب في الولايات المتحدة الأمريكية ليتيح لكل فرد أن يصنع **رقابة ألفا** خاصة به ويصنع **يوغاه الألكترونية**، بغية بلوغ **السيادة على ألفا** في جو من «الموسيقى الشعبية الألفاوية» بواسطة **طريقة الدينامية الألفاوية** التي تعده، إضافة إلى ذلك، بزيادة ذكائه، وفقدان العادات السيئة كلها، وبلوغ إدراك فوق حسي للتواصل مع الغائبين. وتستغلّ هذه المشروعات ضحاياها على نحوين مختلفين: إما أن تبيعهم بسعر مرتفع أجهزة ذات حجم صغير تعمل على البطارية، يحملها الفرد في جيبه وتخبره إشاراتها الصوتية بحركات جسمه الخاص أو سيارته وبارتعاشاتهما واهتزازاتهما، بمقدار ماتخبره على الأقل عن توليد الكهرباء في قشرته الدماغية؛ وإما أن تعلمهم مراقبة إيقاع ألفا لديهم، دون أجهزة، خلال حلقات دراسية تنعقد في مؤسسات متخصصة، أو في فنادق المدن الكبرى التي يتردّد إليها أساتذة متنقلون في «علم التوجيه النفسي» أو في «علم النفس المقارب».

فالجلسة التمهيدية ذات تكلفة ليست مرتفعة على وجه العموم، ولكن الحلقات الدراسية الكاملة (مدتها اثنتا عشرة ساعة من التعليم أو أسبوع)، مع تسليم شهادة **السيادة على ألفا**، ذات تكلفة مالية أعلى بكثير. فالنتيجة الواجبة الاستخلاص من هذه الحوادث لاتكمن في أن الواجب يقضي بإدانة التعليم بالتغذية الراجعة الحيوية لدى الإنسان إدانة مطلقة، بل في أنه يبقى علينا أن نبرهن على قيمتها، إن لم يكن على وجودها، قبل أن نقترح استعمالها. (انظر في هذا المعجم: **الإشراط**، **التأمل**).

H.G.

التعلّم الخفيّ أو البصمة الإدراكية

F: Imprégnation, Empreinte

En: Impreinting

D: Prägung

نفوذ عميق في النسيج.

مفهوم التعلّم الخفي (أو البصمة الإدراكية) يكوّن، دون ريب، أحد مفهومات الإثولوجيا [دراسة السلوك الحيواني العفوي] الأكثر إثارة للاهتمام بالنسبة لعلم النفس، ذلك أنه يبدو أنه قائم في قاعدة السيرورات الأولية، السيكولوجية البيولوجية، للتعلم الاجتماعي. فالظاهرة التي يدلّ عليها هذا المفهوم، على الرغم من أن المصطلح جديد في علم النفس بل في الإثولوجيا (دراسة السلوك الحيواني العفوي)، يعرفها الفلاحون ويستخدمونها منذ العصور الوسطى، بمناسبة تربية الحيوانات المنزلية وإسلاس انقياد الحيوانات المتوحّشة. وكان د. أ. سبالدينغ قد وصفها وصفاً علمياً عام 1873 ولاحظها مجدّدا عالم الطيور الألماني أوسكار هنروث، في بداية القرن العشرين؛ والواقع أن هنروث لاحظ أن أفراخ إوزّ، متحدّرة من بيضات وُضعت في حاضنة، كان تتبع الإنسان الذي كان قد أخرجها من الجهاز، بدلاً من الذهاب مع إوزات أخرى. ولكن كونار لورنز هو الذي حلّل الظاهرة وشرحها عام 1935. وإليكم كيف يصف التعلّم الخفي لدى فرخ بط: بعد خروجه من البيضة بقليل، يبدأ الطائر الصغير في النظر في الفراغ على نحو خاص، ثم ينكبّ، إذ يرى من كان قد شهد ولادته (إنه، في الطبيعة،

شبيه من نوعه دائماً)، على ضرب نوعي من احتفاليّ التحية، مستجيباً لكل حركة أو صوت يصدره جاره. وإذا ابتعد هذا الجار، فإنه يسارع إلى اللحاق به. وعندما يرافقه على هذا النحو مسافة تزيد على خمسة وثلاثين متراً، يصبح متعذّراً علينا تقريباً أن نجعله يتبع أحداً آخر. فالارتكاس سيكون هو ذاته دائماً بالنسبة لمثيل من نوعه أو لحيوان آخر أو لإنسان. والبصمة الإدراكية التي يتركها من نسمّيه، على سبيل السهولة، «القريب المتبنّي» ستكون راسخة إذا تعزّزت بانتظام، ولكنها ذات علاقة ببعضٍ من خصائصه الأساسية، بعض يتجمّع في تشكّل نسميه **الامتثال السيكولوجي المبسّط** [وسط بين الصورة العينية والمفهوم المجرد «م»]. وسيستمر تأثيرها في أن يكون محسوساً خلال الحياة كلها وستظهر في عدد من الأوضاع الاجتماعية. ومثال ذلك أن اختيار الشريك الجنسي، في سن الرشد، ستحدّده البصمة الإدراكية المتلقّاة بعد الولادة بقليل. فالحيوان سيقوم بالعرض الزفافي (أي أنه سينفّذ كل الطقسي السابق على التزاوج) أمام موجود ينتمي إلى نوع «قريبه المتبني»، نوعه نفسه، وسيظهر عدوانياً إزاء الأعضاء الآخرين من النوع المذكور، ولكنه لن يكون معنيّاً بالمثيل من نوعه. ويذكر بيير بول غراسه(مولود عام 1895) حالة مالك الحزين الذي كان يمارس أمام مربيه طقسيّ العرض الزفافي.

ويتميّز التعلم الخفي من سيرورات الاكتساب العادية في أنه يحدث في وقت مبكر جداً (بعد الولادة بقليل) وأن **المرحلة الحرجة** محدودة في الزمان (في رأي هسّ[1958] الذي درسها لدى الطيور)؛ إنها لاتدوم لدى البط ذي العنق الأخضر أكثر من عشرين ساعة من التفريخ. والتعلم الخفي راسخ جداً وله مفعول طويل الأجل (بعد ثماني عشرة ساعة من ولادته إنما يتلقى فرخ البط تلك البصمة الإدراكية لشريكه الجنسي المستقبلي). وتوحي بقوة سرعة سيرورة التعلم الخفي ورسوخه أن المسألة مسألة آلية فطرية لاتحتاج إلا إلى تنشيط محدود لتعمل عملها الوظائفي. ويبدو أن تعلم الغناء (الإيقاع والأصوات المستخدمة) لدى الطيور يخضع للقانون نفسه ويحدث خلال الإقامة في العش. ومن المحتمل أيضاً أن تكون العادات الغذائية خاضعة للمبدأ نفسه.

وليست كل الأشكال المختلفة للبصمة الإدراكية متلقاة في المرحلة نفسها من الحياة، بل ثمةتغيرات بالنسبة للارتباطات الاجتماعية المختلفة. ومثال ذلك أن جراء الكلاب، الحسّاسة جداً بعمر ستةأسابيع أو ثمانية لـ «صورة» شركائها في النوع، لاتبدو أنها تصبح حساسة بالنسبة للقطيع (ربما لرئيس القطيع فقط) إلا في عمر ستة أشهر تقريباً.

واكتُشف حديثاً أن ظاهرة التعلم الخفي كانت تؤدي أيضاً دوراً في النمو الإنساني. إنه إذن لأمر عظيم الأهمية جداً أن تكون الأم في اتصال مع وليدها بعد الولادة مباشرة. وهو أمر هام بالنسبة لها ولطفلها على حدسواء، الذي ربما تحدّد هذه اللحظات الأولى تطوره المستقبلي وتكيفه في الحياة، مع أن ثمة، على وجه الاحتمال، عدة مراحل وعدةأشكال من التعلم الخفي لدى الموجود الإنساني، شأنه شأن جراء الكلاب. (انظر في هذا المعجم: **الارتباط**).

I.R. (ترجمة **J.WA** إلى الفرنسية)

التعلّم بالمحاولات والأخطاء

F: Apprentissage par essais et erreurs

En: Trial and error Learning

D: Lernen durch versuch und irrtum

التعلم بالتلّمس.

استخدم الفيلسوف الأيقوسي ألكسندر بان (1818-1903) المصطلح الانغليزي للمرة الأولى للدلالة على طريقة التعلم القائمة على الارتباط: المحاولات غير المثمرة تُلغى في حين تتنسّق فميا بينها المحاولات المكللة بالنجاح وتتعزّز بالتبادل، إذ تشجّع على هذا النحو ظهور سلوك جديد. ونقول بعبارة أخرى مع ألان إن من الضروري «أن نبحث ونتخبّط حتى نستدل استدلالاً صحيحاً، ذلك أن الفكرة الحقيقية لاتولد أبداً إلا من الأخطاء التي نتجاوزها» **(أحاديث في التربية)**.

واستأنف كونواي لوايد مورغان (1852-1936)، في سيكولوجيا الحيوان، هذا المفهوم ليشرح تصرّف الحيوانات، حتى لايكون ملزماً بافتراض وجود ملكة نفسية عليا لدى هذه الحيوانات («مبدأ» أو «قانون» مورغان). ويتكلم بعده إدوار لي ثوراندايك (1874-1949) على تعلّم بـ«المحاولة والنجاح العرضي» ليميّز سلوك الحيوانات القادرة على التخلّص من أوضاع غير مستساغة كانت قد وُضعت فيها. ومثال ذلك فأر جائع محبوس في قفص ذي فتحة، وإلى جواره الطعام. وإذ يمرّر

قائمته من خلال قضبان القفص، فإنه ينتهي إلى أن يشغّل الخيط أو الزر الذي يتحكّم في فتحة السجن. فالنجاح الأول عارض، ولكن الحيوان يتقن بسرعة فتح باب القفص ويتحرر مباشرة. وكان شكل مماثل قد طُرح على بعض طيور السنونو؛ ولبلوغ الطعام الذي يحتويه صندوق، كان من الضروري أن يُشدّ خيط. ودامت المحاولة الأولى عشر دقائق، ولكن المحاولة الرابعة و العشرين لم تقتض أكثر من أربع وعشرين ثانية، وكان الارتكاس المفيد قد «اصطُفي» من كل المحاولات الجارية بفعل الظروف الخارجية وليس بالتفكير.

N.S.

F: Apprentissage par observation des attitudes التعلّم بملاحظة الاتجاهات

سيكولوجيا السلوك تعرّف الاتجاه أنه عادة انفعالية، والاستجابة الانفعالية أنها ارتكاس اتجاه. وغالبية الاتجاهات نكتسبها، في رأي النظرية نفسها، بالإشراط، تحت التأثير المباشر لمنبه، ولكننا نكتسبها أيضاً بملاحظة تصرفات أشخاص آخرين في أوضاع معيّنة (يفيد الملاحظ، على نحو من الأنحاء، من تجربة الغير). ويُقال في هذه الحال إن ثمة تعلم الاتجاهات بالإنابة أو «تعلماً بديلاً» (انظر أ. باندورا، 1965، س. م . برْجَرْ، 1962، ر. دوشارمز (و) م. إ. روذنبوم، 1960)، وعندما تتغيّر استجابة الملاحظ لمنبه من المنبهات بالنحو الذي تتغير عليه استجابة النموذج (وذلك أمر ممكن عندما لم يباشر بنفسه تجربة الوضع)، نتكلم على تعلّم بالتجربة المنابة. ويبيّن عدد من الأعمال التجريبية التي أجرتها المدرسة السلوكية أن الاستجابات الانفعالية يمكنها أن تُكتسب بـ«إنابة الاتجاهات». فكل فرد سنحت له الفرصة أن يباشر تجارب مستساغة أو عسيرة برفقة أعضاء آخرين من نوعه يعيشون الأوضاع نفسها. ومثال ذلك أن الموت الطارئ في أسرة يؤثّر في كل أعضائها الذين يشاركون في الحداد؛ وعدة أشخاص مجتمعين يمكنهم أن يُظهروا، أمام علامات خطر (قصف رعد، اللمع. . .)، ارتكاسات ذعر؛ أو يمكننا أيضاً، في عيد من الأعياد أن نكون سعيدين معاً. ويصبح السلوك الانفعالي الظاهر لشخص من الأشخاص عاملاً بوصفه أنموذجاً، في رأي النظرية السلوكية، منبهاً قادراً على أن يثير صدى لدى الغير، وأن يستنبط ارتكاساً وجدانياً مماثلاً لدى أولئك

الذين يلاحظون. وعلى هذا النحو إنما سيعاني القلق طفلٌ صغير لأنه تعلّم هذه الاستجابة وهو يقرأها على وجه أمه وفي تصرفها، وليس لأن الوضع يولّد القلق. فكم عدد الأشخاص الذين يخافون الأفاعي دون أن يكون لديهم أبداً تجربة غير مستساغة معها! وكم عدد الأطفال الذين يُظهرون اتجاهات انفعالية حادة إزاء متّحدات أجنبيةلم يكن لديهم أبداً أي اتصال بها! فالخوف من الأشباح وحب الله لدى شخص لم ير قط، ولأسباب بدهية، شبحاً ولا الله، هما المثالان الأكثر إقناعاً أيضاً على تعلّم الاتجاهات بالإنابة.

وفي رأي النظرية السلوكية أن مثل هذا الشكل من التعلم نموذج من الإشراط فيه الاستجابات الانفعالية الداخلية (أو الاتجاهات) لدى الملاحظ مشروطة بارتكاسات النموذج التعبيرية (**انظر** ألبورت، 1927، ص235). وإذا سلّمنا أن السلوك الانفعالي للنموذج يشكّل جزءاً من سياق وضع-منبه، فإنه ينبغي أن يكون ممكناً، بإشراط ذي درجة عليا، انطلاقاً من سلوك النموذج، تجنّب الانفعال أيضاً لدى الملاحظ. وهكذ يحدث للوضع- المنبه النوعي أو أي وضع مماثل، أن يكون «موضوعاً» إيجابياً أو سلبياً بالنسبة للملاحظ، وفقاً لطبيعة استجابة النموذج الانفعالية. ووجد س. كانيكار (1973) أن سلبية التقييم لبعض المفهومات لدى ملاحَظ كانت تابعة لدرجة الصدمة التي تلقاها النموذج على ما يبدو، ذات الارتباط بالمفهومات المماثلة. فهذه النظرية تعتبر أن تعلم الاتجاهات بالملاحظة لدى الإنسان لاتختلف أبداً عن سيرورة الإشراط لدى الحيوان (فأر، على سبيل المثال) الذي يتعلم أن يرتكس بالخوف على ارتكاس ظاهر، ارتكاس ألم لأحد من أمثاله.
(إنظر في هذا المعجم: **السلوك**، **خفض الخوف**، **المنبه**).

S.KA (ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

التعليم المبرمج

F: Enseignement programmé

En: Programmed Learning, Programmed instruction

D: Programmiert instruktion, Programmiert unterrient

طريقة في التعليم الذي تُضفى عليه الصفة الفردية، قائمة على أن تعرض على التلميذ تلك المادة التي ينبغي له أن يكتسبها على صورة مجزّأة، في تسلسل من العناصر المرتّبة على نحو منطقي.

الفكرة الأساسية لهذه الطريقة، التي نجدها في الحوار السقراطي لأفلاطون ولدى مناصري الطريقة الفعالة على حدّ سواء، تكمن في أن على التلميذ أن يكون معنيّاً، وفاعلاً. ومن المناسب، لذلك، ألا نثبّط همته أبداً بأسئلة صعبة جداً، وأن نعزّز دائماً أسئلته الجيّدة وأن نتأكد من ثبات مكتسباته. وعرفت هذه التقنية، التي مارسها في ظل أسماء شتى، منذ عقود من السنين، تلاميذ كارلوتون واشبورن (طريقة ونيتكا) وتلاميذ سيلستان فرينه (1896-1966)، ذروة انطلاقتها بدءاً من اللحظة التي صاغ فيها بورهوس فريدريك سكينر (المولود عام 1904) مبادئها الأساسية صياغة دقيقة، إذ دعمها بأدلة تجريبية يتعذّر دحضها. وكانت سمة العبقرية لهذا المؤلف تكمن في أنه فكر في أن قوانين التعلم المقررة انطلاقاً من ترويض الحيوانات كانت صحيحة بالنسبة للإنسان، وأن برنامجاً حسن التنظيم تعرضه بعض الآلات عرضاًمنهجياً كان ممكناً للتلميذ أن يتمثّله على نحو أفضل مما لو كان أستاذٌ قد عرضه. وعرض سكينر عام 1954 منهجه وآلة التعليم الأولى. فالبرنامج يُحدّد تحديداً نهائياً تبعاً لمادة التعليم وقوانين التعلم العامة، وهو واحد

لكل التلاميذ. وكل وحدة من وحدات الإعلام، أو **بند**، يليها سؤال ينبغي للفرد أن يجيب عنه كتابة، باليد، في فراغ أبيض من كتاب موقوف لهذا الغرض، أو بالآلة. فإذا كان جوابه غير صحيح- وذلك مايخبر عنه الكتاب أو الآلة -، يُدعى التلميذ إلى أن يقرأ **البند** مجدداً، مزوّداً بالجواب الصحيح الذي تلقاه؛ وإذا كان الجواب صحيحاً، فإنه ينتقل إلى العنصر التالي. ويبدأ هذا العنصر بتلخيص السؤال والجواب السابقين (ضرب من التعزيز)، ثم يقدم إعلاماً جديداً قبل أن يطرح السؤال الناجم عنه. وعلى التلميذ أن يجيب، في **البرنامج الخطّي** لسكينر، عن كل الأسئلة ولايمكنه أن يتجاوز سؤالاً منها.

واقترح عالم النفس الأمريكي نورمان كراودر عام 1958 **برنامجاً متشعّباً** لايرغم كل التلاميذ على مسيرة واحدة بل يتكيّف مع إمكانات كل واحدمنهم. فكل **بند** في هذا المنهج يحتوي معلومات أكثر مما تحتويه **بنود** سكينر بكثير. ويختار الفرد من جهة أخرى جوابه، بدلاً من أن يبنيه، من جوابين إلى عشرة أجوبة محتملة مقترحة، يحيل كل جواب منها إلى **بند** محدّد. فعندما لايكون الجواب الذي يختاره التلميذ صحيحاً، فإنه يوجّه نحو عنوان يصحّح الخطأ ويطرح سؤالاً جديداً، إذا لم يدعُ التلميذ إلى أن يراجع بعض المفاهيم التي لم يتمثّلها جيداً.

وثمة طريقة، تسمى طريقة **التفرّع**، ابتكرها عالم النفس الأمريكي كي، تتيح للتلميذ أن يتجاوز بنداً أو عدة **بنود** عندما يفلح في اختبار- رائز معين. وتقدّمت تقانة التعليم المبرمج تقدماً مذهلاً، منذ ظهور آلات التعليم الأولى، بفضل استخدام الحاسوب على وجه الخصوص. فبعض الآلات تتكلم إلى التلاميذ بواسطة نصوص تُعرض على شاشة، وأخرى تُضرب آلياً على آلة كاتبة أو تكون مسجّلة على شريط. واخترعت شركة فرنسية جهازاً سُمّي «مرشد التعليم التقني والعلمي الفردي»، يتيح حواراً حقيقياً مع التلميذ. وتحت تصرف هذا التلميذ لوحة تحمل خمس عشرة منزلقة عمودية للحروف، والأرقام، والرموز الرياضية أو المنطقية، يصوغ جوابه بواسطتها. وتقارن الآلة جوابه بمجموعة من الأجوبة

المتوقّعة وتقدم جوابها الخاص، إما على شكل بصري، وإما على شكل صورة ترافقها رسالة صوتية مسجلة. ويتضمن البرنامج أيضاً شرحاً خاصاً للأجوبة غير المتوقعة. ولدى جامعة باريس السابعة، منذ عام 1967 ، حاسوب ونهايات ذات لوحة مفاتيح على نمط الآلة الكاتبة، يقدمان إلى الطلاب في العلوم، والطب، والألسنية، أكبر الخدمات. وتطوّر التعليم الذي يساعده الحاسوب في الاتحاد السوفييتي، والجمهورية الفيدرالية الألمانية، وبريطانية العظمى، ولاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تستخدمه غالبية الجامعات الكبرى. وعلى هذا النحو إنما أطلقت جامعة إيلّينو، في إوربانا، برنامجاً واسعاً للتعليم الذي يساعده الحاسوب، ويتوقع «PLATO» (**البرنامج المنطقي للعمليات التعليمية الآلية**) إيجاد أربعة آلاف نهاية ذات لوحات مفاتيح يمكن أن يستخدمها معاً ثمانية آلاف طالب.

وللتعليم المبرمج مزايا لاشك فيها. إنه غير مستخدم في المدارس والجامعات فحسب، ولكنه مستخدم أيضاً في الجيش لتكوين الأطر المتخصصة، وفي المشروعات التي ترغب في أن تمنح الراشدين تعليماً سريعاً جداً. (انظر في هذا المعجم: **المدرسة الفعّالة، التربية، الإشراط الأداتي**).

G.G.S.

التعميم

F: Généralisation

En: Generalization

D: Generalisation

امتداد حادث خاص على مجموع بكامله.

التعميم أكثر قوانين الإشراط أهمية. فارتكاس شرطي يمكنه ألا يُثار انطلاقاً من منبه شرطي بدئي فحسب، بل يمكن أن تثيره أيضاً منبهات أخرى تشبه المنبه الأول بعض الشبه. إن بافلوف (1849-1936) لاحظ وهو يقوم بتجربياته على الكلب، أن الاستجابة اللعابية التي يستجيب بها الكلب لمنبه معين (لضربة بندول الإيقاع بإيقاع قدره مئة وعشرون بالدقيقة) كان بإمكان منبهات مماثلة أن تثيرها (ضربة بندول الإيقاع بإيقاع قدره ستون ضربة بالدقيقة، على سبيل المثال). وبرهن ب. س. كوبالوف (1955) بعده أن الاستجابات التي يستجيب بها الكلب لأصوات طبيعية، ذات تردّدات قريبة من الصوت الأصلي، كانت أكثر ضعفاً بمقدار مايكون الفارق الفاصل بين الصوت الأصلي والأصوات الطبيعية أكبر. فإذا كان المنبه الشرطي، على سبيل المثال، الذي يبلغ تردده 1000 هرتز، يُحدث استجابة لعابية قدرها ثمانون وحدة، فإن صوتاً يبلغ تردده 700 هرتز يسبّب سيالة لعابية قدرها ثمان وسبعون وحدة، وصوتاً يبلغ تردده 400 يُنتج سبعاً وخمسين وحدة، وصوتاً من 200 هرتز يُنتج تسعاً وأربعين وحدة؛ والملاحظات نفسها يمكن أن نبديها مع قيم أعلى من 1000 هرتز. ونسمّي «ممال التعميم» تلك العلاقة بين قوة الارتكاس والمسافة التي تفصل المنبه الأصلي عن المنبهات الأخرى من النوع نفسه.

وليس التشابه الفيزيائي وحده قادراً على إحداث مفعول التعميم. إن غ. هـ. س. رازران (1939) بيّن أن بالوسع الحصول عليه أيضاً، لدى الإنسان، بواسطة كلمات قريبة بالمعنى من المثير الشرطي. فإذا كان المنبه الأصلي، على سبيل المثال، هو كلمة **دكتور** (doktor)، فإن الاستجابة الجلدية الكهربائية (تغيّر المقاومة الكهربائية للجلد تحت تأثير انفعال) ستحصل مع كلمات تدل أيضاً على كلمة «طبيب»، لكنها لا تحصل مع كلمة (dictor)، القريبة من الناحية الصوتية من الكلمة البدئية ولكنها تعني: «مقدّم برنامج إذاعة». فليس ثمة فقط ضرب من **تعميم الإشارة**، التي تتكوّن بفعل ووجود منبهات تتشابه بخصائصها الفيزيائية، بل ثمة أيضاً ضرب من **التعميم الدلالي**، حيث المعنى هو الحاسم. ومن الممكن، هنا أيضاً، إظهار ممال التعميم، ذلك أن شدة الاستجابات تختلف باختلاف المسافة الدلالية. فالتعميم عملية فكرية تفترض ضرباً من النضج العقلي. ولاحظ أ. ر. لوريا (1902-1978) أن التعميم يجري على المستوى الصوتي لا على المستوى الدلالي عندما يكون الطفل صغيراً أو يكون التخلّف العقلي شديداً. فاستخدام التعميم (والتجريد - الذي يكمن في أن «نفكر بصورة مستقلة في ما لم يُعط بصورة مستقلة»-) في المدارس الابتدائية الفرنسية لا يظهر إلا لدى تلاميذ من المرحلة المتوسطة في هذه المدارس (بدءاً من ثماني سنوات ونصف إلى تسع سنوات). ويعطي القسم التحضيري (من ست سنوات إلى سبع) تلاميذه **أدوات** المعرفة: القراءة والكتابة والحساب. وتقدّم المرحلة الأولية (من سبع سنوات إلى تسع) **عناصر** المعرفة: فالوقائع المدروسة ليست مترابطة (في التاريخ، والجغرافية، ودروس الأشياء...) وفي المرحلة المتوسطة من المدارس الابتدائية الفرنسية إنما تتجمّع هذه العناصر في منظومات، وتبرز هذه الروابط، ويظهر التجريد.

والتعميم، مع التجريد، منشأ تكوين المفاهيم. فالإحساسات تقدم معطيات مباشرة يحوّلها الفكر إلى معارف عقلية بالكلمات التي تتصف بأنها علامات المفاهيم. والتعميم سيرورة هي المبدأ الأساسي للفهم واللغة، إنه موجود في كل

تعلـم. وعلى هذا النحـو إنما يبتـعـد طفل عـن النار إن احـترق مـن قبلُ بلهب عـود كبريت؛ ويمتنع عن أن يلعب بشيء حاد إن جرحته شفرة، إلخ. فالتربية مصدر كثير من الاتجاهات الاجتماعية: سيكون الطفل الذي تعوّد على أن يبدي رأيه داخل أسرته أن يفعل الأمر نفسه في المدرسة؛ وذاك الطفل الآخر، الذي رُبي على الطاعة والخضوع إلى السلطة، سيتبنّى الاتجاه نفسه إزاء أساتذته، ورؤسائه التراتبيين فيما بعد. (انظر في هذا المعجم: **الترابط**، **التوسط**، **السيرورة– العلامة**).

N.S.

التعوّد

F: Habituation

En: Habituation

D: Habitualisierung

مصطلح استخدمه ر. دودج (1923) للدلالة على الظاهرة العامة جداً والحيوية جداً، ظاهرة اعتياد عضوية على بعض التنبيهات الحسية المتكررة التي لم تعد ترتكس عليها، ذلك أن هذه التنبيهات فقدت دلالتها.

تُلاحظ هذه الظاهرة إلى درجة لايُستهان بها لدى الحيوانات الدنيا. مثال ذلك أن ارتكاس الانسحاب لدى حلزونة (رخوية ذات أرجل معدية) على نقص مفاجئ في الإنارة يختفي بعد أن يسود الظلام عدة مرات. كذلك يتوقّف شقّار البحر، الذي يقلّص تويجه عندما نُسقط عليه قطرة ماء، عن الارتكاس عند الإثارة العشرين. وليست المسألة، كما يمكن أن يعتقد بعضهم، مسألة ظاهرة تعب، بل هي مسألة انطفاء الاستجابة بفعل «التعلم السلبي». والمرء يمكنه أن يعتبر إسلاس الانقياد لدى الحيوانات المتوحشة ضرباًمن تعودها البطيء والتدريجي على المنبه الجديد الذي يمثّله الإنسان في عالمها المألوف. (انظر في هذا المعجم: **الاعتياد، التعلم، إسلاس الانقياد**).

N.S.

التعويض

F: Compensation

En: Compensation

D: Kompensation

عمل ينزع إلى أن يوازن نقصاً أو قصورًا.

التعويض ظاهرة تكيّفية تلقائية. فأي عضو يمكنه أن يُعوّض بنمو العضو الآخر. إن للعميان سمع مرهف وحساسية لمسية قصوى؛ ولأسماك لُجّ الماء زوائد لمسية طويلة جداً في الرأس والذنب، أو عينان متضخّمتان ومصابيح قادرة على أن تُحدث نوراً مبهراً في بعض الأحيان. وتُلاحظ في أغلب الأحيان ظاهرة التعويض على المستوى السيكولوجي، في تصرفات تنشد أن تستر نقصاً، قصوراً أو عاهة، واقعيات، أو يستشعر المرء أنها كذلك. ويروي الدكتور أ. كيلهولز (1920) حالة فتاة عانس بوغتت، بعد أن سرقت عجلاً وخبأته في إسطبلها، حين كانت تحاول أن تبيعه إلى جزار. وعندما فُتش بيتها، وُجد فيه بنطالان عسكريان وكيس من السكاكر كانت قد سُرقت هي أيضاً. وفسر كيلهولز هذه السرقات أنها تعويض عن رغبة جنسية غير مشبعة. فالثور والبنطالان تمثّل الرجولة، بالنسبة لهذه المرأة الخائبة الأمل لأنها لم تتزوج، وكيس السكاكر يمثل الحنان. ويمارس التعويض في بعض الأحيان حصراً على المستوى المتخيّل. فلبعض أفكار العظمة، وبعض التصرفات التي تتصف بهوس الكذب، وبعض الهذيانات، المسماة تعويضية، وظيفة مفادها أن تخفّف من أثر الإخفاقات التي عاناها الفرد في حياته: وإذ يعزو إلى نفسه، في خياله، قيمة كبرى، ويعتبر نفسه شخصية ذات أهمية، مشهورة ويُعجب بها الناس

جميعهم وقادرة على المآثر الحقيقية، فإنه يتوصّل إلى أن يتحمّل وجوده الباهت الخامل.

والتعويض، في رأي ألفريد أدلر(1870 -1937)، الذي أدخل هذا المفهوم في سيكولوجيا الأعصبة، يرتبط دائماً بعاطفة الدونية الشخصية. إن إرادة القوة التي يصفها فريدريك نيتشة (1844 -1900) ويحملها الإنسان في نفسه، ليست سوى قوة تعويض خاصة يبحث بفضلها عن «تدارك حالة انعدام الأمن الداخلي لديه». وهذه القوة عامل نمو دائم يمكنه في بعض الحالات أن يحمل الفرد إلى الحد الأقصى من قدراته. وربما أراد نابليون بونابرت أن يُنسي الناس قصر قامته بتغطية نفسه بالأمجاد، وأصبح ديموستين خطيباً شهيراً بعد أن بدأ يصحّح تأتأته. وفي زمن أقرب إلينا، وجب على غلين كوننغهام، أحد أعظم أبطال الجري، وعلى البطلة الأولمبية ولما رودولف، التي اشتُهرت بـ«الغزالة السوداء» (1960)، أن يتجاوزا صعوبات حركية خطيرة في طفولتهما. كان الأول ضحية حادث ترك له الساقين في أسوأ حالة، وكان شلل الأطفال قدجندل الثانية. فعندما يتجاوز المرء الهدف ويبذل جهده، بوصفه غير راضٍ بالاقتصارعلى تقليص القصور، في مساواة النخبة، فإن المسألة لم تعدمسألة تعويض بل **إفراط في التعويض**. (انظر في هذا المعجم: **الإحباط، آلية الدفاع، الإرادة**).

M.S.

تغاير الأوطان

F: Allopatrie

En: Allopatry

D: Allopatrie

مصطلح يُستخدم للدلالة على واقع مفاده أن بعض الفصائل من نوع واحد تعيش في أماكن جغرافية منفصلة كل الانفصال.

تتطور هذه الفصائل، بالنظر إلى أنها ليس لها إمكان اللقاء والمصادفة، تطوراً مستقلاً بعضها عن بعض وتنتهي إلى أن تكوّن أنواعاً فرعية متمايزة تسمى «متغايرة الأماكن».

N.S.

تفتيق الأفكار En: Brainstorming

تقنية جماعية قائمة على اكتشاف أفكار جديدة وأصيلة بصدد مشكل معيّن.

يحثّ المنشّط أشخاص الجماعة المجتمعين من ثمانية إلى اثني عشر في الحد الأقصى، بعد أن يعرض مسألة اليوم، على التعبير تلقائياً، دون أن يخشوا حكماً عليهم أو نقداً، عن الأفكار التي تخطر ببالهم. وسيكون كل اقتراح موضع ترحيب، ولن يرفض أي اقتراح. بل، على العكس، كل شخص يمكنه أن يستلهم أفكار الغير، ويحولّها، ويركّبها. ومن الممكن على هذا النحو أن يحصل ثمانية أشخاص يتنافسون تنافساً تلقائياً، في منافسة خلال أقل من ساعة، على مئة وخمسين فكرة ستكون فيما بعد معروضة على جماعة من الخبراء يختارون أفضلها. والمنشط يمكنه، عندما يتباطأ إيقاع الإنتاج، أن يُطلق الاهتمام مجدداً، إذ يطرح أسئلة أو يقترح بعض الاقتراحات مثل: «استعد الفكرة بالمقلوب» أو «ركبها مع فكرة سابقة» أو «توّحد بموضوع النقاش» أيضاً. فيتوصّلون على هذا النحو إلى إيجاد حلول بارعة لمشكلات عملية كان تجاوزها يبدو متعذّراً. مثال ذلك أن مدير تدريب على صيد الحمام كان معرّضاً إلى العجز عن الاستمرار في فاعليته لأن بقايا الحمام من الصلصال كانت تسقط في الحديقة المجاورة. ويقول عضو في جماعة البحث عن الأفكار، وقد تماهى بموضوع النزاع: «ينبغي لي أن أختفي، أن أُطمر في التراب، أن أصبح سائلاً أو أتبخّر». وهكذا ولدت فكرة الحمام من الجليد. وليست

تقنيـة تفتيق الأفكار، التي أوصى بها أليكس ف. أوسبورن (1939)، أستاذ في جامعة بوفالو (الولايات المتحدة الأمريكية)، مستخدمة في البحث عن حلول عملية فـحسب، ولكنهـا تُسـتـخدم أيضـاً تمرين تكوين فـاعل ونمواًشـخصـيـاً بفـعل رفع الضروب من الكفّ وانبعاث الفكر الخلاق الذي تسبّبه. (انظر في هذا المعجم: **الإبداعية**، **تحريض الإبداع الفكري**).

N.S.

التفرّد

F: Individuation

En: Individuation

D: Individuation

كان كارل غوستاف يونغ (1875 -1961) قد استعاد هذا المصطلح ، الذي استخدمه الفلاسفة في العصور الوسطى للدلالة على المبدأ الذي يجعل موجوداً يتميّز من كل الموجودات الأخرى من النوع نفسه، ليميز سيرورة تحقيق المرء ذاته.

ينمو الموجود الإنساني نمواً بطيئاً، بالتمايز السيكولوجي البيولوجي التدريجي، وينتهي إلى أن يصبح موجوداً مركّباً متناغماً، ذا قرار حرّ ومستقلاً. ولكنه لايصبح كلية متفتّحة بصورة تامة إلا في نهاية هذا النمو الطويل، أعني التفرد، أي عندما يحقّق ماهو شعورياً ولاشعورياً (يتكلم يونغ على تحقيق **الذات**، بوصفها كياناً يشمل الشعور واللاشعور. (انظر في هذا المعجم: **النموذج البدئي**).

N.S.

التفريغ، التطهير

F: Catharsis

En: Catharsis, Purification, Purgation

D: Katharsis

مصطلح استخدمته العصور القديمة الإغريقية للدلالة على احتفال التطهير الذي كان المرشحون للتدريب على **الأسرار الخفية** (عبادات سرية) ملزمين بالخضوع له. واستخدم أرسطو، توسعاً، هذه الكلمة (**الشعر**، **VI** ,1449b) ليحدّد مفعول التراجيديا النافع على المشاهدين. ويتحرر المشاهد، حين يتماهى مْع واحد أو آخر من الممثلين ويعاني انفعالاته، من «أهوائه» الخاصة (خشية، شفقة، إلخ). وأستأنف الطبيب النمساوي جوزيف بروير (1842 -1925)، في نهاية القرن التاسع عشر، استعمال هذا المصطلح للدلالة على المفعول الشافي باستحضار حدث صدمي مكبوت في اللاشعور. أما س. فرويد، فقد استخدم التنويم المغناطيسي للحصول على رفع الحجاب عن ذكريات خفيّة وعلى انبعاثها. ولكن س. فرويد آثر عليه الإيحاء، أمام المحاذير التي كانت تنطوي عليها هذه التقنية، ثم طريقة الترابطات الحرة. وأرصن السويسري لودفيغ فرانك (1927) والبلغاري نيكولا كريستنيكوف، من جهتيهما كل منهما على حدة، طريقتين كل منهما شبيهة بالأخرى إلى حد كاف، حيث ينبغي للمريض الممدّد على ديوان أن يفكر ملياً بعواطفه التي تنبعث في نفسه وتعود، على وجه العموم، إلى أحداث منسيّة من تاريخه الشخصي. والتفريغ الانفعالي الناجم عنه (**تنفيس**) كان يكفي ليسبّب الشفاء.

وطريقة التفريغ يمكنها أن تتخذ عدة أشكال، بدءاً من **التحليل بالتخدير** (ضرب من التقصّي السيكولوجي الذي يمارس تحت التخدير الخفيف الكيميائي) المستخدم على وجه الخصوص في علاج العصاب الصدمي، حتى التمثيل الدرامي **والصرخة الأولى**. وتنقسم هذه التقنية الأخيرة، المعزوّة إلى عالم النفس الأمريكي أرثور جانوف (1970)، إلى مرحلتين. فالمريض معزول ومنكبّ على استيهاماته الخاصة خلال المرحلة الأولى التي تستغرق مدة ثلاثة أسابيع. واتصالاته الوحيدة مع الغير هي اتصالاته مع معالجه. فهذا المعالج يدعوه إلى أن يتذكّر ماضيه وألا يراقب عواطفه. إنه يستسلم للصراخ، والبكاء، ونداء أبويه، بوصفه مغموراً بانفعالاته. ويدمج الفرد، خلال المرحلة الثانية التي يمكنها أن تدوم عدة أشهر، في جماعة من جماعات العلاج النفسي حيث تجري جلسات مشابهة.

وتستخدم طريقة التفريغ في علاج الأطفال النفسي استخداماً واسعاً. فتقنية الأساس هي اللعب الحر الذي يمكن بفضله أن تعبّر الميول العميقة عن نفسها تعبيراً تلقائياً. ومثال ذلك أن الطفل يمكنه، إذ يلعب بالعجينة التي يشكّلها كما يشاء، وبالعرائس أو الدمى، أن يظهر، رمزياً، حبه أو كرهه للأفراد الذين يحيطون به، دون أن يشعر بالإثم أو يخشى الانتقام. (انظر في هذا المعجم: **سيكولوجيا الفن الحديث**، **كريستنيكوف** [نيكولا]، **السر**).

N.S.

التفسير

F: Interprétation

En: Interpretation

D: Interpretation

شرحٌ بعبارات واضحة ظاهرةً غامضة أو غير مفهومة.

التفسير هو بذل الفرد جهداً ليجعل مفهوماً حادثاً أو حدثاً، إنه المضي على نحو يتجاوز الظواهر؛ وجعل مالم يكن سوى ضمني محسوساً؛ إنه اكتشاف الحقيقة. فكل قول عن شيء تفسير، ولكن كل تفسير ليس حقيقة.

وقدلايتعدّى التفسير كونه إسقاطات شخصية، مفترضات أو اعتقادات بعيدة عن الواقع جداً. كان عرّافو الحضارة الرومانية القديمة يفسرون إرادة الآلهة بعلامات كالرعد، والبرق، والزلازل، وبفحص أحشاء الضحايا القربانية. والتفسير في علم النفس ضرب من الفرض بصورة أساسية. إننا نفسر رائزاً كما نفسر تصرفاً، أي أننا نحاول، باستنتاجات منطقية وانطلاقاً من معارف ثابتة تماماً، أن نجمع في كل متماسك أكبر عدد ممكن من الحوادث الاختبارية. وأساس كل تفسير **مبدأ الهوية**، الذي عرّفه الفيلسوف والرياضي السويسري فرديناند غونزث (سونفيليه، 1890 لوزان، 1975). عندما لانعرف الحقيقي، يقول هذا المؤلف، ينبغي لنا أن نبحث عن الموافق، أي ما يناسب على النحو الأفضل، ومايأخذ الشروط بالحسبان ويخضع لمقتضيات المنطق. وليست تفسيرات عالم النفس، على الرغم من ذلك، سوى قضايا معقولة، إنها لاتدلي أبداً ببراهين. والعناصر التي تقدّمها يمكنها أن

تسدّ صدعاً، وتمنح بعضاً من التماسك أحداثاً متفرقة، ولكن البناء الناجم عنها لايختلف أبداً عن هذيانات مرضاه (س. فرويد، 1938، ص. 268)، ويمكننا مع ذلك أن نلاحظ فيه عدداً من التناقضات؛ ولكن التناقضات موجودة في كل مكان وهي تدعونا، بلمح البصر، إلى البحث عن شيء آخر. فلا يُفسَّر أبداً حلم، وعرض، وتصرّف، تفسيراً كلياً. إن الحلم على وجه الخصوص «يبدو أنه ذو عدة دلالات، ولكن المعنى، إنجاز رغبة، يمكنه أن يحجب دلالات أخرى، إلى أن نكتشف، شيئاً فشيئاً، رغبة من الطفولة الأولى» (س. فرويد، 1900، ص. 200).

وما نسمّيه «تفسيراً مضاعفاً» هو تفسير جديد يُضاف إلى الأول، المتماسك والكامل على مايبدو. وليس عالم النفس حائز الحقيقة. إنه لايقدّم المعنى الخفي لتصرف، ودوره ليس القول، بل دوره يكمن في مساعدة المريض على أن يتغلب على النفور من مواجهة حقيقة تُسبّب له الحصر وتتطلّب مع ذلك أن يُرفع الحجاب عنها. (انظر في هذا المعجم: **علم التفسير**).

N.S.

تفكّك التنظيم

F: Désorganisation

En: Disorganisation

D: Desintegration

مصطلح عام يُستخدم للدلالة على كل سيرورة من فقدان التكامل، عابرة أو دائمة، في بنية الوجود النفسي العميقة.

يصف المصطلح، في اللغة الرائجة، وصفاً غير دقيق، تلك الحالات المرضية التي يسود فيها فقدان الوحدة العقليةوالضياع: الفصام أول الأمر (الذي يُستخدم فيه المصطلح خطأً، بوصفه مرادف تفكّك "dissociation")، ولكن ثمة ضروب الخبل أيضاً وبعض الذهانات الحادة، ولاسيما حالات الخلط العقلي. ويستخدم المصطلح أيضاً للدلالة على الخلل في الانسجام الذي يرافق بعض القصورات العقلية أو بعض اضطرابات النضج الوجداني لدى الطفل، التي تلي قصورات شتى ذات أهمية ضعيفة أو كبيرة؛ ومن المناسب، في هذه الحالة، أن نتكلم على عدم التنظيم بالحري. ولكن هذا المصطلح ينطبق على نحو أكثر أساسية، على بعض المفهومات في علم النفس المرضي العام ليصف الجوانب الانتكاسية الماثلة بأشكال ودرجات شتى في كل آفة عقلية. وفي هذا المنظور، تكون التصورات الجاكسونية والجاكسونية الجديدة، التي أوضحها على وجه الخصوص تيودول ريبو (1916-1839)، كونستونتان فون موناكو ومورغ، جـ. روار ولاسيما هنري إي (1877-1900)، أولية. إنها تنظر إلى الجهاز النفسي أنه مجموع متراتب يُعَدّ إعداداً تدريجياً تحت تأثير النضج وبفعل تكامل البنيات المتتالي، من الأكثر بساطة إلى

الأكثر تعقيداً. وينجم المرض، وفق هذه النظرية، عن زوال التبنين في البناء، زوال تسبّبه سيرورة عضوية؛ وهذا الانحلال يظهر بمفعول مزدوج: سلبي، بفعل اندثار الجمل الوظيفية المصابة بالأذى؛ إيجابي، بفعل «تحرر» فاعلية المراكز الداعمة وإعادة تنظيمٍ على هذا المستوى البنيوي. وهذا المبدأ في العمل الوظيفي يُطبَّق على كل علم الأمراض العصبية، إذ أن الانحلالات الجزئية أو المحلية ذات علاقة بالأمراض العصبية، والانحلالات الإجمالية الوحيدة الشكل ذات علاقة بالأمراض العقلية. فهذا التصور يظهر إذن وكأنه نظرية عامة لمجموع الاضطرابات العقلية من حيث هي ضروب خَلَل الموجود الشعوري التي يمثّل فيها تفكك التنظيم تلك الحركة السلبية. ويفصل هنري إي، في قلب هذا المجموع، بين سيرورات زوال التبنين في حقل الشعور، أساس الذهانات الحادة، وبين سيرورات الشخصية، التي تميّز الذهانات المزمنة. وفي عداد الآفات المزمنة، يعزل هنري إي عدة مستويات من تشوّه الشخصية: المستوى **الأعلى** (أعصبة، حالات فقدان التوازن)، المستوى **المتوسط** (هذيانات مزمنة وفصام)، المستوى **الأدنى** (ضروب خبل). ويظل اللاشعور عادة، مصدر الدوافع، خاضعاً في هذا التصور إلى الشعور ومكبوتاً به، ويتحرر بفعل تفكك التنظيم، وأدوارهما الخاصة بكل منهما في علم الأمراض العقلية توضحها الصيغة التالية: «اللاشعور يكوّن المحتوى أو، إذا شئنا، مادة الأمراض العقلية التي يكون تفكك التنظيم في الوجود الشعوري شكلها».

ونظرية التحليل النفسي تمنح الشعور مكاناً وأهمية مختلفتين جداً وتعالج الدينامية النفسية بأسلوب مختلف كل الاختلاف. ولا وجود لأية إحالة فيها إلى مفهوم تفكك التنظيم، ولكن جان لابلانش (و) جـ. ب. بونتاليس يجعلانه في معجمهما، معجم **التحليل النفسي**، شبيهاً بمفهوم **النكوص الشكلي** الذي استخدمه فرويد. والواقع أن فرويد يميّز بين ثلاثة أشكال من النكوص: **الموقعي**، بالعودة إلى نظام سابق (من القدرة على الحركة إلى الإدراك في الحلم والهلوسات، على سبيل

المثال)؛ **الزمني**، بتراجع الليبيدو إلى مرحلة من النمو النفسي الجنسي سابقة؛ **الشكلي**، باستخدام أساليب من التعبير ذات مستوى أدنى.

ويبدو من الناحية العملية، أياً كان المكان والأهمية اللذان يُمنحان هذه السيرورة، أن مفهوم تفكك التنظيم لايمكنه أن ينفصل عن مفهوم **إعادة التنظيم**، ذلك أن هذا المنظور يحضّنا على ألا نبحث فحسب، بالنسبة إلى فرد وفي لحظة محدّدة، عن فئة من الوصف المرضي (تُرضي الفكر المنهجي الذي يصف الأمراض ويبحث في تصنيفها)، بل أن نبحث على وجه الخصوص عن خطّ من التصرّف سيكون تابعاً للمعطيات البنيوية والديناميك التطوري للمرض والمريض. (انظر في هذا المعجم: **الدينامية**، **العضوية**).

J.MA.

تفكّك الشخصية

F: Dissoeiation

En: Dissociation

D: Dissoziation

مصطلح يُستخدم للدلالة على سيرورة انحلال الشخصية وتصدّعها في الفصام الذي يوصف في بعض الأحيان، من جهة أخرى، أنه «الذهاني التفككي».

التفكك، بالنسبة لبعض المؤلفين (هـ. إي. على وجه الخصوص) يمثّل الجانب السلبي من المرض، على خلاف ذُهان الانطواء على الذات، وهو محاولة في إعادة التبنين. ويكافئ مصطلح التفكك كلمة spaltung الألمانية التي يستخدمها إوجين بلولر (1857-1939) في وصف الفصام، والكلمةالفرنسية discordance «تقصّف»، التي اقترحها فيليب شاسلان (1857-1923). ولكن ثمة ميلاً إلى الاحتفاظ بمصطلح «تفكك» لمجموعة السيرورات التي تعبّر عن هذا الانحلال، إذنستخدم التصدّع بالحري لوصف سماتها العامة. والتصدع الفصامي ذو علاقة بكل جوانب الفاعلية النفسية ويظهر بصورة أساسية بمعاينات مفارقة في جميع الميادين. والمفارقة، على المستوى العقلي، تواجه قدرات كامنة سليمة بعجز عن استخدامها استخداماً ناجعاً. فالانتباه متحرك، والذاكرة نزوية، وترابط الأفكار يفضي إلى آليات غير مفهومة؛ ويبدو تكوين الأفكار في مجموعة كأنه فوضوي، مصاب بالخلل، في وقت واحد، في آلياته المألوفة وإيقاعه السريع تارة والراكد تارة أخرى (ومن هنا منشأ الخبوّ العقلي أو الضعف التدريجي الذي يمكن أن يمضي إلى

حد«السدّ» أي إلى ضرب من انحسار الفكر). واللغة مشوّهة جداً من وجهة نظر قواعد اللغة وتنسيق الجمل (أسلوب البرق على سبيل المثال)، ومن وجهة نظر المفردات (خلق مفردات جديدة، ولغة جديدة مغلقة في الدرجة القصوى) والأسلوب (أسلوب شعري مزيّف، على سبيل المثال) الذي يفقد حتى قيمته كأداة تواصل. ويمسّ هذا الالتواء مساً إجمالياً وإلى أبعد عمق آليات التفكير المنطقي الذي يتوقّف عن الخضوع إلى القواعد المألوفة ليجد مجدداً صيغة من العمل الوظائفي العتيق من النموذج السحري (فكر ينافي الواقع). ويكون منذئذ كل تقييم موضوعي لمستوى النجوع العقلي متعذراً، وأتاحت كل الدراسات في القياس النفسي أن تتحقّق من التغيّرية القصوى للنتائج، وذلك شاهد على أن مثل هذه الاختبارات غير مناسبة. وتفضي سيرورة التفكك، في المجال الوجداني، إلى ضرب من مظهر اللامبالاة، «اللاوجدانية»، من عدم الاهتمام، من نقص الاندفاعة الحيوية [**فقدان الوجدانية** لدى ديد وغيرو] الناجم عن عجزٍ عن أن يستخدم حالات وجدانية راهنة مع ذلك استخداماً متناغماً. وتعبّر الانفعالات عن نفسها تعبيراً فوضوياً، انفجارياً على الغالب وغير متوقّع. والعلاقات الوجدانية، لاسيما الأسرية، موسومة بالسمة المتناقضة نفسها، الثنائية المشاعر واللغزية.

ويترجّح السلوك النفسي الحركي نفسه بين العطالة والمعارضة ذات النزعة السلبية (اللتين تجدان تعبيرهما الرئيس في التناذر الكاتاتوني) والنوبات المفرطة الحركية، العنيفة وغير المتوقعة في الغالب (جرائم أو انتحارات غريبة على وجه الخصوص). والفاعلية الأكثر بساطة مصابة بنقص في السمة الطبيعية (تصنّع) وبتعبيرات غير مألوفة (اضطرابات في الإيمائية، ابتسامات لامبرر لها، إلخ). وأي وصف للظاهرة مهما كان دقيقاً، معقّداً وغير مألوف إلا قليلاً، لايمكنه أن يكون مرضياً، وليس بوسعنا في الواقع أن ندرك، مفهوماً كمفهوم التفكك إلا بالتجربة العيادية. وتكون هذه السيرورة، التي تشوّه على النحو الأكثر عمقاً والأكثر دواماً مجموع الشخصية، عامل الاغتراب الفصامي، عامله الأساسي. (انظر **الفصام**).

J.MA.

التفكّك المتدرّج في شخصية الفصامي

En: Splitting

D: Spaltung

مصطلح استخدمه عام 1911 الطبيب السويسري إوجين بلولر (1857-1939) للدلالة على العَرَض الأساسي في الذهانات الفصامية: التفكك المتدرج في شخصية المريض.

عدم التماسك في الفكر، والوجدانية، والفاعلية، والانطواء على الذات، والهذيان السيء التنظيم، وهي خصائص الفصام، تعبّر تعبيراً مباشراً، في رأي بلولر، عن اضطراب عميق في الترابطات التي تنظّم مجرى الفكر. وهذه الترابطات التي فقدت تماسكها بتأثير المرض (الذي يعتبره بلولر ذا أصل عضوي)، تتجمّع على نحو غير مألوف، غريب، بمشيئة رغبات المريض وحالاته الوجدانية في الجزء الأكبر منها.

واقترح الطبيب النفسي الفرنسي فيليب شاسلان (1857 -1939)، عام (1912)، مصطلح «تنافر» للدلالة على الظاهرة التي وصفها بلولر وصرّح هو نفسه عام 1926 أن هذه اللفظة كانت تبدو له أكثر ملاءمة.

ويستخدم س. فرويد (1856-1939) مصطلح Spaltung أيضاً، ولكن بمعنى مختلف جداً. ومثال ذلك عندما يتكلم على «تصدّع الشعور» الذي يسبّبه التنويم المغناطيسي أو الذي نلاحظه في بعض حالات الهستيريا. ويشهد المرء في هذه الأوضاع، يقول، تكوّن زمرتين، في كنف الحياة النفسية، من الظاهرات التي

يمكنها أن توجد معاً دون أن تتداخل. ويلاحظ فرويد، في ملاحظة عن الأعصبة والذهانات، أن مايجري في جميع الحالات المشابهة يكمن في ضرب من **التجزّؤ**. فثمة، بدلاً من اتجاه نفسي وحيد، اتجاهان، أحدهما، السويّ، يأخذ الواقع بالحسبان، في حين أن الآخر يفصل الأنا عن الواقع تحت تأثير الدوافع (. . .). والشروط الضرورية لظهور ذهان موجودة عندما يتغلّب الاتجاه غير السوي» (1938، الترجمة الفرنسية، ص. 78). ويخلص فرويد إلى القول إن في كل ذهان ضرباً من تصدع الأنا (Ichspaltung)، أي وجود «اتجاهين نفسيين مختلفين، متقابلين ومستقل أحدهما عن الآخر» لدى الشخص نفسه. (انظر في هذا المعجم: **التفكك**، **الفصام**).

J.MA.

تقطيع الواقع

F: Découpage de la réalité

En: Interpretation of non-linguistie reality

D: Einteillung der aussren welt

فهم خاص للعالم، والموجودات والأشياء، يتجلّى في اللغة ويتعزّز بها.

من الشائع أن نلاحظ أن للغات العالم المختلفة ضرباً من تقطيع الواقع يختلف اختلافاً كبيراً من لسان قوم إلى آخر. فألفاظ لسان ليس لها مقابل دقيق في اللسان الآخر. وذلك يعود إلى أن وحدات النحو ومعجم المفردات لاتتوزّع، بمدلولاتها، مجال التجربة غير اللغوية وفق تقطيع ثابت **قبلياً** وكلي. ولاتختلف كلمات لساني قومين بشكلها فقط، فهي ليست بطاقات مختلفة ملصوقة على مفاهيم واحدة؛ إنها تختلف بمضمونها، وتوزُّعُ هذا المضمون بين مختلف الكلمات أمر يميّز البنية الخاصة بلسان. وهكذا فإن أحد أسماء اللون (ama) يدل، لدى الإوه Ewes في أفريقية الغربية، على منطقة من الطيف الشمسي تقابل جزءاً من درجات لون الأزرق لدينا وجزءاً من درجات لون الأخضر. وبمتناول شعب من الشعوب، غذاؤه رهن بالأرز إلى الحد الأقصى، اسمان مختلفان، أحدهما للأرز المطبوخ، والآخر للأرز النيّء. وتميز اللغة الانغليزية بين كلمة beef وكلمة ox، في حين أن اللغة الفرنسية ليس لها سوى كلمة boeuf، إلخ. وتقابل بعض اللغات ضمير «نحن» بعدة ضمائر أخرى تكافئ «أنا وأنت»، «أنا وهي»، «أنا وهو»، إلخ. وتعبّر بعض الألسن، من وجهة نظر النظم، نظم الجملة، **بالعلاقات** بين الألفاظ عمّا تمثّله ألسن أخرى بألفاظ **موصولة** (أو يمكن وصلها). وثمة، إلى

حد كبير، اتفاق على القول إن تقطيع الواقع الذي يعرضه لسان من الألسنة يرتبط بالفاعلية الرئيسة وبالعلاقات الاجتماعية لدى الجماعة التي تتكلم هذا اللسان، كما رأينا الأمر رؤية جزئية مع مثال اسمي الأرز، مادام صحيحاً أن اللغة تُصاغ، في جزء أساسي منها، بفعل التواصل وحاجاته. وهذا التقطيع يمكنه أن يتطور خلال القرون في اللسان نفسه، تطوراً يعقب على وجه العموم تغيرات اقتصادية، اجتماعية وثقافية (**انظر** أعمال جـ. ترير على وجه الخصوص).

وإذا تجاوزنا هذه المعاينات، فإن ثمة مشكلاً يطرح نفسه، مشكل أن نعرف ضمن أي حد يؤثر تقطيع الواقع، الذي يميز لسانا من الألسنة، في إدراك هذا الواقع، الإدراك الموجود لدى المتكلمين، فردياً، أو من حيث هم جماعة. وليست المناظرة جديدة: إنها تجدّد المشكل القديم للعلاقات بين الفكر واللغة، الذي طرحه من قبل ويلهالم فون هومبولد (1767-1835). وطرح المشكل طرحاً أحدث بنجامان لي هورف (وينتروب، ماساشوست، 1897- ويتهرزفيلد، كونيكتيكوت، 1941). وإذ عُني ويلهام بالألسن الهندية الأمريكية بدءاً من عام 1924، مستنداً إلى قاعدة أعمال إدوار سابير (1884-1939)، فإنه يعتبر أن لكل شعب تصوراً للعالم تقدّم المنظومة الألسنية انعكاسه وأن التقطيع المفهومي الذي يجريه لسان قوم يؤثّر، بالتبادل، على تحليل الواقع كما يتصوره مستخدمو هذا اللسان. ونقول بعبارة أخرى إن اللغة ومنظومة تصور العالم هما في علاقة من الارتباط السببي على مستويي المفردات وعلم النحو.

هذا الفرض، المعروف باسم «فرض سابير- هورف، ينفي أو يقلّل من شأن واقع مفاده أن الطفل يباشر اتصالات مع الواقع يختلف أسلوبه عن الاتصال بالواقع بواسطة اللغة. ولايشرح هذا الفرض كيف أن كشوفاً علمية، تجعلنا نطوّر باستمرار تفسيراتنا للواقع، يكتشفها باحثون «محدودون»، من الناحية النظرية، بالتقطيع الذي يمارسه لسانهم الخاص. ونحن نستمر في القول عن أحد إنه ذو «قلب طيّب» دون أن نلتزم مع ذلك بالتصور القديم الذي كان يجعل القلب مركز الأهواء، وكوننا

أننا ليس لدينا اسمان مختلفان للرز المطبوخ والرز النيء أمر لايمنعنا من أن نميّز الاثنين؛ ومما لاريب فيه أن الأمر يكون أكثر اقتصاداً في الكلام، بالنسبة للمتكلم الذي يستخدم هذين المفهومين في حياته اليومية، لو أن لديه ثلاث ألفاظ موحّدة ومتواترة: «الأرز»، «المطبوخ»، «النيء». وبمتناولنا، دون أن نأخذ بالحسبان تعليمات علم النفس وعلم الأمراض العصبية الحديث الخاصين بالاستقلال النسبي لاكتساب اللغة وللعمل الوظائفي للغة والفكر (ثمة ضرب من التفاعل الواضح مع ذلك)، مايكفي من الوقائع لنعبّر على نحو دقيق، آخذين الفروق بالحسبان، عن السمة الغالبة، سمة فرض سابير - هورف. والحقيقة مع ذلك أن بوسعنا، بالنسبة لجانب سيكون مفيداً أن نحدّده، أن نفترض أن البنيات الألسنية يمكنها أن تقنّي استدلالنا، وتضفي الصفة المؤسّسية على بعض المفاهيم، وتشجّع دوام رؤية للعالم معيّنة.

G.MA.

تقسيم العمل

F: Division du travail

En: Division of labour

D: Arbeitseilung

تقسيم العمل تنظيمٌ دقيق لفاعليات العمل لدى كل فرد في إطار تحدّده دائرة متخصصة تحديداً صارماً.

تقسيم العمل غير ذي علاقة بالمهن القديمة التي تشكّل موضوع ممارسة مهنية تقتضي تعلّماً وتكويناً. ويتضمن العمل الحرفي وظيفتين منفصلتين في العمل الصناعي. إنهما، من جهة، وظيفة التنظيم التي يؤدّيها المهندسون والتقنيّون، ووظيفة التنفيذ، من جهة أخرى، و ظيفة العمال. ومثال ذلك أن خيّاطة هي التي تأخذ بنفسها قياسات زبونتها، وتقصّ القماش، وتفصّل الثوب، وتسهر على تجريبه، وتنهي عملها وتسلّمه. أما في محل للملابس الجاهزة، فإن عدة أشخاص ينجزون هذه الأفعال المختلفة. فتقسيم العمل يُعنى على وجه الخصوص بالإنتاج الصناعي المسلسل. وثمة، في الواقع، ثلاث صيغ من الإنتاج:

1 - الإنتاج بالوحدة؛ إنه ذو علاقة بمنتج وحيد. ونمطه هو الإنتاج من النموذج الحرفي.

2 - الإنتاج بالسيرورة؛ فالإنتاج يحدّده تحديداً نهائياً ماتقصده المنشأة، ولايقبل التكيّف مع نماذج أخرى من الإنتاج. تلك هي حالة مركز حراري، ومصفاة تكرير، إلخ.

3 - الإنتاج المسلسل؛ إنه ذو علاقة، على سبيل المثال، بصناعة أشياء ذات استعمالات كثيرة، كالبراغي أو الخرقات، ولم يعد لهذا الإنتاج صلة بالمهن بل بالأعمال. والنمط الأكثر شهرة لهذا النموذج من العمل هو العمل المسلسل، الذي يُخصّص له 35 بالمئة من فئة السكان العاملين الكلية وحتى 80 بالمئة من العاملين في بعض المشروعات.

وتقسيم العمل محاولة لتنوب العقلانية في حياة المشروع مناب الحدس.

فثمة انكباب على أن يوضع الاختصاصيون في المواقع الرئيسة لزيادة الإنتاج، الذي سيكون في حده الأقصى عندما تكون التقنية أفضل. ويفضي الأمر على هذا النحو إلى تقطيع العمل، عمل كل عامل، وإلى تكاثر الخدمات الوظيفية: دراسات، طرائق، بيوع، شراء. ويكمن تقسيم العمل، على مستوى موقع العامل، في أن يُعهد إلى المنظم تهيئة الآلة، وإلى مكتب الطرائق تنظيم موقع العامل، وإلى المراقب مراقبة النوعية. ولايُعنى تنظيم العمل بالعمال فحسب، ولكنه يعنى أيضاً بالمشروعات (نجد في الران الأعلى، على سبيل المثال، مصانع غزل ونسيج وورشات صباغة القماش لايبتعد بعضها عن بعضها الآخر إلا قليلاً، وكل هذه المنشآت تسهم في إنتاج منتج محدّد)، والمناطق (الزراعية، المنجمية. . .) وحتى الأمم (بلدان منتجة للمواد الأولية، بلدان مصنّعة. . .). ومنافع تقسيم العمل اقتصادية، ولكنه ينطوي على محاذير، ولو لم تكن إلا من وجهة النظر السيكولوجية، جراء تفتيت الأعمال. (انظر في هذا المعجم: **العمل المسلسل**).

Y.B.

التقشّف

F: Ascétisme

En: Ascetism

D: Askese

نمط صارم من الحياة يكون المكان الكبير فيه لكبح الشهوات، والانضباط، وجهد الإرادة البطولي، بغية بلوغ السيادة على الذات.

المتقشفون، الذين لايبالون باللذة ولا الألم، بالغنى ولا بالفقر، يحتقرون الجسم ومتعة الحواس، إنهم يفرضون على أنفسهم نظاماً قاسياً من الحرمان، ويحاولون أن يتحمّلوا الآلام الجسمية التي يفرضونهاعلى أنفسهم دون كلمة يقولونها، يقصدون من وراء ذلك أن يوطّدوا سيطرة الروح على الجسد، والإرادة على الغرائز والأهواء. فهم يصنعون الخير الأسمى في الجهد الذي يبذلونه لبلوغ الفضيلة شأنهم في ذلك شأن الرواقيين في الحضارة الإغريقية القديمة: «تحمّل وامتنع»، كان إبكْتيت يقول (نحو 50 م- 125م). والتقشف مستوحى من الفلسفة أو الدين على الغالب. إنه منتشر فقط لدى ممارسي اليوغا الهنود، الذين يمارسونه على نحو فعّال في بعض الأحيان، ولدى الصوفيين والدراويش المسلمين في الشرق الأدنى، ولكنه يُمارس أيضاً لدى التائبين المسيحيين عن خطاياهم في وسط فرنسة، وفي إسبانية وإيطالية. وثمة تقشف نسبي موجود أيضاً لدى بعض المراهقين المولعين بالطهارة والمطلق. وفي رأي أنّا فرويد (1895-1982) أن هذا السلوك ذو علاقة بنمط من دفاع الأنا ضد «التفجّر الغريزي» للبلوغ. فالمراهق يحرّم على نفسه

كل لذة لحمايتها من اشتداد دوافعه، ويهرب من ألوان اللهو ومن الرفاق، رفاق عمره، ويتخلّى عن الأناقة في اللباس وعن الزينة، بل يمضي إلى أن يقلّص غذاءه إلى الحد الأدنى الدقيق، وذلك أمر يفضي في بعض الأحيان إلى خَلْفة ذهنية حقيقية. (انظر في هذا المعجم: **الألم، الفكرنة** [**إضفاء الصفة الفكرية**]، **آلية الدفاع، اليوغا**).

M.S.

تقليص الخوف

F: Reduction de la Peur

En: Fear-reduction

D: Furchtreduzierung

بذل بعض علماء النفس، أواخر الثلاثينيات وبداية الأربعينيات، جهوداً لتطبيق الإطار المفهومي لسيكولوجيا التعلّم التجريبي والدافعية على مبادىء فرويد. وكانت عدة مفاهيم من التحليل النفسي قد استُؤنفت على هذا النحو وفق طريقة موضوعية، ولاسيما في جامعة بال، مفاهيم استأنفها تلاميذ كلارك ل. هول، أو هـ. مورر، ن. إ. ميلر، جـ. دولر. وحدّد مورر تحديداً جديداً مفهوم القلق في مقاله «تحليل المنبه- الاستجابة للقلق ودوره بوصفه عامل تعزيز» (1939)، وبدأ بعده علماء نفس أخرون ذوو نزعة تجريبية يتكلمون على الخوف أو القلق لدى الحيوانات. ويشكّل القلق، في النظرية السلوكية، جزءاً من حالات ثانوية (أو مكتسبة، بالتقابل مع حالات أولية، فطرية)، ولفظتا الخوف والقلق تحلّ إحداها محل الأخرى، ذلك أنهما يدلان على وظيفة واحدة في السلوك: حالة من التوتر غير مستساغة تسعى العضوية جهدها لاستبعادها أو تقليصها.

ونظرية تقليص الخوف شكل من نظرية هول الخاصة بتقليص الحاجات. وفي رأي هول أن واحداًمن الشروط الأساسية لتعلم الاستجابة هو أن هذه الاستجابة تؤدّي إلى تقليص التوتر. ومثال ذلك أن من المحتمل أن يبدأ مجدداً فأر جائع، ينال الغذاء إذا ضغط على رافعة، بهذه المناورة عندما يوضع في الوضع نفسه. ونقول بعبارة أخرى إنه سينتج الاستجابة نفسها (ج) أمام المنبه نفسه (م). وإذ تستلهم

نظرية تقليص الخوف هذا النمط، فإنها تُحلّ القلق محل الجوع في المثال السابق. وثمة براهين تجريبية عديدة على دور التعزيز لتقليص الخوف، وتجربة ن. إ. ميلر على الفئران مثال كلاسيكي على ذلك.

وامتداد هذه النظرية على علم النفس الإنساني ليس تعسفياً والوقائع التي يمكنها تسويغه غزيرة. ولنضرب مثلاً على ذلك طفلاً يخاف، في الشارع، كلباً يهدّده. إنه يهدّئ توتره الداخلي حين يهرب نحو بيته، توتراً يُولد من الوضع، إذ يعزّز في الوقت نفسه علاقة المنبه- الاستجابة بين رؤية الكلب والجري نحو البيت. وبوسعنا، في المجال العيادي، أن نذكر كثيراً من الأوضاع المماثلة، مثال ذلك: إذا كان إنسان يخاف، في وضع معين، وإذا كان تنفيذ حركة، كعدّة مثلاً، يسكّنه، فإن هذا التصرف، الذي يعززه تقليص التوتر، يمكنه أن يصبح علامة عصاب. وفي رأي منظّري التعلم أن كثيراً من الأعراض العصابية إنما تولد على هذا النحو. ولكن دولارد وميلر لايعتقدان أن استجابات تقليص القلق ينبغي لها بالضرورة أن تظهر ظهوراً خارجياً، ذلك أن بإمكانها أن تُقمع أيضاً. ويفسح هذان المؤلفان، في كتابهما لعام 1950، مكاناً كبيراً لنظرية تقليص الخوف. (انظر في هذا المعجم: **التعلم، العلاج بالسلوك، هول**).

H.I. (ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

التقنية الإسقاطية

F: Technique projective

En: Projective technique

D: Projektives ver fahren

طريقة لسبر الشخصية يكمن مبدأها الأساسي في تقديم منبه يحتوي على إعلام ضعيف بغية إثارة استجابة حرة ما أمكن ذلك.

كان عالم النفس لورنس ك. فرانك قد استخدم مصطلح «طرائق إسقاطية» للمرة الأولى عام 1939 ليشرح القرابة الموجودة بين مختلف الاختبارات السيكولوجية كـ**رائز ترابط الكلمات** لكارل غوستاف يونغ، **التشخيص النفسي** لهرمان رورشاخ، **رائز تفهّم الموضوع** لهنري ألكسندر موري. وتستند هذه التقنيات، شأنها شأن الطرائق الإسقاطية الأخرى، إلى الفعل الإدراكي. ونحن نعلم أن الإدراك ليس تلقّياً سلبياً، ولكنه فعل من أفعال الشعور، وبناء شخصي تتغيّر فيه درجة مشاركة الفرد بنسبة عكسية مع الإعلام الذي يقدمه الموضوع. فكلما كان هذا الموضوع واضحاً، بارزاً ودقيقاً، كانت مساهمة الفرد أقل أهمية. وكلما كان، على العكس، مبهماً وضبابياً، اقتضى جهوداً حتى يجد الفرد معنى له. وفي هذا العمل من الإعداد، في هذا العزو، عزو دلالة إلى منبه مبهم، إنما يكمن الإسقاط، والإعلام المتمّم غير ذي علاقة بالموضوع بل **بالفرد** الذي يعكس فيه الاهتمامات، والرغبات والعواطف، والإحساسات والميول، ونقول بكلمة واحدة الشخصية.

وثمة تقنيات إسقاطية عديدة نجمعها عادة في خمس فئات.

1) **الطرائق التكوينية** التي ينبغي للفرد فيها أن ينظّم وضعاً أو مادة غير متبنينين. فالتشخيص النفسي لرورشاخ والرسم الحر هما من هذا النوع.

2) **الطرائق البنائية** حيث ينبغي للفرد أن يرتّب عناصر مختلفة مقترحة أو أن يبتكر بها بنيات أوسع. فرائز القرية لهنري أرثوس (1939) ومشتقاته، ثم **رائز اصنع قصة من صورة** لإدمين س. شنيدمان (1947) والرسوم ذات الموضوع، وتقنيات اللعب، تدخل في هذه الفئة؛

3) **الطرائق التعبيرية أو التنفيسية** (عرائس، صنع نماذج. . .)، يتحرر فيها الفرد من توتراته إذ يعزو عواطفه إلى الشخصيات التي يمثّلها، يبتكرها أو يشجعها؛

4) **الطرائق التفسيرية** التي تكمن في تفسير وضع أو اقتراح غامض كما في **رائز تفهّم الموضوع**، ورائز الإحباط لسول روزنزويغ أو الجمل المطلوب إكمالها؛

5) **الطرائق الانكسارية** التي يُطلب فيها إلى الفرد أن يقلّد رسوماً أو يعيد رواية بعض القصص، ثم تُسجّل كل ضروب النسيان، والأخطاء، والإضافات، والتحويلات، التي تعتبر كلها مؤشرات ذات دلالة.

إن **التشخيص النفسي العضلي الحركي** لإيميليو إي لوبيز تقنية من هذه التقنيات.

ولكل اختبار من هذه الاختبارات فائدته، ولكن أياً منها لايمكنه أن يدّعي أنه يسبر مجموع الشخصية. فعالم النفس العيادي يتخصّص على وجه العموم في تقنيتين أو ثلاث من هذه التقنيات ويتوصّل بالتقاطع إلى أن يحصل على حزمة من البيانات المتماسكة عن الشخصية التي يدرسها. ولكنه يظل حذراً جداً في نتائجه، ذلك أنه يعلم أن تفسيراته سريعة العطب ولاتكوّن سوى فروض عمل. (انظر في هذا المعجم: **التفسير**، **الإدراك**).

N.S.

تقنية العينة الثابتة

En: Panel

D: Panel

عينة ثابتة من الأشخاص الذين يُسألون في عدة مناسبات إما لأن أغراض الاستقصاء أكبر عدداً من أن يتناولها المستقصي خلال محادثة واحدة، وإما لاتباع تطور الرأي لموضوع معيّن.

المثال الأشهر لاستخدام طريقة العينة الثابتة موجود في الاستقصاء عن الانتخابات الرئاسية، باشر به عام 1940، في كونيته إيريه (ولاية أوهايو)، بول ف. لازارسفيلد، وبرنار بورلسون، وهازيل غوده. فمن أيار (مايو) إلى تشرين الثاني، كانت عينة من ستمئة شخص قد سُئلوا سبع مرات. وكان ممكناً، بفضل هذه التقنية، تسجيل التغيرات الطارئة على نوايا التصويت، وربط هذه التحوّلات بالموضوعات التي يبسطها المرشحون، وبالوقائع التي حدثت خلال الفترة الزمنية لما قبل الانتخابات، بالدور الذي تؤديه جماعات الانتماء، ولاسيما الأسرة، إلخ.

وطريقة العينة الثابتة مستخدمة للتحقّق من فاعلية حملة إعلانية أو لمعرفة التغيرات في اتجاهات وآراء سكان في منتج من المنتجات، في حَدَث أو شخصية سياسية. ولدى المسؤولين عن مجموعة من المحطات الإذاعية والتلفزيونية عينة دائمة من المستمعين والمشاهدين الذين يخبرونهم عن حظوة البث. ويكمن المحذور الرئيس لتقنية العينة الثابتة في الملل الذي يصيب الأشخاص الذين يسألون، أشخاصاً ينتهون إلى أن يجيبوا إجابات صادقة، وإلى أن يجيبوا على نحو نزوي أو حتى إلى ألا يجيبوا على الإطلاق. وممارسة المقابلة يمكنها، من جهة أخرى، أن تحوّل اتجاهاتهم وآراءهم بحيث لايكونون ممثلي السكان الذين اختيروا منهم. (انظر في هذا المعجم: **الرأي، السبر**).

N.S.

التقييم

F: Évaluation ou Notation

En: Evaluation, Assessment, Rating

D: Bewerting, Evaluation

الحكم على أهمية فرد منظور إليه في وضع معيّن وبالنسبة إلى أقرانه، وعلى قدراته أو قيمته الشخصية.

تقييم عمل يقدّمه فرد، وعلى وجه العموم تقييم القدرات التي ينطوي عليها هذا العمل، يكوّن مرحلة ذات أهمية في الفاعلية المدرسية أو المهنية. إنه، في المدرسة كما في الورشة، يحدّد عدة قرارات، ولاسيما التوجيه والتكوين وارتقاء الأفراد. وعلى الرغم من الأهمية التي يتخذها هذا الحكم، فإن الذين يقيمون - سواء كانوا مدرسين، أو رؤساء عمال، أو رؤساء مستخدمين - ليست بحوزتهم مع ذلك، في غالب الأحيان، سوى مقاييس غير كاملة. إن مقاييسهم هي على وجه العموم شبكات يمثل فيها عدد من **البنود** أو العناوين تتراوح بين خمسة وخمسين ينبغي وضع تقييم لها، إما بعلامات مرقّمة من صفر إلى عشرة، وإما بدرجات وصفية تمضي من «مرض جداً» إلى «غير مرض أبداً». ومجموع العلامات (أو المتوسط) يكون المؤشر الإجمالي الذي يُعزى إلى الفرد. وفي أغلب الأوقات يقدّم المقيّم تقييماً يحرره في جملة أوعدة جمل تليها نتائج (ارتقاء، توجيه، إلخ). ولكن هذا الأسلوب يظل اختبارياً جداً وموسوماً بالذاتية. ويعكس على الغالب نوعية العلاقة بالرئيس التراتبي أكثر مما يعكس قيمة المستخدم المهنية الواقعية. أضف إلى ذلك أن الكلمات المستخدمة («المبادرة»، «الطبع»، «الطموح»...) هي، بسبب متضمّناتها الكثيرة، مصادر خلافات بين واضعي التقييم وتوترات بين هؤلاء

والأفراد المعنيّين. وهذا هو السبب في أن التقييم لم يعد سوى تقييم شكلي، ويشهد المرء تجمعاً من العلامات ضيقاً جداً (مثال ذلك أنها يمكنها أن تقع جميعها، من صفر إلى عشرين، بين 16,5 و 19,5). ويسلك واضعو التقييم، كما لو أنهم يعون السمة غير الدقيقة لمقاييسهم، فيمنحون المستخدمين، حتى لايلحقوا بمصالحهم الغبن، علامات أعلى مايمكن. بل ثمة من يتمنّى إلغاء هذا التقييم، غير المجدي في تقديرهم، بل الضار بمناخ المشروع، لأنه لايُدخل التنافس **فحسب** بين الأفراد، ولكنه يدخل الحذر والعداوة أيضاً للأكثر حماسة، ولاسيما في مرحلة تقليص عدد المستخدمين. فأنظمة التقييم الراهنة، في جميع الأحوال، أقصر من أن تتدخّل في قرارات ذات أهمية مثل الارتقاء إلى موقع أعلى أو الانتقال إلى وظائف أخرى. وحتى يكون بوسع التقييم أن يؤدي دوره بصورة واقعية وألا يكون ضرباً من ظاهر تقييم (أو وسيلة ضغط اعتباطي)، من الضروري تبنّي أنظمة جديدة أخرى من التقييم ريزت باستقصاءات وتجريبات متتالية واعتُرف بصفاتها: **الصدق** في التقييم من تقييم إلى آخر، **القدرة على التمييز**، **وثاقة الصلة بالموضوع**، **وثاقة مرْضية**، **فيما يتعلق بالصفات المطلوبة** من مستخدم، الخ. والمشكلات نفسها موجودة في النظام المدرسي والجامعة، إذ تولّد التوتّرات عينها وعدم الرضى، الموجودة في الحياة المهنية. والتقييم في الدراسات، من الناحية التقليدية، تقييم «معياري»، أي أنه يحدّد، إذ يفحص التلميذ أو الطالب بالنسبة إلى معيار معيّن سيء التحديد على الغالب مع ذلك ومختلف باختلاف توقّعات الأساتذة الفردية، أقول إنه يحدّد الدرب إلى الصف الأعلى أو الحق في دبلوم. وهذا التقييم، الذي عارضه الطلاب معارضة عنيفة خلال الأحداث التي اندلعت في فرنسة ربيع عام 1968، يكوّن موضوع محاولات كثيرة لتحسينه: إحلال العلامات الرقمية محل أنساق وصفية، رقابة مستمرة للمعارف، استبانات ذات اختيار متعدّد، إلخ: ولكن أي شيء، حتى الآن، لم يمنح المعلمين ولا التلاميذ، في الحقيقة، ماكانوا يتوقعونه. (انظر في هذا المعجم: **تحليل العمل**، **علم الامتحانات**).

N.S.

التكافؤ

F: Équivalence

En: Equivalence

D: Equivalenz

صفة ما له قيمة مساوية لشيء آخر.

يمكننا أن نستعمل كلمة مكان كلمة أخرى دون تغيير معنى الجملة. كذلك من المتواتر، في القياس النفسي، استخدام نظم مختلفة من وضع العلامات دون أن يعيق وضع رسم بياني سيكولوجي: فالقول، على سبيل المثال، إن موقع فرد يساوي +3 سيغما (أو انحرافات معيارية) عن المتوسط أو أنه نال حاصل ذكاء يساوي 145 يعني واقعاً واحداً، أي أن المقصود شخص ذكي بصورة خاصة.

ونقول في الرياضيات إن العلاقة بين مجموعة من العناصر أ، ب، جـ، . . . . ، محدّدة بعلاقة التساوي (=)، هي **علاقة تكافؤ** إذا توافرت الشروط التالية بالنسبة لكل العناصر:

1- آ =آ (**انعكاسية**)؛

2- آ = ب يؤدّي إلى أن ب = آ (**تناظر**)؛

3- آ = ب و ب = جـ تؤدّي إلى أن آ = جـ (**علاقة تعدّي**).

وبوسعنا، إذا كانت مثل هذه العلاقة من التكافؤ موجودة، أن نجمع العناصر المتكافئة في فئات تسمى **فئات التكافؤ**، مجموعها يكوّن تقسيماً للمجموعة البدئية. ويكوّن الاعتراف بفئات التكافؤ فاعلية التصنيف الموجودة في قاعدة تحديد المفاهيم (اسم يُطلق على فئة؛ مثال ذلك «الصنوبر» في مجموعة الأشجار).

J.M.F.

F: Ambivalence   **تكافؤ الضدين، ثنائية المشاعر**

En: Ambivlence

D: Ambivalenz

حالة نفسية وجدانية لشخص يعاني، في وضع معيّن، عواطف متناقضة أو يُظهر مواقف متناقضة كالحب والكره، الخشية والرغبة، الإيجاب والنفي.

كان الطبيب النفسي إوجين بلولر (1857-1939) قد ابتكر هذا المصطلح عام 1920 ليصف جانباً من الجوانب الرئيسة في تفكّك شخصية الفصاميين (تنافر). فاختيار سلوك لاغنى عنه للعمل، لدى هؤلاء المرضى، متعذّر، وموقفهم المتردّد المتناقض في كل المجالات (العقلية، الوجدانية، الإرادية)، يفضي إلى العجز عن العمل. ويمكننا أن نفسر هذا السلوك بوصفه حاصل الترجّح في وجدانية الفرد بين قطبين: الرغبة في أن يكون محبوباً ومحمياً ولكن لديه في الوقت نفسه خوفاً من أن يُبتلع ويفترس في اتحاد انصهاري. وثمة، في العصاب الوسواسي، صراع من الطبيعة نفسها بين الدوافع ونواهي الأنا العليا، نواه غير مقبولة، يمكنه أن يقود إلى مواقف ثنائية المشاعر.

J.MA.

ومفهوم تكافؤ الضدين (أو ثنائية المشاعر) تتجاوز تجاوزاً واسعاً إطار علم الأمراض، لأنه موجود حتى في الألسنية. ومثال ذلك أن كلمة «Sacer» في اللغة اللاتينية تعني في وقت واحد «مقدّساً» و«ملعوناً»؛ وتعني كلمة «Altus» «عالياً»، مرتفعاً و«عميقاً»(*). ونصادف في الحياة اليومية على نحو شائع أوضاعاً تنطوي على جوانب إيجابية تثير ارتكاسات شهوة (جذب)، وعلى جوانب سلبية تسبّب

(*) - هذه الحالة من الكلمات ذات المعنيين المتضادين معروفة جداً في اللسان العربي «م».

ارتكاسات نفور (هروب). ويظلّ الطفل الذي جرحته أشواك وردة مقسماً بين رغبته في قطفها والخشية من أن يوخز مجدداً وهو يقطفها. فتكافؤ الضدين ليس حالة غير سوية، وقليل من المواقف الإنسانية، يفلت منه. فالرضيع يشعر شعوراً مبكراً جداً بعواطف متناقضة من الحب والكره لأشخاص محيطه، ولأمه أول الأمر التي هي، في وقت واحد مصدر اللذة لأنها تشبع حاجاته، واللالذة، لأنها لاتستجيب دائماً لرغباته ويُظهر متطلّبات متعارضة. وستوجد ثنائية المشاعر هذه فيما بعد خلال المرحلة الأوديبية، لدى الصبي الصغير الذي يغار من أب موضع إعجاب سيبحث عن حمايته متمنّياً زواله في الوقت نفسه. وتظهر ثنائية المشاعر أيضاً لدى الراشد في حالات كالغيرة أو الرغبة في الأمن والتبعية التي تصطدم بها الحاجة إلى الحرية. وعندما تخفق التسوية، مع ذلك، بين العواطف المتعارضة، يشهد المرء تكوّن أعراض عصابيةتدركها نظرية التحليل النفسي بوصفها محاولة حلّ لنزاع نفسي داخلي.

وعلم النفس الحيواني درس، هو أيضاً، دراسة تجريبية تكافؤ الضدين أو، على نحو أدق، مفعولات ميلين أو دافعين متضادين، كالرغبة في الأكل لإشباع جوعه والرغبة في الهروب للإفلات من الألم. فلنتفحّص، على سبيل المثال، فأراً جائعاً تلقّى بالتناوب، خلال تعلّم سابق، طعاماً وصدمة كهربائية في نهاية رواق. وحين يوضع هذا الفأر في منطقة الانطلاق، يبدأ في التقدّم بحيوية حتى نقطة معينة ب، تدخل عندها دافعيته الأولى (الشهوة) في نزاع مع الخشية من الألم (نفور). وسيستمر مع ذلك في التقدم، ولكنه يتقدم وهو يتردّد تردداً متصاعداً، وسيتوقّف أخيراً عند نقطة جـ، بعْيداً عن الهدف، فريسة ارتعاشات واضطرابات أخرى عصبية إنباتية، شبيهة بتلك التي يلاحظها المرء في الحصَر. ويعتبر عالم النفس الأمريكي كلارك لوكونار هول (1884-1952)، الذي درس هذا النموذج من النزاع على وجه الخصوص، أن الهدف أصبح **متكافىء الضدين** في الجزء من الرواق الواقع بين النقطتين ب، جـ. (انظر في هذا المعجم: **النزاعات النفسية**، **ميلاني كلاين**، **المازوخية**، **العصاب الوسواسي**، **الفصام**).

N.S.

تكافؤ ميول الانبساط والانطواء

F: Ambiéqual

En: Ambiequal

D: Ambiaqual

مصطلح منسوب إلى هرمان روْرشاخ (1884 -1922)، دالّ على نموذج سيكولوجي تتوازن فيه ميول الإنبساط والانطواء.

تنطبق هذه الكلمة، التي لاينبغي أن تلتبس مع كلمة تكافؤ الضدين (ثنائية المشاعر)، على أفراد تتساوى لديهم على وجه التقريب الانفعالات المستدخلة والانفعالات المستخرجة؛ فهم، في رائز رورشاخ، يقدّمون على وجه التقريب نفس العدد من إجابات «حركة» (K)، التي تعكس الميول الانطوائية، ومن إجابات «لون » (C) التي تعبّر عن الانبساطية. والنموذج المتكافئ كان بعض علماء النفس ورورشاخ ذاته يعتبرونه النموذج ذا التوازن الجيد، المثالي، ولكننا نجده أيضاً لدى الأفراد الذين يعانون عصاب الوسواس. والأشخاص الذين يُوصفون بهذه الصفة، صفة التكافؤ في ميول الانبساط والانطواء، يُبدون رغبة في التراجع قبل العمل، ذلك أنهم بحاجة إلى التفكير فيه وتهيئته؛ ومثل هذا الموقف قد يعبّر مع ذلك أيضاً، في بعض الحالات، عن الشك والحيرة. (انظر في هذا المعجم: **الانبساطي، الانطوائي، التشخيص النفسي، رورشاخ «هيرمان»**).

N.S.

التكتيك

F: Tactique

En: Tactics

D: Taktik

التكتيك، في الأصل، فن إدارة معركة، وهو استعدادات متخذة لبلوغ هدف معيّن، فيما بعد.

تنتمي كلمة تكتيك إلى القاموس العسكري. وكانت تعني في البدء فن تنظيم الأسلحة والجنود قبل المعركة، وأسلوب تحريك الأسلحة والجيوش خلال المعركة، تبعاً للوضع. فثمّة تكتيكات أرضية، وبحرية، جوية وبين الأسلحة. والتكتيك هو الجزء التنفيذي من الإستراتيجية. وهذه تنطبق بالحري على إدارة الحرب، في حين أن التكتيك يُعنى على نحو أساسي بأسلوب إدارة معركة. ويُستخدم في أيامنا هذه مصطلح تكتيك، على الغالب، خارج إطار الجيش: ففي معركة مصارعة «خطوات تكتيكية»، ومخطّط تكتيكي في مباراة تينس، إلخ. وعلم النفس الاجتماعي يدرس التكتيك في التفاعل الاجتماعي ووسائله: وعود، تهديدات، مراقبات، التزامات، إلخ، يُعتبر كل منها درجات تكتيكية في وضع نزاعي.

1) الوعود: يعرض متحدث عرضاً بشروط: «إذا سلكت على نحو معيّن، أي طبقاً لرغبتي، فإنني أمنحك مكافأة». وقيمة هذه المكافأة يمكنها أن تختلف، كذلك احتمال المكافأة للشريك الذي يحقّق الطلب، وذلك أمر يُدخل مفهوماً جديداً، مفهوم **مصداقية الوعود**، التي تبين أنها تؤدّي دوراً كبير الأهمية في

حلّ النزاعات التي فُحصت انطلاقاً من «الألعاب التجريبية». فالوعود أُدخلت في مراحل شتى من سيرورة «اتخاذ القرار». وبيّنت نتائج هذه الدراسات أن السياق الإستراتيجي وإدراك المكافأة الذاتي يؤديان دوراً ذا أهمية في نجوع المكافأة.

2) **التهديدات**: القضية الشرطية يمكنها أن تُقال على نحوسلبي: «إذا لم تفعل ما آمرك به، فإنك ستعاقب». وكان مفعول التهديد على الشريك قد دُرس دراسة منهجية بواسطة الألعاب التجريبية. ولوحظ أن أعلى مستوى من التعاون كان بلوغه يحدث حيث لم يكن لدى أي شخص إمكان أن يهدّد، وأدنى مستوى عندما يكون لدى شريك واحد هذه القدرة على التهديد. ولوحظ أن القدرة على التهديد والعقاب، في حال تساوي الشروط، كانت تُستخدم على الغالب أكثر من استخدام المكافأة- ولكن أهمية التهديدات تقلّ عندما يكون الإمكانان متوافرين. وكانت دلالة التهديدات الذي لاتعقبه العقوبة موضع تحليل أيضاً، ولوحظ أنها يمكنها أن تعني فقط الأمل بتغيير في سلوك الشريك.

3) كان تأثير **المراقبة** موضع فحص في الألعاب التجريبية، وكان المقصود أن يُمنح أحد الشريكين إمكان أن يفحص وضع الآخر. فأشكال المراقبة (إجبارية، اختيارية) كانت تختلف في بعض التجارب، ولوحظ أن مراقبة وحيدة الجانب كانت ذا مفعول ضارّ على المشاركة. (انظر في هذا المعجم: **نظرية الألعاب**، **العقاب**، **المكافأة**، **الإستراتيجية**).

J.K. (ترجمة **J.S.T.**)

التكثيف

F: Condensation

En: Condensation

D: Verdichtung

سيرورة نفسية لاشعورية تجد بها أفكار شخص وعواطفه نفسها مختلطة ويعبّر عنها على نحو موجز، رمزي، عنصر واحد.

تحمل النكات، والأحلام، والهفوات، والأعراض العصابية، عدة معان يتيح التحليل أن يكشف عنها. ومثال ذلك أن شخصية بادية في حلم يمكنها أن تكون لها قامة شخص، وثياب آخر، وسمات شخص ثالث، إلخ.

ومثل هذا التكثيف يُسهم في أن يمنح الحلم غنىً وسمة الغرابة. (انظر في هذا المعجم: **الانزياح، الاستعارة، الكناية، الحلم**).

N.S.

التكوّن الراهن

F: Genèse actuelle

En: Micro genesis, Actual genesis

D:Aktual genese

عملية عقلية حسّاسة ينتظم بها إدراك، وتنمو فكرة في الشعور، أو تتهيأ أية ظاهرة نفسية أخرى.

ينتمي مفهوم التكوّن الراهن إلى سيكولوجيا الشكل (**علم النفس الغشطالتي**). وكان فريديرك ساندير، أحد ممثّلي مدرسة لايبزيغ المسماةGanzheitspychologieأي سيكولوجيا الكلية، التي تولي العواطف أهمية رئيسة وتنظر في الوقائع من وجهة نظر تكوينية، قد أدخل هذا المفهوم عام 1928. فكل الأشكال تنتقل من القوة إلى الفعل، في رأي ساندير، انطلاقاً من أشكال مسبقة، ينقصها البروز وغير متمايزة. وتنفصل هذه الأجنّة من الأشكال، بواسطة الظروف الملائمة، عن القاع الذي كانت مرتبطة به وتصبح، في نهاية إعداد سريع قليلاً أو كثيراً، «أشكالاً حسنة» كثيفة الحضور. والفرد يمكنه أن يشجّع هذه السيرورة تشجيعاً فاعلاً حين يتفحّص «الشيء» الملاحظ ويتأمله. و«الأشكال» التي تتكوّن على هذا النحو تدريجياً، منتقلةً من الضمني إلى «الواقعي» ومن القوة إلى الفعل، يمكنها أن تكون مظاهر عامة بقدر ماتكون حلّ مشكل. ومفهوم التكون الراهن، الذي يؤكد على السيرورات الملاحظة لتنظيم أشكال بالتقابل مع الأشكال المدركة مباشرة، يستند إلى وجود فكر منتج وشروط بيولوجية سوية.

واعتبر بعض علماء النفس الغشطالتيين من مدرسة برلين، ككورت غولدشتاين (1878-1965) وأدهيمر جيلب (موسكو، 1887- شومبروغ، الغابة السوداء، 1936)، إذ لاحظوا جرحى دماغ، أن اضطرابات الإدراك لديهم كانت ناجمة عن عجزهم، الذي تلا جروحهم، عن تجاوز مرحلة الأشكال المسبقة. وكان مفهوم التكون الراهن قد امتدّ على نحو أكثر حداثة 1960، على مجموع الشخصية، المدركة أنها النتيجة المؤقتة دائماً، نتيجة مجموع من الأحداث التكيّفية التي يمكن أن يتابع تكوّنها ملاحظ. (انظر في هذا المعجم مايلي: **عمل الإدراك**، **الشكل**، **الصورة**، **الهلوسة**، **الشخصية**).

N.S.

التكوّن المتبادل

F: Genèse réciproque

En: Reciprocal genesis

D: Reziproke genese

سيرورة تتهيّأ بها وتنتظم وتتبادل التأثير ظاهرات تتفاعل تفاعلاً دائماً.

ينتمي مفهوم التكوّن المتبادل إلى موريس برادين (1874 -1958). وبين برادين أن الوظيفة تخلق العضو في النوع، في حين أن العضو يولّد الوظيفة لدى الفرد. وعلينا، على نحو أكثر عمومية أيضاً، أن نسلّم أن لاشيء يحدث في الحياة لايمارس تأثيره بأثر رجعي على أسبابه التي ولّدته. وينير هذا القانون، قانون التكوّن المتبادل، مشكلات عديدة. فالفعل، على سبيل المثال، يولد من الإحساس، ولكن هذا الإحساس «عقل على نحو من الأنحاء»، ذلك أن «إحساساتنا نفسها ينبغي أن تكون أفكاراً حتى ينشأ فكرنا من الإحساسات». (م. برادين).

N.S.

التكوين – التكوّن

F: Formation

En: Formation

D: Ausbildung

عمل يهدف إلى تنمية إمكانات شخص، بغية تحقيق مشروعه.

التربية والتعليم والتكوين تتداخل وتسهم في الهدف نفسه: إنجاز الفرد.

التكوين المهني الجيد هو الشرط الضروري حتى يشعر العامل أنه على سجيته في وسط عمله، ويستمدّ من فاعليته منافع مشخّصة (الارتقاء اجتماعياً) ويجد فيه الإشباعات الضرورية لتفتّحه الشخصي. وتعلّق السلطات العامة، الواعية أهمية المشكل، أهمية خاصة على إقامة بنيات إدارية تشجّع التكوين. وثمة عدةوزارات معنيّة بهذا المشروع، تنسّق جهودها لجنة بين وزارية تابعة لسلطة رئيس الوزراء المباشرة. وعلى هذا إنما تطلب وزارة الحربية إحصاء المجندين والمتطوعين في وحدات الجيش، الذي يمكنهم الإفادة من التكوين، وتنظّم وزارة الزراعة أعمال الغرف الزراعية، وتسوس وزارة العمل وظائف **الرابطات من أجل تكوين الراشدين المهني** (A.F.P.A).

وطرائق التكوين، التي تشاء أن تأخذ بالحسبان تنوّع زبُنها الكبير: العاطلين عن العمل، المصابين بحوادث عمل، المراهقين الكبار أو الراشدين الشباب الذين أخفقوا في دراساتهم، والراشدين الذين لم تعد مرونتهم مرونة المراهقين، هي من أكثر الطرائق تنوعاً. وتستخدم، فضلاً عن الأساليب الكلاسيكية (دروس،

محاضرات، عروض)، التقنيات السمعية البصرية، والتعليم المبرمج، والطرائق النوعية كالتعلّم في المشروع.

والتكوين داخل المشروع، الذي نشأ في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1917 من حاجة الصناعة الأمريكية إلى التكيّف مع حالة الحرب، نما في أوروبة بعد الحرب العالمية الثانية على وجه الخصوص. ويشمل برنامجه، على حد سواء، تكوين المستخدمين والرؤساء، وتحسين طرائق العمل وتبسيط المهمات. ولاتدوم التدريبات سوى بضعة أسابيع ولاتضمّ سوى عدد محدد من المشاركين. وإذ يتناقش هؤلاء المشاركون مع مرشد، فإنهم يفلحون في أن يكتشفوا معاً بعض المبادىء الأساسية التي تُقَنَّن عندئذ وتوضع في بطاقات يمكن أن يرجع إليها كل فرد، ثم تُطبَّق ويجري التحقق منها خلال تمارين «في الموقع». فالعمل يضع بمتناولهم على هذا النحو شبكة تطمئنهم وتساعدهم في بداياتهم. ولنضرب مثال رئيس العمال الذي يأخذ على عاتقه تكوين المستخدمين «في الموقع». إنه يتعلّم على وجه الخصوص، خلال خمس جلسات من العمل، أن من الضروري أن يذكر للعامل الفكرة الرئيسة التي تنظّم المهمة؛ أن يحدّد بالنسبة له مصطلحات المهنة؛ أن يشرح له أسلوب التصرف فيها؛ أن يحلّل العملية إلى مراحلها المتتالية؛ ومثال ذلك: «ينبغي لك، لتنشر لوحاً خشبياً أن: آ) تبدأ بوضعه على الحمالة؛ ب) تثبّته بشدة إذ تضع عليه ركبتك اليسرى؛ جـ) تضع الإبهام الأيسر على العلامة؛ د)تسحب المنشار نحوك بهدوء؛ هـ) تدفع دون ضغط؛ و) تنشر مستخدماً طول نصل المنشار كله».

والعامل خاضع، في التعلّم «في الموقع»، إلى تكوين متسارع، فردي، في الأماكن التي سيُدعى إلى الممارسة فيها وإنجاز المهمات الفعلية للمهنة. إنها طريقة مفيدة للفرد ولكنها ضعيفة المردود بالنسبة للمشروع إذا أخذنا بالحسبان عيوباً لامجال لتجنّبها في البداية. والتكوين يمكنه أن يتحقّق بصورة جماعية أيضاً في «ورشة بهو» حيث يتعوّد المتدربون، تحت قيادة معلم، على الآلات والمهمات التي

تنتظرهم، ولكن دون المشاركة في الإنتاج. ولـ«مدرسة المشروع»، التي تقع في منتصف الطريق بين التكوين «في الموقع» و«الورشة البهو»، مزايا هاتين الطريقتين دون أن تتصف بكل المحاذير. إنها تتميّز بالتناوب بين التعلم في مدرسة المشروع وممارسة المهنة في ورشات المصنع. و«دوران الموقع» هو أيضاً أسلوب في التدرب على العمليات التي تتسلسل منطقياً في مشروع من المشروعات. ولكن الفرد ليس لديه، في نهاية الدورة، سوى معرفة سطحية بكل موقع من المواقع، وإن كان لديه لمحة عن كل هذه المواقع.

ويتكامل التكوين العام والتكوين المهني، في مجتمعنا التقني، حيث تتطلّب ممارسة مهنة معارف تتجدّد دائماً، ويتداخلان، ويتعزّزان بالتبادل ولايمكنهما أن ينفصلا. فلضروب التقدم وحركية السكان نتيجة منطقية مفادها أن أي فرد لم يعد يمكنه أن يرضى بمعرفة أو خبرة مكتسبة بصورة نهائية. فالمعرفة ينبغي أن يُعاد النظر فيها، وتُكمل، وتُنقل من القول إلى الفعل. وثمة مجموعة من النصوص التشريعية في فرنسة، خلال الستينات، كرّست هذا التطور. وكانت هذه النصوص على التوالي، هي: قانون التوجيه والبرنامج، الذي يتناول التكوين المهني والارتقاء الاجتماعي (3 أيلول [ديسمبر] 1966)؛ الاتفاق الوطني بين المهني 9 تموز [يوليو] 1970، الذي جرى بين المجلس الوطني لأرباب العمل الفرنسيين والنقابات، الخاص بالتكوين المهني الدائم لأجراء المشروعات؛ وأخيراً، قانون 16 تموز [يوليو] 1970 الذي يتناول التكوين الدائم.

ولكل عامل، من تاريخ صدور هذه القوانين فصاعداً، إمكان التكوّن ليكون أفضل في قدرته على مواجهة تغيرات التقنيات وشروط العمل (صيانة المعارف واستكمالها)، أو ليرتقي إلى مستوى ثقافي أعلى أو إلى مستوى أعلى من الكفاءة المهنية (ارتقاء اجتماعي)، أو ليتعلّم مهنة جديدة توقّعاً لتسريح أو في أعقاب تسريح (تدريبات وقائية أو تدريبات تحوّل إلى مهنة أخرى)، أو، أخيراً، لينمّي ثقافته العامة (مثل ذلك تدريب على التعبير اللفظي أو الجسمي). وعندما المشروع

يقترح التدريب ويختاره، يستمر المستخدم في نيل كامل أجره ويُعفى من كل شيء (تكاليف التدريب والنقل والإقامة)؛ وعندما يكون العامل هو الذي يلتمس «إجازة تكوين ويختار تدريبه، يمكن أن تأخذ الدولة والمستخدم مصروفاته على عاتقهما، ولكن الشروط تختلف اختلافاً كبيراً وفق كون اللجان المؤلفة من العمال وأرباب العمل توافق أم لا توافق على التدريب، أو الدولة، سواء كان الأمر متعلّقاً بتدريب تكيّف (بالنسبة لأولئك الذين يحصلون على وظيفة أولى أو وظيفة جديدة)، بتدريب احتياطي أو تحوّل إلى وظيفة أخرى، بتدريب هو المحافظة على المعارف أو استكمالها، إلخ. وتتيح الإجازة- التكوين للعامل، الذي له قدمٌ في المشروع أقلّه سنتان ولم ينل دبلوماً مهنياً أو دبلوم تعليم عال منذ ثلاث سنوات، أن يتغيّب في أثناء ساعات العمال الطبيعية بهدف التكوين، محتفظاً في الوقت نفسه بحقوقه في مجال التأمين ضد المرض والأمن الاجتماعي، وبإجازته السنوية وقدمه. والغياب لايمكنه أن يتجاوز ألفاً ومئتين ساعة أوسنة إلا بالنسبة لتدريبات الارتقاء المهني.

والميزانية المخصّصة للتكوين كبيرة. إنها ارتفعت عام 1974 إلى 7,2 مليار فرنك فرنسي (منها 2,3 مليار كانت تمّثل مشاركة الدولة و4,9 مليار مشاركة المستخدمين). وأفاد 2,470000 أجير، منهم 60 بالمئة من العمال، من تدريبات التكوين. وفائدة هذه التدريبات تتجاوز المجال المهني، ذلك أن ارتقاء الإنسان هو المقصود من خلال العامل. ويصبح التكوين الدائم، إذ يمنح العامل إمكان استكمال معارفه والاطلاع على مجالات غريبة كلياً عن مشاغله المهنية، كالموسيقى، واللغات الأجنبية أو صناعة الخزف، وسيلة قوية للتفتّح الشخصي والتتمّة الضرورية للمدرسة التي لاتهتم اهتماماً كافياً بتشجيع مزايا الأفراد كلها، مزايا هي المكلّفة بها.

N.S.

التكوين الارتكاسي

F: Formation réactionnelle

En: Reaction - Formation

D: Reaktionsbildung

اتجاه، أو تصرف، يتبنّاه فرد ارتكاساً على رغبة مكبوتة.

التكوين الارتكاسي، الناجم عن نزاع بين الحسّ الأخلاقي وميل غير مقبول، توظيف مضاد لميل شعوري، يهدف إلى أن يوازن توظيف عنصر لاشعوري ذي اتجاه معاكس. ومثال ذلك أن الحياء المغالي يعارض ميولاً إلى الاستعراء، والنظافة الموسوسة تتكوّن ارتكاساً على انجذاب قويّ للوساخة ومواد البراز، والشفقة تعارض وتحبط ميولاً سادية. ولعديد من سمات الطبع هذا الأصل. وليس التكوين الارتكاسي مع ذلك، بوصفه آلية دفاع للأنا ذات أهمية في العصاب الوسواسي، نوعياً لهذا العصاب وهو موجود في الهستيريا على وجه الخصوص.

M.S.

التكوين الإنابي

F: Formation substituve

En: Substituve formation

D: ratzbildung

إنتاج فكري وظيفته أن يحلّ محل رغبة لاشعور ية نعاكسها.

عندما لايكون بوسع دافع أن يجد إشباعاً، يستقرّ في الفرد توتر تبذل العضوية جهداً لتقليصه. إن سيغموند فرويد (1856 -1939) بيّن أن الأفعال الخائبة (فلتات اللسان، النسيان)، والنكات، والأحلام، والأعراض العصابية، يمكنها أن تعتبر تكوينات إنابية لمحتوى اللاشعور المكفوف. وإذا كانت هذه التكوينات لاتقدّم إشباعاً كلياً للرغبة اللاشعورية، فإنها تتيح على الأقل تقليص التوتر. (انظر في هذا المعجم: **الانزياح**).

M.S.

التكيّف

F: Adaptation

En: Adaptation, Adjustment

D: Adaptation

توافق عضوية مع وسطها.

تقتضي السيرورة الحياتية إعادة توافق دائمة لتوازن لايكفّ عن أن يتحطّم. وتحدث هذه السيرورة بمجموعة من التبادلات، التي لاتنقطع بين الجسم ووسطه، في التأثير المزدوج للفرد في الشيء (**تمثّل**)وللشيء في الفرد (**مطابقة**). وهذان النمطان من التأثير، المترابطان، يتحدان باستمرار للمحافظة على حالة التوازن مستقرة، حالة تحدّد التكيف. فثمة تكيف، يقول جان بياجه، عندما تتحوّل العضوية تبعاً للوسط وعندما يكون لهذا التغيّر مفعول مفاده توازن التبادلات بين البيئة وهذه العضوية. وبفضل هذه المرونة إنما يكون بوسع الموجود الحي أن يظلّ على وفاق مع بيئته ويتجنّب القوانين التي تعاكسه. وعندما تُهزم هذه الصفة الأساسية تحدث أمراض التكيف التي درسها الكندي هانز سيلي (1907 -1982) دراسة جيّدة. فكل عامل ضارّ، في رأي هانز سيلي، عامل فيزيائي أو كيميائي، منبه عصبي (انفعال أو إثارة حسية على سبيل المثال)، عدوى، إلخ، يُحتمل أن يدمّر التوازن لدى العضوية، إذ يثير مجموعة من الارتكاسات، المرتبطة بسيرورة مزدوجة، عصبية وهرمونية. وذلك يكفي، في معظم الأوقات، لمقاومة العدوان، ولكن مايحدث في بعض الأحيان أن يستمر التأثير المؤذي زمناً طويلاً جداً، فالجسم لم يعد يمكنه أن يتكيّف، فيضعف ويصيبه الإنهاك ويموت. ويتجاوز الارتكاس

التكيفي في بعض الحالات هدفه: ففي حين لم يعد المثير يؤثّر، تستمر العضوية في الارتكاس، وتصبح هذه الحالة الجديدة، التي تتطورّ لحسابها الخاص، حالة مرضية.

وتخضع الحياة النفسية، في رأي بياجه، إلى القوانين نفسها التي تضفي البنية، قوانين الحياة العضوية، والذكاء يُبنى بتوافق مستمر بين التخطيطات السابقة وعناصر تجربة جديدة. ونجد حتى في الحياة الاجتماعية هذه السيرورة التكيفية التي تتحرك عبر التمثّل والمطابقة. وعندما تكون جماعتان اجتماعيتان، من ثقافتين مختلفتين، على اتصال مباشر ودائم (الغولوا والرومان، والعرب والإسبان، الأمريكان واليابانيين، على سبيل المثال)، نشهد ضرباً من الانتشار الثقافي بين الجماعتين، وانتقال بعض العناصر من جماعة إلى أخرى، مادية أول الأمر (أدوات، أسلحة، ثياب)، ثم اجتماعية وروحية. والإسهام الجديد يندمج في البنيات القويمة (تمثل)، ولكنه يسبّب أيضاً إعادة تنظيم هذه البنيات (مطابقة) وظهور بنية جديدة أصيلة. فموسيقى الجاز، على سبيل المثال، تعبير عن هذه السيرورة التكيفية الخاصة، المسماة **مثاقفة**، التي يحدّدها التقارب الدائم بين ثقافتين، ثقافة العبيد السود القدماء وثقافة بيض الجنوب في الولايات المتحدة الأمريكية. (انظر في هذا المعجم: **مطابقة**، **تمثل**، **تعويض**، **تخطيطية**).

N.S.

التلاحم ، التماسك

F: Cohésion

En: Cohesiveness

D: Köhasion

سمة ما ينطوي على وحدة قوية .

هذا المفهوم يبين في علم النفس الاجتماعي معقّداً ، بل ملتبساً ، مادام تعدّد معانيه كبيراً ، ويختلط على الغالب بمفهومات أخرى ، **كالتضامن والتكامل ،** ليست سوى عناصر فاعلة فيه . والغموض موجود حتى في أعمال علم النفس الاجتماعي للجماعات ، ويشقّ على المرء أن يميّز «التلاحم» من «الحالة المعنوية» لدى جماعة من الجماعات على سبيل المثال . فليون فستنجر وستانلي شاختر وكورت باك يعرّفون التلاحم الاجتماعي أنه كلية حقل القوى ذات المفعول الذي مفاده أن تبقي أعضاء جماعة موحّدين وتقاوم قوى التفكك ، في حين يتكلم جون و . تيبو وهارولد هـ . كيلّي على الجاذبية الإجمالية التي تمارسها جماعة على أعضائها . وينعكس إبهام هذا المفهوم على قياسه : فالروائز العديدة التي كانت قد أُعدّت ، والمستوحاة من القياس الاجتماعي ، لاتحصل على الإجماع إطلاقاً . ويعتبر بعض المؤلفين مع ذلك ، ومنهم جان ميزولوف (المولود عام 1918) ، على الرغم من الصعوبات ، أن لمفهوم التلاحم الاجتماعي «مدى تركيبياً موحّداً» وأن ضروب الإبهام المذكورة أعلاه تعكس كثرة العوامل الداخلة في تكوينه وتعقّدها . وهذا العوامل مصنّفة في فئتين : العوامل الخارجية ، كوضع الجماعة (معزولة على وجه التقريب ، تابعة قليلاً أو كثيراً) في منظومة اجتماعية أوسع ، والعوامل

الداخلية: دافعيات، حاجات، قيم أعضاء الجماعة، إلخ. وتعزّز نجاحات الجماعة، ولاسيما قدرتها على تقليص التوترات وضبط النزاعات الخارجية، درجة تلاحمها؛ ودرجة التلاحم هذه يمكنها أن تُقيَّم انطلاقاً من مؤشرات مختلفة كالاشتراك في الأهداف، واستواء التصرفات، ووحدة العمل بغض النظر عن الاختلافات الشخصية المحتملة، وتضامن أعضاء الجماعة، وروحهم التعاونية، وندرة السلوكات العدوانية داخل الجماعة، والشعور بالمسؤولية المشتركة، والمردود المرتفع، إلخ. وتبيّن بحوث عديدة في التلاحم الاجتماعي، في الواقع، أن لهذا التلاحم دائماً تأثيراً في نجوع الجماعات وإنجازاتها. (انظر في هذا المعجم: **الأنوميا، الجاذبية بين الشخصية، الإجماع**).

M.B.

التلصّص الجنسي

F: Voyeurisme

En: Voyeurism

D: Voyeurismus, Voyeurtum

ميل مرضي لدى فرد إلى البحث عن الإشباع الجنسي في النظر إلى مشهد جنسي.

هذا الانحراف الجنسي، الذي يمكنه أن يصبح هوساً مرضياً حقيقياً، يرتبط بإضفاء الجنسية على النظر. ويحاول المتلصّص أن يرى ولايُرى. إنه يختبىء ليلاحظ في متسع من الزمن امرأة تتزيّن، وثنائياً عاشقاً في حديقة عامة، والنساء المتعرّيات على شاطىء، إلخ. وقد يكون المتلصصون مراهقين أو شيوخاً، بل رجالاً ناضجين، متزوجين أحياناً، كهذا الراشد الشاب الذي كان قد أحدث ثقوباً في مصاريع نوافذ مدرسة داخلية لينظر مساءً إلى الفتيات يخلعن ثيابهن. ويجرد المتلصّص بنظرته من يفحصه، وهو لايعلم أنه ملاحَظ، من ملكية جزء منه. ويبحث عن النفوذ إلى صميميته ويشيّئه، إذ يصبح الفرد الملاحظ «موضوعه». وبعض المتلصصين يبلغون هزة الجماع على هذا النحو. ولكنهم يلجأون إلى الاستمناء على الأغلب. وثمة شكل ضعيف وضعيف الحدّة من التلصص الجنسي، منتشر جداً، هو شكل الأشخاص الذين يروق لهم أن ينظروا إلى مشاهد التعري المسرحية، والأفلام والرسوم الإباحية.

ويختلف التلصص عن **لذة النظر**، وهي اللذة التي يقتنصها شخص من ملاحظة ضروب اللهو الجنسية. (انظر في هذا المعجم: **الاستعرائية**).

M.S.

التماثل

F: Similitude

En: Similarity

D: Ahinlichkeit, Gleichniss

سمة مايتشابه.

بين علماء سيكولوجيا **الشكل**، ولاسيما ماكس ويرتهايمر، أن العناصر الإدراكية تسهل رؤيتها متجمّعة عندما تكون متشابهة بالشكل أو اللون، إذ تتميّز من وحدات إدراكية أخرى يمكنها أن تكوّن زمرة أخرى. مثال ذلك أننا نرى النقاط والصلبان، إذا رتبّناها بخطوط متتالية اثنين اثنين وعلى بعدمتساو بينها، متجمّعة في أعمدة متمايزة بدلاً من إدراك سطح ترصّعه علامات مختلفة كما يتطلّب تساوي المسافة. (انظر في هذا المعجم: **الشكل**).

N.S.

F: Identification `a l'agresseur التماهي (التوحّد) بالمعتدي
En: Identification with the agressor
D: Identifizierung mit dern angreifer

آلية دفاع للأنا يتماهى بفضلها فرد، يواجه خطراً خارجياً، بالمعتدي عليه.

كانت أنّا فرويد (1895 -1982) قد عزلت هذه الآلية، آلية الدفاع، ووصفتها عام 1930 . وتقصّ أنّا فرويد كيف أن بنيّة، لم تكن تجرؤ على عبور غرفة انتظار خوفاً من الأشباح، كانت قد أفلحت في التغلّب على رهابها: وكانت قد فعلت ذلك بحركات كبيرة من ذراعيها، إذ قلّدت الشبح الذي كان بوسعه أن يأتي. ويروي شارل أوديه ملاحظة مماثلة: تخشى لوسيت الكلاب، وتظل كل الإجراءات البيداغوجيةوالعلاجية عبثاً. فتجد العلاج، هي نفسها، يوماً من الأيام: تباشر وضعية المشي على يديها وقدميها وتنبح بشدة. إنها، من الآن فصاعداً، لم تعد تخشى شيئاً من هذه البهائم الخبيثة، بوصفها تماهت بكلب. بل ثمة ماهو أكثر أيضاً، إنها توحي الخوف بدلاً من معاناته، إذ توصّلت إلى أن ترعب رفاقها الصغار. فالطفل الذي يخشى أباه، و التلميذ الذي يخاف معلمه، يمكنهما أن يقلّصا قلقهما إذ يتماهيان بهما. وهما يفعلان ذلك في حين يصبحان، هما نفساهما، عدوانيين، أو حين يتبنّيان بعض صفات القوى لدى الراشدين، أو حين يقلدان الراشدين مادياً أو معنوياً. ويؤدي التماهي دوراً هاماً في تكوين الشخصية. ويسهم في تكوّن الأنا العليا والأنا المثالية، إذ يتدخّل على هذا النحو في قمع الغرائز.

M.S.

التمثّل

F: Assimilation

En: Assimilation

D: Assimilation, Assimilierung

عمل يجعل الشيء أو الفرد مماثلاً.

التمثل، في الفيزيولوجيا، هو السيرورة التي بها تحوّل الموجودات تلك العناصر التي تستمدّها من الوسط إلى مادة خاصة بها: فالأرنب الذي يأكل الملفوف لايتحوّل إلى ملفوفة، بل يحول الملفوف إلى أرنب. والحياة تمثّل، أي تأثير اندماجي لجسم في أجسام أخرى. وفي علم النفس، يدلّ بياجه (1896-1980) بمصطلح **التمثل الذهني** على «اندماج أشياء في مخططات السلوك، إذ أن هذه المخططات ليست سوى النقاط الرئيسة من الأعمال التي يمكنها أن تتكرر تكراراً فاعلاً» (1947، ص 13). ومثال ذلك أن ثمة تمثلاً عندما يطبّق طفل صغير على دمية متحركة، بعد أن اكتشف أن بوسعه أن يجعل الجلاجل ترن حين يسحب حبلاً صغيراً، ذلك العمل نفسه ليجعلها تصدر الإشارات. وفي رأي بياجه أن مثل هذا التصرف لاتشرحه حركة ميكانيكية من الترابطات من نموذج «منبه- استجابة»، بل ينجم عن تكامل عمل في مخطط خاص، مخطط يرسّخ اتجاهاً إلى الحركات ويشمل إشباع حاجة أو اهتمام. كذلك الطفل الذي يصنّف أشياء أو يعدّها، فإنه يماثلها بأطر من المنطق والرياضيات (أصناف، أعداد) هي بنيات يبنيهاالفرد. ومن تنسيق المخططات، التي تجري بتمثل متبادل، تولد **القصدية**، الرباط الذي لاتنفصم عراه بين الفرد والشيء.

وينصبّ الكلام، في المستوى السيكولوجي الاجتماعي، على التمثل للدلالة على اندماج أشخاص (مهاجرين، لاجئين) في الوسط الجديد. فقيم جماعة المرجع تتخذ أهمية كبيرة بالنسبة لأولئك الذين يبذلون جهدهم للتكيّف معها. ولكن تعلقهم بالماضي، وصعوباتهم في التخلّي عن قيمهم الخاصة وعاداتهم تخلق في أنفسهم توتراً يمكنه أن يظهر في اضطرابات سلوك أو في آفات نفسية جسمية. أما أطفالهم فإنهم، على العكس، يعانون صعوبة أقلّ في هجر ثقافة لم يعرفوها قط ويتبنّون بسهولة عادات المجتمع الذي ترعرعوا فيه وأعرافه. وينجم عن ذلك على الغالب صدامات في كنف الأسرة وابتعاد سيكولوجي لدى الشباب «المتمثلين» عن القدماء. (انظر في هذا المعجم: **التطابق**، **الجماعة المرجعية**، **المخطط**).

N.S.

التمركز على الذات

F: Égocentrisme

En: Egocentrism, Egocentricity

D: Egozentrismus

اتجاه فكري لمن يعيد كل شيء لذاته.

يقول جان بياجه: «التمركز على الذات اتجاه تلقائي للفكر الفردي الذي ينزع مباشرة إلى الموضوع دون أن يحتاز الشعور بمنظوره الخاص» (**اللغة والفكر لدى الطفل**، 1923). فالعامان الأولان بعد الولادة هما بالنسبة للطفل مرحلة التمركز على الذات الكامل، بمعنى أن الطفل مايزال لايميّز جسمه من الوسط المحيط. ثم تأتي مرحلة التمركز العقلي على الذات التي تمتدّ حتى السنة السادسة تقريباً، حيث التمايز بين الأنا والعالم الخارجي يجري خلالها بالتدريج، ولكن الفكر يظل ذاتياً بصورة أساسية: فالطفل عاجز عن «الانزياح عن تمركزه» ولاينظر إلى المشكلات التي تطرح نفسها عليه إلا من وجهة نظره الخاصة. ومثال ذلك أننا إذا سألناه إن كان له أخ ويجيب بالإيجاب، فإنه سيجيب بالنفي إذا طرحنا عليه السؤال التالي: «وأخوك هل له أخ؟». ويتضاءل هذا الاتجاه تدريجياً مع النضج العقلي، ويزول زوالاً طبيعياً نحو الثانية عشرة من العمر مع ظهور الفكر المنطقي. ويدوم هذا الاتجاه مع ذلك لدى بعض الأفراد، للمتخلّفين العقليين، والمتأخرين الوجدانيين أو العصابيين. ويكون التمركز على الذات مانعاً من إقامة علاقات بين شخصية متناغمة، من حيث أن هذه العلاقات تفترض معكوسية وجهات النظر وتبادلية ضروب الشعور. وينبغي في الواقع، لفهم الغير، أن يكون بمقدور الفرد أن يتخلّى

عن منظوره الخاص ويسلّم بأن هذا المنظور ليس الممكن الوحيد. ولكن ذلك يفترض مرونة الفكر التي يحرم منها المصابون بتوهّم المرض، على سبيل المثال، الذين تستقطبهم أمراضهم المزعومة، أو المصابون بالذهان الهذائي المطالبين، القادرين على المضيّ إلى حد القتل لإرضاء مطالباتهم. ويتصرف أيضاً عدد من الأشخاص الذين يسمّون «أسوياء» تصرّف المتمركز على الذات دون أن يكون ذكاؤهم أو توازنهم النفسي موضع اتهام. وعلى هذا النحو إنما ينطلق راكب دراجة نارية بدراجته انطلاقاً بكل سرعة في طريق يعرفه معرفة تامة، إلى أن يأتي يوم يطيح فيه بأحد المشاة. إنه يعيش، وقد استغرقه جريه على دراجته النارية، في عالم يخلو من الآخر، ولاتتوقّع إستراتيجيته احتمال مانع عند خروجه من المنعطف. وينبغي للتمركز على الذات أن يتميّز من الأنانية، التي هي حب الذات المبالغ فيه، على الرغم من بعض السمات المشتركة بينهما. (انظر في هذا المعجم: **الشخصية الإجرامية**، **تبادلية ضروب الشعور**).

N.S.

F: Exercice — **التمرين**

En: Exercice

D: übung

تكرار منهجي منتظم لفاعلية من الفاعليات.

التمرين شرط ضروري للنموّ المنسجم، نمو الجسم والسيطرة عليه، ونمو السيادة على الأشياء والمعرفة. ويظهر مع مرور الزمن، على وجه الخصوص، بمهارة كبرى، ويسر في تنفيذ المهمة وزيادة في المردود. ويصادف الفرد، في بداية كل تمرين وفي نهايته، صعوبات شخصية بالنسبة له؛ فعليه، في البداية، أن يتغلّب على فترة من العطالة ذات علاقة بـ«التهيئة» أو طور الإحماء، ويظهر التعب بعد تمرين مديد، يسبّب أخطاء ونقصاً في المردود. (انظر في هذا المعجم: **التعلم**، **النضج**، **ثورونددايك**).

N.S.

التمويه

F: Comouflage

En: Comouflage

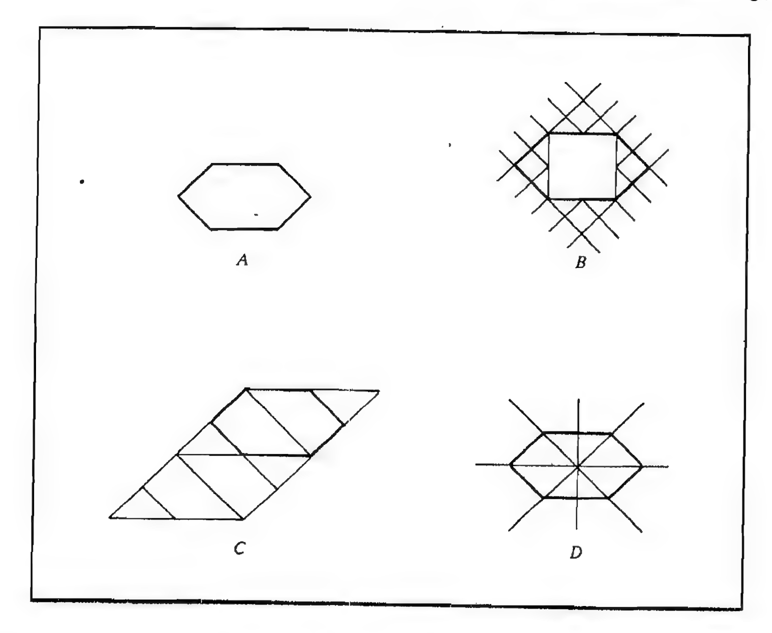
D: Tarnung

· **فن إخفاء شيء بجعله غير ظاهر.**

أفضل وسيلة للمرء، حتى لايفطن إليه أحد، أن يقلّد القاع الذي يوجد فيه ويتجنب الحركات المفاجئة والسريعة. والمماثلة اللونية لدى الحيوانات شكل طبيعي من أشكال التمويه. فبعض الجمبري يتخذ تلويناً أخضر تارة، وأحمر تارة أخرى، بحسب لون الطحالب التي يعيش وسطها؛ والأخطبوط يستخدم الحجارة الصغيرة العالقة في محاجمه ليغلق مدخل الثقب الذي يلبد فيه؛ وتقلد عدة فراشات، حتى ليلتبس الأمر، قطعة من قشرة الشجرة، إلخ. ويحقّق التمويه العسكري أيضاً شكلاً مماثلاً من المماثلة اللونية. فهذه التقنية اتّخذت أهمية خاصة منذ الحرب العالمية الأولى، بسبب تطور الطيران وإمكان الملاحظة الجوية التي يقدّمها. والتمويه، الذي كان اختبارياً في الزمن الغابر، أصبح علمياً بإدخال المعارف الجديدة في علم النفس، ولاسيما تلك التي استخلصتها سيكولوجيا الشكل (علم النفس الغشطالتي).

ويكمن المبدأ الأساسي للتمويه في تعديل تنظيم الحقل الإدراكي حتى لايبدو شيء معيّن أنه شكل على قاع. وإذ نحوّل التوازن البنيوي للشكل (الشيء المطلوب تمويهه)، ونلغي الأشكال المنتظمة، ونحدّد الخطوط الطبيعية، ونشدّد على السمات التي يشترك فيها الشكل المطلوب تمويهه مع القاع، فإننا نحقّق انصهاراً إدراكياً لهذا

الشكل وللقاع تصعب مقاومته. ولهذا السبب فإن لدى الجيوش الحديثة هيئة متخصصة بالتمويه، تستخدم على وجه الخصوص رسامين، ونحاتين، ومهندسين، وعلماء نفس. ويتّسع التمويه من الإدراك البصري إلى الإدراك السمعي: مثال ذلك أننا نقنّع رسالة حين نضخّم «الضجّات» (أو الخلل) في قناة التواصل، أوَ حين نجعل الأرقام أو الألفاظ الاصطلاحية تحلّ محلّ بعض الكلمات. وهذا الأسلوب موجود في كل اللغات السرية التي تستخدمها جماعات مغلقة، وفي مصطلح الشحّاذين على سبيل المثال، حيث يُسمّى المال، المشبّه بالخبز، تسميات مختلفة.



التمويه: الشكل السداسي (A) مرئي بصعوبة في (B) وفي (C)، ولكن تعرّفه يظلّ ممكناً بصورة تامة في (D)، حيث إضافة الخطوط لاتغير توازن الشكل الأولي (بحسب رأي كورت غوتشالدت).

N.S.

تناذر جيرستمان

F: Syndrome de Gerstman

En: Gerstmann's Syndrome

D: Gerstmann- Syndrom

اضطراب وصفه عام 1924 العالم الأمريكي من أصل نمساوي، جوزيف جيرستمان، ذو علاقة معاً بالوظائف الإدراكية والعملية، يتميّز بتعذّر على الفرد أن يميّز أصابع يده (عمه إصبعي)، ويتعرّف إحدى يديه اليمنى أو اليسرى، ويكتب (عسر كتابة) أو يحسب (عسر في الحساب).

يُضاف غالباً إلى هذه الضروب من القصور اضطرابات أخرى عصبية كالحُبسة (اضطراب الفهم أو التعبير اللفظي)، وعسر الحركة البنائية (يظهر بتعذر الرسم بقلم الرصاص شيئاً معقّداً - دراجة على سبيل المثال - أو أن ينجز المصاب بناء إذ يرتّب أجزاءه الواحد بالنسبة للآخر ترتيباً صحيحاً) أو العمى الشقّي المماثل (فقدان الرؤية في الجهة الواحدة من كل عين). وهذا الاضطراب ناجم، في غالبية الحالات، عن آفة في المنطقة الجدارية السفلى (تلفيف زاويّ أو «ثنية منحنية») من نصف الكرة الدماغية الغالبة. وليست الحركية الدقيقة مصابة لدى هؤلاء المرضى، ذلك أنهم قادرون على أن يُدخلوا في سُمّ الخياط خيطاً أو يعزفوا على البيانو، على سبيل المثال. والمصاب، في رأي الطبيب النفسي العصبي الألماني كلوس كونار (1905-1961)، هو القدرة على التحليل والتركيب، قدرة على تقسيم كل إلى أجزائه، و«القدرة على ترتيب أجزاء جملة، والعناصر المنفصلة للغة مكتوبة وإمكان بناء كل من أجزائه المنفصلة» (هـ. هيكان، جـ. دو أجورياغيّرا، 1952، ص 144). (انظر في هذا المعجم: **عمه الإدراك، عسر الحركة، مخطط جسمي**).

M.S.

تناذر سيلفيرمان

F: Syndrome de Silverman

En: Silverman's syndrome

D: Silverman-syndrome

تناذر وصفها الطبيب الأمريكي فريدريك ن. سيلفيرمان عام 1953، يتميّز بوجود كسور متعدّدة لدى الرضيع، ذات أصل رضّي، ترتبط بكدمات عديدة وحالة عامة سيئة.

لاوجود لدليل قاطع يتيح التأكيد أن هذه الوقائع عاقبة معاملات إرادية سيئة من جانب الأبوين أو الأسرة المرضعة، ولكن التحسين الذي يحصل بفعل إبعاد الطفل عن وسطه دليل غير مباشر. فعلى مستوى الدليل إنما يقع الفارق بين تناذر سيلفيرمان و**تناذر الأطفال الذين تُساء معاملتهم**، المسمى أيضاً **تناذر الأطفال المضروبين** أو **تناذر الأطفال الشهداء**.

وكان بعض الأطفال في كل زمن موضوع معاملة سيئة من جانب آبائهم. ويذكر م. شاختر أن 1786 حالة كانت موضع أحكام في محكمة الجنح في فرنسة، بين عامي 1898 و 1924. وعرض ك. هـ. كيمب ومعاونوه حالة 749 طفلاً أُسيئت معاملتهم في الولايات المتحدة خلال سنة واحدة، توفي 78 منهم متأثرين بجراحهم وظلّ 114 منهم محتفظين بعقابيل نهائية. وهذه الأرقام لاتعكس الواقع مع ذلك، واقعاً أكثر مأساوية. وفي رأي كريمب أن 2000 طفل كانوا يموتون في الولايات المتحدة بسبب المعاملة السيئة التي كانوا يتلقونها. وفي رأي غ. بييرمان (1969) أن

هذا العدد هو 1000 في الجمهورية الاتحادية الألمانية. والمعاملات السيئة التي تصيب الأطفال قد تُحدث ضحايا أكثر مما تحدثه الدفتيريا، وشلل الأطفال، والحمّى القرمزية، والجدري، مجتمعة. والمسؤولون عن ذلك هم، دائماً على وجه التقريب، الآباء أو بدائلهم. وفي رأي م. ل. بلومبرغ أن الأم تمارس سوء المعاملة، في 70 بالمئة من الحالات، على أطفال في عمر أقل من سنة. والأب، في رأي مؤلفين آخرين مثل م. شاختر (1975)، هو المسؤول الرئيس؛ وليس من النادر مع ذلك أن يرى المرء أبوي الطفل يعاملانه بقسوة، ويرافق ذلك في بعض الأحيان تواطؤ جدّة. والمقصود على الغالب مدمنون على الكحول أو مصابون بالضعف العقلي، وفي بعض الأحيان آباء كانوا هم ذاتهم موضع سوء معاملة في الطفولة، أو ضحايا قصور عاطفي مبكر، وذلك أمر لم يتح لهم أن ينموا نمواً سوياً؛ وظلت شخصيتهم غير ناضجة؛ إنهم يظهرون اضطرابات في الطبع، اضطرابات ليس الإدمان على الكحول أو هوس التسمّم سوى واحد من مظاهرها. ويسود الخلاف في الأغلب لدى الزوجين، من جراء اختيار عصابي للزوج. فيصبح الطفل عندئذ كبش المحرقة للثنائي، والدريئة التي تتوجّه إليها كل العدوانية. ويمكن أن يُنظر إليه منافساً، يحتكر حب أحد الأبوين على حساب الأب الآخر. وعديدون، من الأطفال الذين أُسيئت معاملتهم، أولئك الذين كانوا غير مرغوب فيهم أو أنهم مصابون أيضاً بقصور جسمي أو عقلي، يتعذّر على الأبوين أن يتحمّلوهم. فالطفل غير المحبوب، المضروب المستبعد، يعاني بعض الاضطرابات غالباً (خَلْفة، سلس البول، سلس الغائط)، اضطرابات تقدّم سبباً موضوعياً للأبوين في معاقبته. وينص التشريع على مجموعة من الإجراءات الخاصة بالكشف عن سوء المعاملة التي تفرض على الأطفال، والوقاية منها وقمعها. وتختلف هذه الإجراءات بحسب الحالة؛ إنها: المعونة التربوية للأسرة، سحب حق الاحتفاظ بالطفل (مادة 375 من القانون المدني)، سحب جزئي لحقوق السلطةالأبوية، زوال السلطان الأبوي (مادة 378 من القانون المدني)، غرامات نقدية أو حبس (مادة 312 من القانون الجزائي).

والوقاية من سوء المعاملة أمر صعب، ذلك أن من غير اليسير أن تُحدّد بدقة معايير سوء المعاملة المطبّقة على الأطفال. والواقع أن كل تربية تقتضي حداً أدنى من الإكراهات والعقوبات، وينبغي تحديد المرحلة التي تتحوّل انطلاقاً منها هذه الإكراهات والعقوبات إلى سوء معاملة. وفيما يتعلق بـ«العلاج»، فالصعوبة ليست أقل، ذلك أن إبعاد الطفل المضروب عن وسطه الأسري، وهو إجراء يُوصى به على الغالب، غير سعيد دائماً. ويبدو أن الحلّ الأفضل، ولكنه الحل الأصعب أيضاً، يكمن في أن يأخذ الطفل والأبوين معاً على عاتقه فريق من المعالجين النفسيين والعمال الاجتماعيين، بغية خلق جوّ محيط أسري أكثر صفاء وشروط تربوية أكثر ملاءمة للطفل. (انظر في هذا المعجم: **العون الاجتماعي للطفولة، القصور العاطفي، قصور السلطان**).

M.C.

التناذر الصرعي لرورشاخ

F: Syndrome épileptique de Rorschach
En: Rorchachian epileptic syndrom
D: Rorschach epileptisches syndrom

المصطلح، في رأي «معجم الصرع» لمنظمة الصحة العالمية (1953)، غير مناسب إذ يُطبَّق في بعض الأحيان على مجموع الاضطرابات الذهنية التي أوضحها رائز رورشاخ لدي المصابين بالصرع.

يتضمّن هذا التناذر، حسب هيرْمان رورشاخ نفسه، السمات التالية: نموذجاً من الرجع الداخلي الانفعالي ترافقه في بعض الأحيان استجابات ذات علاقة باللون وحده؛ رقابة شكلية منخفضة ترافقها التخريفات؛ فهماً إجماليا وتفصيلات كبيرة؛ إلحاحاً على التناظر؛

ويستأنف زيغمونت بيوتروسكي تناذر رورشاخ الصرعي ويمنهجه واضعاً أربع عشرة سمة، سبعة منها تكفي لإظهار تشخيص الصرع. وتلحّ فرانسواز مينكاوسكا على بطء تكوّن الأفكار، والالتصاقية باللوحات، وصعوبات الرؤية الدقيقة، والمفردات الحسية، والصلة القائمة بين تفسيرين. والواقع أن المفهوم ذاته، مفهوم «التناذر الصرعي لرورشاخ»، غير مناسب من حيث أن هذا التناذر غائب لدى أفراد عديدين يعانون الصرع (الوظيفي على وجه الخصوص)، في حين أنه موجود، في أغلب الأحيان، لدى أفراد غير صرعيين يتصفون بتشويه دماغي عضوي. فسيكون إذن ضرباً من عدم التبصّر وحتى ضرباً من الخطر أن نُجري، بل أن نوجّه فقط، تشخيص الصرع على قاعدة النتائج التي يُظهرها رائز رورشاخ.
(انظر في هذا المعجم: **الصرع**، **التشخيص النفسي لرورشاخ**).

H.G.

تناذر غانْسر

F: Syndrome de Ganser
En: Ganser's Syndrome
D: Gansersches Syndrom

تجمّع أعراض يكوّن وحدة مرضية خاصة وصفها الطبيب النفسي العصبي الألماني سيغبرت جوزيف ماريا غانسر (1853 -1931).

يعيش الفرد في ضرب من الحالة الغسقية (تشوّه الشعور)، أو الحلم، تجعله يجهل الواقع جهلاً مطلقاً. ويبدو فاقد التوجّه، يسلك سلوكاً صبيانياً أو أحمق، ويمر بفترات من الحصر والهلوسات (البصريةبصورة أساسية) لايحتفظ بذكراها، ويجيب على وجه الخصوص «إجابات لاعلاقة لها بالسؤال»، ويقوم «بأفعال يفوتها الهدف»، ويتصف بإرادة مفادها ألا يعلم شيئاً. وعندما يطرح على الفرد المصاب سؤال، يجيب عنه إجابة مبهمة أو عبثية، على الرغم من أنه فهمه فهماً تاماً. وهذا التناذر يمكنه أن يكون موجوداً في آفاق عديدة: في إصابات الدماغ العضوية (ورم على سبيل المثال)، وعقابيل الصدمات الجمجمية، والذهانات في بداياتها، وفي حالات عصابية شتى، لاسيما الهستيريا. وكان هذا التناذر قد اقترن، من جهة أخرى، بالحالات الغسقية الهستيرية خلال زمن طويل؛ ونصادفه على الأغلب في وسط السجون، حيث يُطرح المشكل الصعب، مشكل المتصنّعين؛ ومثل هؤلاء الأفراد قادرون في الغالب، على خلاف المتصنعين، على أن يجيبوا مع ذلك إجابة صحيحة على الأسئلة المطروحة بعد بضع دقائق إذا ألححنا. ونصادف غالباً، بين تشوّهات اللغة لدى الفصاميين، إجابات خارج الموضوع شبيهة، بشكلها، بتناذر غانسر، ولكن إدخالها في حالة من تشوه الواقعي أوسع وأعمق يحضّ بعض المؤلفين على أن يرفضوا تماثل هذه التشوهات الدلالية مع التناذر المعنيّ.

J.M.A.

تناذر فكّ الارتباط

F: Syndrome de déconnexion ou dysconnexion

En: Disconnection Syndrome

D: Leitungbetorung

مجموعة من ضروب الخلل الحاصلة بسبب قطع ألياف الترابط التي تصل المراكز العصبية بعضها مع بعض. وينطبق هذا المصطلح حالياً، على نحو أخص، على مجموعة الأعراض التي يثيرها قطع الدروب التي تجعل نصفي كرة الدماغ في حالة من عدم تواصل بينهما (الجسم الثفني والصوار الأبيض الأمامي على وجه الخصوص).

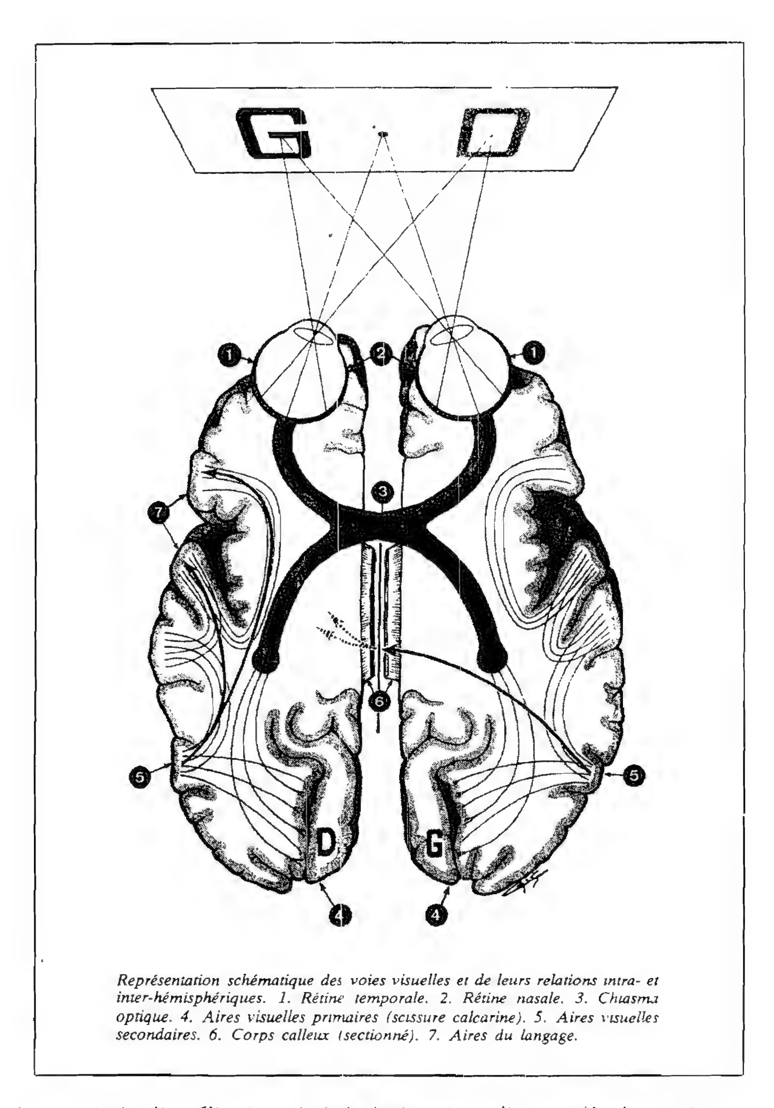
كانت مثل هذه الآليات قد ذُكرت من قبل، خلال القرن الماضي، لشرح بعض الاضطربات في الوظائف العقلية (حُبسة التوصيل، العجز القرائي، بعض أشكال العجز الحركي). وإذا كانت هذه الشروح في ذلك الزمن تستند في الأغلب إلى مجرد الفروض النظرية لنظرية الترابط أكثر من استنادهاإلى المعاينات التشريحية، فإن الأعمال العيادية والتجريبية الحديثة أكدت بعض هذه الفروض على الأقل. وتنجم المعطيات الأكثر حسماً عن فحص المرضى المصابين بالصرع الذين قُطعت لديهم ألياف الترابط بين نصفي الكرة الدماغية (الجسم الثفني)، بهدف منع التفريغ الكهربائي المرضي، الناشئ من واحد من نصفي الكرة الدماغية، من أن يمتدّ إلى النصف الآخر ويتعمّم على الجسم كله. ولهذا التدخل الجراحي، كما هو الأمر بالنسبة للحيوان ذي **الدماغ المنشطر**، تأثير ضعيف على سلوك المريض وقدراته العقلية، الذي يمكنه أن يستمر في أن يعيش عيشاً سوياً من الناحيةالعملية.

ولكن هذا الغياب الظاهر للخلل ناجم عن أن نصفي الكرة الدماغية يصلهما الإعلام الخاص بالمنبهات المدركة بوساطة المستقبلات المحيطة عادة؛ والتخصّص في كل من نصفي الكرة الدماغية، ذو الأهمية الكبيرة بالنسبة للإنسان، يُقنّع على هذا النحو. والمعاينات مختلفة كل الاختلاف عندما نضع الفرد في وضع يتعذّر على الإعلام أن يصل إلا إلى نصف واحد من نصفي الكرة الدماغية. فكل شيء يحدث عندئذ كما لو أن لدى المريض دماغين، أحدهما لجهته اليمنى والآخر لجهته اليسرى، إذ أن الأول هو القادر وحده على التعبير اللفظي. وليس بوسع الفرد الذي قُطع الجسم الثفني في دماغه أن يقارن بين مايمثل في واحد من نصفي حقل الرؤية لديه وما يمثل في النصف الآخر، حتى ولو أن المنبهات كانت بسيطة بساطة الألوان. وتُلاحظ الصعوبات نفسها على مستوى اليدين، فيما يتعلق بما يلمس. فالمريض يمكنه أن يسمّي صورة مسقطة بين صور أخرى أو يجد الشيء المقابل لها باللمس، ولكن ذلك لن يكون إلا باليد اليسرى إذا كانت الصورة مدركة في النصف الأيمن من حقل الرؤية. وسيتعرّف شكلاً عُرض عليه سابقاً شريطة أن يكون العرض الثاني قد حدث في نصف الحقل البصري نفسه الذي عُرض فيه للمرة الأولى. وأكثر إثارة للدهشة أيضاً أمر مفاده أن المريض عاجز، في هذه الأوضاع جميعها، عن أن يعبّر تعبيراً لفظياً عما يبلغ نصف الكرة الدماغية الأيمن (الذي ينشأ إذن عن الجهة اليسرى) وهو يشعر به مع ذلك شعوراً تاماً. وهكذا فإننا إذا عرضنا معاً صورة مفتاح على يسار المريض وصورة شوكة على يمين المريض ورجوناه أن يجد في مجموعة من الأشياء، التي تقع خارج حقل رؤيته، مارآه، فإن يده اليسرى ستجد المفتاح وستجد الشوكة يده اليمنى. ولكننا إذا طلبنا إليه عندئذ أن يقول ما رآه ولمسه، فإنه لايمكنه أن يذكر سوى الشوكة؛ إنه يعلم تماماً أن ثمة أيضاً شيئاً حدث، ولكنه عاجز عن أن يقول ما هو. ويحدث الأمر نفسه بالنسبة للصور ذات المحتوى الانفعالي؛ إنها تثير إيماءات لايمكننا تسويغها إذا حدث العرض في نصف الحقل الأيسر. وإذا كان نصف الكرة الدماغية الأيمن لايتيح للمريض أن يعبّر عن نفسه، فإن هذا المريض قادر مع ذلك على أن ينفّذ بعض المهمات اللفظية البسيطة، كإيجاد كلمة مقابلة لتعريف قُدّم شفهياً.

ولوحة علم العلامات يمكنها أن تختلف اختلافاً محسوساً من فرد إلى آخر، تبعاً لمركز الآفة ومداها، تلك الآفة التي سوّغت التدخّل الجراحي، ويختلف أيضاً لأن بعض المرضى يفلحون في أن يعوّضوا بعضاً من اضطراباتهم، إذ يتبنّون إستراتيجيات جديدة في الحصول على المعلومات.

وإذا ضربنا صفحاً عن هذه التغيرات بين الفردية، وعن بعض المشكلات غير المحلولة أيضاً (علاقات بين نصفي الكرة الدماغية تسلك دروباً أخرى)، فإن بوسعنا أن نوجز السمات الأساسية للآليات التشريحية الفيزيولوجية الموجودة في أصل هذا التناذر، تناذر فك الارتباط، على النحو التالي: (انظر الشكل): تقع مناطق اللغة في نصف الكرة الدماغية الأيسر، وتتواصل هذه المناطق، داخل هذه النصف، مع المناطق البصرية والحسية الجسمية التي تتلقّى التنبيهات الواردة من الجهة اليمنى، فما يرد من هذه الجهة يمكن أن يعبر عنه المريض تعبيراً لفظياً. أما نصف الكرة الدماغية الأيمن، فلا يمكنه أن يتواصل مع مناطق اللغة إلا من خلال الجسم الثفني، ولكن المعلومات لم تعد تنتقل إلى نصف الكرة الدماغية الآخر، بالنظر إلى أن هذا الجسم الثفني مستأصل. كذلك ينبغي للمناطق البصرية والحسية الجسمية أن يكون بمقدورها أن تتواصل فيما بينها حتى تجري المقارنات.

ويفهم المرء على نحو أفضل، انطلاقاً من هذه المعاينات شبه التجريبية، بعض الملاحظات العيادية. فثمة حالات، معروفة في الواقع، مجموعة أعراضها ذات سمات مشتركة مع ما وصفناه أعلاه، تتيح افتراض إصابة (ورميةأو وعائية) في الجسم الثفني؛ إن هناك مرضى لايمكنهم القراءة إلا في النصف الأيمن من حقل الرؤية على الرغم من أنهم يرون رؤية طبيعية في نصفي حقل الرؤية؛ وآخرون عاجزون عن الكتابة باليد اليسرى، وهم خالون من الاضطربات الحركية، أو عاجزون عن تسمية الأشياء التي تلمسها اليد اليسرى، على الرغم من أنهم تعرّفوها. (انظر في هذا المعجم مايلي: **العجز القرائي**، **الحبسة**، **العجز الحركي**، **الدماغ المنشطر**).



Représentation schématique des voies visuelles et de leurs relations intra- et inter-hémisphériques. 1. Rétine temporale. 2. Rétine nasale. 3. Chiasma optique. 4. Aires visuelles primaires (scissure calcarine). 5. Aires visuelles secondaires. 6. Corps calleux (sectionné). 7. Aires du langage.

تمثيل إجمالي للدروب البصرية وعلاقاتها داخل نصفي الكرة الدماغية وبينهما.

1 - الشبكية الصدغية. 2 - الشبكية الأنفية. 3 - التصالب البصري. 4-المناطق البصرية الأولية (الشقّ المهمازي). 5 - المناطق البصرية الثانوية. 6-الجسم الثفني (المستأصل). 7 - مناطق اللغة.

فك ارتباط

الحرف الأجنبي D المعروض على يمين نقطة التثبيت في الشكل يرتسم (خلال عشر الثانية، لتجنّب انتقال العينين) على الشبكية الصدغية من العين اليسرى وعلى الشبكة الأنفية من العين اليمنى، اللتين، أي كلا الشبكتين، ترسلان المعلومات المدركة صوب المنطقة البصرية الأولية من نصف الكرة الدماغية الأيسر. ومن هنا، ينتقل هذا الإعلام، بفعل دروب الترابط داخل نصفي الكرة الدماغية وبينهما، إلى مناطق اللغة. والإثارات التي يطلقها المنبه المعروض في النصف الأيسر من حقل الرؤية (الحرف الأجنبي G) تسلك دروباً متناظرة لتصل إلى المناطق البصرية من نصف الكرة الدماغية الأيمن. ولكن عليها، لتبلغ من هنا مناطق اللغة، المناطق الواقعة في نصف الكرة الدماغية الآخر، أن تعبر الجسم الثفني، وذلك أمر يتعذّر عليها إذا كان هذا الجسم مستأصلاً.

P.M.

تناذر كلينيفلتر

F: Syndrome de Klinefelter

En: Klinefelter's Syndrome

D: Klinefelter - Syndrom

داء وصفه كلينيفلتر، رينفنشتاين وألبرايت (1942)، يُظهر فيه الأفراد من الجنس المذكر، بدءاً من المراهقة أو سن الرشد، علامات جسمية من عدم النضج الجنسي (غياب اللحية والشعر، ضمور خصوي..) أو من الأنثوية (نموّ التديين).

يظهر عدم النضج الجنسي لدى هؤلاء الأفراد أيضاً في تصرفهم الضعيف الرجولة، ونقص طاقتهم، وخشيتهم من توطيد أنفسهم، وتبعيتهم إزاء الغير. إنهم يعانون أحياناً من اضطرابات عصابية، وانحرافات جنسية، كالجنسية المثلية، والإيونية (تنكّر الرجل بثياب المرأة)، أو الضعف العقلي (نجد، في عداد الحالات الخطيرة من التخلف العقلي، 1 إلى 2 بالمئة من الأفراد الذين يبدو عليهم هذا التناذر).

ويرتبط هذا المرض، الذي يُقدَّر تواتره بحالة واحدة من 700 ولادة، بالتكوين الصبغي. إنه ناجم عن وجود صبغيّ يحدد الجنس زائد عن العدد المقرر، صبغي X على وجه العموم. فالشكل 47، XXY، هو الأكثر انتشاراً، ولكن ثمة أشكال أخرى منه: XYY,XXYY,XXXY. (انظر في هذا المعجم: **الزيغان الصبغي، تصنيف الصبغيات، الإيونية، الجنسية المثلية، الانتماء إلى الجنس المقابل**).

M.S.

تناذر كورساكوف

F: Syndrome de Korsakov

En: Korsakoff's Syndrome

D: Korsakow Syndrome

آفة ذهنية ذات مصدر سُمّي (أوكسيد الكربون، على سبيل المثال، ولكنه الكحولية في الأغلب)، يمكن أن يسبّبه أيضاً ارتجاج دماغي أو مرض سمّي معدٍ (تسمم وشيقي(*)، تدرّن، تيفوئيد. . .).

العرض الرئيس تكوّنه اضطرابات الذاكرة وخلط عقلي. فالمريض مصاب بالحصر في البداية، ثم يصبح لامبالياً، ذاهلاً. وإذا كان يتذكر وقائع قديمة، فإنه لايثبّت أي ذكرى، إذ يفقد المفاهيم المكتسبة حديثاً بالتتابع. وليس لديه وسيلة أخرى سوى أن «يبتكر» الوقائع ليسدّ ثغرات ذاكرته (مع تخريف). إنه يتيه غالباً، ذلك أنه فاقد التوجّه في المكان والزمان. ويقترن بهذه المظاهر النفسية التهاب الأعصاب في الأعضاء الدنيا، ونقص المنعكسات، والآلام، وضمور عضلي. والأشكال الخفيفة لدى الأفراد الصغار قابلة للشفاء، ولكن الأشكال الخطيرة أو الحادة تتطور عموماً نحو الموت خلال بضعة أشهر. ونلاحظ، على مستوى الدماغ، تدرّنات حلمية وضموراً منتشراً في منطقة البطين الثالث. (انظر في هذا المعجم: **الوَهَل [فقدان الذاكرة]**).

N.S.

(*) - تسمم من المأكولات المحفوظة الفاسدة «م».

تناذر المغول

F: Syndrome de Moghols

En: Mughal Syndrome

D: Mughal Syndrome

اتجاه وتصرّف عدواني لجيل الشباب إزاء أفراد جيل الكبار.

كان عالم النفس الهندي دورغاناند سنْها (مولود عام 1922) مدفوعاً، حين حلّل سلوكات المراهقين والراشدين الشباب الحاليين إزاء الأجيال التي سبقتهم، إلى مقارنتهم بالمراهقين والراشدين الشباب من سلالة **المغول العظماء**، التي أسّسها بابر (1483-1530)، وحكمت الهندمنذ القرن السادس عشر إلى التاسع عشر، وكانت إحدى خصائصها أن الأبناء كانوا يتمرّدون على الآباء ليستولوا على السلطة. فسمّى سنها، بالتماثل مع هذا الوضع، النزاع بين الأجيال «تناذر المغول» (1972). وليس المشكل جديداً. ووُجد في كل زمن ضرب من الخندق بين الشباب والشيوخ، وبين الأطفال وآبائهم، فخلافاتهم تظهر بالتباعد في الآراء، والاتجاهات، والإدراكات، وأحكام القيم، وبالاستهجان، والضغينة وحتى النزاع المكشوف. وذلك أمر أصبح محسوساً على وجه الخصوص بالمعارضة الطلابية التي بلغت ذروتها في نهاية الستينات من هذا القرن، وبالمطالبة بـ «سلطة طلابية». وبذل دورغاناند سنها (الله أباد) جهده في تحليل بعض من الفوارق، التي تفصل بين الأجيال، انطلاقاً من فئة من السكان تتألف من 600 طالب ومدرس. وكان في الفئة مئة وخمسون أستاذاً من أعمار تزيد عن خمس وأربعين سنة؛ وكان بينهم وبين الطالب فارق متوسط في العمر يبلغ تسعاً وعشرين سنة. وينجم عن هذا البحث،

أولاً، أن الجماعة الأكبر عمراً تستمدّ مثلها، على وجه الخصوص، من المصلحين الدينيين، الاجتماعيين والسياسيين في الحاضر والماضي، في حين أن الشباب يقتصرون حصراً على وجه التقريب، على المعاصرين الذين ينتمون إلى المجالات الأكثر تنوّعاً، بما فيها مجال الرياضة وأوقات الفراغ. ولايبدو أن لديهم نماذج محدّدة لاستلهام تصرفهم، إذا استثنينا رجالاً بارزين كالمهاتما غاندي وجواهر لال نهرو. وينجم عن ذلك ثانياً أن الشباب إما متردّدون، إذا واجهوا أوضاعاً تطرح مشكلات أخلاقية، وإما رحماء ومتسامحون جداً. أما كبارهم، فإنهم، على العكس، يُطلقون أحكامهم بسرعة وبصورة قطعية. وينجم ثالثاً أن الأسرة، بالنسبة للشباب، تقلّصت إلى «العلاقات القريبة»، في حين أنها أكثر اتساعاً بكثير بالنسبة للكبار. رابعاً، يرى الشباب مستقبل بلادهم في ضوء أكثر تفاؤلاً من الكبار. خامساً، إنهم أكثر تسيّساً من الكبار، ولديهم حسّ اجتماعي أكثر نمواً من الكبار، ولايعبأون كثيراً بالجمال وهم أقل تديّناً من الكبار على نحو ذي دلالة. وليس ثمة مع ذلك تعارض واقعي، على الرغم من هذا الاختلافات، والخندق الذي يفصل بين الأجيال ليس خندقاً لايمكن أن يُردم أصلاً، كما كان المرء بوسعه أن يعتقد.

D.S.

تناذر ويست

F: Sydrome de west

En: West Syndrome

D: West Syndrome

اعتلال دماغي في الطفولة الأولى يتميّز بتشنّجات، وتوقُّف النمو النفسي الحركي أو تباطئه، ويتميز، في التخطيط الدماغي الكهربائي، بتشوّه في الرسوم بارز في الألم الدماغي.

كان هذا المرض قد سُمّي بأسماء مختلفة (أكثر من خمسة وخمسين)، أشهرها: «تناذر التشجنات» و«الاعتلال الدماغي الارتجاجي العضلي الطفلي». وظلّ هذا المرض، الذي وصفه عام 1841، الطبيب الانغليزي و. جـ ويست، الذي كان قد لاحظه لدى ابنه، مجهولاً من الناحية العملية حتى عام 1952، التاريخ الذي عزل فيه ف. إ. جيبس من جهة، وهنري غاستو من جهة أخرى، مظاهره التخطيطية الدماغية الكهربائية النوعية. واقترح عام 1957 لـ. سوريل، أ. ديزوسي بولوا، علاجاً هرمونياً ظل وحده المعروض حتى يومنا هذا.

ويصيب هذا المرض 1 إلى 5 من 10.000 طفل أقلّ من ثلاث سنوات من العمر- أغلبهم صبيان (60 بالمئة من الحالات بين الشهر الثالث والتاسع). وطبيعته لاتزال غير محدّدة، لكننا نجد في بعض الأحيان عوامل مشجّعة، كالنضج قبل الأوان، وصدمة من عمل جراحي أو مرض تنكّسي أسري. وتشمل اللوحة العيادية أول الأمر تشنّجات اختلاجية ذات مدة قصيرة تحدث عدة مرات يومياً، وهذه التشنجات ذات علاقة بعضلات الجسم كلها ولاسيما العضلات المثْنية، إذ

تلقي الرأس على الصدر فجأة وتطوي الأطراف الأربعة. ثم يتعدّل السلوك بسرعة كبيرة، إذ يصبح الطفل لامبالياً وخاملاً (فقدان الابتسامة تلاحظ أولاً)، ونلاحظ توقّفاً، بل نكوصاً إجمالياً في النمو النفسي الحركي. ويبيّن مخطط الدماغ الكهربائي تعاقباً منتظماً جانبياً من الموجات البطيئة، الواسعة جداً، دون أي تزامن.

ويدوم تطور المرض العفوي بين ثلاثة أشهر واثني عشر. فتخفّ التشجنات تدريجياً وينتظم المخطط الدماغي الكهربائي ولكنه يحتفظ بشذوذات على الغالب. أضف إلى ذلك أن الفرد يحتفظ، دائماً على وجه التقريب، بعقابيل خطيرة قليلاً أو كثيراً. فثمة، في 20 إلى 60 بالمئة من الحالات (تبعاً للمؤلفين)، صرع معمَّم دائماً على وجه التقريب يستقر، ويدوم على وجه الخصوص تخلّف عقلي يمكنه أن يمضي حتى التخلف العميق الذي تبدو أهميته ذات علاقة، على وجه الخصوص، بالظهور المبكّر للمظاهر الصرعية وبخطورتها.

والعلاج أساسه الهرمونات من قشر الغدّة الكظرية: إما النتاج الهرموني ذاته (هيدروكورتيزون)، وإما هرمون نخامي يثير إفراز (.A.C.T.H). ولتطبيق هذه الهرمونات مفعول سعيد، بل مذهل، على التشنجات والمخطط الدماغي الكهربائي، ولكن هذا التطبيق لايحول دون استقرار عقابيل، ولاسيما القصور العقلي. وينبغي أن نضيف أخيراً أن التطور السيكولوجي لهؤلاء الأطفال، شأنهم شأن كل المصابين بالقصور العقلي، تابع لموقف المحيط منهم، وذلك أمر يشرح أن لوحة الطب النفسي الملاحظة في تناذر ويست تتضمّن على الأغلب تطوراً ذهنياً. (انظر في هذا المعجم: **A.C.T.H** [**هرمون قشر الكظر**]، **تخلف**، **التخطيط الدماغي الكهربائي**، **الصرع**).

J.MA.

التنافر المعرفي

F: Dissonance Cognitive

En: Cognitive dissonance

D: Kognitive dissonanz

حالة من التوتر الداخلي ناجمة عن أن المرء موزّع بين فكرتين أو عدة أفكار متناقضة.

لتصرفاتنا عادة تماسك يشرحه انسجام منظومتنا النفسية، حيث تتوازن آراؤنا واتجاهاتنا، وكلامنا وعواطفنا وأفكارنا. ونبحث، إذ نكون على وفاق مع أنفسنا، على أن نكون على وفاق مع أعضاء محيطنا، وذلك أمر يشرح على وجه الخصوص أننا نختار أصدقاءنا المفضلين من بين الأشخاص الذين ينتمون إلى الوسط الاجتماعي الثقافي نفسه. لهم الاهتمامات عينها، والاراء ذاتها، إلخ. ولكن قد يحدث أن تصيب أحداث خارجية هذا الانسجام بالخلل. ومثال ذلك كشوف علمية في أصل الحياة يمكنها أن تصدم قناعاتنا الدينية، أو أن أحد أصدقائي يعلن أيضاً، على نحو مفاجىء، آراء سياسية تعارض آرائي. وينجم عن ذلك ضرب من الانزعاج يطلق عليه عالم النفس الأمريكي ليون فستنجر مصطلح «التنافر المعرفي». وينبغي لي، لأقلّص هذا التوتر، أن أُدخل عنصراً آخر سيساعدني على أن أتجاوز التناقض وأجد توازني الداخلي مجدداً. فبوسعي أن أرفض الإعلام الذي تلقيته (يتعذّر خلق الحياة في المخبر، لاأعتقد أن بوسع بيير أن يخون أفكاره)، أو بوسعي أن أقلّل من شأن هذا الإعلام («سيتبيّن بيير خطأه بسرعة»). ويمكنني أيضاً أن

أقطع علاقتي بصديقي، وتلك وسيلة لتحويل بيئتي، أو تعديل اتجاهي الخاص، وتغيير اعتقادي ورأيي.

وفي رأي ل. فستنجر أن الإنسان موجود عقلاني يبحث عن وسيلة استبعاد كل تناقض منطقي يحدث في منظومتنا الفكرية.

N.S.

F: Stimulation **التنبيه**

En: Stimulation

D: Stimulation, Reisung, Stimulierende, Wirkung

تأثير ميكانيكي، فيزيائي أو كيميائي، لمنبه على مستقبل حسي، وبالتعميم، على خلية عصبية أوعضلية.

إذا تجاوزنا طبيعة المنبه (بصري، سمعي، لمسي. . .)، فإن التنبيه تحدّده خصائصه، خصائص **الشدة** (طاقة موجّهة بوحدة من الزمن)، **والتموضع** (الدقيق أو المنتشر، البعيد أوالقريب، إلخ)، و**التناقص الزمني** (المستمر أو المتقطّع. . .). ولاينبغي لنا أن نخلط بين مفهوم التنبيه ومفهوم الإثارة. (انظر في هذا المعجم: **الإثارة، المنبه**).

J.ME.

F: Cadence **تنسيق الإيقاع**

En: Cadence

D: Tack, Kadenze

تعاقب موقّع من الأصوات، والحركات ، والأحداث أو الأعمال، التي تتكرر بانتظام.

الضبط التقني الذي يهدف، في الصناعة، إلى زيادة الإنتاجية، يضع قواعد ويحدّد أنماط التنفيذ في العمليات. إنه يثبّت على وجه الخصوص كمية العمل التي ينبغي لعامل أن يقدّمها في مدة من الزمن معيّنة ويحسب أجره تبعاً لجهده. وذلك أمر يكوّن واحداً من المشكلات الأكثر حساسية، مشكلات ينبغي للمهندسين أن يجدوا حلاً لها. وإذا كان من اليسير نسبياً تحديد أبعاد وشكل شيء مطلوب صنعه، فإن تعيين الإيقاع الذي ينبغي على عمال مشغل أن يتابعوه أمر أكثر صعوبة بكثير. فإلى الإيقاع الأكثر نجوعاً إنما يستند واضعو الإيقاع على وجه العموم، ولكن عدداً من العمال لايفلحون في أن يحتفظوا بالسرعة المفروضة. ويترتّب على ذلك أن يُضاف إلى التعب مجدداً ضرب من التوتر العصبي الذي ينشأ من الخشية من «التجاوز»، ومن العجز عن مواصلة الإيقاع باستمرار. فينجم ضعف في اليقظة وينجم بالتلازم ازدياد حوادث العمل وعيوب في المنتجات المصنوعة، وضروب أيضاً من فقدان التوازن النفسي وآفات نفسية جسمية. وعندما يكون تنسيق الإيقاعات سريعاً جداً، يُلاحظ كبح إرادي على وجه التقريب من جانب العمال، يؤدّي إلى تأسيس معايير جديدة، أكثر اتصافاً بأنها مناسبة. وتنسيق إيقاع العمل ينبغي تحديده استناداً إلى الإمكانات الفيزيولوجية لمتوسط العمال، في شروط لاتعرّض التوازن العصبي للخطر. (انظر في هذا المعجم: **الطب النفسي الجسمي**، **الإيقاع**).

N.S.

التنشئة الاجتماعية

F: Socialisation

En: Socialisation, Social Learning

D: Sozialisation, Sozialierung

سيرورة بطيئة ومستمرة يتمثّل الفرد بها أنماط الفكر، وقيم المجتمع الذي ينتمي إليه والسلوكات التي تميّزه.

يصبح المجتمع بتنظيماته، بدءاً من مستوى معين من السلّم الحيواني، ضرورة، إلى حد يذوي الأفراد ويموتون عندما ينفصلون عنه. والجماعة، لدى الإنسان، تعمل بأسلوبين مختلفين: بتأثير موروث عن الماضي توجد فيه **الشروط الداخلية** لأنماط التعلّم الاجتماعي الإنسانية بصورة نوعية، وبعمل مستمر يبدأ من لحظة الولادة ولايتوقّف عن ممارسة تأثيره حتى الموت.

والعامل الأول في التنشئة الاجتماعية هو الأم التي تستجيب لحاجات طفلها (إرضاع، نوم، عنايات جسمية)، ولكنها تسيطر عليها أيضاً إذ تحدّد لها دورية (مواقيت الوجبات، اكتساب النظافة، على سبيل المثال). وتأثيرها هو من العمق بحيث أراد بعض المؤلفين أن يقلّصوا التنشئة الاجتماعية إلى مجرد مشتقّ، وإلى ازدياد العلاقات الوجدانية القائمة على هذا النحو بينها وبين الطفل. ومهما يكن من أمر، يمكننا أن نلاحظ أن الأطفال الصغار المجتمعين اثنين اثنين يقيمون، بدءاً من الشهر الخامس من العمر، كل الضروب من العلاقات الاجتماعية: إنهم يتبادلون الابتسامة، ويتلامسون، ويداعب أحدهم الآخر، ويعتدي أحدهم على الآخرين، ويتبادلون الألعاب، إلخ. وللأطفال، بين الشهر الثامن عشر والثلاث سنوات،

حياة اجتماعية تخضع لقوانين ليست موضع شك الراشدين غالباً، حياة اجتماعية تنتظم حول ثلاثة تصرفات رئيسة: القبول والسكينة، الرفض والتجنّب، الإغراء أو التهديد. وهذه السلوكات، التي أوضحها مونتانيار (بيزنسون)، تصبح مع العمر سلوكات رمزية وتُضفى عليها الصفة الطقسية. ولكن هذه التصرفات- التي تذكّر بآليات إضفاء الطقسية لدى الحيوان - تُخلي مكانها، مع تطور اللغة، إلى تصرفات أخرى أكثر إعداداً. وعلى هذا النحو إنما يشرح طفل في الثالثة من عمره لرفيقه في اللعب ما يفعله، ويبحث عن تجاوزه في الرابعة، ويرتسم في الخامسة من عمره ضرب من التعاون.

ويجري تعلّم الحياة الجماعية في كَنَف الأسرة أول الأمر، وسرعان ماتتناوب تعليم الحياة كل المؤسسات الاجتماعية التي تشارك في التربية: المدرسة، الكنيسة [المؤسسة الدينية]، التجمّعات المهنية وتجمعات أوقات الفراغ، والجيش، إلخ. ويشبّه بعض المؤلفين، مثل ن. إ. ميلر وجون دولارد (1940)، هذا التعلّم بضرب من الإشراط حيث تكون بعض التصرفات موضع مكافأة وتعزيز، وأخرى موضع عقوبة (أو موضع لامبالاة) واستبعاد. ولكن هذا الفرض غير كاف لشرح استدخال المعايير والقيم الاجتماعية الثقافية التي يسمّيها مظفر شريف وهادلي كانتريل (1947) **أناوات- متورّطة**. فليس الإنسان، في سيرورة التنشئة الاجتماعية، سلبياً فقط، إنه يرغب في الاندماج في الجماعة الإنسانية. وهو مستعدّ، لهذا السبب، أن يحترم معايير جماعته التي ينتمي إليها أو كل جماعة أخرى يأمل أن يندمج فيها. وليست هذه الرغبة شعورية بالضرورة. إنها ستحدّد على الأقل تصرفه وستسوّيه بفعل حركة التماهي والاجتياف، إلى حد تجعله مقبولاً من المجتمع. ويتعلم الفرد على هذا النحو أن يحترم الأشخاص ومال الغير، والطقوس والأعراف، والأدوار والتعاقدات الاجتماعية. ولايتوصّل إلى أن يتصرف كما يتصرف أعضاء جماعته فحسب، ولكن يتوصل أيضاً إلى أن يحس ويدرك ويفكر مثلهم. ولكن سيرورة التنشئة الاجتماعية يمكنها أيضاً أن تنتهي إلى

الإخفاق وتقود الفرد إلى الهامشية. وهذا الإخفاق يمكنه أن يكون ناجماً عن ضروب جبلّية من ضعف الفرد (ضعف عقلي، إعاقة حسية أو جسمية خطيرة)، عن عدم النضج، عن مرض عقلي. ويمكنه أيضاً أن يكون عاقبة الأخطاء التربوية أو النزاعات مع المحيط التي تثير الضغينة والتمرّد على السلطة. وكل تربية للمصابين بالقصور العقلي هي أيضاً مشروع تنشئة اجتماعية، وكل إعادة تربية محاولة تعلّم اجتماعي جديد (انظر في هذا المعجم: **الشخصية**، **الثقافة**، **التربية**، **الجماعة المرجعية**).

N.S.

التنشيط

F: Activation

En: Activation

D: Aktivation

ازدياد قابلية الجملة العصبية المركزية للإثارة تحت تأثير منبه من مصدر محيطي (إحساس بصري، سمعي...) أو من مصدر القشرة الدماغية.

مفهوم التنشيط في الفيزيولوجيا مقتبس من الفيزياء والكيمياء حيث يدلّ على انتقال الجزيئات، ذرات أو إيونات، تحت تأثير سبب خارجي (حرارة، كهرباء، إشعاعات)، من شكلها العادي إلى شكل أغنى بالطاقة يجعلها أكثر قدرة على أن تباشر تفاعلها. وهذا المفهوم يميّز معاً زيادة الفاعلية في الجملة العصبية وسيرورة حشد الطاقة الناجم عنها. ومن المعلوم، منذ أعمال جـ. موروزي ثم هـ. و. ماغون على الهرّ (1949)، أن إثارة نقطة من التكوّن الشبكي في جذع الدماغ بفعل تيار كهربائي تثير تنشيطاً معمّماً في القشرة الدماغية وأن كل تنشيط للجملة العصبية يُترجم بزيادة اليقظة. ويترتب على ذلك تغيّر في التوليد الكهربائي الدماغي، وتسهيل الحركية، وتنبيه الجملة العصبية الودّية، التي تصبح مستعدة لضرب من الصرف الطاقي.

وقد توصل بعض العلماء، إذ جرّبوا على الحيوانات المزمنة (هكذا سمّوا الحيوانات التي تحمل مسارات كهربائية مزروعة بصورة دائمة في الدماغ ومرتبطة بأجهزة التنبيه وتخطيط الدماغ الكهربائي إما بخيوط طويلة مرنة، إما بنقل إشعاعي

كهربائي)، إلى إثارة تشكيلة كاملة من السلوكات، من النوم إلى الإثارة المغالية، إذ زادوا فقط بصورة تدريجية سريعة شدة المنبه الكهربائي. ونحصل، في المستوى الأضعف، على رفع الرأس على نحو خفيف، ثم يلي على التوالي، فتح العينين، وحركات تفحّص الرأس، وانتصاب الجسم، وانتقالات داخل المكان، وأخيراً هياج مشوّش. ويعيد، على العكس، إلغاء الإثارات، جملة الحيوان العصبية إلى مستوى ضعيف من التنشيط، وذلك أمر يظهر بحالات النعاس والنوم (ويعلم كل فرد أن من الأفضل له، لينام، أن يطفىء النور ويجعل الصمت سائداً). وتمكّن بعض العلماء أن يوجد لدى الكلاب، بتجارب الحرمان الحسي (البصر، السمع، الشم)، حالات من النوم دائمة على وجه التقريب. وثمة، في الحياة العادية، أوضاع عديدة يمكن أن ينتقل فيها المرء من سلوك إلى آخر تبعاً لشدة الإثارة. ومثال ذلك أن الانتقال في سيارة تسير بسرعة معتدلة يمكنه أن يسبّب النعاس، ولكن المرء سيشعر في البداية، إذا ازدادت السرعة، بيقظة الانتباه أو ربما بإثارة سارة ستتحوّل بدءاً من عتبة معيّنة إلى خشية أو هلع أو ذعر؛ والإفراط في التنشيط، عندما يكون الانفعال حاداً جداً، يمكنه أن يتحوّل إلى إغماء أو أزمة تشنّج ترافقها حالة من اللاوعي العابر.

ومفهوم التنشيط يُعنى به علماء النفس لأكثر من سبب: 1- إنه يوفّر أول الأمر قاعدة فيزيولوجية للحالات التي تتدرّج من الغيبوبة إلى الإفراط في الإثارة والانفعالات القوية كالغضب والحصر، 2- يمكنه أن يشرح بعض مظاهر الشخصية. ومثال ذلك أن الأشخاص الانطوائيين يسلكون، في رأي هانز جورجن إيزينك (المولود عام 1916)، سلوكاً من وجهةمختلفة، كما لو أنهم كانوا موضع «تنشيط» دائم، وإيقاعاتهم في التخطيط الدماغي الكهربائي أكثر سرعة، ويُظهرون ارتكاسات على الألم أكثر حدّة، إلخ، 3- مفهوم التنشيط يتيح أن نفهم أيضاً لماذا يبحث بعض الناس عن المنافسات الرياضية، والتسلّق، وسباق الثيران، وكل المغامرات التي يستمتعون بها، إما في الواقع، وإما في المتخيّل بفضل الروايات أو

القصص أو السينما . وفي رأي دانيل إيليس برلين (1924-1976) أن هذه الفاعليات جميعها ، بما فيها استعمال المخدرات ، تستجيب للبحث عن زيادة التنشيط ، زيادة تعمّم اللذة مادامت لاتتجاوز عتبة معيّنة ، 4- مفهوم التنشيط مفيد ، أخيراً في علم النفس الصيدلاني ، ذلك أنه يتيح التمييز بين العقاقير التي تنمّي التنشيط (منبهات ، أمفيتامين) وتلك التي تضعفه (مسكّنات ، مهدّئات) .

وبوسعنا ، في هذا الإطار ، أن نقيّم مفعولات منتج صيدلاني ، خصائصه ونمط عمله . (انظر في هذا المعجم : **علم النفس الصيدلاني** ، **التكوين الشبكي** ، **اليقظة**) .

التنظير النفسي

F: Psychopsie

En: Psychopsy

D: Psychopsie

مصطلح اقترحه عالم النفس الياباني ياسوفومو كاتاغوشي (1970) ليميّز نمط العمل للروائز العقلية في مجال علم النفس العيادي.

كان مصطلح «الخزعة» قد أوحى بمصطلح التنظير النفسي، والمصطلح الأول يدلّ على العملية التي تتألف من أن نقتطع من موجود حي جزءاً من نسيج بهدف دراسة بنيته بالمجهر. ولدى الطبيب، لترسيخ تشخصيه، نموذجان من الاختبارات: الدم، نسبة السكر والألبومين في الدم، إلخ، والاختبارات، الأكثر اتصافاً بأنها عيادية، التي تتألف من البحث بالجسّ، والتسمّع، والرؤية (الكشف الشعاعي، والتصوير الطبقي على سبيل المثال)، عن بعض العلامات التي تذكّر بآفة. ولدى عالم النفس، على النحو نفسه، اختبارات قياس نفسي تقدّم له مؤشرات رقمية (حاصل الذكاء، مؤشر التلف العقلي، إلخ)، وتقنيات إسقاطية (مثل **رائز تفهّم الموضوع** لموري أو التشخيص النفسي لرورشاخ) تؤمّن له عناصر وصفية ونظرة إجمالية عن الشخصية المدروسة. ومفهوم «التنظير النفسي» ذو علاقة بهذا النموذج الثاني من الاختبارات، بمعنى أن ما يفحصه عالم النفس هو الجزء من سلوك الفرد واستجاباته في وضع الرائز الإسقاطي.

ويكمن أصل هذا المفهوم في الحاجة إلى أن نقيّم الطرائق الإسقاطية مجدّداً. والتنظير النفسي يمكنه أن يتميّز على النحو التالي: 1) إنه يأخذ بالحسبان كل عناصر

السلوك التي يمكنها أن تعكس عالم الفرد الداخلي. مثال ذلك أننا، في رائز روزشاخ، لانأخذ بالحسبان استجابات الفرد وضروب صمته فحسب، بل علاقات أخرى أشقّ على الإدراك: تنهّداً، حركة، تعبيراً للوجه، ضرباً من التنغيم؛ 2) إنه يتطلب منبهات نوعية (صوراً تتطلب تفسيراً، وجملاً ينبغي إكمالها، إلخ) لإثارة هذه التصرفات؛ 3) لايعتمد فقط على الحس العيادي لعالم النفس وحدسه، ولكنه يسعى جاهداً لإدخال ضرب من الدقة في التفسير باستخدام الرموز لترميز العناصر المجموعة، وكذلك باستخدام منهج (لايزال غير كامل) في التعبير؛ 4) إنه طريقة تشخيص ولاينشد أي شيء سوى فهم الشخصية المرازة؛ 5) يطمح إلى أن يقدم وصفاً حياً وديناميا للشخص المعنيّ، ولكنه لايزعم قدرته على فهمه كلياً؛ 6)لاينكر فائدة أساس نظري، على الرغم من أن أي إطار نظري لايقيّده. وسيُمنح، ربما، هذا الأساس النظري عندما تُعمَّق نظرية الإسقاط التي يقيم معها التنظير النفسي علاقات وثيقة جداً (انظر في هذا المعجم: **رائز كاتاغوشي- رورشاخ**).

Y.K.

التنظيم العلمي للعمل

F: Organisation Scientifique du travail

En: Scientific management

D: Wissenschaftliche betriesführung

مجموعة من القواعد والطرائق هدفها تنظيم العمل في مشروع أو إدارة، في إطار هاجس مفاده زيادة الإنتاجية دون الضرر بالعامل.

فكرة تنظيم العمل على نحو علمي وُلدت في القرن التاسع عشر وطوّرها المهندس الأمريكي ف. و. تيلور (1856 -1915). وحلّل تيلور، الذي كان أول «مهندس مستشار في التنظيم»، تحليلاً منهجياً تلك الحركات المهنية بغية حذف ماكان منها غير مفيد وتحديد الإيقاعات الأكثر نجوعاً. فازداد إنتاج **مصنع الصلب في بتلهام** 400 بالمئة بفضل هذه الطريقة، عام 1885. ولكن العامل الإنساني كان مهملاً وكان الأجر المحسوب على القطعة المنتجة قد أصبح «علاوة إرهاق». فاقترح إذن جـ. إ. مييو (1927) وإ. أتزلر (1927) وتلاميذهما تنظيمات أخرى حيث كانت معطيات علم النفس والفيزيولوجيا الإنسانية قد وجدت نفسها مندمجة. ولاينبغي أن يُنظر إلى العامل على وجه الخصوص من وجهة نظر قدرته الجسمية على سبيل الحصر، بل أن ينظر إليه أيضاً من وجهة نظر قدراته الاجتماعية. والواقع أنه لايستجيب عادة لمقتضيات المشروع بوصفه فرداً منعزلاً، بل بصفته عضواً في جماعة تؤدّي التواصلات، وضروب التعاطف، وظاهرات القيادة والسلطة، دوراً في كنفها. وتوسّع حقل تطبيق التنظيم العلمي للعمل توسعاً تدريجياً، وأخذت

الطريقة بالحسبان عدداً من العوامل الأخرى أكثرها أهمية هي : إدارة المخزونات، وتنسيق العمليات المختلفة وتخطيطها، والرقابة الدقيقة على الميزانيات والمنتجات المصنّعة.

ويُطبّق تنظيم العمل حالياً في غالبية المشروعات والأقسام أو الإدارات، ولكنه مستمر في إثارة مشكلات كثيرة. وعلى هذا النحو إنما تبادل عام 1969 عمال فرنسيون شباب في مصنع كبير لصناعة السيارات، يحتجّون على شرعية التنظيم وتوزيع مراكز العمل، مواقعهم، إذ برهنوا بالوقائع على صوابية اعتراضاتهم. وكانوا يرفضون بهذا الأسلوب أن يكون محكوماً عليهم ألا ينجزوا سوى فاعلية محدودة تسبّب الاغتراب.

ووُلدت مشكلات تنظيم العمل من صعوبة الأخذ بالحسبان معاً وجهة نظر الاقتصاد الوطني ووجهة نظر المصالح الخاصة، ووجهة نظر الإنسان في العمل. فلا بُدّ من وجود تسوية جتى لاتحدث زيادة الإنتاج على حساب العامل. إن هذا التنظيم، يقول جان فوراستيه (المولود عام 1907)، ينبغي له أن «يقدّم المبادرة لكل عامل، مبادرة القيام بالفاعليات الموهوب بها جيداً» وأن يُعفى من الأعمال التي لايكون موهوباً بها. فالجانب المنطقي والعقلاني الوحيد من التنظيم العلمي للعمل غير كاف ليكون هذا التنظيم ناجعاً بالفعل. ولابد أيضاً من أن تُضاف إليه وجهة النظر الإنسانية، بحيث لايقتصر الأمر على رضى الفرد، بل رضى الجماعة أيضاً. وتبرهن التجربة على أن المشروع الأكثر فاعلية هو أيضاً المشروع الذي يستجيب لتوقّعات العامل على نحو أفضل والمشروع الذي يكون فيه الأسعد. (انظر في هذا المعجم: **ج.إ. مييو، الحالة المعنوية، ف.و. تيلور**).

N.S.

التنغيم (أداء الصوت)

F: Intonation

En: Intonation

D: Intonation

منحنى نغمي يرافق القول.

تبدو هذه الحركة النغمية في كل الألسن ولدى كل الأفراد وفق اتجاه واحد على وجه التقريب من بداية كل قول تقريري إلى نهايته، حركة يمكننا أن نمثّلها كما يلي:



والتنغيم يمكنه، من الناحية الألسنية، ولكن بصورة عرضية، أن يكون ذا وظيفة دلالية كما هو الأمر بالنسبة لـ **المونيمات** (أصغر الوحدات البنيوية)، مثال ذلك التنغيم في السؤال. فلنضرب مثلاً قولنا: **يهطل المطر**. إنه قول تقريري مع المنحنى التالي:



وهو، مع المنحنى العكسي التالي:



قول ، على العكس ، استفهامي ، يرافقه مدلول يناسب «الاستفهام» ودالّ (النغم الصاعد) يقابل حرف الاستفهام «أ» أو «**هل**» في قولنا الاستفهامي **أيهطل المطر** ؟ أو **هل يهطل المطر**؟ والمدلول التنغيمي يندر أن يكون بارزاً : إنه على الأغلب مبهم وتلميحي كما في الأساليب المختلفة التي يجيب المرء بها عن سؤال بالإيجاب .

وحاول بعض الدراسات التي تنصبّ على التنغيم أن توضّح الدرجات التنغيمية الفارقة كما هو الأمر بالنسبة لـ **التصويتات** (فونيمات) . ولكن ليس ثمة حتى يومنا هذا شيء مقنع نجم عنها . والواقع أن وقائع الوقفة أكثر أهمية بكثير بالنسبة للفهم . ونضرب مثلاً على ذلك (*) ماورد في القرآن الكريم في الآية 7 من السورة 3 : ﴿ . . . ومايعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به . . . ﴾ . فالفارق في المعنى كبير بين أن تقف عند لفظة الجلالة أو عند لفظة العلم ، والتجربة برهنت أن الوقفة ، وليست المستويات النغمية ، هي التي تتيح تقطيع الجملة ورفع الالتباس .

والنغمية ، مع **النبرة** ، مدروسة في إطار **علم العروض** ، أو في إطار الظاهرات **فوق المقطعية** . أضف إلى ذلك أن بوسعها أن تخبر السامع عن المتكلم إذ تدل على حيويته الجسمية والنفسية ، وحالته الذهنية ، وسياقه الوجداني ، إلخ . إنها ، بهذه الصفة ، تشكّل جزءاً من فرع لايزال غير مسبور ، فرع من علم النفس الألسني هو **علم الأساليب الصوتية** ، أي دراسة الظاهرات الوجدانية والتعبيرية التي تظهر في اللغة ، إضافة إلى وظيفتها الرئيسة ، وظيفة التواصل . (انظر في هذا المعجم : **النبرة** ، **المونيم** ، **التصويت**) .

N.M.

(*) – آثرنا أن نضرب مثلاً من اللسان العربي على ترجمة المثل الذي يضربه المعجم «م» .

التنفيس

F: Abréaction
En: Abreaction
D: Abreaktion

مصطلح منسوب إلى جوزيف بروير وسيغموند فرويد، يُستخدم للدلالة على ارتكاس وجداني مؤجل للعضوية التي تتخلّص به من انطباع مؤلم.

يمثّل التنفيس تفريغاً قوياً لحالات وجدانية متراكمة تعقب حدثاً رضّياً طرأ في مرحلة بعيدة على وجه التقريب من تاريخ الفرد، حدثاً لم يكن ارتكاسه عليه بطريقة ملائمة أو عفوية. إنه يظهر بالتعبير اللفظي أو الحركي عن عواطف أو انفعالات مكبوتة حتئذ أو مكظومة، تعبير يناظر تفريغ ضرب من الجسم الغريب لايقبل التمثّل، ويولّد توتراً وعسراً دائماً. فالارتكاسات الانفجارية من الغضب لدى بعض المعتقلين، بمناسبة عارض غير ذي أهمية، يكوّن مثلاًمن التنفيس بوصفه ارتكاساً على الاعتقال. وثمة ضروب أخرى من الانفجارات الوجدانية يمكنها أن تُستخدم أيضاً بوصفها تنفيساً.

ويذكر إرنست كريتشمر حالة امرأة صبية سُجنت لقتل طفلها الحديث الولادة، غير الشرعي. إنها تبحث عن العزاء بالصلاة و«تصلي إلى أن ترى أخيراً، والعرق الغزير يسيل من جسمها، السماء تنفتح لها، في هلوسات ليلية. وهذا التنفيس لايدوم سوى قليل من الأيام تستعيد صحتها في نهايتها» (1922، ص.320 من الترجمة). والتنفيس تجربة تُعاش خلال الحوادث الرضّية مجدداً عيشاً حتى في تعبيرها الانفعالي، وذلك أمر يتيح حلّها بصورة مؤقتة على الأقل. وقد يحدث في بعض الأحيان ألا يكون حدث من الأحداث مفهوماً حينما يُعاش (مشاهدة الجماع على سبيل المثال) ولكنه يُفهم فيما بعد بمناسبة النضج العضوي أو حوادث جديدة.

والذكرى المنسيّة التي كانت موجودة على صورة «آثار الذكرى» يطرأ عليها تجديد وتصبح رضّية **بعد أن تكون قد حدثت**.

والتنفيس يمكنه أن يطرأ على نحو عفوي وطبيعي، على صورة ألعاب، لدى الأطفال الذين يميلون إلى أن يعيدوا إنتاج كل ما أحدث انفعالاً فيهم، أو على صورة بوح بسر عندما يكون الوضع مناسباً له، أو بمناسبة الإفراط في شرب الكحول أيضاً. وقد تيسّره أيضاً بعض العوامل الكيميائية، كالعقاقير الباربيتورية (المهدئات النفسية التنويمية: فيرونال، غاردينال، إلخ) والمثيرات النفسية (مسكالين، L.S.D 25، بسيلوسيبين). وقد يثيره أخيراً التنويم المغناطيسي ومختلف طرائق العلاج النفسي ذات التعبير اللفظي أو الجسمي، التي تنشد القصد العلاجي نفسه: إثارة التفريغ الانفعالي المحرّر. والعلاج الشاماني(*) ينبغي، في رأي كلود ليفي شتراوس (مولود عام 1908)، أن يُصنَّف بين هذه الطرائق من المعالجة ذلك أنه يدين بنجوعه (الواقعي جداً) إلى هذه السيرورة نفسها. وكل شيء يحدث في هذا النوع من العلاج كما لو أن المحتفل (الشامان) كان يحاول أن يقود المريض، «الذي يضعف ولاريب انتباهه إلى الواقعي - وحساسيته مثارة- إلى أن يعيش مجدداً، بالألم، عيشاً على نحو واضح جداً وشديد جداً، وضعاً بدئياً، وأن يتبيّن ذهنياً أوهى تفصيلاته» (1958، ص. 213).

ويكوّن التنفيس ظاهرة تحرير للطاقة العصبية التي يمكن بواسطتها أن تحافظ العضوية على توازنها. والواقع أن الوظيفة الرئيسة للجهاز النفسي، وفق نظرية التحليل النفسي وبمقتضى مبدأ الاستقرار الذي ظل فرويد وفياً له دائماً، تكمن في تفريغ التنبيهات كيما نحافظ على العضوية في مستوى التوتر الأدنى. ويصبح الفرد، عندما لايكون ذلك ممكناً، مركز امتثالات تحتفظ بديناميتها وتصون لهذا السبب حالة من التوتر الذي يولد المرض، وينتج الحصر والاضطراب الجسمي أو الأعراض العصابية. (انظر في هذا المعجم: **التطهير، السر**).

N.S.

(*) العلاج الذي يمارسه الشامان: رجل تعتقد قبيلته أن لديه قدرات نوعية خارقة تشفي المرضى «م».

التنويم المغناطيسي الذاتي

F: Autohypnose

En: Autohypnosis

D: Autoypnose

تقنية مشتقة من التنويم المغناطيسي يمكننا بها أن نحصل على إحساسات تماثل تلك التي يثيرها التنويم المغناطيسي، دون اللجوء إلى عون شخص آخر ودون الدخول في النوم المغناطيسي، فالفرد يظلّ صاحياً وسيد نفسه في الحالة الشبيهة بالنوم المغناطيسي التي يبلغها.

كان أوسكار فوغ (1870-1959) قد أشار من قبل، في نهاية القرن التاسع عشر، إلى أن لدى بعض الأفراد إمكان بلوغ حالة من التنويم المغناطيسي وإمكان أن يستمدّوا منها مكاسب سيكولوجية لايُستهان بها. ولكن الأستاذ جـ. هـ. شولتز (برلين) هو الذي طوّر طريقة التنويم المغناطيسي الذاتي وجعلها معروفة. وهذه الطريقة، المسماة أيضاً طريقة **الاسترخاء بإزالة التقلّص الذاتية التركيزية أو التدريب الذاتي المنشأ**، تنشد الحصول على انفراج سيكولوجي فيزيولوجي، عضلي ونفسي كامل، بواسطة تمارين التركيز على الذات. وهذه التمارين تدريجية وذات علاقة بالأعضاء والأحشاء، والرأس. ويعكف الفرد، خلال هذا التدريب الذي ينبغي أن يستمر بصورة منهجية خلال شهور قبل أن يؤمّن السيادة على ذاته، على أن يكون لديه امتثال بالصورة لجسمه. ويُطلب إليه، على التوالي، أن يختبر ثقل أطرافه، ويراقب تنفسه، ويحس بقلبه يخفق، وجوفه يسخن، ونسيمات نديّة تداعب، أخيراً، جبهته. وإذ يتصور الفرد هذه الحالات، فإنه ينتهي إلى أن يُحدث

تغييرات في توتره العضلي وفي شعوره بالترابط. ويرافق ارتخاء العضلات، في الواقع، انفراج نفسي، وسكون التوترات الداخلية، وتحرير قوى سيكولوجية (استطاع الدكتور هانز لاندومان على هذا النحو أن يعبر الأطلسي خلال اثنين وسبعين يوماً في فلك ينطوي بالتسلسل). وبيّنت ملاحظات علمية عديدة أن هذه التمرينات تسبّب زوال التيارات الكهربائية من العضلات، وبطء التنفس والإيقاع القلبي، وتغييراً في المخططات الكهربائية للفاعلية الدماغية، وتمدّد الأوعية الذي يرافقه ازدياد الحرارة الجسمية من 1 إلى 5 درجات مئوية، ولاسيما في نهايات الأصابع والوجه (ر. أمالديك، 1974). ويفضي التدريب الذاتي المنشأ، وهو تربية جسمية حقيقية، إلى السيادة على الوظائف الإنباتية، كالحركية الوعائية. ويذكر ج. هـ. شولتز أيضاً حالة متزلّج دُفن تحت جرف ثلجي مع رفاقه تبلغ الحرارة فيه أقل من 30 درجة مئوية. وإذامارس هذا المتزلج في هذه اللحظات المأساوية طريقة الاسترخاء بإزالة التقلص الذاتية التركيزية، فإنه أفلح في أن يحرّض التروية الدموية في كل أجزاء جسمه الأكثر عطوبة: الأذنين، الأنف، أصابع الرجلين واليدين، وذلك أمر أتاح له أن يحمي نفسه من عضّات البرد التي كان رفاقه جميعهم قد أُصيبوا بها. (انظر في هذا المعجم: **الاسترخاء**، **التدريب الذاتي المنشأ**).

N.S.

التوائم

F: Jumeaux

En: Twin

D: Zwilling

يُقال للأطفال الذين يولدون من ولادة واحدة.

يكوّن علم التوائم جانباً من الجوانب الأكثر الأهمية من مشكل دراسة التأثيرات التي يمارسها الوسط على تكوين الطباع الخاصة بفرد ولاسيما على شخصيته. إن د. غ. فريدمان (1965) استطاع أن يؤكد، حين سجّل سلوكات الرضّع في فيلم، أن التوائم الناشئين من خلية واحدة يثبّتون نظرهم، في العمر نفسه والشدة نفسها، على وجه الشخص الذي يُعنى بهم، وذلك صحيح حتى عندما نقصد توائم لهم أوزان مختلفة عند الولادة. وغير نادر كذلك أن تظهر في زمن واحد على وجه الضبط، لدى التوائم من خلية واحدة، الخطوات الأولى، ويظهر البلوغ. وعلى هذا النحو إنما يظهر الطمث الأول، على وجه العموم بفارق زمني أقصر لدى الفتيات من خلية واحدة منه لدى الفتيات من خلايا مختلفة. وعلى المنوال نفسه، تبدو في الزمن نفسه على الغالب، لدى التوائم الحقيقيين، علامات التقهقر، كالشعر الأشيب على سبيل المثال، والصلع، وتغضّنات العمر على مستوى العين (تغضن المآقي)، وكُمْنَةَ الشيخوخة (نقص الرؤية أو فقدانها من جراء تشوّه الدروب العصبية). ووجد أو. فون فيرشوير (1954) علامات الاتفاق - الاختلاف نفسها بالنسبة للأمراض الخطيرة لدى التوائم من عمر يفوق خمسة وعشرين عاماً. وتأكد ف. ج. كالمان وفينغولد (1957) أن فترة زمنية قدرها 41,9

شهراً، وسطياً، تنقضي بين وفاة التوأم الأول وموت التوأم الثاني، وهما من خلية واحدة. وهذا الفاصل الزمني يبلغ 72,5 شهراً لدى التوائم من خلايا منفصلة. وتتمايز شخصيةكل توأم بعد البلوغ تمايزاً متنامياً من شخصية الآخر. والمسألة ذات علاقة على وجه الخصوص بفروق في البنية الفوقية الاجتماعية الشخصية. وبدءاً من عمر الستين إنما يبدو أن ثمة اتجاهاً إلى أن يشبه التوأم التوأم الآخر شبهاً متعاظماً. وذلك يسهم في جعلنا نقول إن بعض التوائم من خلية واحدة يبدون أنهم يتشابهون تشابهاً أكبر في سلوكهم، وتجاربهم، وقابلياتهم، عندما يبلغون عمر التقهقر. وبوسعنا على الغالب أن نلاحظ، فيما يخص النموّ اللغوي لدى التوائم، تأخّراً ذا أهمية (في عداد الذين لاحظوا ذلك أ. ر. لوريا، ف. إ. يوروتش، ميتلر). فهؤلاء العلماء الروس برهنوا أن فاصلاً زمنياً قدره عشرة أشهر وتدريباً مكثّفاً يمكنهما تماماً أن يلغيا عيباً كبيراً في المفردات ووظائف الفكر لدى توأمين من خلية واحدة عمرهما خمس سنوات. وأكد أ. ر. لوريا (1962) أن الفروق بين التوائم من خلية واحدة والتوائم من خلايا مختلفة تنقص خلال العمر المدرسي. وذلك يشهد على تأثير متعاظم للشروط الخارجية وتناقص دور العوامل الخاصة بالنمط الجيني. وقارن جوزيف سفانكارا (1972) تغيرات معاملات الارتباط داخل الصف، خلال النمو، بالأطوار الحرجة والحساسة. ويكاد يكون بوسعنا أن نقول في أيامنا هذه واثقين إن نصيب عوامل الوراثة والوسط غير ثابت ولايتطور تطوّراً خطياً خلال النمو. فدراسة القياسات الحيوية والسيكولوجية للنمو تأخذ بالحسبان أكثر فأكثر إمكان ظهور تأثيرات متبادلة بين العوامل الوراثية وعوامل البيئة، في نمو التوائم. إن الدراسات الطولانية هي التي على وجه الخصوص تكوّن، دون أن تُعنى بالمراحل الأساسية للحياة، قاعدة مناسبة لدراسات مسألة التأثير الديالكتيكي المشترك بين هذه الشروط الأساسية، في النمو السيكولوجي البيولوجي لشخصية التوائم. فالبحوث في التوائم من خليةواحدة، توائم جرت تربيتهم بصورة منفصلة، ذات أهمية خاصة لمشكل الوراثة والوسط، ويقدّم الجدول التالي كشفاً بمعاملات الارتباط بين حاصلات الذكاء (ح. ذ) لزمر التوائم:

	روائز ذكاء جماعية			روائز فردية	
	بورت (1958)	نيومان، فريمان، هولزنجر (1937)	هوزن (1959)	بورت (1958)	نيومان، فريمان، هولزنجر (1937)
توائم من خلية واحدة جرت تربيتهم معاً	.94	.92	.90	.90	.91
توائم من خلية واحدة تربيتهم منفصلة	.77	.73		.84	.67
توائم من خلايا متعددة جرت تربيتهم معاً.	.54	.62	.70	.53	.64

كانت هذه النتائج قد عرضت بوصفها براهين على نصيب الوراثة في النمو. ولكن لوريا بدا مرتاباً فيما يخص إمكان قياس النمو لدى التوائم بروائز الذكاء. والواقع أن هذه الروائز تقدّم نتائج معقّدة لايمكننا من الناحية العملية أن نقارنها. إن ك. غوتشالدت لايستند في دراسته الطولانية إلى روائز الذكاء، بل إلى مجموعة من الملاحظات التجريبية و«الطبيعية». وأجرى دراسة لاحقة امتدّت على سبعين ثنائياً من التوائم كان قد فحصها عام 1937 في ملجأ للأطفال كانوا، خلال أعوام الحرب، قد خضعوا جزئياً لشروط قدر متنوّعة. وأتاح له ذلك أن يقيّم الدينامية الوراثية للمزايا الفردية في الشخصية. وينجم عن هذه البحوث أن الكمون الوراثي للسمات العميقة في الشخصية لاتعرض إلا هامشاً ضيقاً بالنسبة للتغيرات تحت تأثير الوسط. فهذه السمات ستحدّدها الوراثة إذن على نحو أوضح من السمات السطحية التي تكون مشروطة بالعوامل الخارجيةعلى نحو أشد. ونرى أن الفروق في «قيادة الإرادة» لدى الشركاء في الخلية الواحدة الراشدين مرتبطة أول الأمر

بأوضاع اجتماعية من الحياة تُعاش على نحو مختلف. وتبيّن الدراسات الطولانية لمؤلفين آخرين (سكار) أن البعد **الانطواء- الانفتاح**، من حيث هو بعد أساسي للقدرة على الاستجابة في الوسط الاجتماعي، يحافظ على فارق ثابت على وجه التقريب في أثناء نمو التوائم. وبوسعنا، وفق تقارير عدة مؤلفين (ف. ج. كالمان على سبيل المثال)، أن نستشعر منذ بداية الشيخوخة تقارباً أشد متانة في صور الشخصية لدى التوائم المتماثلة وراثياً. ويبدو إذن أن عدة سمات من أشكال البنية الفوقية الاجتماعية الشخصية يصيبها التغيّر في فاعليتها الدينامية أو حتى أنها تزول في الشيخوخة. وخضع توزّع الأدوار داخل الثنائي التوأمي، كما وصفه هـ. فون براكن (1936)وزازو 1952، لدراسة طولانية أجراها س. غ. فاندنبرغ (1965)، هـ. هوك (1966). وبيّنت هذه الدراسة أن «التوأم نفسه، خلال تاريخه، سائد تارة ومسود تارة أخرى». ويَعد تقصّي النمو لضروب من ثنائي التوائم من خلية واحدة وخلايا مختلفة، من حيث هو استقصاء أصغر زمرة اجتماعية طبيعية، أن يكون قاعدة مثمرة لمعرفة الموجود الإنساني. (انظر في هذا المعجم: **طرائق التوائم**).

J.SV. (ترجمة **J.S.T.**)

توائم من بويضة واحدة (أو) التوائم الحقيقية F: Monozygote

En: Monozygotic

D: Monozygot, Einelig

نستخدم هذا المصطلح للدلالة على توائم (اثنين أو عدة) ولدوا من بويضة واحدة أخصبها حيوان منوي واحد.

طفلان من بويضة واحدة هما من جنس واحد دائماً ولهما، على وجه الدقة، الخصائص الوراثية نفسها: إن كلاًمنهما نسخة طبق الأصل من الآخر.
(انظر في هذا المعجم: **الصبغية**، **التوأم**، **لاقحة** [بويضة]).

M.S.

التوائم الكاذبة

F: Dizygote

En: Dizygotic

D: Zweieiig

يستخدم هذا المصطلح، للدلالة على توأمين مولودين من بيضتين أخصبهما منيّان مختلفان. وهذان الطفلان، التوأمان الكاذبان، ليسا بالضرورة من جنس واحد. وليس التوأمان الكاذبان، على خلاف التوأمين الحقيقيين، اللذين يتصفان من الناحية العملية أنهما تضعيف موجود واحد، سوى عنصرين من أخوة واحدة ولدا في اليوم نفسه. (انظر في هذا المعجم: **الصبغي**، **اللاقحة**).

M.S.

التواصل

F: Communication

En: Communication

D: Kommunication

تبادل دلالات بين أفراد، قصدي أوغير قصدي.

التواصل عنصر أساسي معقّد من عناصر الحياة الاجتماعية يجعل التفاعل ممكناً بين أشخاص وخاصّته الجوهرية هي التبادل في رأي دانييل لاغاش. إن بفضله إنما توجد العلاقات الإنسانية وتتطور. والحياة الاجتماعية متعذّرة لولاه. فالفصامي، الذي فقد القدرة على التواصل مع الغير، المسجون في عالمه الخاص، يصبح غريباً عن جماعته، إنه مستبعد من الحياة الاجتماعية. والتواصل إدراك أول الأمر. فهو ينطوي على نقل المعلومات المخصّصة لتعليم فرد أو جماعة مستقبلة أو التأثير فيهما. ولكن التواصل لايرتدّ إلى هذا النقل. ولهذا السبب، فإن التعريف الذي يطلقه عليه و. ويور: «كل الإجراءات التي يمكن بها أن يوثر فكر في فكر آخر»، تعريف ناقص. والأصح أن نقول، مع لاغاش، إن التواصل هو «مابه يؤثّر شخص في شخص آخر ويتأثر»، ذلك أنه غير مستقلّ عن مفعولات عمله. فعندما يُنقل إعلام، فإنه لايؤثر في الفرد المستقبل فحسب، بل يؤثر أيضاً، بفعل ظاهرة التغذية الراجعة، في الشخص المرسل الذي يتأثر على هذا النحو تأثراً ذاتياً. واللغة هي أداة التواصل ذات الامتياز، ولكن الاتجاهات، والتعبيرات الإشارية، والإيمائية، حالات أخرى من التواصل تعزّز وتكمل العلاقة اللفظية. فكل التواصلات لاتتجلّى من الناحية العقلانية. ويدرك المرء أكثر مما هو منقول بصورة

واضحة، بل إن س. فرويد استطاع أن يتكلم على تواصل لاشعوري مع لاشعور، إذ يعبر بذلك عن أن الأفراد قادرون على أن يدركوا موشرات مأخوذة بالحسبان لايشعرون بها (وبهذا المعنى، يمكننا أن نقول مع جماعة بالو ألتو إن كل سلوك هو تواصل). وثمة مع ذلك تحريفات يمكنها أن تحدث في الرسائل المتبادلة بين أشخاص، بين جماعات أو بين شخص وجماعة، تحريفات ستزيّف فهم هذه الرسائل. وأسباب هذه التحريفات كثيرة، من جانب المتكلم وجانب السامع على حد سواء. وبعض هذه التحريفات إرادية كما في اللغة الباطنية التي لاينبغي لها أن تكون مفهومة إلا من المطّلعين على السر، وبعضها الآخر غير إرادي (هفوات علي سبيل المثال). والسامع يمكنه من جهته أن يفسر الرسالة المتلقاة تفسيراً سيئاً، وفق وجدانيته الخاصة، وآرائه المسبقة، إلخ، ولاسيما أن المتكلم لايقول كل شيء ماثلاً في فكره. أضف إلى ذلك التشوّهات التي تنصبّ على الشكل، الناجمة عن أسباب شتى: صوت المتكلم، صوت ضعيف مهموس، حدّة سمع لدى السامع أصابها الضعف، ضجة خارجية مزعجة، استخدام ألفاظ متواطئة، إلخ. فالتواصل الجيد يفضي إلى خلق حالة فكرية مشتركة، ولكنه يقتضي شروطاً عديدة كثيرٌ منها يصعب تحقيقه. ولايكوّن التواصل امتيازاً إنسانياً. إنه موجود أيضاً، دون ريب، لدى الحيوانات. فالأرْكة (ضرب من خنزير البحر موجود في شمال المحيط الأطلسي)، التي يجرحها الناس، تتقن وقاية أشباهها من الخطر الذي يهدّدها. والنحلة الجارسة تدلّ بالرقص نحلات الخلية الأخريات على المكان الذي توجد فيه أزهار، وبعدها، ونوعية غبار الطلع. (انظر في هذا المعجم: **باتيسون**، **اللغة**، **المتكلم**، **الفيرومون**، **ذرائعية التواصل**، **علم العلامات التواصلية**).

N.S.

التوجّه، التوجيه

F: Orientation

En: Orientation

D: Orientierung

مجموعة من السيرورات التي تنظّم الحيوانات بفضلها موقعها أو اتجاه حركاتها، بالاستناد إلى المحاور أو مستويات تناظر أجسامها أو بعض من أعضائها.

بعض ظاهرات التوجه مألوفة للجميع: انحناء الجذوع نحو الشمس أو **الانتحاء الضوئي النباتي**، حركات عينية للفقريات يحرضها انتقال الشيء في الحقل البصري، أو **الرأرأة** (تذبذب المقلتين السريع اللاإرادي)، العودة إلى العش لدى الحمام الزاجل، إلخ. وأنماط التوجه في المكان معقدة مع ذلك وتستحق محاولة توضيح. وينبغي أن نميّز أول الأمر اتخاذ توجه محدّد من الاحتفاظ اللاحق به: وهكذا سيرتفع جُعَل يخرج من الأرض بعد تحوله، بعض الأعشار من المتر، راسماً طيراناً حلزونياً يتبيّن خلاله كلية المنظر الذي يحيط به؛ إنها دورة التوجه. ثم سيمضي في خط مستقيم نحو الهدف الذي اكتشفه بصرياً (تخم غابة ملائمة لغذائه على سبيل المثال). وسيحافظ، أخيراً، خلال مسيرته كلها على الاتجاه الذي تبنّاه في البدء، إذ يصحّح توجهه كلما انحرف عنه (لفحة هواء جانبية سبيل المثال).

والتوجه يمكنه، لدى حيوان ذي تناظر ثنائي الجانب (أي من اليمين واليسار)، أن يمارس تأثيره بالرجوع إلى ثلاثة محاور جسمية متعامدة: محور أمامي خلفي، تجري حوله حركات ترنّح؛ ومحور عرضاني (محور التموّج)؛

ومحور ظهري بطني (دورانات إلى اليمين وإلى اليسار). ويتدخّل التوجه بالترنح، على وجه الخصوص، في إيجاد التوازن وضبط الوضعات، بفعل مجموعة من المنعكسات التي تعارض مفعولات القوى (الثقالة، قوة نابذة، تيارات هوائية أومائية) التي تبعد الجسم عن الوضع الذي يتخذه بفاعلية. وهذه الحركات المعوّضة، التي تقودها معلومات حسية شتى، تعيد الوضع السابق بدقة إلى ماكان عليه، بفعل التغذية الراجعة. والتوجه بالدوران حول محور إلى اليمين وإلى اليسار يقترن غالباً بالتحرك: فنتكلم على توجه إيجابي في حالة الاقتراب من هدف أو من مصدر تنبيهات، وعلى توجه سلبي في حالة التراجع. ولكن استجابات من هذا النوع يمكننا أن نلاحظها في حال غياب لكل انتقال، ولاسيما لدى العضويات الثابتة: نسمّي هذه الاستجابات انتحاءات أو توجهات في المكان، وفق الآليات الفيزيولوجية لتأديتها.

ويعتبر بعض المؤلفين، مع هـ. ميتيلستاد، وهم على صواب، أن حركة جزئية، أو انتقالاً إجمالياً للجسم، يمكن أن يوجّهها في حال غياب لكل مَعْلَم خارجي بالنسبة للعضوية. وهذا التوجه **الذاتي المنشأ** لايستخدم سوى مؤشرات للمستقبلات الذاتية ترتبط بالمحافظة على الوضعية الجسمية وتنفيذ الحركات: إن ميل الحيوانات العام (بما في ذلك الإنسان) إلى أن يتقدّم بخط مستقيم بدلاً من أن يتحرك حركة دائرية ينتمي إلى هذا النموذج من السيرورة الذي يقابل التوجه **الغيري المنشأ**، أي التوجه ذا العلاقة أيضاً بمؤشرات خارجية بالنسبة للعضوية أو مؤشرات المستقبلات الخارجية.

ونفرّق عادة، في إطار الانتقالات الموجهة، بين التوجه القريب والتوجه البعيد. والحقيقة أن معيار هذا التمييز ليس مسافة المسير، بل واقع أن الهدف (أو الدريئة) يكون مدركاً دون انقطاع أي دفعة واحدة (التوجه القريب) أو مدركاً بصورة متقطّعة. وهكذا ينتمي طيران الجعل، الذي وصفناه سابقاً، إلى التوجه القريب ولو أنه يمتدّ على مئات الأمتار. وبالمقابل، يعيش الحلزون ذو القوقعة راسياً

على صخور تضربها أمواج البحر؛ إنه يبتعد مع ذلك بعض الأعشار من المتر عن نقطة رسوّه ويمضي لرعي الطحالب التي تحيط به: إن **العودة إلى المأوى** لدى هذه الرخويات تستخدم التوجه «البعيد»، ذلك أن تعرّف المأوى يتمّ على قاعدة إشارات لمسية، لايمكن أن تدرك عن بعد وتقود الانتقال. ويُمارس التوجه البعيد على وجه الخصوص إضافة إلى **العودة إلى المأوى**، في بعض نماذج الهجرات الحيوانية.

إن **ارتكاس التوجه** (أو التقصّي) مفهوم خاص، استخلصه بافلوف من دراسة الإشراط لدى الكلب. فالحيوان المحجوز في عدّته التجريبية يرفع أذنيه ويدير رأسه وعينيه نحو مصدر كل ضجة غير مألوفة في الوضع التجريبي. وهذه الاستجابة التأهبيّة يطرأ عليها تعوّد سريع إذا طالت مدة المنبه السببي أوتكرر غالباً. وتؤكد معطيات عصبية فيزيولوجية حديثة وجود خلايا عصبية، في القشرة الدماغية للثدييات، ترتكس ارتكاساً اصطفائياً على الضجات الحديثة (عصبونات تكشف الجدة)؛ وجوداً يراقب ارتكاس التوجه والتعود عليه. (انظر في هذا المعجم: **الإشراط، التعو د، الاستقبالي الذاتي، التوجه المكاني، الانتحاء**).

J.ME.

ويعني التوجّه، على المستوى الإنساني، منح منطقة من المكان، غير ذات شكل، بنية متخيّلة. فعندما نجد أنفسنا في منطقة مجهولة وتنقصنا المعالم لنوجّه سيرنا، يصبح عملنا غير مؤكد: إننا لانعلم إن كان هذا العمل يقرّبنا من الهدف أو يبعدنا عنه. ولهذا الجهل مفعول مانع لايمكننا تجاوزه. وعلينا، للتغلّب عليه، أن ننظّم المنطقة التي نجد أنفسنا فيها، ونميّز أجزاءها، ونقيّم صفاتها، ونحدّد الصفات ذات العلاقة بها وجوارها المباشر، ثم نعيد تبنين المجموع (مثال ذلك أننا نبحث عن اتجاه بدءاً من طحلب الأشجار أو موقع النجوم). فالتوجه يقابل إذن ضرباً من التنظيم العقلي لعناصر وسط يبدو لنا للوهلة الأولى أنه غير متبنين. وهذه السيرورة

المعرفية ليست حقيقية بالنسبة للتوجه المكاني فحسب، بل حقيقية بالنسبة لكل الأوضاع سواء في اختيار سياق في التعليم، أو مهنة بين كل المهن التي تتوافر لنا، أو تخصص مهني، إلخ. فالقليل من الناس على اطلاع جيد في العالم الحديث، حيث تتدافع ضروب التقدم العلمي والتكنولوجي في حركة مستمرة. وكان لدى اكتشاف من الاكتشافات، في الزمن الغابر، ما يكفي من الزمن لمناقشته، وما يكفي من الزمن ليقبله العدد الأكبر من الناس قبل أن يُقْدِم تقدم جديد على أن يضع المعرفة المكتسبة موضع التساؤل مجدداً. وضروب الجدة العلمية هي من الغزارة، وتحدث بإيقاع هو من السرعة بحيث يتعذّر على «الإنسان المثقف الشريف» أن تكون لديه نظرة إجمالية عنها، وبالحري أن يتنبّأ بعواقبها على الحياة اليومية. وثمة نتاجات، وتقنيات، ومهن (كمهن المعلوماتية) تولد كل يوم، في حين تختفي أخرى. والشباب الذين ينبغي لهم أن يختاروا مهنة هم أكثر حيرة أمام هذا العالم المتحرك بقدر ما لم يعد لهم سبيل إلى أن يطلبوا من آبائهم نصيحة. فالالتزام المهني كان يخضع في الزمن الغابر إلى التقاليد. وكان الشاب يتبع العرف أو السبيل التي رسمها الآباء: «فثمة بلدان كل سكانها بناؤون، وأخرى جنود، إلخ. ولاريب في أن الطبيعة ليست متماثلة بهذا القدر، فليس العرف هو الذي صنع ذلك إذن»، كان بليز باسكال قد كتب يقول (1969). ولم يعد ممكناً، من الآن فصاعداً، تفويض الأمر إلى المصادفة أو التقليد الأسري، ذلك أن التنظيم المعقّد لمجتمعنا لايتحمّل أخطاء التوجيه التي تعاني الجماعة الوطنية أضرارها في نهاية المطاف بقدر ما يعانيها الفرد. وكان المشكل مطروحاً من قبل، في بداية القرن العشرين، على علماء النفس، وكان فرانك بارسونز هو الذي فتح المكتب الأول للتوجيه المهني في بوسطن عام 1908. ونشر في العام التالي، عن مشكل التوجيه، مؤلفاً أساسياً عنوانه **اختيار مهنة**. واتسعت الحركة في الولايات المتحدة وأوروبة على حد سواء. وحدّد قرار وزاري في ألمانية أنماط التوجيه المهني وهدفه. وأوجدت وزارة العمل في الولايات المتحدة، عام 1918، «قسماً خاصاً بتوظيف المراهقين وتوجيههم المهني». وفرضت نفسها، في فرنسة، فكرة التوجيه المهني يرافقها مشكل إعادة

التكيّف المهني للناجين من الحرب العالمية الأولى. وخلق مرسوم 26 أيلول (سبتمبر) 1922 **مكاتب التوجيه المهني**. وأسس عام 1928 هـ. بييرون، هـ. لوجيه، جـ. فونتين، المعهد الوطني للتوجيه المهني. وثمة مرسوم بقانون، عام1938، جعل التوجيه المهني إلزامياً للمتمرنين في التجارة والصناعة. (وكان يباشر الدراسات الثانوية في هذا العصر طفل واحد من عشرة أطفال أنهوا الدراسة الابتدائية وتسعة يدخلون مباشرة في عالم العمل). وتحوّلت مكاتب التوجيه المهني عام 1959، مع إصلاح التعليم، إلى **مراكز التوجيه المدرسي والمهني**، إذ أن التأكيد انصبّ على **التوجيه المدرسي**. فتوجيه طفل خلال الدراسة أمر حساس وذو أهمية. إن على المعلمين وعلماء النفس في المدرسة إنما يقع بصورة أساسية عبء هذا التوجيه المدرسي في المدرسة الابتدائية. ويشارك الأساتذة، والآباء، ومستشارو التوجيه، والأطباء، والمساعدات الاجتماعيات، في التوجيه المدرسي خلال التعليم الثانوي. ويقصد عملهم المتضافر أن يفضي إلى حلول فردية، مع الأخذ بالحسبان معاً ميول الطفل وقابلياته، والإمكانات الأسرية وحالة سوق العمل.

واتضحت ضرورة هذا التوجيه وتعدلّت خلال السنين. وبعد إلحاح على القابليات والبحث عن المواهب، توجّهت العناية توجهاً أكبر نحو الشروط الاجتماعية، وإمكانات التكيف لدى الطفل، والتغيرات في تطوره، مع أنه أصبح واضحاً أن التوجيه لم يكن بإمكانه أن يتكوّن بقرارات متتابعة تُتخذ في مراحل محددة مسبقاً. ويبدو في أيامنا هذه أن التلميذ ينبغي أن يُوجَّه طوال أيام الدراسة ويكون على إطلاع حتى يتقن هو ذاته تقرير مستقبله. وكانت قد تأسست، في هذا القصد، بمرسوم ٧ تموز (يوليو)، مكاتب متخصصة مهمتها أن تنظّم إعلام تلاميذ الدرجة الثانية من التعليم وتوجيههم، «في سيرورة تربوية من الملاحظة المستمرة، على نحو يشجّع تكيفهم مع الحياة المدرسية، وأن توجههم نحو التعليم الذي يناسب قابلياتهم على نحو أفضل، وأن تسهم في تفتيح شخصيتهم، وتساعدهم على اختيار دربهم في حياة العمل بانسجام مع حاجات البلد ومنظورات التقدم

الاقتصادي والاجتماعي». ويوضّح مرسوم صدر 12 شباط (فبراير) 1973 إجراءات التوجيه في التعليم العام، إذ يقضي أن مفتشي الأكاديمية سيآزرهم مفتشو الإعلام والتوجيه الذين سيقدمون لهم الدعم التقني وينشّطون مجموع إجراءات الإعلام والتوجيه، بارتباط مع كل المكاتب المعنيّة التابعة لنطاق عملهم. و«خلايا» الإعلام هي التي، في التعليم العالي، تضطلع بدور توجيه الطلاب. وتحت تصرف السكان من الآن فصاعداً، مع تأسيس المكتب الوطني للإعلام الخاص بدرجات التعليم والمهن، 19 آذار (مارس) 1970، ومع مركز الدراسة والبحوث في ضروب التأهيل، في إطار هذا الجهاز، جهاز قوي ينشر المعلومات والتوثيق الضروريين لتوجيه جيد.

N.S.

التوجّه الفلكي

F: Astrotaxie

En: Astronomie orientation

D: Astrotaxis

شكل من التوجه المكاني مستعرض لدى الحيوانات، قائم على معلومات بصرية صادرة عن القبة السماوية تُصحَّح تبعاً لـ «معرفة الساعة» والحركة الظاهرة للنجوم.

التوجه الفلكي كان قد اكتشفه عام 1948 ك. فون فريش(مولود عام1886) لدى النحلة، وكرامر لدى طائر مهاجر، الزرزور، اكتشافاً بصورة مستقلةأحدهما عن الآخر. وأكدت أعمال عديدة منذ ذلك الحين وجود توجه **شمسي** لدى القشريات، والحشرات، والعناكب، وكذلك لدى أصناف الفقريات كلها باستثناء الثدييات. وحالات التوجه **القمري** نادرة. أما التوجه **النجمي**، الملاحظ لدى الجوائم المهاجرة الليلية، فإنه موضع خلاف. ويُدخل التوجه الفلكي الشمسي، أولاً، العمل الوظائفي لساعة فيزيولوجية تُخبر الحيوان جريان الزمن، و«تحدّد الساعة» كل فترة من اليوم، ويدخل ثانياً معرفة (معرفة موروثة أو مكتسبة، وفق الحالات) مقاييس الحركة الظاهرة للشمس في السماء خلال النهار وتغيراتها الفصلية. وبرهن عدد من التجارب المقنعة على هذه الإمكانات لدى اللافقاريات العليا والفقاريات. ووظيفة التوجه الفلكي تكمن في أن تتيح المحافظة على توجه ثابت، خلال انتقال ذي مدة زمنية طويلة في أرض مجهولة، كما هو الأمر في

العودة إلى المأوى وفي بعض النماذج من الهجرات الحيوانية. ولكن التوجه الفلكي لايشرح الملاحة الجوية لدى الحيوانات شرحاً كاملاً، ولاسيما أن **اتخاذ الاتجاه**، أي اختيار الوجهة التي ينبغي اتباعها، يستعين بآليات أخرى لاتزال غير معروفة جيداً.

(انظر في هذا المعجم: **العودة إلى المأوى**، **الساعة الداخلية**، **التوجه**).

J.ME.

التوجّه المباشر في الظلام

F: Scototaxie, Skotaxie, Scototelotaxie

En: Scototaxis

D: Skototaxis

توجه مكاني نقطة انطلاقه مرئية: جاذبية تمارسها على بعض الحيوانات سطوح ذات قدرة ضعيفة على الانعكاس، تتباين مع خلفية أكثر وضوحاً.

ليس التوجه المباشر في الظلام، على الرغم من تسميته (ألفيرد، 1920) استجابة توجه أولية ولاترتّد على وجه الخصوص إلى مجرد ارتكاس توجه بالنور سلبي، ذلك أن الحيوانات التي يجذبها سطح قاتم يمكنها أن تبلغه إذ تعبر منطقة ذات إنارة قوية. فالدلالة الوظيفية للتوجه المباشر في الظلام لاتزال غير معروفة تماماً. وهو مع ذلك منتشر لدى الحيوانات التي تبيت في أماكن مظلمة؛ وبوسعه، في الطبيعة، أن يقودها إلى مسكنها، أو يقودها على الأقل إلى مكان حيوي ملائم لفاعلياتها. (انظر في هذا المعجم: **المكان الحيوي**، **التوجه**).

التوجّه المكاني: **F: Clinotaxie**

اتّخاذ توجّه مكاني محدّد والمحافظة عليه **En: Klinotaxis**

D: Klinotaxis

يدلّ هذا المصطلح، في مجال التوجّهات المكانية للحيوانات، على اتّخاذ الحيوان توجهاً مكانياً والمحافظة عليه، إزاء مصدر تنبيه، يجريان بفضل ترجّحات للجزء الأمامي من الجسم.

تتيح هذه المناورات للحيوان أن يتوجّه **توجّهاً مكانياً** مباشراً ولاسيما في حقل يتضمّن مجالاً من الشدّة المتناقصة انطلاقاً من مصدر منبه: **اتّخاذ توجّه مكاني محدّد كيميائي إيجابي والمحافظة عليه** لدودة مسطّحة لاحمة (دودة مائية) في وسط مائي تغوص فيه فريسة وتنشر مواد غذائية جاذبة؛ **اتّخاذ توجّه مكاني محدّد ضوئي سلبي والمحافظة عليه** ليرقات الذباب، إذ يُبعدها، بمقاربات متتالية عن مصدر ضوئي، إلخ. واتخاذ توجّه مكاني محدّد والمحافظة عليه شكل أولّي جداً من التوجّه المكاني للحيوانات، ذلك أنه يشير إلى إمكانات ضيّقة، إن لم تكن معدومة، من **التكامل العصبي المتزامن** (أي من المقارنة المتزامنة التي تجريها المراكز العصبية) للمعلومات الحسّية الصادرة من اليمين واليسار. والحيوان الذي يمارس هذا التوجّه يتوجّه بـ«تلمّسات متتالية». (انظر في هذا المعجم: **التوجّه، التوجّه المكاني للحيوانات**).

J. ME.

التوجّه المكاني بالارتفاع

F: Hypsotaxie

En: Hypsotaxis

D: Hypsotaxis

توجّه مكاني نقطة انطلاقه بصرية تجذب فيه الحيوانات صورٌ ظليّة مرتفعة فوق الأفق (قمة الأشجار، قمم) وتجذبها على وجه العموم نقطة ذروتها.

يؤدّي هذا النمط من التوجّه دوراً ذا أهمية في هجرات بعض الحشرات وتجمعاتها كالجعلان والدعسوقيات. (انظر في هذا المعجم: **التوجّه**).

J.ME.

التوجّه المكاني للحيوانات

F: Taxie

En: Taxis

D: Taxis

ارتكاس توجّه مكاني خاصّ بالمتعضّيات الحيوانية، تراقبها الجملة العصبية ويؤمّن دوراناً إلى اليمين أو اليسار حول محور جسمي ظهري بطني.

اتّخاذ الاتجاه يمكنه أن يمّهد لاقتراب من مصدر المنبّه (توجّه مكاني **إيجابي**) أو، على العكس، لابتعاد (توجه مكاني **سلبي**). وينصبّ الكلام، وفق طبيعة المنبه المعنيّ، على **توجّه مكاني ضوئي** (Phototaxie) في حالة النور، (و) **توجّه مكاني جاذبي** (الجاذبية) (géotaxie)، (و) **توجه مكاني هوائي** (تيار هواء) (anémotaxie)، (و) **توجه مكاني مائي** (تيار مائي) (rhéotaxie)، (و) **توجه مكاني غلفاني** (تيار غلفاني) (galvanotaxie)، (و) **توجه مكاني كيميائي** (chimiotaxie)، إلخ. والأنماط الرئيسة لارتكاس التوجه المكاني هي:

أولاً: التوجّه المباشر، الذي يأخذ الحيوان فيه مكاناً وينتقل بصورة موازية لـ «خطوط القوى» من حقول التنبيه؛ ثانياً: التوجّه المعترض (ménotaxie) حيث يقطع الحيوان خطوط القوى هذه تبعاً لزاوية ثابتة في فترة معيّنة، زاوية وفق الظروف؛ ثالثاً: وأخيراً، التوجّه الفلكي (astrotaxie)، وهو شكل معقّد من التوجه المكاني الضوئي المعترض (شمسي، قمري، نجمي)، يتيح المحافظة على اتجاه ثابت، خلال انتقال ذي مدة طويلة، في غياب نقاط صوى طوبوغرافية معروفة.

والدلالة الوظيفية لهذه النماذج المختلفة من الارتكاس تختلف مع درجة التعقيد. وليس الاتجاه المكاني المباشر على وجه العموم سوى التمهيد لفاعلية نوعية (أو غريزية): **التوجه المكاني الجاذبي** الصاعد لسرفات الفراشات في الطور قبل الغذائي، والنازل بعد تناول وجبة من الأوراق، على سبيل المثال. ويستخدم الحيوان، في التوجّه المكاني المعترض، اتجاه أشعة النور، والهواء، إلخ، بوصفها دليلاً يتيح له أن يتقدّم بخط مباشر، حتى في أرض مجهولة (فاعليات الجني لدى النمل والنحل). وأخيراً، يؤدي التوجه المكاني الفلكي دوراً ذا أهمية في الانتقالات ذات المدى البعيد (هجرة العصافير بين منطقة غذاء ومنطقة تكاثر، عودة إلى المأوى لدى الحمام الزاجل). (انظر في هذا المعجم: **التوجّه المكاني الفلكي**، **العودة إلى المأوى**، **التوجّه**).

J.ME.

التوجّه المكاني المباشر الأولي

F: Tropotaxie

En: Tropotaxis

D:Tropotaxis

التوجه المكاني المباشر الأوّلي شكل أولي نسبياً من أشكال التوجّه المباشر، ينزع إلى تحقيق تناظر دقيق بين المثيرات الحسية الجانبية.

في حال فقدان التناظر الحسّي، يرسم الحيوان، المعرّض إلى تأثير المنبه الموجّه، «حركات مناورة». وهكذا فإن الذبابة الصغيرة، ذبابة الثمار، Ladroso-phile، المبتورة هوائية من هوائيتيها (حاملتي مستقبلات الرائحة) والموضوعة في وسط ينشر الرائحة، تدور باستمرار إلى الجهة السليمة عندما توجد الرائحة الجاذبة، وإلى الجهة المبتورة استجابةً لرائحة منفّرة. أما ارتكاس التوجّه المكاني المباشر الأولي لدى حيوان سليم الهوائيتين من الناحيتين في حال وجود مصدرين **اثنين** من التنبيه، فإنه يتجلّى بـ **اتجاه وسطي** بحيث تكون إثارة المستقبلات الجانبية المتناظرة متساوية: فبين نورين ذي شدّتين مختلفتين، لايتوجّه الحيوان ذي التوجّه المكاني المباشر الأولي نحو أي من النورين، بل وفق محصّلة شعاعي توجّه لهما اتجاه الأشعة المنيرة نفسه ومعدلّه يتناسب مع كل من المصدرين. وكان التوجّه المكاني المباشر الأولي قد تميّز من التوجه المكاني المباشر المتقدّم بفضل هذين المعيارين. (انظر في هذا المعجم: **التوجّه المكاني، التوجّه المكاني المباشر المتقدّم**).

J.ME.

التوجّه المكاني المباشر المتقدّم

F: Télotaxie

En: Telotaxis

D: Telotaxis

التوجه المكاني المباشر المتقدم، في مجال التوجّهات، توجّه مباشر أكثر إعداداً من التوجه المكاني المباشر الأوّلي.

الواقع أن الحيوانات ذات التوجه المكاني المباشر المتقدّم لاترسم حركات مناورة عندما تُحرم من استخدام مستقبلات حسّية تقع في جانب من جانبي الجسم، كما نلاحظ في التوجّه المكاني المباشر الأولي. فهي لاتتوجه، إزاء مصدري تنبيه فاعلين معاً، توجّها على نحو متوسّط، ولكنها تتخذ مكاناً وتنتقل نحو مصدر من المصدرين. إنها إذن حيوانات قادرة، على خلاف حيوانات التوجّه المكاني المباشر الأوّلي، على أن **تكبح كبحاً مركزياً** مفعولات التنبيهات الحسية الصادرة عن منطقة معينة من الامتداد الذي يسلكه. (انظر في هذا المعجم: **التوجّه، التوجّه المكاني للحيوانات، التوجّه المكاني المباشر الأوّلي**).

J.ME.

التوجّه المكاني للنباتات

F: Tactisme

En: Tactisme

D: Tactismus

توجّه مكاني إزاء منبّه خارجي (نور، ثقالة، عامل كيميائي...). وهذا المصطلح وقف على حالات النباتات المتحركة وينبغي أن يتميّز من مصطلحي الانتحاء والتوجه المكاني للحيوانات (انظر في هذا المعجم: **التوجّه المكاني للحيوانات، الانتحاء**).

J.ME.

التوحّد، التماهي

F: Identification

En: Identification

D: Identifizierung, Identifikation

سيرورة سيكولوجية من تبنين الشخصية، تبدأ من المحاكاة اللاشعورية وتتلاحق بالتمثيل - الاجتياف للنموذج.

بوسعنا أن تميّز المراحل التالية: **1. التوحّد الأولي** (حتى السنة الثالثة تقريباً)، حيث التواصل مع العالم الخارجي لاينفصل عن محاكاة لسلوك أعضاء المحيط. والمقصود من جهة أخرى انصهار بالموضوع، «وحدة من اثنين»، أكثر مما هو محاكاة بالمعنى الدقيق للكلمة؛ مثال ذلك أن الطفل الذي يقلّد أباه وهو يقرأ الصحيفة لايشعر أنه يقلّده: إنه **يكون** أباه بالفعل، أباً يتملّك الطفل معاً دوره وقوته؛ **2. التوحّد المبنين**، منذ العمر الأوديبي حتى البلوغ (من السنة الثالثة إلى الرابعة عشرة)، حيث الأنا والأنا العليا تتنظّمان تبعاً للنموذج الذي يقدّمه الراشدون الذين يحيطون به، والأبوان على وجه الخصوص؛ **3. التوحّد المستقل** (بعد البلوغ)، حيث أنا المراهق، القوية بتجربتها الخاصة، تقيّم نفسها مساوية لنماذجها بدلاً من الخضوع لهم. وهذه المرحلة الأخيرة يمكنها أن تتأخر أو لاتتحقّق أبداً، وبخاصّة عندما يظلّ الفرد مثبّتاً على المرحلة الأوديبية. وشهرة النموذج، مثال ذلك شهرة الأب بالنسبة للابن، تمنع الابن من أن يكون مكافئاً للأب، أي تمنعه من أن يتكوّن موجوداً مستقلاً، مبدعاً مثاله الخاص، وبالتالي قيمه الخاصة.

M.S.

التوزيع، التوزّع

F: Distribution

En: Distribution

D: Verteilung

النحو الذي تتوزّع عليه ملاحظات وفق الأنماط المختلفة للسمة الملاحظة أو وفق الفواصل المختلفة لقيم المتغيّر.

يحوي المجموع الإحصائي، على وجه العموم، عدداً مرتفعاً من العناصر، وبوسعنا أن نستثمر في الحالة الخام مجموعة طويلة جداً من المعطيات الفردية. فنحن نتخلّى إذن عن الإعلام الذي تُضفى عليه الصفة الفردية حتى نتوصّل إلى ضرب من معقولية المجموع بتبويب المعطيات - ويقال أيضاً «ردّ أو اختزال المعطيات» - في عدد معيّن من الفئات الإحصائية. وتبويب المعطيات هو الشكل الإحصائي للردّ الفينومينولوجي. إنه ضرب من السهولة التي تيسّر عرض المجموع ومعقوليته، وليس ذلك ضرورة، ومن المباح دائماً أن نقود الاستدلال معتبرين أن ن معطيات لها كلها من الناحية الفردية ذلك التكرار نفسه ك = $\frac{1}{ن}$، المسمّى «التكرار المتماثل». وليس الأمر على هذا النحو عملياً، ذلك أن كل تحليل ينطوي على ضرب من التبنين، تبنين المجموع الملاحظ في فئات مختلفة تقابل مختلف الأنماط إذا كنّا أمام متغيّر اسمي، أو مختلف المسافات إذا كنّا أمام متغيّر رقمي. وندلّ على كل مسافة إما بقيمه القصوى (مثال ذلك: 90، 100) وإما بمركز المسافة (مثال ذلك: 95 ± 5). وسواء أكان الأمر بالنسبة لنموذج المتغير الأول أم الثاني، فإننا نقول إن كل العناصر في أية فئة من الفئات لها القيمة نفسها (ق).

وتقدم العناصر المبوّبة على هذا النحو لكل فئة عدداً معيناً في الفئة (ع)، نسمّيه «التكرار المطلق» أو «عدد تكرارات» الفئة. وإذا حسبنا، نسبة هذا العدد (ع) في فئة معيّنة من العدد الكلي للمجموع (ن)، فإننا نحصل على مؤشر الأهمية الكمية (التكرارات: ك) لأي نمط أو مسافة، مؤشر نسّميه «التكرار النسبي» أو التكرار على نحو أبسط أو «كتلة الفئة» أيضاً. وهذا التكرار لأي فئة يعبّر عنه عدد يقع بين صفر 0 و 1 (مثال ذلك: 0.35 أو 35 بالمئة)، ومجموع التكرارات كلها، أي الكتلة الإجمالية، يساوي 1 (أو 100 بالمئة)، وذلك مانشير إليه بما يلي: مجـك = 1، وذلك يعني إذن أن نحقّق ضرباً من توازن المتغيّر - ونقول أيضاً ضرباً من «توزيع كتلة» المعطيات - الذي يبين مشخّصاً في الجدول 1 المثبت في نهاية المقال، الذي يعرض مجموعة الأنماط أو المسافات من جهة، ومجموعة التكرارات المقابلة من جهة أخرى. ونكون على هذا النحو قد أجرينا توزيع المعطيات وفق قيم المتغيّر.

والمتغيّر الملاحظ تحدّده على هذا النحو مجموعة من القيم (ق)، وبكل قيمة منها يرتبط تكرار معيّن ك (أو كتلة)، أي أن المتغيّر الملاحظ يحدّده الثنائيان (ق، ك). وهذا المتغيّر يُسمّى «المتغيّر الإحصائي». ونمثّل هذا النموذج من المتغيّر برسوم بيانية حيث تمثل فيها القيم والتكرارات (ق، ك).

ونستخدم عادة، بالنسبة للمتغيّرات الاسمية أو الترتيبية، رسوماً بيانية معروفة جداً ذات الأعمدة أو المستطيلات أو قطاعات دائرية، ترتبط كل قيمة بعامود، أو مستطيل، أو قطاع من دائرة منطقتُه تتناسب مع تكرار الفئة المقابلة (ك).

أما المتغيّرات القياسية - التي تتميّز التغيّرات بأنها يمكن قياسها (سلم ذو مسافات متساوية)، فإن ثمة قاعدة مطلقة لتكوين الفئات هي تقطيع المجموع الإحصائي إلى شرائح متصلة ذات مدى واحد (د). فنحقّق على هذا النحو تنضيداً منتظماً للمجموع؛ وعندما يكون تبويب المعطيات مصنوعاً من مسافات فئوية مختلفة، فإن الأمر الذي لاغنى عنه يكمن في أن نكوّن مجدّداً، على نحو أو على آخر، فئات لها المدى نفسه (د) (انظر الجدول 2 الموجود في نهاية المقال).

ويمكننا عندئذ أن نمثّل المتغيّر الاتفاقي (ق، ك) إما برسم بياني ذي أعمدة يُسمى «مضلع التكرار» وإما برسم بياني ذي مستطيلات يسمى «مدرّج التكرار». وهذان النموذجان من الرسوم البيانية نحصل عليهما حين نحمل على محور العينات مسافات المدى (د) المتتالية وعلى محور السينات إما أعمدة ارتفاع الواحد منها يُحسب بالمعادلة التالية $\varphi = \frac{ك}{د}$ ، وإما أجزاء مسطّحة من مستطيلات مساحة ك = φ × د. وبما أننا نشبّه التكرار (ك) بكتلة، فإننا نسمّي φ «كثافة التكرار»، وإذ تصبح φ على هذا النحو كتلة بوحدة الطول، فإننا نوضّح أحياناً هذا الأمر مستخدمين مصطلح «كثافة خطيّة». وهذا المفهوم، مفهوم كثافة التكرار φ - الذي ليس له معنى محدّداً إلا بالنسبة لمتغيّرات قياسية يُفترض أنها مستمرّة - مفهوم رئيس، ذلك أننا إذا تطلّعنا إلى دراسة تنضيد دقيق جداً من المجموع الإحصائي، إذ يكون المدى (د) صغيراً جداً، فإن العدد في كل فئة يصبح ضعيفاً (عدماً في نهاية المطاف)، ولكن الكثافة $\varphi = \frac{ك}{د}$ تحتفظ بقيمة محدّدة، والسطح الكلي لمستطيلات المدرّج التكراري تظلّ مساوية لـ مجـك = 1 أياً كان المدى (د). ويتيح لنا إدخال الكثافة، من جهة أخرى، عينات ذات حجم وتنضيد مختلفين؛ ويبدو تماماً أن علينا، في تحليل إحصائي، أن نفضّل العمل في الكثافة بدلاً من التكرارات ذاتها. فكثافة التكرار هي إذن تكرار بوحدة تغيّر المتغيّر في جوار كل قيمة (انظر الأشكال الأربعة في نهاية المقال).

ويبيّن الخطّ البياني للتنضيد على أي نحو يتشابه الرسمان البيانيان. فإذا تفحّصنا الآن عالماً إحصائياً واسعاً إلى حدّ كاف، فإننا سنحصل على تمثيل أكثر دقّة لتوزيع المعطيات إذ يزداد عدد الفئات بتقليص مدى الفئة (مثال ذلك أننا نأخذ مدى للفئة قدره د = 1 نقطة في عدد قدره 10.000). فالمسافة بين الأعمدة تضيق، وتدقّ المستطيلات، ولا تتغيّر الحدود تغيّراً جوهرياً في مواضعها، ولكن صقلاً يطرأ عليها، بحيث أن المدى يقابل في نهاية المطاف زيادة ضعيفة جداً Δ ق في المتغيّر، ويميل المضلّع التكراري والمدرّج التكراري، كلاهما، إلى منحنى واحد

مستمرّ، يسمى «منحنى التكرار» أو يسمّى على نحو أفضل أيضاً «وظيفة كثافة التكرار».

وهذا الجهد في تكوين الأفكار يتيح، بالإدراج، إعطاء كل توزيع ملاحظ شكلاً تحليلياً. وإذ يُفترض أن المتغيّر (م) مستمرّ، فإن كثافة التكرار φ تصبح وظيفة مستمرة ومحدّدة بالنسبة لكل قيمة من المتغيّر؛ وثمة صيغة تحليلية تقابل الصيغة الحسابية ك = φ × د هي Δ ك = φ × Δ ق، حيث Δ ق زيادة متناهية الصغر في المتغيّر و Δ ك زيادة مقابلة في التكرار التام ك، المسمّى أيضاً التكرار المتجمّع. والمنطقة الكلية الواقعة تحت الرسوم البيانية لكثافة التكرار تساوي دائماً: مجـ Δ ك = مجـ φ × Δ ق = 1 ، وذلك أمر يظلّ صحيحاً، بعد المرور على الحدّ، بالنسبة لمنحنى التكرار.

ويعرض كل توزيع ملاحظ توزيعاً خاصاً به نسميّه «توزيعاً اختبارياً». ويتيح المجال مع ذلك عددٌ كبير من هذه التوزيعات لمنحنيات تكرار ذات شكل نموذجي يمكننا أن نميّزه ببعض المقاييس وأن نمثّله بمعادلة رياضية؛ وهذه التوزيعات المثالية، المسمّاة «توزيعات نظرية»، يدرسها الإحصاء المقياسي. ولنضف على سبيل الخلاصة أننا نرتب المتغيّر، في بعض التمثيلات البيانية، ترتيباً عامودياً أي على محور العينات، والتكرار أفقياً أي على محور السينات؛ وهذا التمثيل يوجد على وجه الخصوص في هرم الأعمار الديموغرافي وفي منحنى غالتون.

والعرض الذي سبق ذو علاقة بحالات حيث لا نراعي في كل عنصر من المجموع سوى سمة متغيّرة واحدة وحيث يفسح بيان المعطيات بالتالي مجالاً لمجموعة إحصائية بسيطة. ومن المناسب أن نمدّ مفهومي التكرار والكثافة على حالات تنطوي فيها العناصر على سمتين متغيّرتين (ق، قَ)، ويفسح بيان المعطيات مجالاً لمجموعتين من الملاحظات، أي لمجموعة إحصائية مزدوجة. ونجري، انطلاقاً من هذه المجموعة المزدوجة للمعطيات الفردية، تبويب المعطيات في فئات تقابل توافيق الأنماط أو المساحات للمتغيّرين. ولم يعد توزيع التكرارات هنا ممثَّلاً

بمجموعة من التكرارات، بل بجدول مستطيل الشكل يحمل اسم «جدول الجواز» لمتغيّرين وصفيين و «جدول الارتباط» لمتغيّرين قياسيين «انظر الجدول الأخير الموجود في الأسفل).

فإذا فحصنا كل متغيّر على حدة، أي فحصنا أحد المتغيرين بصرف النظر عن الآخر، فإننا نجد توزيعه، توزيع التكرار، في خط المجموع أو عاموده. وهذه المجموعات من التكرار نسميّها «توزيعات هامشية». وينوب مناب المدرج التكراري تمثيل بياني مجسّم إذ تصبح المستطيلات أنابيب أرغن، ويصبح منحنى التكرار سطح التكرار الدالّ برقم المساحة على الكثافة السطحية للتكرار (أي على التكرار بوحدة السطح). وبما أننا لانستطيع بسهولة أن نمثّل سطحاً للتكرار، فإننا نفضّل عملياً أن نمثّل الكثافة في كل منطقة على رسم بياني ديكارتي بسحابة من النقاط كثيفة قليلاً أو كثيراً، نقاط تمثّل عناصر المجموع الإحصائي. وهذا الرسم البياني يسمّى الرسم البياني للتشتت (انظر في هذا المعجم مايلي: **التوافق**، **التشتت**، **التوزيع الطبيعي**، **وظيفة تمثيل التوزيع**، **المتغيّر**).

sujets	variable Q.I.
A	84
B	100
C	92
D	77
E	87
F	120
G	111
H	92
I	96
J	108
K	95
L	123
M	105
N	89

1. série des données individuelles

opération de groupement des données

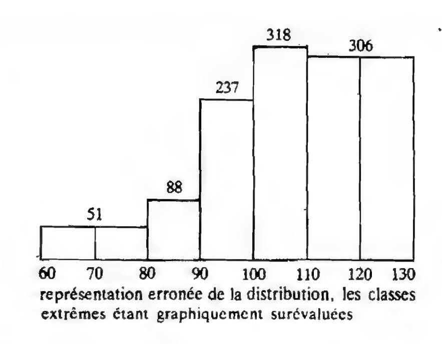
distribution des données en classes statistiques

Q.I. 130 – 120 – 110 – 100 – 90 – 80 – 70 – 60

intervalles d'amplitude $a = 10$	classes statistiques	effectif de classe n	fréquence ou masse $f = \frac{n}{N}$
[120-130[	{ L }	1	0,071
[110-120[	{ F, G }	2	0,143
[100-110[	{ J, M }	2	0,143
[90-100[	{ B, C, H, I, K }	5	0,358
[80- 90[	{ A, E, N }	3	0,214
[70- 80[	{ D }	1	0,071
[60- 70[	∅	0	0
série des fréquences ou distribution de masse		14	1,000

2.

intervalles des classes (a= 10, sauf en queue de série)	effectif de classe n	fréquence ou masse $f = \frac{n}{N}$	densité de fréquence $\varphi = \frac{f}{a}$
110-130	306	0,306	0,015
100-110	318	0,318	0,032
90-100	237	0,237	0,024
80- 90	88	0,088	0,009
60- 80	51	0,051	0,002
	N = 1 000	1,000	



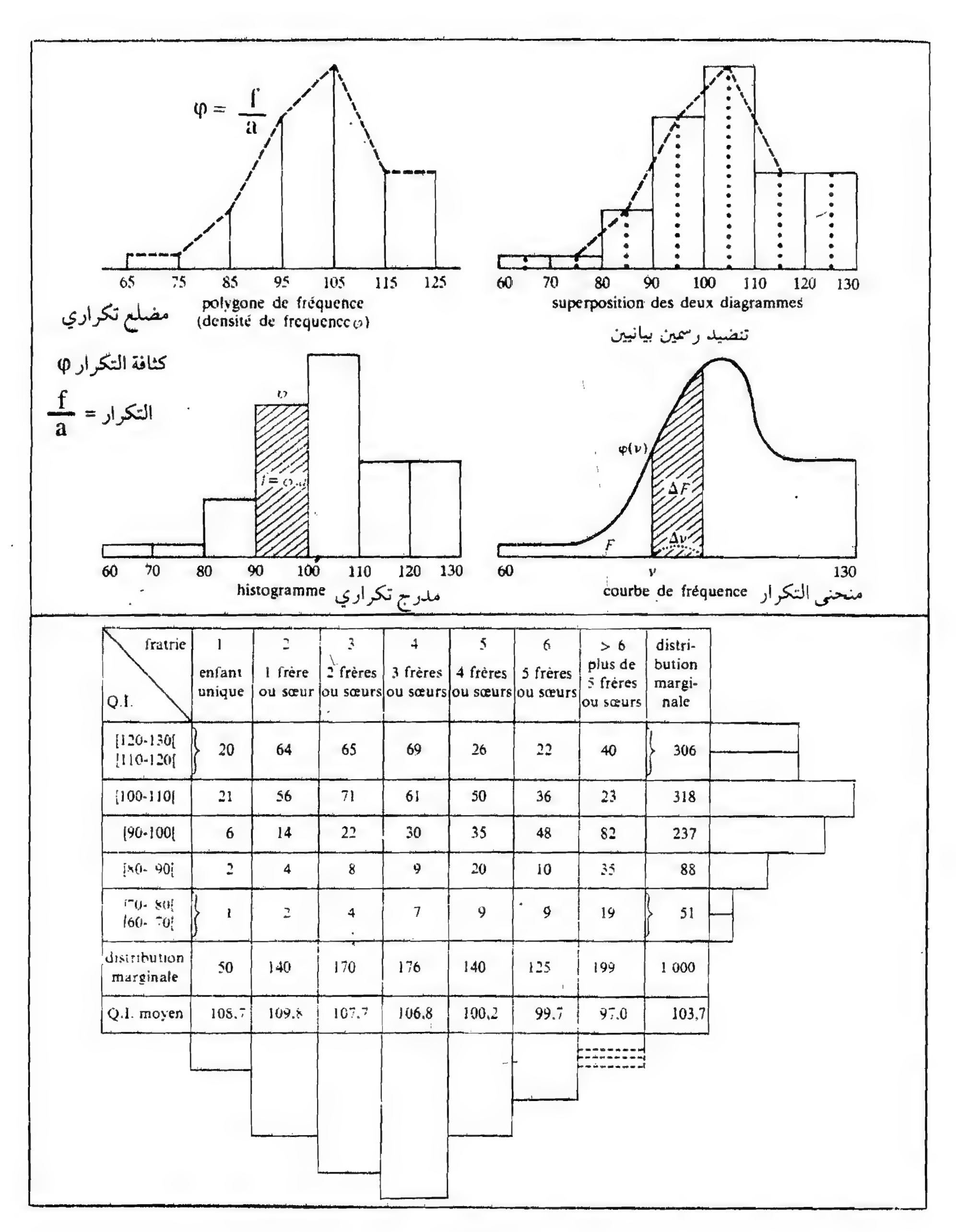
représentation erronée de la distribution, les classes extrêmes étant graphiquement surévaluées

الشكل الأول: الأعلى بدءاً من اليسار: أفراد، المتغيّر: حاصل الذكاء، عملية تجميع المعطيات، فواصل المدى: $a = 10$، فئات إحصائية، عدد أفراد الفئة n، التكرار $f = \frac{n}{N}$

الأسفل بدءاً من اليسار: مجموعة المعطيات الفردية، توزيع المعطيات في فئات إحصائية، مجموعة التكرارات أو توزيع المجموع.

الشكل الثاني على اليسار: فواصل الفئات ($a = 10$ باستثناء طرف المجموعة)، عدد الفئة n، تكرار $f = \frac{n}{N}$ ، كثافة التكرار: $\varphi = \frac{f}{a}$

الشكل الثاني على اليمين: تمثيل خاطىء للتوزيع، بالنظر إلى أن الفئات القصوى ذات تقييم مغال بيانياً.



Q.I. \ fratrie	1 enfant unique	2 1 frère ou sœur	3 2 frères ou sœurs	4 3 frères ou sœurs	5 4 frères ou sœurs	6 5 frères ou sœurs	> 6 plus de 5 frères ou sœurs	distribution marginale
[120-130[[110-120[	20	64	65	69	26	22	40	306
[100-110[	21	56	71	61	50	36	23	318
[90-100[	6	14	22	30	35	48	82	237
[80- 90[	2	4	8	9	20	10	35	88
[70- 80[[60- 70[	1	2	4	7	9	9	19	51
distribution marginale	50	140	170	176	140	125	199	1 000
Q.I. moyen	108,7	109,8	107,7	106,8	100,2	99,7	97,0	103,7

ترجمة ما على الجدول: عدد الأخوة / حاصل الذكاء، 1 : طفل وحيد؛ 2، أخ أو أخت؛ 3 ، أخوان أو أختان؛ 4 ، 3 أخوة أو أخوات؛ 5 ، أربع أخوة أو أخوات؛ 6 ، خمس أخوة أو أخوات؛ أكثر من 6 ، أكثر من خمس أخوة أو أخوات؛ توزيع هامشي، متوسط توزيع هامشي: (في الأعلى وبدءاً من اليسار). (على العمود اليساري): توزيع هامشي؛ متوسط حاصل الذكاء.

توزيع التكرارات لعينة من 1000 طفل يرتادون المدرسة.

الخاصتان المتغيّرتان في هذه التوزيع هما، بالنسبة لكل طفل، حاصل ذكائه من جهة، وعدد أخوته وأخواته من جهة ثانية. والمدرجان التكراريان المقابلان لكل متغيّر مأخوذ على حدة (توزيع هامشي) ماثلان في جهتين من الجدول. وسنلاحظ، بالنسبة لفاصل غير محدّد بصورة كافية (< 6)، أن الكثافة لايمكنها أن تكون مفترضة إلا بصورة تقريبية جداً. وحاصل الذكاء، بالنسبة لكل عدد من الأخوة ولكل مجموع، مذكور في آخر صف.

J.M.M.

التوزيع الطبيعي

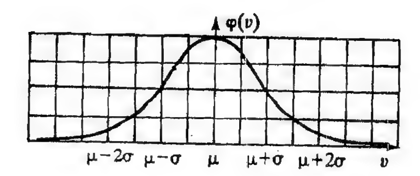
F: Distribution mormale

En: Normal distribution

D: Normal verteilung

توزيع إحصائي خاص نصادفه بصورة شائعة جداً في علوم الطبيعة وعلوم الإنسان على حدّ سواء ومنحناه التكراري يُبدي شكلاً متميزاً بأنه جرس أو «قبعة الدرك».

ولهذا الشكل، شكل التوزيع، أهمية علمية كبيرة بحيث شكّل موضوع بحوث نظرية معمّقة من جانب أعظم علماء الإحصاء والرياضيات، وتسوّغ أعمال اثنين منهم، ب. س. لابلاس (1749-1827) (و) ك. ف. غوس (1777-1855) اسمه: التوزيع الغوسي أو «قانون لابلاس - غوس» أيضاً. وتنشأ تسمية «التوزيع الطبيعي» أو «القانون الإحصائي الطبيعي» من واقع مفاده أنه معروض من الناحية التاريخية أنه القانون الطبيعي للأخطاء التي يرتكبها المرء بالمصادفة في قياس مقدار مادي محدّد جيداً. والواقع أن القياسات المتكرّرة لمقدار واحد في شروط واحدة ليست أبداً متطابقة على وجه الدقة: فغالبية القياسات الجارية تقدّم قيماً قريبة من القياس الذي نفترض أنه دقيق، في حين أن القياسات التي تبتعد عنه تكون أقلّ تواتراً، ومن هنا منشأ منحنى تكراري ينخفض انخفاضاً متناظراً من جانبي المتوسط الذي نفترض أنه «القيمة الحقيقية».



وهذا «القانون الطبيعي للأخطاء» يُصادف أيضاً لمجموعات إحصائية حيث لامجال لقيمة حقيقية وحيدة، بل سمة تتغيّر بالطبيعة من ملاحظة إلى أخرى.

وعلى هذا النحو إنما يتبع قانوناً طبيعياً عددٌ من المتغيّرات السيكولوجية والبيولوجية (مثال ذلك قامة مجندّين، نتيجة اختبارات في امتحان مدرسي، حاصل الذكاء لجماعة متجانسة من الفتيان، قذف وزن في منافسة رياضية، إلخ . . .). ولا ينبغي مع ذلك لتسمية «قانون طبيعي» وسمته المألوفة أن يتيح الاعتقاد أننا لا نصادف أيضاً أشكالاً أخرى من التوزيع الإحصائي. وخلاصة القول إن القانون الطبيعي ينبغي أن يُعتبر فقط توزيعاً خاصاً مألوفاً، ومن المناسب أن ندرك خصائصه الأساسية في الإطار النظري الذي كان قد وُضع فيه حتى نفهم ميزاته.

تعريف النموذج

إنه لأمر مفهوم، منذ أصول الإحصاء وحساب الاحتمالات، أن المجموعات الأفقية للأعداد في مثلث باسكال الحسابي الشهير كانت تكوّن مجموعات من التكرارات لها شكل مميّز، شكل الجرس، شكل أكثر وضوحاً بمقدار ما يكون عدد الفئات أكثر ارتفاعاً. وهذه الأعداد، التي نجدها في الانتشار الذي لا يقلّ شهرة، انتشار ثنائي الحدّ لنيوتن $(a + b)^2$، تحمل لهذا السبب اسم معاملات ثنائية الحد (انظر الأشكال 1، 2).

ومن هذه المعاينة، استخلص بعضهم المبدأ التالي: إذا كان بيان التوزيع الاختباري المتضمّن $(n + 1)$ من الفئات يُظهر تكرارات من الفئات تساوي بصورة محسوسة تلك الفئات التي يقدّمها $(1+n)^e$ خط مثلث باسكال (أي C^o، C^1، C^2 . . . C^n)، فإننا نعتبر أننا أمام توزيع طبيعي، شريطة مع ذلك أن يكون عدد الفئات مرتفع بصورة كافية (عملياً $6 < n$). مثال ذلك رائز ذاكرة مطبّق على مجموع من 130 فرداً أعطى النتائج التالية (انظر الشكل 3)، موزّعة على 9 فئات، نقارنه بمعاملات (C^o، C^1، C^2 . . . C^9) من الخط التاسع من مثلث باسكال (انظر الأشكال 3، 4، 5).

خصائص التحليل الطبيعي

آ — التوزيع النظري يتحدّد تحديداً كاملاً بمقياسين، المتوسط u والانحراف المعياري a.

ب – توزّع القانون الطبيعي المختزل N (0، 1) الذي تمنحه الجداول القياسية يبيّـن أن 38 بالمئة من المعطيات، أي أكثر من الثلث، متجمعة حول المتوسط مع انحراف أقل من $\frac{\sigma}{2}$ ، أعني فاصلاً متجمّعاً من المدى قدره σ ؛ 68 بالمئة من المعطيات، وبالتالي أكثر من الثلثين، متجمّعة في الفاصل [U-σ، U+σ]، فلها بالتالي انحراف أدنى من σ؛ 95 بالمئة من المعطيات يقع أقله من σ2 من المتوسط، أي أن 5 بالمئة من المعطيات خارج الفاصل [U-σ2، U+σ2]، وذلك أمر يعني أن لدينا، في سحب بالقرعة، 5 حظوظ من 100 أن نحصل على انحراف يكون أكثر من σ2 من المتوسط أو نقول أيضاً إن بوسعنا أن نؤكّد أن ملاحظة من الملاحظات موجودة بين [U-2σ، U+ 2σ] باحتمال خطأ يساوي 0.025، 99 بالمئة من المعطيات هي على أقلّ من σ3 من المتوسط. (انظر الشكل 6).

ووظيفة التوزّع F (v) هي المنحنى السغمائي الذي يمثّله الشكل (7).

جـ – تقدّم المجموعة الثنائية الحدّ، للحاجات الشائعة مقداراً تقريبياً كافياً للوظيفة الطبيعية المتوافقة مع المعطيات. ويقدّم جدول المقارنة (انظر الشكل 8)، بالنسبة لرائز الذاكرة السابق، تكرارات ثلاثة توزيعات اختبارية، ثنائية الحدّ وطبيعية.

د – عندما تتبع الملاحظات المحدّدة على سلّم ترتيبي أو قياسي توزيعاً غير متناظر، يمكننا تحويل المتغيّر على نحوٍ يكون التوزيع طبيعياً. ونقول إننا نباشر تغيير المعطيات (أو المتغيّر). فيصبح التوزيع الطبيعي عندئذ ضرباً من «معيار التوزيع»، (انظر الشكلين 9، 10).

بوسعنا بالنسبة للمتغيّر الترتيبي، أن نلجأ إلى تجميع من أربع فئات، خمس، عشر، مئة. وعندما يتحقّق هذا التوزيع إلى فئات، نعيّن لكل فئة من الفئات، حسب التقسيم الذي أجريناه، تلك القيمة الطبيعية المقابلة (انظر الشكل: 10 سلّم معيّر حسب خمس فئات).

وينطوي التعبير على فائدة كبيرة جداً، لاسيما في علم الامتحانات، ذلك أنه يتيح إعادة التوافق الموضوعي لعلامات مجموع الأفراد الذين خضعوا إلى رائز، أضف إلى ذلك أن العلامات المعيّرة يمكنها أن تُجمع على نحو مشروع، إذ يظلّ توزيع المجموع طبيعياً.

هـ – النظرية المركزية الحدّية (لابلاس، غوس، ليابونوف). الخاصيّة الأساسية للقانون الطبيعي، خاصية تشرح دوره الأوّلي بوصفه «قانون المصادفة»، كان قد وضعها الإحصائيون باسم «النظرية المركزية الحدّية» ويمكننا أن نعلنها على الصيغة التالية: إذا خضع متغيّر إحصائي، من جهة، إلى زمرة من العوامل النظامية التي توجّهه نحو قيمة مركزية معيّنة (متوسط u) وخضع، من جهة ثانية، إلى عوامل عشوائية كثيرة من النسق نفسه، نسق المقدار، ولكنها ذات أهمية ضعيفة بالنسبة للعوامل النظامية، عوامل عشوائية تجعل هذه القيمة تتموّج حول النزعة المركزية (انحراف معياري σ)، فإن مثل هذا المتغيّر ينزع إلى التقيّد بقانون طبيعي N (σ،u).

وهذه الشروط، التي أوضحها إميل بوريل (1871 - 1956) بعبارات رياضية، تشرح تماماً واقع أن القانون الطبيعي يكون قانون الأخطاء حول قيمة صحيحة ولكن بلوغها متعذّر، وقانون التغيّرات البيولوجية حول خاصّة وسطى للنوع (مثال ذلك تغيّرات أوزان وليد)، وقانون التقييمات الذاتية، وقانون سمات العينات، إلخ، ومن هنا منشأ اسمه «قانون المصادفة».

و – عمومية هذا القانون قاد إلى أن توضع في التجارة، تسهيلاً للتمثيلات البيانية، أوراق ذات مربّعات، تسمى غوسية رياضية، حيث لا تحمل على محور العينات التكرارات الرياضية، وإنما التكرارات المتراكمة في سلّم غوس، التي لاتكون تدرّجاتها (المستنتجة من الجداول القياسية) منتظمة، ولكنها تتسّع كلما ابتعدنا عن التكرار 0.5 إذ أن التكرارين 1 و 0 يُنبذان إلى اللانهاية. فعلى هذه الورقة، يتسطّح الشكل السيغمائي للتكرارات المتراكمة إلى مستقيم (انظر الشكل 12).

Triangle arithmétique de Pascal

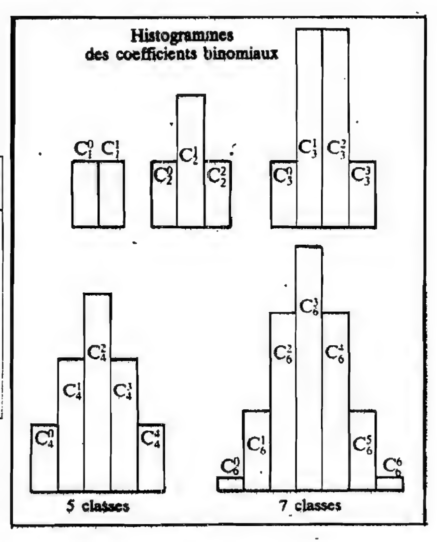
1								C_0^0			
1	1							C_1^0	C_1^1		
1	2	1						C_2^0	C_2^1	C_2^2	
1	3	3	1					C_3^0	C_3^1	C_3^2	C_3^3
1	4	6 + 4		1				C_4^0	C_4^1	C_4^2 C_4^3	C_4^4
1	5	10	10	5	1			C_5^0	C_5^1	C_5^2	. . .
1	6	15	20	15	6	1					
1	7	21	35	35	21	7	1				

Règle de formation du triangle

$6 + 4 \rightarrow 10 \qquad C_4^2 + C_4^3 \rightarrow C_5^3$

الشكل 1 - المثلث الحسابي لباسكال

قاعدة تكوين المثلث



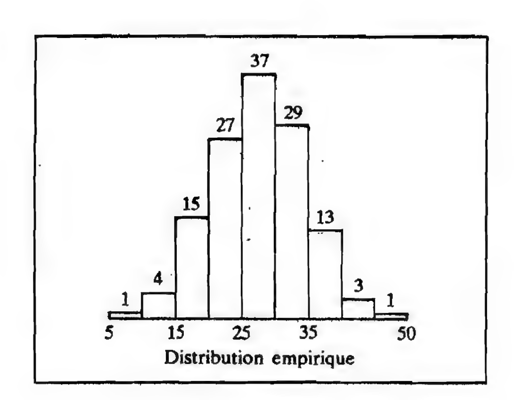
الشكل 2

مدرج تكراري للمعاملات الثنائية الحدّ.

intervalles des classes	effectifs observés	coef. binom	fréquences observées	fréquences binomiales
45-50	1	1	0,008	0,004
40-45	3	8	0,023	0,031
35-40	13	28	0,100	0,109
30-35	29	56	0,223	0,219
25-30	37	70	0,284	0,274
20-25	27	56	0,208	0,219
15-20	15	28	0,115	0,109
10-15	4	8	0,031	0,031
5-10	1	1	0,008	0,004
	130	256 2^8	1,000	1,000

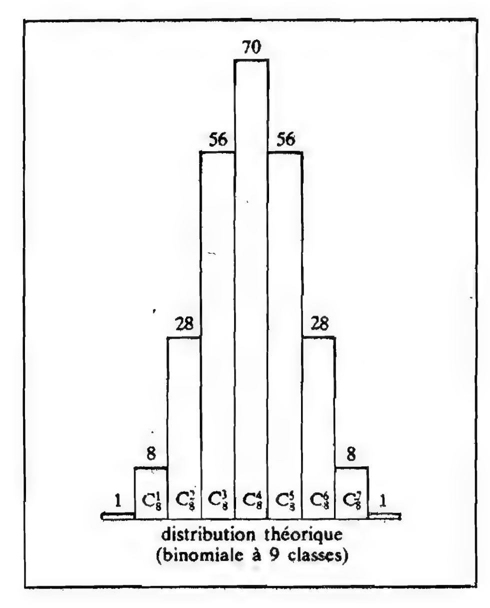
الشكل 3

فواصل الفئات، العدد الملاحظ، معامل ثنائي الحد، تكرارات ملاحظة، تكرارات ثنائية الحد.



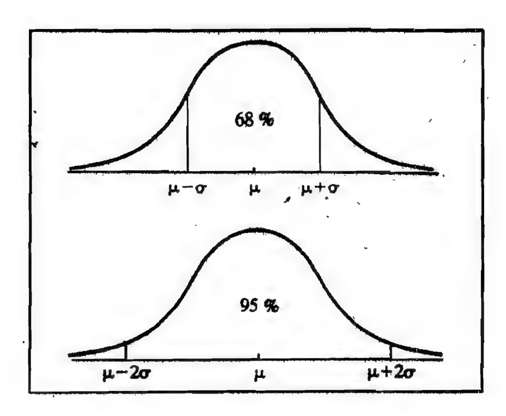
الشكل 4

توزيع اختياري

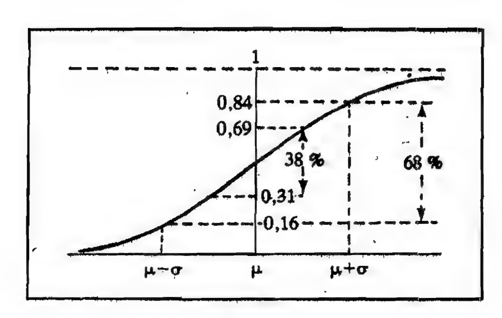


الشكل 5

توزيع نظري (ثنائي الحدّ)- د - و - فئات.



الشكل 6



الشكل 7

intervalles des classes	effectifs observés	série des fréquences observées	série des fréquences binomiales	transformation en variable centrée réduite $V' = \frac{v - \overline{V}}{\sigma}$		série des fréquences normales ΔF
45-50	1	0,008	0,004	2,487	$+\infty$	0,005
40-45	3	0,023	0,031	1,785	2,487	0,031
35-40	13	0,100	0,109	1,082	1,785	0,103
30-35	29	0,223	0,219	0,379	1.082	0,213
25-30	37	0,284	0,274	− 0,325	0,379	0,275
20-25	27	0.208	0,219	− 1,028	− 0,325	0,221
15-20	15	0,115	0,109	− 1,731	− 1.028	0,110
10-15	4	0,031	0,031	− 2,435	− 1.731	0,034
5-10	1	0.008	0.004	$-\infty$	− 2.435	0,008
	N = 130	1,000	1.000			1,000
$\overline{V}$ = 27,308	σ = 7,109					Voir AJUSTEMENT

الشكل 8

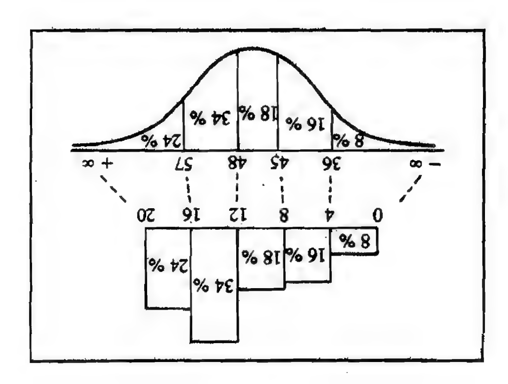
فواصل الفئات، العدد الملاحظ، مجموعة التكرارات الملاحظة، مجموعة التكرارات الثنائية الحد، تحويل إلى متغيّر متجمّع مختزل: $V' = \frac{\overline{V}-V}{\sigma}$ ، مجموعة التكرارات الطبيعية ΔF

Exemple de normalisation de notes scolaires

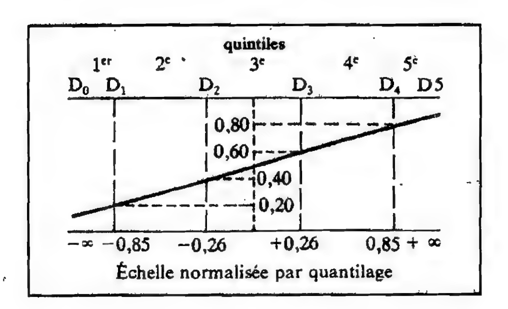
variable observée	effectifs cumulés	fréq. cum.	variable normale	échelle T normalisée
20	450	1	∞	∞
16	342	0,76	0,70	57
12	189	0,42	− 0,20	48
8	108	0,24	− 0,70	43
4	36	0,08	− 1,40	36
0			$-\infty$	$-\infty$
				$T = 10\ V' + 50$

الشكل 9

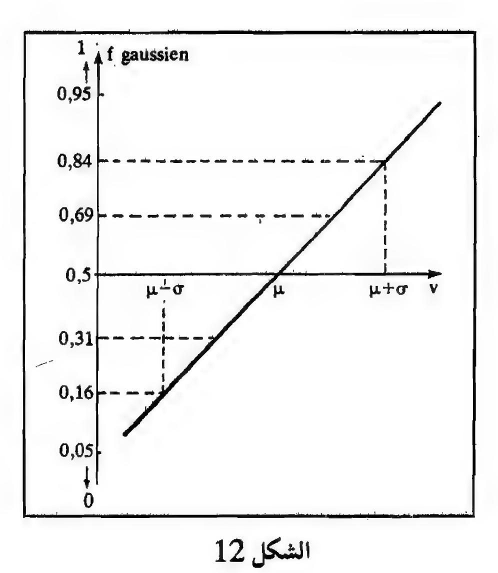
مثال على تعيير علامات مدرسية



الشكل 10



الشكل 11



الشكل 12

J.M.M.

التوسّط

F: Médiation

En: Mediation

D: Vermittlung

سيرورة افتراضية تتوسّط بين منبه (م) واستجابة (آ).

يتخيّل بعضهم، ليشرحوا الانتقال من المنبّه إلى الاستجابة، أن ثمة «استجابة تقوم بالتوسّط» (س) تكون المكافىء الكامن للاستجابة الظاهرة. وإذا كانت غالبية المنظرين متفقون على النظر إلى (س) أنها استجابة «ميسّرة»، استجابة داخلية لها خصائص منبه، فإن آراءهم تتباعد فيما يتعلق بطبيعتها. فالمقصود بها، في رأي بعضهم، سيرورة عصبية إنباتية؛ وهي، في رأي بعضهم الآخر، حركات جسمية زهيدة؛ ويرى فيها بعضهم الآخر أيضاً بناء نفسياً وسطاً. ومهما يكن من أمر، ينشد مفهوم التوسّط إدخال الشخص، ارتكاساته النفسية الفيزيولوجية وسيرورات فكره، إلخ، في التخطيطية السلوكية «منبه - استجابة». وأصدر من قبلُ، عام 1912، م.ف أشيرتون و م.ف. واشبرن، أول من أصدر، ذلك الفَرَضَ الذي مفاده أن الصلة بين الفكرتين المترابطتين هي من النسق العصبي، مثال ذلك عندما تخطر معاً (ب) و (جـ) على الفكر، تكون العناصر العصبية ذات العلاقة مرتبطة بالعنصر (د). ويرى ك. ل. هول (1930) أن الاستجابة القائمة بالتوسّط هي محض فعل - منبّه، يُحدث تنبيهاً ذاتياً بوصفها «بنية» دينامية وظيفية (نموذجاً) تحرّض فاعلية فيزيولوجية داخلية. ويدرج مناصرو هذه النظرية الفيزيولوجية، على وجه العموم، نماذج الاستجابة الانفعالية في دراساتهم، ومثال ذلك أن ب. ف.

ريّس (1940) قرن، بعد أن قاس الاستجابة الجلدية الكهربائية (منعكساً نفسياً غلفانياً) التي تلي الصدمة الكهربائية، كلمة **سرور** (joie) بالصدمة، ثم قيّم مفعول الكلمات القريبة من الكلمة السابقة من وجهة نظر رنينها (مرور، غرور، شرور. . .) ومن وجهة نظر دلالتها (سعادة، حبور. . .). فلاحظ أن الاستجابة الجلدية الكهربائية كانت أقوى كثيراً بالنسبة للكلمات الثانية منها بالنسبة للكلمات الأولى واقترح شارل أوزغود، عام 1956، شرحاً لهذا النتيجة: بما أن كلمتي السرور والسعادة مرتبطتان بالأوضاع السارّة نفسها (وتسبّبان الارتكاسات النفسية البيولوجية ذاتها)، فإنهما مرتبطتان بالانطباع الدلالي نفسه الذي يولّد تنبيهات ارتجاعية. وتسّبب صدمة، عندما تكون مرتبطة بكلمة **سرور**، استجابة انفعالية تتكوّن، من جهة، من التوسّط الذي تثيره كلمة **سرور**، وتتكوّن، من جهة ثانية، ممّا هو مشترك بين السرور والسعادة. فكلمة **سعادة** لن تثير فحسب إذن، في الاختبار، تلك الاستجابة القائمة بالتوسّط التي كانت فيها كلمة **سعادة** تشترك سابقاً مع كلمة **سرور**، ولكنها ستشير أيضاً استجابة جديدة تسبّبهاالصدمة، ومن اجتماع هاتين الاستجابتين تنجم شدة الاستجابة النهائية.

وثمة مؤلفون آخرون، منهم إ. جاكوبسون (1932)، ل. و. ماكس (1935)، و. دومان، إ. أ. ولبرت (1958)، ف. ج. ماك غيغان (1966)، يتصوّرون التوّسط أنه مجموعة من الحركات غير المدركة. وطلب جاكوبسون إلى بعض الأفراد أن يزنوا باليد أشياء تبدو ذات وزن واحد. وبيّن له تسجيل طاقات العمل (أي التغيّرات في الطاقة الناجمة عن هذه الفاعلية، التي تظهر بموجات منع الاستقطاب التي تجري طوال الألياف العصبية)، أن الأشياء الأثقل كانت تنتج التغيّرات الكبرى. وكان على الأفراد، في زمن ثان، أن يتخيّلوا فقط أنهم كانوا يرفعون أثقالاً خفيفة تارة وثقيلة تارة أخرى. فلاحظ جاكوبسون أن طاقات العمل المبذولة في الرفع كانت، هنا أيضاً، مرتبطة بفكرة «ثقيل» وأن التوجيه المتخيّل كانت ترافقه حركات زهيدة في الأصابع.

وتجعل نظرية أخرى، دافع عنها على وجه الخصوص هـ. هـ. كندلر و. ت. س. كندلر (1962) من التوسّط ضرباً من «البناء المتوسّط». فالاستجابات القائمة بالتوسط هي، في رأي هذين المؤلفين، وقائع افتراضية لا يمكننا ملاحظتها، «ذات علاقة» بـالوسط والسلوك، وليس لها أي وجود خارج علاقتها بمتغيّرات مستقلّة وتابعة.

وأصل مفهوم التوسّط موجود في الترابطية التي تعود، في ماهيتها، إلى أرسطو (384 - 322 ق. م). وأعلن أرسطو قوانين (الاقتران، التضادّ، التشابه) التي استأنفها الفيلسوف الانغليزي توماس هوبز (ويستبورت، مالمسبوري، 1588 - هاردويك هول، 1679) الذي كان يرى في الذكريات انطباعات حسّية ترتبط فيما بينها بحركة من الترابطات. ويرى هوبز أن السلوك ذا التوسّط يوجّه تصرّفنا بواسطة سلاسل من الكلمات والجمل؛ مثال ذلك أن «الفكر يمضي من القديس أندره إلى القديس بيير لأن اسميهما يُقرآن معاً، ومن القديس بيير إلى الحجر» (بيير اسم علم واسم حجر «م»)، ثم إلى الإنشاء، فالكنيسة، فالشعب، إلخ... وتبنّى جون لوك (1632 - 1704) بدوره فكرة **اللوحة البيضاء** لأرسطو، التي تُخزن بحسبها انطباعاتنا في الذاكرة، من الولادة حتى الموت، وذلك هو مفهوم ميّز كل الحركة الترابطية. ونجد في كتابه، **محاولة في الفهم الإنساني** (1690)، مفهوم **التجريد** الذي يماثل من نواحٍ كثيرة مفهوم التوسّط: «الكلمات هي العلامات الخارجية للأفكار التي تأتي من الأشياء الخاصة، وستكون هذه الكلمات ذات عدد لانهاية له لو أن لكل شيء خاص اسماً. وتجنّباً لهذا الفيض في الغزارة، يصمّم الفكر انطلاقاً من أفكار خاصة آتية من أشياء خاصة، إذ يدركها بصورة منعزلة عن أنماط وجودها الخاصة، كالزمان والمكان، إلخ... وهذا هو ما نسميه التجريد، وهو تمثيل عام لكل ما هو من ضرب واحد، وأسماؤها أسماء جنس، تنطبق على كل ما هو مماثل لها... ففي اللون نفسه، المرئي هذا اليوم في الحُوار والثلج، وأمس في الحليب، ينظر الفكر إلى المظهر، ويجعل منه ممثّل كل ما هو على النحو

نفسه، ويطلق عليه اسم البياض، دالاً بهذا الصوت على صفة مماثلة، بصورة مستقلّة عن كل ما ينطبق عليه، وهكذا تُبنى الكليات». وتبنّى دافيد هيوم أيضاً نظرية الترابطات ليشرح ارتباطات الأفكار المعقّدة. ويكتب في مولّفه، **المطوّل في الطبيعة الإنسانية** (1739): «فلنتخيّل أننا كنّا نلاحظ الأشياء نفسها أنها ذات علاقة فيما بينها دائماً في عدة ظروف، نتصورّ مباشرةً صلة بينها ونبدأ في أن نكوّن استدلالاً من أحدهاإلى الآخر. . . وهذه الظروف متميّزة بعضها من بعض كلياً وليس بينها علاقة إلا في الفكر الذي يلاحظها ويجمع الأفكار ذات العلاقة بها». ويتوصّل هيوم عندئذ إلى أن يضع تحليلاً توسطياً للفكر الإنساني: «حتى يكون بمقدورنا أن نفهم كل مدى هذه العلاقات، ينبغي لنا أن نعتبر أن شيئين مرتبطان في الفكر ليس فقط عندما يكون واحداً منهما مشابهاً للآخر، أو مقترناً به، أو سببه، ولكن عندما يتوسّط بينهما (هذا هو الوسط المشترك) شيء ثالث يحمل إليهما واحدة من هذه العلاقات». ويجعل إدوان غاريّغ بورينغ (1886 – 1968)، في كتابه، **ضرب من تاريخ علم النفس التجريبي** (1929)، من الطبيب والفيلسوف الانغليزي دافيد هارتلي (إيلينّغورث، 1705 - باست 1757) مؤسّس المدرسة الترابطية؛ ولكن هارتلي كان رائد نظرية التوسّط الحالية. وعرض هارتلي في كتابه، **ملاحظات على الإنسان، مزاجه، واجبه، توقّعات** (1749)، فكرة الترابطات ذات التوسط: «كل الإحساسات آ. **ب**. أو. **جـ**. التي ترتبط فيما بينها عدداً من المرات كافياً، تكتسب سلطة على الأفكار المقابلة آَ. **بَ**. أو **جـَ** بحيث أن كل إحساس آ محسوس وحده قادر على أن يوقظ الفكرتين **بَ** و **جـَ** في الفكر. والإحساسات مترابطة عندما تكون محسوسة معاً أو على التعاقب». ويعترف إيمانويل كانت (1724 - 1804)، على الرغم من أن فكره لم يتبع التقليد الترابطي، في كتابه **نقد العقل المحض** (1781)، بجدوى نظام يجعل الصلات الترابطية أساس السلوك ذي التوسّط: « إذا كان ممكناً أن تحدث الامتثالات بالمصادفة، كما تتلاقى، فإنها لن تكون ذات تماسك، ولن تقدّم سوى ركام ولن تنتج المعرفة أبداً. فمن

الضروري إذن أن يكون إعادة إنتاجها خاضعاً لقاعدة تربط امتثالاً في الفكر بامتثال ثان وليس بامتثال ثالث. وذلك هو الأساس الذاتي والاختباري لإعادة الإنتاج وفق قواعد نسمّيها ترابط الامتثالات». وأحسّ الفيلسوف الإيقوسي سير وليم هاميلتون (1788 - 1856)، هو أيضاً، أنه مرغم على أن يناقش العلاقة بين مفهومي الترابط والتوسّط، في كتابيه المنشورين بعد موته والمعنونين: **دروس في الميتافيزيقيا و دروس في المنطق**. فالترابطات ذات التوسّط هي، في رأيه، ترابطات غير مباشرة بين فكرتين على الأقل (أو فعلين عقليين) تتوسّطهما فكرة ثالثة مرتبطة بصورة مسبقة ومباشرة، بالفكرتين المشار إليهما. ووسّع جيمس ميل (نورثْووتر بريدج، 1773 - كنسانغتون، 1836) وابنه جون ستيوارت (1806 - 1873)، نظرية الترابطات بين الأفكار لهارتلي. وعلى هذا النحو إنما يستخدم جميس ميل، في كتابه **تحليل ظاهرات الفكر الإنساني**، مفهوم الترابطات ذات التوسّط ليشرح العمل الوظائفي المعرفي (تكوين المفهومات، الاستدلال، اللغة...). وينبغي لنا أيضاً، لننهي هذه النظرة التاريخية الموجزة، أن نلفت النظر إلى أن المناقشات انصبّت بصورة أساسية، خلال القرن التاسع عشر، على الطبيعة الشعورية (و. وندت، جـ. أشافنْبرغ) أو اللاشعورية (د. هيوم، و. هاميلتون) للترابطات ذات التوسط (انظر هـ. بييرون، 1903). وأخيراً، دشّن بعض الباحثين، كهرمان إيبنغهاوس (1850 - 1909)، عهداً جديداً من الاختبارية في القرن التاسع عشر. فأصبحت نظرية التوسّط والمفاهيم الترابطية الأخرى عندئذ موضوع تجارب كثيرة، لاسيما بدافع من إدوان ري غوثري (1886 - سيتل [واشنطن]، 1959)، وإدوار لي ثورندايك (1874 - 1949)، وجون برودوس واطسن (1878 - 1958). وأصل الاهتمام الراهن بنظرية التوسّط يكمن في دراستين أنجزهما ب. ر. بوجلسكي (و) د. ب. شارلوك (1952)، من جهة، (و) و. روسل (و) ل. هـ. ستورمز (1955)، من جهة ثانية. فالعالمان الأولان بيّنا أن واقع تقديم وسيط مشترك بالنسبة لـ بنود مستقلة كان يسهّل التعليم في مهمة التعليم بالزوج خلال ثلاثة أزمنة. ووجد

العالمان الثانيان أيضاً نسباً من التعليم أسرع بفضل استنباط صلة ترابطية. وأنجز و. إ. مونتاغ ومعاونوه (1966 - 1967) دراسات كلاسيكية من الآن فصاعداً، في التوسط باللغة الطبيعية. ومثال ذلك أنهم عرضوا، في الأول من هذه البحوث، 97 زوجاً من المقاطع خالية من المعنى على بعض الراشدين (دو، طو، على سبيل المثال) وطلبوا إليهم أن يكتبوا الكلمات أو الجمل التي تساعدهم على تذكّر كل زوج (دودتان طويلتان)، إذ أن هذا الأسلوب يكّون توسّطاً ألسنياً طبيعياً. ويعتقد جـ. أ. أدامز، و. إ. مونتاغ (1967) أن ثمة أربعة ضروب من التوسط من هذا النوع: 1) **ترابط جملة**: الكلمتان أساس جملة، مثال ذلك أن الفرد يفكر، بالنسبة لـ برج - القاهرة، بجملة: سأزور متاحف القاهرة، وبرجها، 2) **ترابط كلمات**، مثال ذلك أن الكلمتين كتاب - أستاذ تذكّران بـ «التربية»، 3) **ترابط أصوات**، مثال ذلك أن كلمة «ألوان» تستدعي كلمة «عنوان» 4) **ترابط حروف**. مثال ذلك أن الحروف الأولى من الكلمات تذكّر باسم رمزي مألوف: الكلمتان الفرنسيتان Usé - Sec تذكّران بالاسم الرمزي للولايات المتحدة U. S..

ويميّز ل. إ. بورن ومعاونوه (1971)، في خلاصة لبحوث في التعميم ذي التوسّط، بين التعميم الأولي حيث تولد الصلة الترابطية من التشابه الشكلي، وبين التعميم الثانوي حيث تولد من تشابه في الدلالة أو الفئة. ومثال ذلك أن كلمتي **عملاق** و **مخيف** ليس لهما علاقة في الصائتية ولا في الكتابة، ولكن أي إشراط راسخ مع إحداهما يمكنه أن يُعمّم على الثانية بفضل اشتراكهما في المعنى. ونظرية التوسّط يمكنها إن تشرح هذا التعميم الثانوي. وبوسعها أيضاً أن تنير سيرورات الترميز، وسيرورات الخيال والإبداعية. ويلفت النظر هنري ك. إيلّيس (1973) إلى أن استجابات الترميز كانت تُعتبر دائماً مترادفات للتوسّط. ويقترح أن نفرّق بينهما تبعاً لدرجة الفاعلية لدى الفرد في الانتقال من المنبّه الاسمي إلى المنبه التمثيلي. ففي رأيه أن استجابه الترميز تحدّدها معاً السيّالة العصبية وحالة الفرد، في حين أن التوسط يرتبط ارتباطاً أكثر مباشرة بالمنبّه الاسمي. ويعتقد أ. بيفيو

(1969)، من جهته، أن المنبّهات التي تستدعي صوراً مشخّصة تعمل عملها الوظائفي وسطاء في التعلّم والتذكر. ويبيّن أن تعلّم الأزواج المترابطة يكون أسرع عندما يستخدم الأفراد صوراً بوصفها وسطاء. وأعدّ س. أ. ميدنيك (1962) من جهته، أسلوباً أصيلاً قائماً على نظرية التوسّط لمراقبة الإبداعية. ويؤكد أن الأفراد الذي يجدون وسطاء بسهولة أكثر إبداعاً من أولئك الذين يعانون الصعوبات.
ويعتقد جان بياجه (1962) أن فاعلية المحاكاة، فاعليتها الحركية لدى الطفل، هي أساس الإدراك والمخيال العقلي. وفي رأيه أن تكوّن الصور العقلية الدينامية التي تنطوي على تغيّرات منهجية للمواقع المكانية لا تبدأ قبل نهاية المرحلة قبل الإجرائية. فإنتاج صورة دينامية قبل المرحلة المدرسية يرتبط بالإنتاج الحركي المرافق، الذي يضاعف شكل الاستجابة الإدراكية. وتُستدخل هذه الحركات مع النمو، ويصبح الطفل ذا تبعية متناقصة لفاعلية حركية تعبّر عن نفسها في الخارج.
ونحن نعتقد، إذ نستند إلى هذه المساهمات النظرية وإلى النتائج التي حصل عليها ب. ولف (و) جـ. ر. لوفان (1972)، أن الطفل قبل سن الدراسة يمكنه أيضاً أن يستخدم سيرورات التوسّط، ولكن الوسطاء لديه حركية بصورة أساسية وليست لفظية. انظر في هذا المعجم: **الترابطية**، **التعميم**، **السيرورة العلامة**).

C.L.R. (ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

التوظيف

F: Investissement

En: Cathexis

D: Besetzung

هذا المصطلح يعني، في اللغة العسكرية، محاصرة مكان، ويعني، في الاقتصاد السياسي، استثمار رساميل [توظيف]، ويعني، في التحليل النفسي، تثبيت كمية من الطاقة النفسية في شيء واقعي أو متخيّل، ذكرى أو امتثال يُمنحان على هذا النحو أكبر قيمة (توظيف).

العمل الوظائفي للجهاز النفسي، في النظرية الفرويدية، يمكنه أن يُوصف بمصطلحات الاقتصاد أنه حركة من التوظيفات، والتوظيفات المغالية، وسحب التوظيفات، والتوظيفات المضادّة (أي أن توظّف الأنا عنصراً شعورياً، مخصصاً لمنع انبعاث امتثال مكبوت بدلاً منه). وبحسب هذا الفرض الاقتصادي، تشرح بعض السيرورات النفسية جريان طاقة الدوافع وتوزّعها. مثال ذلك أن إفقار العلاقات مع من يحيط بالفرد، والإهمال و«التهاون» العام، المتواترة بعد فقدان موجود عزيز، يشرحها ضرب مغال من توظيف هذا الموجود، ويشرحها ضرب ضعيف من توظيف الجسم الخاص، وأشخاص العالم الخارجي وأشيائه. (انظر في هذا المعجم: **الليبيدو، الكبت**).

N.S.

التوقّف المفاجىء **F: Barrage**

En: Barrier, Obstruction, Thought blocking

D: Sperrung

مصطلح استخدمه إميل كريبْلن (1856- 1926) للدلالة علي سلوك مرضي يكمن في الانقطاع المفاجىء لفعل إرادي أو تلقائي (توقّف مفاجىء حركي) أو قول (توقّف مفاجىء فكري).

يستأنف الفرد فاعليته أو محادثته، بعد بضع لحظات، من النقطة التي كان قد تركها، أو يغيّر الموضوع. وهذه المظاهر التي تدلّ على انقطاع في مجرى الفكر، نصادفها في الفصام على نحو متواتر جداً.

J.MA.

تولمان (إدوار شيس) Tolman (Edward Chace)

عالم نفس أمريكي (ويست - نيوتون، ماساشوست، 1886 - بركله، كاليفورنيا، 1959).

سُمّي تولمان، عام 1918 معاون أستاذ في علم النفس بجامعة بركله في كاليفورنية حيث لم يكن ثمة بدّ من أن تنتهي حياته. وطُلب إليه، عند وصوله، أن يبتكر مبحثاً جديداً، فاقترح، إذ فكّر بيركز، «علم النفس المقارن». وباشر على وجه السرعة تجارب على الفئران في متاهات، فدلف على هذا النحو في مشكلات التعلّم ومذاهب السلوكية. وفي رأيه أن وجهة نظر واطسون، الذي كان يعالج كل وضع من زاوية «المنبّه - الاستجابة» وكأنه ظاهرة معزولة على مستوى المنعكس الفيزيولوجي، كانت محدودة جداً. ولم يكن يعتقد أن تأثير الدافعية في التعلّم محض ميكانيكي، وكان يجد أن مفهوم «القصد» لدى بيرّي فلسفي جداً ولم يكن على وفاق مع ماك دوغال الذي كان يستنبط الغرائز من السلوك.

وتبنّى تلاميذه أفكاره: درس ر. ك. تريون وراثة المعارف المكتسبة (تعلّم السير في خط سير) لدى الفأر بواسطة متاهة ذات تسجيل آلي، وأنتج سلالات من الفئران التي تلمع وفئراناً أخرى ضعيفة الموهبة. وأقام هـ. ك. بلود جيت تمييزاً ذا أهمية بين الإنجاز والتعلّم، وأدخل مفهوم «التعلّم الكامن». وجمع تولمان نتائج هذه الأعمال في مؤلّف أصبح كلاسيكياً: **السلوك القصدي لدى الحيوانات والناس** (1932، نيويورك، سنتشوري). فقدّم على هذا النحو إلى علم النفس إطاراً مفهومياً جديداً كانت فيه تيارات السلوك، والقصدية، والوظائفية،

وسيكولوجيا الشكل، موحّدة في توليف ينير كل تيار منها بنور جديد. وكان تولمان يمنح السلوك امتيازاً على حساب الوسط ولكنه صحّح هذا الميل في العام التالي في مقال كتبه بالاشتراك مع إيغون برانسفيك (بودابست، 1903 - بركله، 1955) خلال **إقامته في فيينة بعنوان**: «العضوية ونسيج البيئة السببي» (**مجلة علم النفس**، 42، 43، 77).

وعمل تولمان نحو نهاية الحرب العالمية الثانية في برنامج الملاحظة المراقبة لمنظمّة الخدمات السرية حيث التقى هـ. أ. موره واطّلع على أفكاره فيما يخصّ الشخصية الإنسانية. فهجر عندئذ الفئران والتعلّم واتجه نحو البحوث في الانسان والحوادث الاجتماعية. وتصورّ على هذا النحو «سجلّه، سجل القيمة - الاعتقاد، ويدل تولمان بهذا المصطلح على منظومة القيم التي تتدخّل في العلاقة بالعالم، منظومة يعتبرها خاصة بكل فرد - منظومة تدمج مفهومات «الحاجة» لدى موره و«الأنا بوصفها منظومة سلوك» لدى ك. لوفن ومفهومه الخاص لـ« الوسيلة والتهيئة» (حالة من التهيئة الاصطفائية، الفطرية أو المكتسبة، التي تعدّ العضوية لبعض الارتكاسات بدلاً من ارتكاسات أخرى). وكان عليه أن يضع معتقداته وقيمه، الشخصية، موضع الاختبار إذ أُقيل من وظائفه في جامعة كاليفورنية عام 1960، بدلاً من التوقيع على يمين ولاء مطلوب في كل الكليات، في إطار الحملة ضد «النشاطات المعادية للأمريكيين»، التي قادها السناتور جوزيف ريمون ماك كارثي (1909 - 1987). وشكا إلى القضاء، على رأس جماعة من غير الموقّعين على يمين الولاء، انتهاك حرمة الحرمات المدنية. وجعلته في العام التالي جامعة بال دكتوراً في العلوم، إذا توّجته «المدافع الجريء عن حرية الفكر» والعالم في الوقت نفسه.

.G.W.L (ترجمة .D.J.V إلى الفرنسية)

F: Hypocondrie ou Hypochondrie — **توهّم المرض،**
En: Hypochondria — **وسواس المرض**
D: Hypochondrie

انشغال البال العادي، بل المرهق، لدى شخص فيما يخصّ حالته الصحية.

هذا الاهتمام القلق يمكنه أن يكون غير ذي أساس، ولكنه يستمدّ منشأه في الأغلب انطلاقاً من اضطراب واقعي بسيط. ونصادفه على السواء في الأعصبة والذهانات. إنه، في الحالة الأولى، يستند إلى حالة بسيطة من التيقّظ القلق، ويرتكز في الحالة الثانية على حدوث، واقتناعات وسواسية أو على إدراكات هلوسية. ويحتفظ توهّم المرض عادةً في الأعصبة، بسمة غير خطيرة (من هنا منشأ مصطلح **توهّم المرض غير الخطير**)، الذي نطلقه عليه. إنه يظهر على الغالب باضطرابات «الحساسية المرضية»، أي بإحساسات غير مألوفة يصعب تحديدها، مزعجة أكثر مما هي مؤلمة، واضطرابات توتر، وتشوّه وانتفاخ، وانتقال، إلخ، تصيب على نحو دائم جزءاً من الجسم (الصدر أو البطن على وجه العموم). وانتباه المريض يجد نفسه في بعض الأحيان وقد استقطبه مرض أو عضو محدّد. والجداول العيادية التي نصادفها هي، في ممارسة الطب النفسي، متشابهة إلى حدّ يكفي ليكون بوسعنا أن نتكلّم على «أعصبة توهّم المرض». ويُظهر تكوين الطبع، الذي يُضاف إليه هذا العصاب، تلك الفروق الدقيقة لمصطلحه، مصطلح هذا العصاب: الفرد القلق يبدو نوّاحاً، مكتئباً، مستبداً (أرغون، في **المريض بالوهم** لموليير، هو طراز

هذا الفرد)؛ والفرد ذو الميول الذهانية الهذائية سيكون عدوانياً ومطالباً (إذ يغذّي توهّم المرض، على وجه الخصوص، ارتكاسات «ذهان المطالبة» إذا وُجدت صدمة حادث أو عملية جراحية)؛ والمصاب بالعصاب الوسواسي سيكون ذا سلوك رهابي وقسري، وسيكون للهستيري اتجاهات مسرحية مغالية في بعض الأحيان.

ويتخّذ توهّم المرض (المسمّى **توهّم المرض الخطير**) شكلاً هاذياً في الذهانات. فتوهّم المرض، المتواتر في السوداوية، يتجلّى بتجربة تحوّلٍ كارثي في الجسم، يمكنه أن يمضي حتى هذيان النفي. وسيرورة التفكّك، لدى الفصاميين، تمنح عواطف التحوّل الجسمي، والاستحالة، والتطفّل الداخلي أو التأثيرات الخارجية التي يعانيها، سمة شاذة مخالفة للمألوف. وتتمحور بعض الأشكال من الهذيانات المنظّمة على فكرة إصابة جسمية، يفسّرها أنها ناجمة عن محاولة تسميم قام بها «مضطهد»: الطبيب، الزوج، أو شخص آخر من الذين يحيطون به. ويعزو المريض، في الهذيانات البارافرينية، تلك التحوّلات الجسمية المغالية التي يحسّ بها، إلى وسائل شتّى، كالموجات المغناطيسية، والأساليب الكيميائية، إلخ.

ومظاهر توهّم المرض ناجمة، وفق النظريات ذات النزعة العضوية، عن اضطراب أساسي (إثارة أو تشوّه) في وظائف المستقبلات الداخلية أو الخارجية، في حين أنها، بالنسبة للتحليل النفسي، ذات علاقة بانسحاب **الليبيدو** من «موضوع» خارجي، يليه انطواء نرجسي على الذات وتوظيف مغال للجسم الخاص، ولكن إضفاء الصفة الجنسية على الجسم يسبّب بدوره عاطفة الإثمية وعدوانية ضد الأنا، وعدوانية متحوّلة، متجسّدة في توهّم المرض (انظر في هذا المعجم: **التوظيف**).

J.MA.

التيّار القاعدي

F: Rhéobase

En: Rheobase

D: Rheobase

شدّة دنيا لتيار كهربائي قادر، إذا سلّطناه خلال مدة طويلة على عضو (عضلة، عصب أو ليف عصبي)، على أن يُطلق استجابة النسيج المثار.

كان العالم الفيزيولوجي لويس لابيك (إيبينال، 1860 - باريس 1952)، الذي درس قابلية العصبونات للإثارة، هو الذي ابتكر عام 1909 مصطلح التيار القاعدي. وقيمة التيار القاعدي ليست مطلقة، ويمكنها أن تتغيّر بالنسبة لعصب معيّن في النوع الحيواني نفسه (انظر في هذا المعجم: **زمنة أو وحدة زمنية**).

N.S.

تيرمان (لوفيس ماديسون) Terman (lewis Madison)

عالم نفس أمريكي (جونسون كانتي، إنديانة، 1877 - ستانفورد، قرب بالو ألتو، كاليفورنية، 1956).

بعد دراساته في **جامعة كلارك**، حيث حصل على لقب دكتوراه في الفلسفة، علّم تيرمان حتى موته في جامعة ستانفورد، بوصفه معاوناً أول الأمر (1910)، ثم أستاذاً (1916). إنه معروف على وجه الخصوص لأنه كيّف رائز بينه - سيمون مع السكان الأمريكيين. هذه النسخة المنقّحة، **مراجعة ستانفورد** (أو سلّم تيرمان) كوّن موضوع عدة تعديلات وتحسينات. وعلى هذا النحو إنما يُطبق **سلّم تيرمان - ميريل**، المنشور بالتعاون مع م. أ. ميريل (1937)، على الأطفال، بدءاً من السنتين، وعلى المراهقين والراشدين. إنه يحتوي مئة واثنين وعشرين اختباراً (بنداً)، لفظية أو غير لفظية، ويوجد على صورتين متوازيتين L، M، وذلك أمر يتيح روز الفرد نفسه مجدّداً دون أن يتدخّل التعلّم. وامتدّ تأليف تيرمان إلى دراسة الشخصيات العبقرية (**دراسات تكوينية في العبقرية**، 1926)، وإلى دراسة العلاقات بين الجنس والشخصية (**الجنس والشخصية**، بالتعاون مع كاترين ك. مايلز، 1936)، وإلى دراسة الشروط السيكولوجية للسعادة الزوجية (**العوامل السيكولوجية في السعادة الزوجية**، 1938). ولنذكر من مؤلفاته الأخرى ذات الأهمية: **مقياس الذكاء** (1916)، **ذكاء طفل المدرسة** (1919)، **قياس الذكاء: دليل لإرادة المراجعة الجديدة لروائز الذكاء ستانفورد - بينه** (بالتعاون مع م. أ. ميريل، 1987). انظر في هذا المعجم: **رائز ترابط الكلمات**، **بينه**).

N.S.

التيقّظ

F: Vigilance

En: Vigilance

D: Vigilanz, Wachsamkeit

مفهوم سيكولوجي عصبي فيزيولوجي أدخله في علم الأعصاب هنري هيد (لندن، 1861 – لندن، 1940) للدلالة على حالة، في المجموعة الاتّصالية يقظة – نوم، من تنشيط الجملة العصبية المركزية تتيح رقابة قاسية لمرور المعطيات الحسّية، كذلك للقرارات والارتكاسات المتكيّفة مع الوسط.

هذه الحالة المثلى من التيقّظ، التابعة للشحنة الذهنية وقابليات الفرد، لايمكنها أن تستمرّ سوى مدة زمنية محدودة. ويُلاحظ بسرعة كافية، في الأعمال الروتينية على وجه الخصوص، ميل إلى الغفوة تظهر بأخطاء وضروب الإهمال. ويحدث، في حالة اكتظاظ المعلومات، إشباع قدرات التمييز لدى الفرد، يتجلى باتّخاذ قرارات مجازفة، خاطئة على الغالب (وظيفة نجوع المستقبل، نجوع غير محكم). ونسلّم، مع د. ب. ليندسلي (1951)، بوجود ضرب من الاستمرارية بدءاً من الغيبوبة حتى فرط الإثارة، مروراً بالنوم المفارق، والنوم العميق، والنوم الخفيف، والغفوة، والتيقّظ غير المركز، والتيقّظ الانتباهي. وهذه **المجموعة الاتصالية** يمكنها، على مستوى السلوك، أن تُمثّل على منحنى جرس ذروتُه تقابل الحدّ الأقصى من الفعّالية لدى الفرد ونهايتاه غياب الارتكاس (غيبوبة) أو تصرّفاً غير متكيّف (عصبيّة اندفاعية، ارتكاسات غير مراقبة. . .).

والتيقّظ الإنساني، شأنه شأن النوم، توقّعه دورة من «الفاعلية - الراحة» ذات دورية زمنُها مئة دقيقة تقريباً. ويستخدم ضبطها دارة حلقية معقّدة، في رأي أ. روتنبرغ (1968)، بين القشرة الدماغية والتكوّنات الشبكية في الدماغ المتوسط والتكوّنات في الجملة الطرفية (نظرية المستويين من التنشيط المتنافسين). والتيقّظ الانتباهي ترافقه إيقاعات تيتا (سعتها مساوية لصورة محسوسة لسعة إيقاع ألفا، ولكنها ذات تواتر أضعف: بين 4، 8 هيرتز) أصلها الحُصيني (من الحُصين) مؤكد (كاشفات الجدّة لـ إ. ن. سوكولوف). (انظر في هذا المعجم: **الجملة الطرفية**، **التكوّن الشبكي**، **المهاد**).

E.S.

تيلور (فرديديريك ونسلو) Taylor (Frederick Winslow)

مهندس واقتصادي أمريكي (جيرمان تاون، بنسلفانيا، 1856 - فيلادلفيا، 1915).

يُعتبر تيلور مؤسّس التنظيم العلمي للعمل. ويفكر تيلور، المتحدر من أسرة ميسورة، في مهنة حقوقية، ولكن عليه أن يهجر هذا المشروع عام 1875 بسبب اضطرابات بصرية. وينخرط عندئذ في العمل بوصفه صانع نماذج مبتدىء في ورشة صغيرة بفيلادلفيا، ثم يعمل عاملاً في **شركة ميدفال للصلب**، ويصبح مهندساً، ويكتشف الفولاذ القاسي لأدوات القطع السريع (1868)، ويضبط طريقة التنظيم العلمي للعمل الذي سيحمل اسمه. وتكمن هذه الطريقة في دراسة العمل لكل فرد وقياس زمن أطواره كلها، بغية حذف الحركات غير المفيدة وتحديد أفضل الأزمنة. وتُستخدم ملاحظة عامل جيّد أساساً لتوحيد نمط الأعمال. وهكذا يمكن وضع مخطّط ليوم عمل وحساب الأجور. وأنجز تيلور، إذ نظّم عمل العمال على هذا النحو في **مصنع بتلهام للصلب**، وفراً سنوياً للمشروع قدره 75 مليون دولار مع أنه زاد الأجور بنسبة 60 بالمئة في الوقت نفسه. ذلك أنه كان يأمل، إذا كان يرغب في الحصول على أفضل مردود، أن يقدّم التحسين أيضاً فائدة للعمال الذين كان من الضروري، يؤكد تيلور، أن تقيم الإدارة معهم أفضل العلاقات الممكنة. وينبغي لنا من جهة أخرى، كان يقول، أن نحرص على ألا تتجاوز الأعمال الموزّعة أبداً إمكانات فرد طبيعية. وكان يوصي، بوصف ذلك نتيجة منطقية لهذه المبادىء، بـ «ضرب من الإخلاص الكامل في العلاقات بين الطرفين [الإدارة والعمال]،

وتطبيق شروط العمل المقرّرة سلفاً، والمعروفة من المعنيين» و «اصطفاء اليد العاملة، اصطفاء لايهدف، كما قيل خطأ، إلى استبعاد الضعفاء لمصلحة المهرة والأقوياء، بل يهدف إلى أن يمنح كل عامل عملاً يناسب قدرته الطبيعية، كما تنجم من الدراسات التجريبية» (ج. ب. بالوسكي، الطبعة الثانية، ص. 18). والواقع أن التيلورية تسبّب أيضاً، وإن كانت تتيح زيادة كبيرة في الإنتاجية، إرهاق العامل وإنهاكه الجسمي والنفسي. والعامل ينتهي بالفعل إلى أن يهمل تعليمات الأمن حتى يتابع الإيقاعات المفروضة. أضف إلى ذلك أنه يخشى، إذا لم يكن مردوده كافياً، أن يُستبعد ويتحولّ إلى البطالة. والتيلورية، في تطبيقها، لاتأخذ بالحسبان على نحو كافٍ ذلك الجانب السيكولوجي من مشكلات العمل. وتتعرّض التيلورية إلى انتقادات عنيفة، ويفضّلون عليها في الوقت الراهن نظاماً متأثراً بالسيكولوجيا الدينامية لكورت لوفن، **الإدارة الشخصية**، الأكثر نجوعاً لأنه يعيد للعامل بعده الإنساني، أو يفضلون أيضاً نظام جوزيف سكانلون (مات عام 1956) الذي يوصي بأن يشارك المستخدمون في حياة المشروع وكذلك في الأرباح الحاصلة بفضل تقليص تكاليف الإنتاج، مشاركة كبيرة. ونذكر، من مؤلفات تيلور، **مبادىء الإدارة العلمية**، (1911، مترجم إلى الفرنسي بعنوان **مبادىء التنظيم العلمي للمصانع**، باريس، 1927)، **إدارة مصنع** (1911، مترجم إلى الفرنسي بعنوان **إدارة الورشات**، باريس، 1930). (انظر في هذا المعجم: **تحليل العمل**).

N.S.

حــــرف
الثـــاء

ثاناتوس (دوافع الموت)

F: Thanatos

En: Thanatos

D: Thanatos

كلمة يونانية تعني الموت. والثاناتوس، في التحليل النفسي، مجموعة من دوافع الموت.

يقابل فرويد، في نظريته الأخيرة للدوافع، بين دافع الحياة الذي يهدف إلى خلق وحدات يتعاظم كبرها دائماً، ودافع الموت الذي ينزع، على العكس، إلى تدمير التجمّعات وتحطيم التوتّرات كلياً (مبدأ النرفانا)، أي إلى إعادة الموجود الحيّ إلى الحالة غير العضوية السابقة، حالة الراحة المطلقة أيضاً. وسيجعل **الليبيدو** دافع الموت غير مؤذ؛ إنه يتخلّص منه إذ يحوّل اتجاه الجزء الأكبر منه نحو العالم الخارجي. وهذا الدافع الجزئي المتجّه نحو تدمير موضوع، يُسمّى «دافع العدوان». وإذ يوضع هذا الدافع في خدمة الجنسية، فإنه سيكون مسؤولاً عن السادية. كذلك عندما يظلّ دافع التدمير متّجها نحو الداخل ومرتبطاً بالليبيدو، فإنه يُنتج المازوخية. (انظر في هذا المعجم: **مبدأ الاستقرار**، **الإيروس**، **المازوخية**، **السادية**).

N.S.

الثانوية

F: Secondarité

En: Secondary function

D: Sekundärfunktion

سمة للشخصية تميّز الأشخاص الذين لا يرتكسون على الانطباعات الراهنة بل على الانطباعات التي انتقلت من قبلُ إلى حالة الكمون.

كان الطبيب النفسي أوتو غروس قد أوضح هذا الاستعداد الخاص واستأنفت المدرسة الفرنسية الهولاندية لعلم الطباع هذا المفهوم. فكل امتثال يُحدث فينا مفعولاً مباشراً هو **وظيفته الأولية**. وعندما يخرج من حقل الشعور، يستمرّ في الوجود بحالة الكمون وفي التأثير على حاضرنا: هذه هي **وظيفته الثانوية**. فأولئك الذين تكون هذه الوظيفة الثانوية قوية لديهم يوصفون أنهم «ثانويون» ويوصف الآخرون أنهم «أوّليون». وهؤلاء الأوليون مرنون وجاهزون دائماً؛ إنهم يعيشون في اللحظة الحاضرة. وأولئك الثانويون مثقلون بماضيهم ويشغلهم مستقبلهم؛ فهم مستقرّون، منظّمون، منهجيّون، ضعيفو التواصل، مرتبطون بالتقاليد، ثابتون في حالاتهم العاطفية وأوفياء لصداقاتهم. إن بليز باسكال، إيمانويل كانت، نابليون بونابرت، كانوا من «الثانويين». وللثانوية ترابط قوي جداً بالانطوائية. (انظر في هذا المعجم: **علم الطباع**، **الانطواء**).

N.S.

الثقافة

F: Culture
En: Culture
D: Kulture

يتضمّن مصطلح ثقافة بوضوح ثلاثة معان :

- الأول ذو علاقة بمجموع الفاعليات الفكرية المسمّاة عليا : الفنون والآداب، العلوم، الأديان والفلسفة. وهذه التسمية، المتحدّرة من القرن الثامن عشر الفرنسي، موجودة في التعبيرات التالية : «وزارة الثقافة»، «بيت الثقافة»، إلخ».

- الثاني يتعلّق بأساليب الإحساس والتصرّف والتفكير، السائدة في مجتمع معيّن. ومصدر هذا الاستخدام هو التقليد الألماني (حيث مصطلح «ثقافة» يقابل مصطلح «حضارة») والتقليد الأنغلوساكوني، ولاسيّما الأنتروبولوجيا الثقافية الأمريكية "

- الثالث، أخيراً، يدلّ على المعايير الاجتماعية من حيث أن الأفراد كانوا قد استدخلوها في سيرورة تنشئتهم الاجتماعية. إن المحظورات والواجبات هي التي تتكوّن بواسطتها الشخصية الإنسانية على قاعدة إرث طبيعي، متجاوزة الحيوانية.

والمعنيان الأول والثاني هما وحدهما اللذان تأخذهما بالحسبان حالياً تلك الفروع من المعرفة التي تتناول الواقع الإنساني وصيرورته بالمعالجة. إن **الأنتروبولوجيا الثقافية** هي التي، بين هذه الفروع من المعرفة، تمنح على وجه الدقة نفسها غرضاً مفاده أساليب الحياة التي تختلف من مجتمع إلى آخر وتحدّد نوعية كل مجتمع.

وثمة ثلاثة مكتسبات للأنتروبولوجيا الثقافية ينبغي لنا أن نذكرها :

1- لم يوجد، ولا يوجد، ولن يوجد، مجتمع إنساني محروم من الثقافة. ذلك أن خاصيّة الموجود الإنساني هي أن يتكوّن من خلال سيرورة الإنجاب الذاتي الاجتماعي، التي ليست إلا الثقافة ؛

2- لا يمكننا أن نقيم تراتباً بين الثقافات. فهناك ثقافات مختلفة، ولا وجود لثقافات عليا أو دنيا. ولا يؤدّي التفوّق التقني لمجتمع على آخر إلى تفوّقه الثقافي، ذلك أن الفاعليات التقنية جزئية، في حين أن الثقافة تتّخذ سمة إجمالية، لايمكننا إرجاعها إلى هذه الجوانب أو تلك من جوانبها الجزئية؛

3- الأحكام القبلية الثقافية، التي تُعتبر العرقية تعبيراً عنيفاً من تعبيراتها وذا منهجية (إيديولوجي)، مصدرها ردّ الوقائع التاريخية الثقافية إلى معطيات طبيعية مزعومة. وتقود الدراسات العلمية للثقافات إلى شجب العرقية بوصفها ظاهرة معادية للعلم وبوصفها نكوصاً إلى البربرية.

والحقيقة أن المعنى الأول لكلمة ثقافة، المستخدم في فرنسة على وجه الخصوص، كان يعزل الفاعليات المسمّاة عليا عن مجموع الحياة الاجتماعية. والمعنى الثاني يدمج هذه الفاعليات بحياة جماعية فيها المسكن والثياب، والغذاء وأشكال العمل وأوقات الفراغ، والحياة الجنسية أخيراً، وهي تمثّل المجتمع واندماج الأفراد في هذا المجتمع بقدر ما تمثّلهما الفنون، والآداب، والدين والفلسفة. أما المعنى الثالث، فإنه يكشف عن أن ليس ثمة فرد إنساني بالمعنى الحقيقي للكلمة إلا في التنشئة الاجتماعية وبها، أعني اكتساب نماذج مصدرها المجتمع وبنياته النوعية التي هي، في أيامنا هذه، بنيات فئات.

ومشكل الأنتربولوجيا الثقافية الأساسي هو مشكل العلاقات بين إنتاج الخيرات المادية والعمل الاجتماعي من جهة، وبين المؤسسات والإيديولوجيات من جهة ثانية. وفي النظرية الماركسية، تكوّن المؤسسات والإيديولوجيات، أو الثقافة بصورة أعم، بنية فوقية شروطها تقع في البنية التحتية، أي علاقات الإنتاج الاجتماعية. وتعبّر المؤسسات والإيديولوجيات، في الأنتروبولوجيا الثقافية الأمريكية وفي الأنتربولوجيا البنيوية الأوروبية أيضاً، عن ضرب من الاستقلال بالنسبة لإنتاج الخيرات المادية في العمل الاجتماعي. ذلكم هو الخيار الذي أفضى إليه على نحو حتمي دراسة الثقافة. (انظر في هذا المعجم: **الحكم المسبق**).

P.F.

الثقافة الذاتية

F: Culture Subjective

En: Subjective Culture

D: Subjective Kulture

مصطلح استخدمه شارل إ. أوزغول للدلالة على مجموع القيم، والعواطف، وعلى، بصورة أعمّ، الدلالات التي يعزوها أعضاء جماعة إنسانية إلى الموجودات والأشياء.

يصبح الناس بصورة متعاظمة، مع تقدّم التكنولوجيا في مجال النقل والتواصل ومجال التسلّح النووي على حدّ سواء، متوقّفاً بعضهم على بعض؛ وإذا كان ما يزال ممكناً أن نتعرّف على خصوصيات ثقافية، فإننا نرى أن اللحظة التي لن يكون ثمة سوى عالم موحّد، «منّمط» ثقافياً بتأثير هذه التكنولوجيا نفسها، تقترب. وكان استخلاص ما كان مشتركاً بين الناس (ذي العلاقة بالطبيعة الإنسانية) وما كان نوعياً لهذا المجتمع الخاص أو ذلك، أمراً لايزال ممكناً مع ذلك في الستينات من هذا القرن. ولكن المقارنة بين الثقافات ليست شيئاً يسيراً، ولاسيما عندما يتعلّق الأمر بمقارنة ما يسمّيه الأنتروبولوجيون «سمات غير مادية». إن ملاحظة شكل الجماجم، وإدراج الخزفيات، والأجهزة الهاتفية، والسيارات، أو عدد المنتحرين (مؤشرات الثقافة الموضوعية) في دفتر الحسابات، أمر يختلف اختلافاً كبيراً عن مقارنة القيم، والعواطف، والدلالات، التي تكوّن الثقافة الذاتية. فآثار الثقافة الموضوعية مادية ودائمة؛ أما آثار الثقافة الذاتية فغير مستقرة وتزول بزوال الأدمغة التي أعدّتها. أضف إلى ذلك أننا ندرك الثقافة الذاتية على نحو أكثر مباشرة وطبيعية

بواسطة اللغة، وذلك أمر يفترض، في المقارنات الثقافية المتصالبة، أن بوسعنا أن نخترق «حاجز اللغة» إن لم ندمّره.

واستخدمنا، في بداية دراساتنا (1950-1960)، تقنية المميّز الدلالي مع أفراد يتكلّمون الانغليزية الأمريكية، من أعمار، ومستويات اجتماعية، ودرجات ذكاء ومعرفة، ومعتقدات، وآراء سياسية، إلخ أكثر اختلافاً. ولكل منهم كنا نقدّم سلّم قياس من سبع نقاط، محدوداً من جانبيه بقطبين من التقييم، أو «نعتين (**ممتع - كريه**) كما في المثال التالي؛ والموقع المتوسط من سلّم القياس محدّد بوصفه «حيادياً» (أي إما الصفتين معاً وإما لا هذه ولا تلك)، والنقاط الثلاث المتباعدة عن الموقع الحيادي، في كل اتجاه، محدّدة بوصفها «قليلاً»، «بقدر كاف» ، «جداً». ويتيح هذا السلم للفرد أن يعزو قيمة إلى أي مفهوم نخضعه له. ومثال ذلك **إعصار قُمْعي**:

ممتع	+3	+2	+1	0	-1	-2	-3	كريه

وهكذا يصوغ الأفراد، عندما تنسب غالبيتهم إلى **الإعصار القمعي** قيمة -3، فكرتهم (عاطفتهم) أن «الإعصارات القُمعية كريهة جداً». وكل الصياغات في سلّم المميّز الدلالي فعل الكون ونعت مكمّم.

ويمكننا أن نؤكد أن لدى كل فردين يتكلّمان اللسان نفسه منظومتين دلاليتين متشابهتين من حيث أن الجمل التي يصوغونها، مستخدمين المفاهيم والسلالم، هي واحدة. وحصلنا دائماً، إذ عملنا على معطيات عديدة جداً، خاضعة للتحليل العاملي، على المنظومة الأساسية نفسها: محور شاقولي، أو محور العوامل **ت**، ذات العلاقة بـ **التقييم** (مثال ذلك طيّب- سيىء، حنون- قاس، نزيه- غير نزيه)؛ ومحور شاقولي، أو محور العوامل **س** ذات العلاقة بـ **الاستطاعة** (مثال ذلك قويّ- ضعيف، صلب- رخو، ثقيل- خفيف)؛ ومحور عمودي في الأصل على السطح

المتكوّن من هذين المحورين، أو محور العوامل **ف**، الخاص بـ **الفاعلية** (مثال ذلك فاعل- منفعل، سريع- بطيء، حادّ- بارد). ومن الممكن أن نمثّل معاً، في هذه المنظومة من الإحداثيات، لفظتي المفهوم والسلم ونمط تفاعلهما، وأن نستخلص، انطلاقاً من ذلك، «مجموعة من الرجع الانفعالي» كاملة. وليست هذه المجموعة اعتباطية؛ ويبدو أن أساسها موجود في الأسلوب الذي به تعزو الموجودات الإنسانية إلى الأشخاص والأشياء الذين يحيطون بها دلالات عاطفية أولية. وكان ثمة مع ذلك، عام 1960، حدّ جدّي لهذه النتيجة: كان بحثنا ذا «نزعة مركزية إتنية» كلياً على وجه التقريب، بمعنى أنه كان متمحوراً على موجودات إنسانية لها ثقافة مشتركة (الأمريكية) وتتكلّم لساناً مشتركاً (الانغليزي الأمريكي). فوسّعنا إذن بحثنا ليشمل مجتمعات أخرى مختلفة باللسان والثقافة؛ في فنلندة (أسرة من الألسنة الفنلندية- الأوغرية)، في لبنان (لسان سامي)، في إيران (لسان هندي أوروبي)، في هونغ كونغ (لسان صيني تيبيتي)، في اليابان (أسرة خاصة)، وهكذا دواليك، حتى أكثر من خمس وعشرين جماعة، موزّعة في كل مكان من العالم على وجه التقريب. فأوروبة وآسية ممثّلة تمثيلاً قوياً (باستثناء الصين والاتحاد السوفيتي) ولكن لا تمثيل لنصف الكرة الجنوبي على وجه التقريب. وطلبنا، في طور أول، إلى مئة طالب (عمرهم من 13 إلى 19 سنة) أن يجدو كل منهم مئة صفة مشتقة من مئة مصدر تضمّها. وصُنّفت الصفات التي حصلنا عليها وفق تواترها (عشرة آلاف صفة). وبالنظر إلى أن الخمسين صفة الأولى أُعيدت إلى الدراسة، فقد استُخلصت أضدادها، وهكذا وُضع سلّم ذو قطبين وسبع مستويات. وتكوّنت المرحلة الثانية من رائز من نوع آخر. طُلب إلى زمرة أخرى من الصبيان (من 13 إلى 19 سنة)، في كل جماعة، أن يصنّفوا الكلمات المئة نفسها بالنسبة إلى سلّم ذي قطبين. وذلك أوضح شمولية المنظومة **ت-س-ف**. فكيف يمكننا شرح ذلك؟ واحد من الأسباب يكمن في أن إنسان أيامنا هذه، شأنه شأن إنسان نياندرتال، يطرح على نفسه دائماً الأسئلة الأساسية نفسها، فالأول هو: **أهو جيّد أم سيء بالنسبة لي**؟ (أهي أنثى نياندرتالية جميلة أم نمر ذو أنياب طويلة؟)؛

والسؤال الثاني: **أهو قوي أو ضعيف بالنسبة لي**؟ (أهو نمر أم فأر)، والسؤال الثالث: **أهو شيء فاعل أم منفعل** (أهو نمر أم منطقة رمال متحركة يمكنني أن ألتفّ حولها منتبهاً؟). وارتبط بقاء النوع بالإجابات عن هذه الأسئلة. وثمة سبب آخر يكمن في أن تقنية المميّز الدلالي تجبر الفرد على أن يمنح كل البنود قيمة، وذلك أمر يقوده إلى إنتاج جمل كالتالية: «**الإعصارات القُمعية** كريهة جداً»، «**الهزيمة** مزعجة جداً»، **السلطة** قاسية جداً»، أي كل الجمل التي لا نصوغها في الحالة العادية. ولكن الناس مرغمون على أن يستخدموا السلالم استخداماً استعارياً عندما يواجهون مثل هذه البنود، **ويبدو أن الرجع الوجداني محور مشترك لكل الاستعارات**. وتدور السلالم، في السيرورة الاستعارية، في الفضاء الدلالي لتنظّم في سمتها الوجدانية السائدة الخاصة: **حلو- لاذع** نحو **ت**؛ **صلب- رخو** نحو س؛ **حار- بارد** نحو **ف**. وتبيّن نتائج التحليل العاملي أولية الأبعاد **تقويم- استطاعة- فاعلية** على حساب السمات الدلالية الأكثر إرهافاً والأكثر وصفية. وأنشأنا **أطلساً لضروب الرجع الانفعالية** بعد أن حسّنّا أداتنا للبحث الثقافي المتصالب. ويتألف الأطلس من ستمئة وعشرين مفهوماً، عيناتها مستمدّة من ثلاثين لساناً: إنه عدد قليل، ولكنها البداية لكشف الثقافة الذاتية التي تبدو لنا معرفتها ذات أهمية كبيرة بقدر ما يُناط بها التقدّم الاجتماعي. وتعلّمنا هذه السنين الأخيرة أن تبنّي الابتكارات التقنية (وسائل منع الحمل، الآلات الذاتية الحركة، إلخ) ذات علاقة، في المستوى الأول، باتجاهات الأشخاص المعنيين، وقيمهم، وأعرافهم. فمعرفة الثقافة الذاتية تندرج إذن في حركة التغيّر التي تفعل فعلها في عالمنا. (انظر في هذا المعجم: **المميّز الدلالي، مركز علم النفس الألسني المقارن**).

C.O. (ترجمة **C.MO.** إلى الفرنسية)

الثنائية اللغوية

F: Bilinguisme

En: Bilingualism

D: Bilingualismus, Zweis prachigkeit

كون المرء يتكلّم على حدّ سواء لغتين اكتسبهما في الطفولة معاً وبصورة طبيعية.

الثنائية اللغوية ظاهرة شائعة وتُلاحظ في مناطق، كالألزاس والبروتان، حيث يظلّ السكان، في بعض البلدان، كبلجيكة، وفي المستعمرات القديمة، متعلّقين بلغتهم الأصلية. ويفضّل بعض مؤلفي الألسنية الاجتماعية أن يتكلّموا على «ازدواجية اللغة» «diglossie»، محتفظين بمصطلح «ثنائية اللغة» للأفراد.

ويتعلّم الطفل دون صعوبة، خلال المرحلة السابقة على المدرسة، تلك اللغات التي يسمعها في محيطه. فعالم الأصوات الذي يغمره منذ ولادته عالم وجداني يحتفظ لاشعوره ببصمته. وهكذا اضطُرّت أسرة ألزاسية أن تهرب من الاحتلال الألماني خلال الحرب العالمية الثانية، وتخلّت، بفعل نرعتها الوطنية، عن لغتها الأم. ورأى أحد أعضائها نفسه، بعد عقود من السنين، يواجه اللغة الألمانية لأسباب مهنية. ووجد نفسه أنه، وهو في حالة من الدهشة، يتكلّم هذه اللغة بسهولة مثلما كان يتقن التكلّم بها عندما كان صغيراً. والواقع أنه لم يكن يمارس هذه اللغة أبداً، ولكنها كانت اللغة التي تتكلّم بها إليه أمه في طفولته الأولى. ويعتقد بعض المؤلفين، كالدكتور إدوار بيشون (سارسيل، فال دواز، 1890- باريس، 1840)، أن الثنائية اللغوية يمكنها أن تزرع الاضطراب في الوظائف المنسّقة

للغة من جرّاء أن الطفل خاضع لتأثير ثقافتين، لنمطين من التفكير مختلفين، لمنظومتين من العلاقات بين الكلمات، ولمفاهيم لا ينطبق أحدها على الآخر انطباقاً تاماً. ولكن مفعولات الثنائية اللغوية على نموّ اللغة لم تكن قد دُرست إلا قليلاً ولا تزال غير معروفة جيداً. وهناك بحث هام أجراه م. إ. سميث (1939) تناول ألف طفل من هاواي، من أصول عرقية متنوْعة، يتكلّمون اللغة الهجين للمحيط الهادي (لغة مزيج من الانغليزية والصينية) في أسرهم ويتكلمون الانغليزية في المدرسة، أظهر تخلّفاً كبيراً في اللغة لدى هؤلاء الأطفال بالقياس على تلاميذ آخرين ذوي لغة واحدة. ويصعب الحسم مع ذلك، لأننا نجهل انعكاس العامل الاجتماعي الاقتصادي على مثل هذه الموضوعات، موضوعات الدراسة؛ والواقع أن العدد الأكبر من الأطفال الثنائيي اللغة ينتمي إما إلى أسر ميسورة ومثقّفة، وإما إلى أوساط اجتماعية محرومة. ويتعقّد المشكل جرّاء أن الثنائية اللغوية يمكنها أن تكون طبيعية، بالنسبة للمولودين في بعض المناطق على سبيل المثال، كالألزاس، حيث اللهجة تظلّ حيّة وقوية، أو، على العكس، مصطنعة، كما هو الأمر لدى أطفال المهاجرين، الذين يروا أنفسهم مرغمين على ممارسة لغتين ليكون بمقدورهم التواصل مع أهلهم، في كنف المنزل، ومع الباقي من الذين يحيطون بهم خارج المنزل. وهذا الوضع مصدر توتّر سيكولوجي ولاسيّما أن اللسان الأم، كما يحدث غالباً، فاقد الحظوة من الناحية الاجتماعية، ويمكنه أن يكون له انعكاسات غير مؤاتية على النمو النفسي الوجداني للطفل. (انظر في هذا المعجم: **تقطيع الواقع**).

N.S.

ثورستون (لويس ليون) Thurstone (Louis Leon)

عالم نفس أمريكي (شيكاغو، 1887– شابل هيل، كارولينا الشمالية، 1955)

ثورستون معروف على وجه الخصوص بأعماله التي تنصبّ على القابليات وبنظريته في الذكاء المتعدّد العوامل، التي يعارض بها نظرية العاملين لسبيرمان. وفي رأي ثورستون أن العامل العام (G) المشترك بين المتغيرّات كلّها، يمكن أن تشرحه عدة عوامل جماعية، مشتركة بين مجموعات فرعية من المتغيرّات. ويحصي من جهة أخرى قابليات أولية أخرى: الذاكرة (ذ)، القابلية العددية (ع)، قابلية الإدراك والاستدلال (أ)، الاستبصار، والفهم اللفظي (ف)، والسيولة اللفظية (س)...

دشّن ثورستون حركة البحوث في قياس الاتجاهات، بمقاله عام 1928 المعنون «الاتجاهات يمكننا قياسها»، وتحقّق من أن قانون فخنر كان بوسعه أيضاً أن يشرح وقائع كتقييم جدوى شيء، تبعاً لتنامي كمية الثروات المملوكة. ونذكر، في عداد مؤلفاته: **قياس الاتجاه** (1929)، **القوى الموجّهة للعقل** (1935)، **المهارات العقلية الأوّلية** (1938)، **التحليل المتعدّد العوامل** (1947). (انظر في هذا المعجم: **الاتجاه**).

N.S.

ثورندايك (إدوار لي) Thorndike (Edwarol Lee)

عالم نفس أمريكي (ويليامسبورغ، ماساشوست، 1874 - مونتروز، نيويورك، 1949).

يتلقّى ثورونددايك، الطالب في جامعة هارفارد، تعليم وليم جيمس ويُعنى بذكاء الحيوان. ويدرس التعلّم لدى الفراريج أول الأمر وينال، عام (1899)، شهادة الدكتوراه بأطروحة عنوانها «الذكاء الحيواني، دراسة تجريبية لسيرورات الترابط لدى الحيوان»، أطروحة ستكون مصدر بحوث أمريكية عديدة في التعلّم. ويقتبس من العالم في علم النفس الحيواني، الانغليزي كونوي ليؤوئيد مورغان، مفهوم **المحاولات والأخطاء**. فالحيوان، عندما يجد نفسه في وضع جديد كلياً، يباشر التلمّسات إلى أن يقع بالمصادفة على الحلّ الصحيح؛ وهذا النموذج من السلوك يعارض التحليل المنهجي للوضع، الذي يبدو أنه خاصّة الذكاء الإنساني وحده.

وابتكر ثورونددايك تقنية التجريب المسمّاة **العلب الألغاز**، حيث يكون الحيوان مرغماً، ليحلّ مشكلاً، نيل غذائه على سبيل المثال، على أن يستخدم آلية، كرافعة دفع. وابتكر أيضاً تقنية المتاهة التي لايمكن أن يخرج منها الحيوان إلا إذا استبعد المسارات غير المجدية استبعاداً تدريجياً. وطوّر هذه التقنية تطويراً منهجياً و. س سمول الذي طبّقها على الفئران. فثورونددايك، إذن، رائد الحركة السلوكية التي لا تأخذ بالحسبان في علم النفس إلا مظاهر السلوك الخارجي التي يمكننا أن نلاحظها، وتمثّل أفكاره في «التعزيز» تمثيلاً مسبقاً أفكار ب. ف. سكينر. وقادته

ملاحظاته التي انصبّت على التعلّم إلى أن يعلن، في عداد ما أعلن عنه من قوانين، **قانون المفعول** الذي يستأنف «قانون التمرين» لهيرمان إيبانغهاوس (1850-1909).
وبيّن ثوروندايك أن التمرين، القائم على التكرار، لايكفي لتكوين تعلّم. فالتعلم يحتاج إلى اصطفاء موجّه يستبعد السلوكات غير المجدية أو الضارّة. وذلك هو ما يؤكده **قانون المفعول** الذي يمكننا أن نعلن نصّه كما يلي: ينبغي للسلوك، حتى يتعزّز الارتباط بين وضع وسلوك، أي حتى يكون للسلوك المعنيّ حظوظ أكبر في أن يتكرّر في الوضع نفسه أو في وضع مشابه، أن يقود الفرد إلى حالة أكثر اتّصافاً بأنها مرْضية. (انظر في هذا المعجم: **التعزيز**).

B.B.

ثيربليغ: الأعمال الأولية في العمل اليدوي Therblig

مصطلح ألّفه فرانك بونكار جيلبرث انطلاقاً من اسمه ويدلّ على الأعمال الأولية التي نجدها في تنفيذ كل عمل يدوي.

يقابل كل عمل من الأعمال الأولية في العمل اليدوي رمزاً ولوناً يتيحان تدويناً سريعاً. وعدد الأعمال الأولية سبعة عشرة.

وكل عمل أولي يُخصّص له «زمن أولي» مقرّر بتوقيت مسبق. ومن الممكن على هذا النحو أن نتنبّأ بالزمن الضروري لتنفيذ عمل. (انظر في هذا المعجم: **تحليل العمل، جيلبِرث**).

N.S.

حــرف
الجيــم

الجاذبية بين الشخصية

F: Attirance interpersonnelle

En: Interpersonal attraction

D: Zwischenmenschliche anziehungskraft

قوة تجذب الغير إليك أو تدفعك نحو الغير؛ حركة وجدانية عفوية نحو شخص؛ اتجاه أو عاطفة إيجابية لدى شخص إزاء شخص آخر.

العوامل الأساسية للجاذبية بين الشخصية، في رأي برشيد وولستر (1969)، هي: القرب، الإغراء الجسمي، التشابه، الرضى. والواقع أن العوامل الثلاثة الأولى لا تتدخّل إلا بمقدار ما تتعاون في تحقيق النتيجة نفسها، أي الإشباع الوجداني.

والتشابه هو العامل الأفضل دراسة من عوامل الجاذبية. وفي رأي بون بيرن (1971) ومعاونيه أن هذه الجاذبية وظيفة خطّية لتماثل الاتجاهات. ووُجد مع ذلك أن تماثل السمات الشخصية، والأوضاع الاقتصادية، إلخ، كانت أيضاً ذا علاقة إيجابية بالجاذبية بين الشخصية. والفروق الشخصية يمكنها، وفق نظرية الحاجات المتكاملة (وينخ، تسان وتسان، 1984)، أن تسهم، في بعض الحالات، في الإشباع المتبادل لدى ضروب الثنائي، والأزواج أو الأصدقاء. فشخص سلطوي سيفضّل شريكاً خاضعاً؛ وشخصية «سادية» شريكاً «مازوخياً»؛ وشخص شره شريكاً كريماً، والعكس بالعكس. ولكن هذه النظرية، المقنعة من الناحية الحدسية، لا تؤكّدها المعطيات الاختبارية، على عكس نظرية التماثل التي درسها د. بيرن

دراسة جيّدة. والجاذبية بين الشخصية ناجمة في الجزء الأكبر منها، في رأي بيرن، عن مفعول التعزيز الإيجابي للتشابه؛ فمعرفتنا أن لدى الآخرين اتجاهات شبيهة باتجاهاتنا أمر يقرّبنا منهم. أما القرب، فإن دوره يكمن في أنه يهيىء فرصاً لتعزيزات إيجابية أخرى، وبوسعنا أيضاً أن نعتبر الإغراء الجسمي عاملاً معزّزاً. ويمكننا على هذا النحو أن نقول إن الجاذبية بالنسبة لشخص تابعة للإشباعات التي يؤمّنها هذا الشخص لنا بالفعل، أو الإشباعات المتوقّعة من علاقة بشخص. وفي هذا السياق، يكون اكتشاف ألبير لوت ومعاونيه ذا دلالة: فكون الشخص يكابد تعزيزاً إيجابياً مستمراً إزاء شخص آخر، شرط كاف ليجعله يحب هذا الشخص. فيبدو إذن معقولاً أن نستنتج أن القرب المضاف إلى تعزيز شرط أساسي للجاذبية بين الشخصية. (انظر في هذا المعجم: **الصداقة، التماثل**).

S.KA. (ترجمة **D.J.V.** إلى الفرنسية)

جاك (إيليوت) Jaques (Elliott)

عالم نفس أمريكي (تورونتو، كندة، 1917)

جاك، مجاز في العلوم من جامعة تورونتو (أونتاريو)، دكتور في الطب من **مدرسة جون هوكنز الطبية** ودكتور في الفلسفة من جامعة هارفارد في الولايات المتحدة الأمريكية (1950)، وهو محلّل نفسي أيضاً، وأستاذ علم الاجتماع في جامعة برونيل ومدير معهد التنظيم والدراسات الاجتماعية (إوكسبريدج، ميدليسيك، انغلترة). بذل جاك جهداً لتطبيق بعض المبادىء من التحليل النفسي على عالم العمل، وعلى إدارة المشروعات، وتكوين جهاز الموظفين، وتجمّعات العمال، انطلاقاً من تجربته المكتسبة، منذ عام (1948)، في **شركة صهر الزجاج**. وإذ يقود جاك تحليلاً اجتماعياً لهذا المشروع، الذي يستمدّ قوته من ألف وثمانمئة شخص، ألف وثلاثمئة منهم في معمل لندن، فإنه لا ينشد تكييف الفرد، كما كانت الحال، على سبيل المثال، في **شركة الكهرباء الغربية** في ورشات هاوثورن، قرب شيكاغو، منذ عام (1927)، بل ينشد تحسين المشروع، منظور إليه في مجموعه. إنه يرفض إذن كل علاقة شخصية أو علاجية نفسية مع الأفراد، ويؤكّد السمة العامة لاستشاراته، ويناضل ليحافظ على استقلاله وحياده. ويثير عمله، الحسّاس إلى الحد الأقصى، عدداً من الاعتراضات، عملية بقدر ما هي نظرية. مثال ذلك الأمل في الحصول على قبول جهاز المستخدمين المعنيين كلهم، الذين لن يفهم العمل الذي بوشر به جزء منهم على الأقلّ. وثمة، من جهة أخرى، مقتضيات تقنية، في كل مشروع له بعض الأهمية، وشبكة من التواصل تحافظان

على شيء من الدينـاميك وتـخلـقـان تـفـاعـلات مـسـتـقـلّة عـن الـتـدخّل السيكوسوسيولوجي، تفاعلات لا نرى كيف يمكننا أن نؤثّر فيها. ولْنذكر من مؤلفات المؤلف ما يلي: **قياس المسؤولية** (1950)؛ **التبادل الثقافي في مشروع** (1951، لندن، معهد تافيستوك للعلاقات الإنسانية، ترجمه إلى الفرنسية ك. لانغان بعنوان: **التدخّل والتغيّر في المشروع**، باريس، دونو، 1972)؛ **الأجر العادل** (1961)؛ **كتيّب قياس الزمن** (1964)؛ **كتيّب التقدّم** (1968)؛ **الإبداعية في العمل والعدالة الاجتماعية** (1970). (انظر في هذا المعجم: **استقصاءات هاوثورن، العلاقات الإنسانية**).

N.S.

جاكوبسون (رومان) Jakobson (Roman)

ألسنيّ أمريكي من أصل روسي (موسكو، 1896- بوسطون، الولايات المتحدة الأمريكية، 1982).

أنجز جاكوبسون دراساته في موسكو حيث كان على اتصال، منذ عام 1914، بالحركة الشكلانية الروسية. ويهجر عام 1920 روسية ليعلّم في جامعة برنو في تشيكوسلوفاكيا. إنه، منذ عام 1928، أحد النشطين الأكثر فاعلية في النادي الألسني لبراغ، وهو، مع نيكولاي سيرجيئيفتش تروبتزكوي (موسكو، 1990- فيينة، 1938)، من واضعي قواعد علم وظائف الأصوات. ويدافع جاكوبسون، في براغ، عن أطروحته، أطروحة دكتوراه دولة، عام 1930. وعندما غزت جيوش هتلر تشيكوسلوفاكية عام 1939، لجأ جاكوبسون، هارباً من الاضطهادات العرقية، إلى البلدان الإسكندينافية، حيث يعلّم، على التوالي، في كوبنهاغن، وأوسلو، وإبسالا، إلى أن أرغمه غزو هذه البلدان، عام 1941، على أن يبلغ الولايات المتحدة الأمريكية. ويعلّم في المدرسة الحّرة للدراسات العليا بنيويورك من عام (1943) إلى (1946). إنه عندئذ رائد الندوة الألسنية في نيويورك، التى ظهر العدد الأول من مجلّتها **العالم** عام 1945. ويُسمّى استاذاً في جامعة كولومبية بنيويورك عام 1946، وفي جامعة هارفارد 1949. ويعلّم معاً، منذ عام 1957، في جامعة هارفارد و**معهد التكنولوجيا في ماساشوست**. وتأليف جاكوبسون كبير في اتّساعه ونزعته الانتقائية معاً. فهو غير معنيّ بالألسنية فحسب، بل بالأدب والشعر. وثمة جزء هامّ من شهرته العالمية يأتيه من إسهامه في إبداع علم وظائف الأصوات

البراغي. وهو في الواقع، من الناحية العملية، محرّر البحوث التي عرضها نادي براغ الألسني في مؤتمر لاهاي الألسني، عام 1928، وإلى دوره الذي لابديل له، دور المنشّط، إنما يدين وظائف الأصوات بتقدّمه النظري الفريد، السريع والمذهل، في الثلاثينات. ووجب انتظار عدة سنين قبل أن يعدّل تروبتزكوي تلك الاتجاهات التي كان جاكوبسون، منذ البداية، قد نقلها إلى علم وظائف الأصوات. ويضع جاكوبسون في الولايات المتحدة الأمريكية، بالتعاون مع جـ. م فانت وموريّس هال (مولود عام 1923) علماً آخر لوظائف الأصوات انطلاقاً من التحليل السمعي وتقليص مجموع التقابلات الفونولوجية إلى اثني عشر تقابلاً ثنائياً من السمات منحها وضعاً كلياً. ويبدو، في كثير من النواحي، رائداً ألهمت مخططاته الإجمالية النظرية البارعة وفتنت باحثين من فروع معرفية عديدة. فمن كتابه **علم وظائف الأصوات** التاريخي (1931) إلى أعماله الأسلوبية، التي منها «**الهررة**» **لشارل بودلير** (1962)، مروراً بدراساته في لغة الطفل، برهن جاكوبسون على أصالة فريدة، أصالة الرائد لاتجاهات بان البحث فيها، منذ زمنه، خصباً إلى حدّ أقصى. ولكن أعماله ظلّت في الأغلب على مستوى المخطّطات الإجمالية، على مستوى البناء الساحر ولكنه المفرط في الإجمالية وموضع خلاف على الغالب. (انظر في هذا المعجم: **الألسنية**، **علم وظائف الأصوات**).

R.V.

الجانبية

F: Latéralité

En: Laterality

D: Latéralität

غلبة حسّية وحركية لجهة من الجسم الإنساني على أخرى.

تظهر الجانبية لدى شخص من الأشخاص باستخدام تفضيلي وعفوي لأطراف وأعضاء حسية من نصف من نصفي الجسم. وهذا الواقع يقابل التنظيم العصبي للجسم وتوزّع الوظائف في نصفي الكرة الدماغية. ومن المعلوم أن هذين النصفين ليس لهما الدور نفسه، على الرغم من كونهما متطابقين من الناحية التشريحية، وأن أحد النصفين يمارس تأثيراً غالباً؛ ونصف الكرة الأيسر هو الراجح على وجه العموم، وذلك أمر يفضي، بسبب تصالب الألياف العصبية، إلى مهارة كبرى في الجهة اليمنى من الجسم. والسيادة الدماغية لا تقتصر على المهارة اليدوية والقوة المحرّكة بل تمتدّ إلى وظائف أخرى، كالرؤية، والسمع، والتوجّه المكاني. ذلك أننا نبني المكان انطلاقاً من جسمنا، من جانبي مستوى متوسط متخيّل يقسمه إلى جهتين: اليمين واليسار. ونعاين، دون إمكان الشرح، أن الناس كانوا ولا يزالون في غالبيتهم العظمى، كل زمان وفي كل البلدان، أيامن. وتبلغ نسبتهم، في دراسة أنجزها م. أنّيت (1967)، انصبّت على أوساط مختلفة، 70 بالمئة مقابل 4 بالمئة أعاسر و26 بالمئة «غير متعيّنين» أو جانبيتهم ليست واضحة». والمقصود في هذه الحالة الأخيرة أشخاص ليس لديهم تنظيم للمكان مستقرّ، ولأجزاء جسمهم وللأشياء، بعضها بالنسبة لبعضها الآخر؛ أو المقصود أيضاً أفراد جانبيتهم متصالبة،

أعني أنها تختلف من اليد إلى العين أو إلى الرجل، وذلك مصدر عسر وصعوبات (بالنسبة للطالب، على سبيل المثال، الذي يكتب باليمنى ويراقب كتابته بعينه اليسرى. ويبدو ضرب من إعادة التربية النفسية الحركية، بالنسبة لهؤلاء الأفراد، ضرورياً بهدف إضفاء الانسجام على الأفضليات، ولكن اختيار الجهة اليمنى أو اليسرى لا ينبغي أن يحدث إلا بعد تحديد الغلبة).

ولدراسة **الجانبية اليدوية**، تُستخدم اختبارات كرسم رجل، وكتابة نصّ، وقذف طابة، والتقاط شيء، وقصّ شكل بالمقص، واستعمال فرشاة الأسنان، وتمشيط الشعر، وقطع خيط بالسكين، وحكّ عود ثقاب، وإدخال خيط في سمّ إبرة، إلخ. واستخدم جون كوهين وجون سلاك (1976) جهازا سمّياه «مؤشّر الجانبية في اليدين»، يتضمّن قرصين ينبغي للفرد أن يجعلهما يدوران، أحدهما باليد اليمنى والآخر باليسرى، معاً أو على التوالي، في اتجاه عقربي الساعة تارة، وفي الاتجاه العكسي تارة أخرى. وثمة عدّاد يسجّل عدد الدورات في وحدة من الزمن (30 ثانية). ويمكننا حساب حاصل الجانبية في اليدين بسهولة بواسطة الصيغة التالية:

$$\text{ح. ج. ي} = \frac{\text{د} - \text{هـ}}{\text{د} + \text{هـ}} \times 100$$

حيث د يساوي عدد الدورات باليد اليمنى في ثلاثين ثانية، هـ عدد الدورات باليد اليسرى في ثلاثين ثانية (الزمن نفسه). ويمتاز هذا القياس بالنسبة للتقييمات التقليدية أنه أكثر دقّة وأكثر حساسية.

ونطلب إلى الفرد، لنحدّد **جانبية القدم**، أن يقف على ساق واحدة أو أن يقذف بالوناً بقدمه، على سبيل المثال؛ ونجعله ينظر إلى شيء بعيد من خلال منظار صغير، أو يصوّب نظر كل من عينيه نحو هدف، لنعرف **جانبية العين**.

وظاهرة الجانبية- وهي خاصية الإنسان وليست موجودة لدى الثدييات الأخرى- ماتزال غير مشروحة بكفاية. ويستنبط بعض علماء الأعصاب الفيزيولوجيين، الذين لاحظوا أن القناة السباتية اليسرى أوسع من اليمنى لدى

الأيامن، أن التروية الدموية أكثر غزارة في نصف الكرة الأيسر؛ ولكن بعض الأطباء النفسيين، كأبرام بلو من جامعة نيويورك، يرون أن استخدام اليد اليسرى هو التعبير عن نزاع بين الطفل وأمه مبكّر، وعلامة معارضته، ورفضه أن يخضع للسواء الذي تمثّله. وثمة عاملان يبدوان مع ذلك أنهما يؤدّيان الأدوا ر الأكثر أهمية: الأول، **وراثي**، يبدو أن دراسة أسر الأعاسر تبرهن عليه، والثاني، **اجتماعي**، يرتبط بإعلاء شأن اليد اليمنى، في عالم حيث يشكّل الأيامن غالبية عظمى. ومهما يكن من أمر، تبدو الجانبية أنها ذات علاقة بالمراكز العصبية التي تكون مرونتها بارزة، ذلك أننا نلاحظ، بعد تخريب منطقة دماغية، وقائع ترميم وظيفي (ولاسيّما إذا كانت الآفة تحدث في الطفولة الأولى). وتظلّ سيادة نصف من نصفي الكرة الدماغية، في رأي هيكان (1959)، في حالة الكمون خلال سنين ويكون عرضة للانتقال. (انظر في هذا المعجم: **العسراوية**).

N.S.

جانه (بيير) Janet (Pierre)

فيلسوف، عالم نفس وطبيب فرنسي (باريس، 1859– باريس، 1947).

أسهم جانه في إعداد سيكولوجيا علمية، إذ هجر الاستبطان بهدف أن يدرس الفاعلية والتصرّفات دراسة عياديّة. فعلم النفس، في رأيه، هو أول الأمر دراسة الإنسان في علاقاته بالعالم الخارجي ولاسيّما بالذين يماثلونه. وينظر إلى الوقائع السيكولوجية أنها أعمال، والشخص وحدة وظيفية تُبنى تدريجياً، مجموعة دينامية من الفاعليات المتراتبة «التي يشرط بعضها بعضاً، من الأكثر عضوية أو آلية إلى الأكثر تفكيراً أو الأكثر اتّصافاً بالشعور والعكس بالعكس» (هـ. والّون، 1960). وإذا كانت الأعمال الأولية هي ارتكاسات المتعضّي على تنبيهات آتية من العالم الخارجي، فإن العواطف والشعور نفسه هما ارتكاسات الفرد على أفعاله الخاصة. وعلى الرغم من أن الفاعلية الإنسانية تحتوي دائماً جزءاً من غير المتوقّع، من الجدّة، ناجماً عن إبداعية الموجود الحّي، يظهر التصرّف معيّناً ومحدداً، مرتبطاً في وقت واحد بالماضي والتنظيم السيكوفيزيولوجي، وبالميول المكتسبة أيضاً. ويمكننا على هذا النحو أن نميّز: **الميول الأولية**، كالهياج المنتشر، والأفعال المنعكسة، أو اللغة المنفصلة عن العمل (لغو بعض المرضى العقليين على سبيل المثال)؛ **الميول المتوسطة**، كالاعتقاد «الجازم» (يعتقد المرء بما يرغب أو ما يخشى)؛ **الميول العليا**، كالمعتقدات الفردية الخاضعة لاختبار العقل المنطقي والوقائع التجريبية، والبحث عن التقدّم، والإبداع الحرّ الأصيل. وكل هذه الميول كامنة وتستيقظ تحت تأثير التنبيه. إنها تجنّد موارد الشخص، وتثير رغبته وجهده. ويعتبر

جانه أن الفرد يملك، في لحظة التنبيه، ضرباً من **القوة السيكولوجية** تتوزّع توزيعاً غير متساوٍ على الميول المختلفة: الميول الأكثر اتصافاً بأنها دنيا، تلك التي ترتبط بوظائف الجسم الكبيرة (التغذية، الجنسية، إلخ)، مشحونة بقوة؛ أما الميول العليا، فمشحونة قليلاً جداً. أضف إلى ذلك أن هذه القوة السيكولوجية توجد مركّزة في بعض الميول، التي تتغيّر بحسب الشخصية؛ وينجم عن ذلك أن بعض الأفعال المتكرّرة قليلة الكلفة، في حين أن أفعالاً أخرى، وبخاصة إذا كانت ذات علاقة بالميول العليا، تقتضي صرفاً كبيراً من الطاقة. ونجوع عمل غير ذي علاقة فحسب بالكمون الطاقي الموجود لدينا (القوة السيكولوجية)، ولكنه ذو علاقة أيضاً بالأسلوب الذي به نستخدمه. فالاستخدام النوعي لهذه الطاقة الجاهزة يقابل ما يسمّيه جانه **التوتّر السيكولوجي**: «توتّر العمل ضرب من التغيير الذي يركّز القوة، إنه يتيح نجوعاً أكبر مع قوة أدنى» (جانه، 1938). والقوة والتوتّر يمكنهما أن يتّحدا على أنحاء كثيرة. فعندما تنقص القوة، يتماسك التوتر بصعوبة، ولا تتجاوز الميول العليا مرحلة الرغبة وأحلام اليقظة؛ وعندما تكون القوة سليمة وينخفض التوتر، يظهر الهياج. والتعب، والانفعالات، والالتهابات، والتسمّمات إلخ يمكنها أن تغيّر القوة والتوتر السيكولوجيين. وتنفذ هذه النظرية إلى ضرب من علم النفس المرضي ونظام من العلاج النفسي خاصين. وجانه يستخدم الإيحاء والنوم المغناطيسي لتنمية بعض الميول المتكوّنة مسبقاً (بيدغوجيا أخلاقية)، وللبحث عن بعض الذكريات المرضية وتعديلها. ومثال ذلك أن مريضة من مرضاه، ماري، ذات العشرين ربيعاً، التي كانت مصابة بالعمى الهستيري ورعشات حين يأتيها الطمث، شفُيت بعد أن كان المصدر السيكولوجي لاضطراباتها قد اكتُشف: إنها كانت تبذل جهداً، في الثالثة عشرة من عمرها، لتلغي طمثها الذي كانت تخجل منه، إذ ترشّ جسمها بالماء المثلّج الذي يجعلها ترتعش؛ وكان عليها، في السادسة من عمرها، أن تتقاسم السرير نفسه مع صبي صغير مصاب بمرض جلدي في وجهه لم تكن تريد أن تراه. ويستخدم العلاج النفسي أيضاً، عند جانه، التوجيه الأخلاقي، والحضّ على الراحة أو العمل، والتشجيع.

وكان التحليل النفسي قد حجب تأليف جانه الذي عارضه زمناً طويلاً. ولنذكر من مؤلفاته العديدة: **الأعصبة والأفكار الثابتة** (1898، باريس، ألكان، مجلدان، المجلّد الثاني، بالتعاون مع ف. ريمون)، الأعصبة (1909، باريس، فلاماديون)، **المداواة السيكولوجية** (1919، ألكان، 3 مجلّدات)، **من الحصر إلى الوجد. دراسات في الاعتقادات والعواطف** (1، **هذيان ديني. الاعتقاد**، 1926؛ 2، **العواطف الأساسية**، 1928، ألكان)، **القوة والضعف السيكولوجيان** (1932، باريس، مالوان)، **بداية الذكاء** (1945، فلاماريون)، **الذكاء قبل اللغة** (1936، فلاماريون). انظر في هذا المعجم: **التنويم المغناطيسي**، **الوهن العصبي النفسي**).

M.C.

الجبلّة الخاصة، خاصّية المزاج

F: Idiosyncrasie

En: Idiosyncrasy

D: Idiosynkrasie

جبلّة خاصة تجعل الإنسان ذا استعداد مسبق للارتكاس بصورة نوعية على أوضاع شتّى أو تأثيرات الوسط الخارجي.

إن جبلّتنا الخاصة هي التي توجّه، من الناحية السيكولوجية، اهتماماتنا أو تجعلنا حسّاسين لبعض العناصر أكثر من عناصر أخرى. وثمة أيضاً، على المستوى الجسمي، أشخاص يتّصفون بضرب من الحساسية الكبيرة على نحو خاص، الجبلّية أو المكتسبة، تجاه بعض المنتجات (أغذية، عقاقير، إشعاعات. . .) تذكّرنا بفرط الحساسية في بعض الأحيان.

N.S.

الجبلّة العامة

F: Constitution

En: Constitution

D: Konstitution

مجموعة من الاستعدادات الجبلّية، السيكولوجية والمورفولوجية والفيزيولوجية التي تسم السواد الأعظم من الأفراد طوال حياتهم.

العضوية وحدة نفسية جسمية تتداخل فيها كل مكوّناتها، وهذه المكوّنات ذات علاقة متبادلة دائمة. ويمنح المظهر المورفولوجي والبنيوي للجسم، الذي تصوغه الوراثة بصورة أساسية، عناصر الحياة النفسية والسلوكات نغمية خاصة. مثال ذلك أن جول ماسّرمان لاحظ، خلال بحوثه في الأعصبة التجريبية، أن العصاب المحرّض كان تابعاً للاستعدادات الجبلّية لدى الحيوان أكثر من تبعيته لطبيعة النزاع الذي كان يمكنه أن يظلّ مستمراً. وعلى هذا النحو إنما ظهرت على قرود من ثلاثة أنواع مختلفة، «وُضعت في أوضاع توتّر مماثلة»، استجابات مختلفة. إن «القرود التي تسمّى **أتيل** كانت تعود إلى تبعية طفلية أو إلى جمود تخشّبي، وكانت قرود **ثوبوس** تُظهر اضطرابات «نفسية جسمية» شتى ومنها الشلل الوظيفي، في حين أن قرود **فرْفه** كانت قد أصبحت عدوانية، وتبنّت بعناد عادات جنسية غير سوية، أو كانت تفضّل إشباعات هلوسية كمضغ وابتلاع أغذية محض متخيّلة وتحرم نفسها من أغذية فعلية إلى حدّ الاستسلام للموت جوعاً» (ج. ماسّرمان، 1970، ص. 207). ونلاحظ في النوع الإنساني تنوّعات فردية كبيرة لدى المولودين حديثاً، وفق حظرتيهم العضلية، وحرارتهم الجلدية، وإيقاعهم القلبي،

وحساسيتهم للضجة، واستجابات الجملة العصبية الإنباتية، وأساليب الارتكاسات على فقدان اللذة، إلخ. وكل هذه السمات تظهر على نحو أكثر بروزاً فيما بعد، ومن الممكن تصنيف الأفراد في فئات: «الضعفاء» و«الأقوياء»، «الضخام» و«الهزيلين»، «المرحين» و« الحالمين»، «ذوي المزاج الدوري» الذين يترجّحون بين المرح والحزن، «النزّاعين إلى السلوك الفصامي» الذين يبحثون عن العزلة، إلخ. فمن النظرية الجبلّية لإرنست دوبره (1862-1921) إلى نظرية ليوبولد زوندي (المولود عام 1893)، عديدة هي النظريات التي تحاول أن تدرك قدر الإنسان من خلال جبلّته، ولكن بوسعنا أن نوجّه إليها جميعها اللوم نفسه: إيلاء الوراثة نصيباً مغالياً وإهمال العوامل الأخرى، عوامل الشخصية، ولاسيّما تلك التي ترتبط بتاريخ الفرد، والتنشئة الاجتماعية، والثقافة. (انظر في هذا المعجم: **النمذجة الحيوية**، **علم الطباع**، **الثقافة**، **الصرع**، **الوسط**، **الشخصية**).

N.S.

F: Lobotomie, Leucotomie
En: Lobotomy, Leukotomy
D: Labotomie, Leukotomie

الجراحة الفصّية،
بضع الفصّ الجبهي

تدخّل جراحي يثير التوقّف الجزئي أو الكلي لبعض الدارات العصبونية داخل الدماغ.

تكمن هذه العملية في تدمير أو قطع الألياف العصبية التي تربط فصاً دماغياً بباقي الجملة العصبية. وهذه الألياف تكوّن المادة البيضاء في الدماغ، وهذا النموذج من التدخل ينصبّ عموماً على الفصّ الجبهي، ونقول على نحو لا اختلاف فيه «الجراحة الفصية الجبهية» أو «بضع الفصّ الجبهي». ومورست الجراحة الفصية الجبهية للمرة الأولى عام 1935 بمبادرة من عالم الأعصاب البرتغالي إيغاس مونيز (1874-1955). وتكمن التقنية ببداية الأمر في ممارسة حقنٍ، خلال أربع مرات أو خمس، بالكحول الصافي واللامائي أو **المطلق**، في «المراكز البيضاوية» (مادة بيضاء في الفصوص الجبهية) للكرتين الدماغيتين، إذ يثير الحقن على هذا النحو تدمير الألياف العصبية. ثم استخدم مونيز «بضعاً مركزياً للفصّ الجبهي»، ضرباً من الحلقة الحادّة مخصّصة لبضع كرة أو كرتين، قطر الواحدة سنتيمتراً، أمام البطينين الجانبيين. واقترح الأمريكيان ولترجاكسون فريمان (المولود عام 1895) ثم جـ. و. واطز، فيما بعد ببضع سنين، تقنية جراحية مبسّطة مخصّصة لبضع ألياف الأتّصال بين الفص الجبهي وتحت المهاد: وهي تقنية تكمن في استخدام مبزلة غير حادّة، ندخلها في الدماغ بثقب دقيق جانبي من مثقب، نحرّكها حركة دوران ترسم قوس

دائرة. وتساهم سرعة العملية وبساطتها مساهمة واسعة في انتشارها، ولكنها ساهمت أيضاً في الإفراط في الجراحة النفسية.

ولكن الخطر الذي لا يُستهان به، خطر النزيف، حضّ ليبدلي وبوبن على نمط من التدخّل المجاور، ولكنه يفترض فتحة عظيمة أوسع تتيح المجال لرقابة أفضل؛ أضف إلى ذلك أن فصل الألياف لم يكن يحدث أبداً بالبضع بل بالامتصاص. وبدا على وجه السرعة الكبيرة مع ذلك أن هذه التدخّلات كلها، المشوّهة بخطورة، كانت تترك عقابيل كبيرة، وفُضّل عليها اللجوء إلى «جراحة فصيّة جزئية» كـ **بضع الفص الجبهي المنخفض**، الذي لا يمسّ إلا النصف السفلي من الفصّ الجبهي؛ بضع الفص الجبهي المرتفع، الذي ينطبق على النصف الأعلى؛ **البضع عبر الحجاجي**، الذي لا يعتبره بعضهم عملية جراحية: الواقع أنه يكمن في أن نُدخل (تحت التخدير أو في مرحلة غيبوبة تلي صدمة كهربائية) مبزلة عبر سطح الحجاج (إذ نتجنّب الجزء الأعلى من الكرة العينية) ونبضع الألياف المنخفضة بالتالي من الفصّ الجبهي بحركة مروحية؛ ولكن أهمية خطر النزيف جعلت هذه الطريقة مهجورة بسرعة. (انظر في هذا المعجم: **الجراحة النفسية**، **استئصال منطقة من القشرة الدماغية**).

J.MA.

الجراحة النفسية

F: Psychochirurgie

En: Psychosurgery

D: Psychochirurgie

مجموعة من التقنيات الجراحية التي تتدخّل في الدماغ، بغية معالجة بعض من الأمراض العقلية التي ليس لها أساس عضوي يمكن أن يُكتشف.

الجراحة النفسية فرع من **الجراحة العصبية** التي تعالج أيضاً، وعلى وجه الخصوص، أمراض الجملة العصبية ذات الآفات (أورام، تشوّهات، إلخ)، أمراضاً ترافقها أو لا ترافقها اضطرابات نفسية كالخلط العقلي الناجم عن فرط التوتر داخل الجمجمة يسبّبه ورم دماغي.

وكان الطبيب النفسي السويسري بوركاردت أول من أنجز، عام 1891، اقتطاعات محدودة في القشرة الدماغية ليعالج بعض حالات الإثارة. ومارس جرّاح الأعصاب الروسي عام 1906و 1910، ليودفيغ مارتينوفيتش بوسّب (1875-1942) قطع ألياف عصبية داخل الدماغ لدى المصابين بالصرع والهوس. ولم يكن لهذه المحاولات نتائج مباشرة ولم تكن الجراحة النفسية قد تأسّست بصورة واقعية إلا عام (1935) بفعل الطبيب البرتغالي إيغاس مونيز (أفانكا، إستاريجا، 1874- ليشبونة، 1955). وكان هذا الطبيب قد انطلق من فَرَض، مهجور في أيامنا هذه، مفاده أن الفصّ الجبهي ينشر في باقي الدماغ سيّالات مرضية، ناجمة عن ثبات الارتباطات الخلوية في مستواه، ثبات غير سوي. فسعى إذن إلى عزل

الفصوص الجبهية، إذ قطع الألياف الصادرة عن خلاياها بتخريب المادة البيضاء في «المركز البيضاوي الشكل»، الواقع أمام البطينين الجانبيين. وأنجز هذه العملية، المسمّاة «استئصال الفص» الجبهي الأمامي، الجراح ألميدا ليما؛ بحسب إرشادات إ. مونيز، الذي نشر نتائج هذه العملية في باريس عام 1936 ونال جائزة نوبل للفيزيولوجيا والطب عام 1949.

وانتشرت ممارسة **جراحة الفص** في العالم، على الرغم من التحفّظات والمعارضات من النسق العلمي، والنسق الأخلاقي على وجه الخصوص، التي أثارها مظهرها المشوّه وسمتها النهائية. وشهد الناس، حتى عام 1950 تقريباً، ضرباً من الافتتان الذي يولّد المغالاة في مؤشرات هذا التدخّل الجراحي وفي تقنيته على حدّ سواء. وكانت الجراحة الفصّية موصوفة لمعالجة أي مرض عقلي، كما لو أنها كانت الترياق. ولكن تراكم الإخفاقات وتعقيدات التدخّل الجراحي وكذلك ظهور تقنيات علاجية جديدة (ولاسيّما العلاج الكيميائي) أفضت إلى خيبة أمل الأوساط الطبية وعدائها. فمنذ عام 1950، مُنعت الجراحة النفسية في الاتحاد السوفييتي، ذلك أن الحكم عليها حكم بعدم نجوعها وبأنها منافية للعلم.

واستُكملت في بلدان أخرى تقنيات جديدة قادت، متحالفة مع أفضل معرفة بمؤشرات العمليات الجراحية، إلى وضع أكثر تبايناً. فقد حدث الانتقال تدريجياً من اقتطاعات كبيرة من المادة البيضاء (جراحة فصية جبهية) واستئصالات واسعة مورست في الفصوص الجبهية (**استئصال الفص الجبهي**) إلى قطع جزئي للألياف العصبية الفصّية (جبهي علوي، سفلي أو عبر الحجاج) وإلى استئصالات في القشرة الدماغية محدّدة الموضع (**استئصال منطقة من القشرة الدماغية**) وإلى اقتطاعات من تحت القشرة الدماغية انتقائية، إذ تُقطع الألياف الصادرة من بعض مناطق القشرة الدماغية حتى حدود هذه القشرة. (تقنية مسمّاة undercutting لسكوفيل). وحاول بعض علماء الأعصاب أن يجعلوا العمل التخريبي للمواد المحتوية اليود التي يتمّ إدخالها في الفص الجبهي، أو الحقن بالأدوية، يحلّ محلّ

البتر الجراحي، ولكن هذه المحاولات لم تكن مثمرة. واستُكملت على نحو أحدث زمنياً، تقنيات الانحياز المجسّم التي تكمن في التدخّل، بواسطة أجهزة دقيقة، في منطقة من الدماغ محدّدة كل التحديد وعميقة على الغالب، بعد كشف دقيق بالأشعة. فمن الممكن عندئذ إجراء كشف بالتخطيط الدماغي وتحقيق تخريب محدود، في حالة الضرورة، في المادة العصبية، بواسطة التخثير الكهربائي أو بزرع ذرّات ذات نشاط إشعاعي إشعاعها قصير.

وكان بعضهم قد استند إلى عدة فروض عصبية فيزيولوجية لشرح المفعولات السيكولوجية للجراحة النفسية الجبهية، ولكن أياً من هذه الفروض لا يرتكز على أدلّة حاسمة. ويستمرّ بعض الأطباء الممارسين في الاعتقاد على الأقلّ أن هذا التدخّل الجراحي يحتفظ ببعض المؤشرات في أمراض عقلية تسبّب العجز، أمراض قاومت كل تقنيات العلاج الأخرى، كبعض الأعصبة الوسواسية الشديدة، وبعض الهذيانات المزمنة، وبعض الأمراض الخطيرة. (انظر في هذا المعجم: **الجراحة الفصّية، استئصال الفصّ، استئصال منطقة في القشرة الدماغية**).

J.MA.

الجماع

F: Coït

En: Coitus,Coition

D: koitus

الجماع اتحاد تناسلي بين الرجل والمرأة.

الجماع مآل طبيعي للجاذبية الجنسية المتبادلة بين شخصين. والانفعال الغرامي يظهر بالرغبة في الاتحاد بالآخر جسدياً. ويظهر هذا الطور التمهيدي، لدى المرأة، بتشحيم الفرج، وبانتصاب عضو الذكر لدى الرجل، وتشجّع الإيلاج هاتان الظاهرتان. والجزء السفلي من الفرج، يتقلص خلال الجماع ليحضن القضيب، في حين أن الجزء العلوي، على مستوى عنق الرحم، يتجوّف ويشكّل إناء المنيّ. وتحدث هزّة الجماع، ذروة اللذة الجنسية، بعد زمن معيّن، يختلف من شخص إلى آخر ومن مرة إلى أخرى لدى الشخص نفسه. والمقصود بهزّة الجماع، من الناحية الفيزيولوجية، مجموعة من التقلّصات الإيقاعية، يرافقها احتقان شديد في الأعضاء التناسلية، وتسارع في الإيقاع القلبي، وازدياد الضغط الدموي. وتتزامن هزة الجماع، لدى الرجل، مع قذف المنيّ، ومع انفتاح عنق الرحم لدى المرأة. وتليها مرحلة من الانفراج. والمرأة يمكنها أن تستشعر هزّات جماع متتالية، على عكس الرجل الذي يعرفُ، بعد اللذة، مرحلة مقاومة ذات مدة تدوم بضع دقائق إلى بضع ساعات، يكون خلالها غير قابل للإثارة.

وتبلغ الفاعلية التناسلية ذروتها لدى الرجل بين العام السادس عشر والعام الخامس والعشرين (من ثلاث إلى ست علاقات جنسية أسبوعياً) ثم تتناقص

تدريجياً: اثنتان أسبوعياً في الخمسين من العمر؛ وواحدة في الستين. وتختلف أوضاع الجماع من مجتمع إلى آخر. ففي جزر تروبريان (مالينيزية)، يحدث الجماع إقعاءً؛ وفي أمكنة أخرى يحدث ركوعاً أو تتمدّد المرأة على بطنها أو تتمدّد على شكل ديك البندقية وهي تدير ظهرها إلى شريكها. وفي روما القديمة، كانت المرأة في وضع الخيّال بالنسبة للرجل (جالسة عليه وعمودية بالنسبة له)، وهو الوضع الذي كان يؤثره الثنائي. إن الأوضاع كلها، والاتجاهات كلها، مقبولة شريطة أن تناسب الشريكين. والمخيّلة، في الحب، تكافح الرتابة وتصون رغبة الثنائي وحماسته. ويوصى، عندما يكون الحمْل مرغوباً، بالأوضاع التي تُسمّى «وضع المبشّر» (تتمدّد المرأة على ظهرها) أو وضع المرأة الراكعة، وهما وضعان يتيحان نفوذاً عميقاً والاحتفاظ بكلية السائل المنوي. (انظر في هذا المعجم: **كيسنه، ماسترز**).

M.S.

الجماعة

F: Groupe

En: Group

D: Gruppe

مجموعة متبنينة من الأشخاص الذين يتبادلون التأثير ويكوّنون كياناً عضوياً قادراً على تحديد تصرّف الأفراد الذين يؤلّفونه.

وضع علم الاجتماع الألماني، السائد في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، قواعد تحليل الجماعات. وحسبنا أن نذكّر، على سبيل المثال، بتأليف فرديناند تونّيز (أولدنسورت، شليسغيغ 1855- كيل، 1936) وتقابله الشهير بين «المجتمع» و«المتّحد»؛ ففي حين أن العلاقات الفردية في المجتمع ترتكز على التبادل والعقد، تقوم هذه العلاقات في المتّحد على التضامن الطبيعي، والاشتراك في الدم (قرابة)، والمكان (جوار)، والفكر، (صداقة)، وعلى الوجدانية، والتقليد، والتعلّق بالقيم. ويمكننا أيضاً أن نذكر جورغ سيمّل (1858-1918) الذين ندين له بمفهوم «الثنائي» (تجمّع من شخصين) و«الثلاثي». فإشكالية هؤلاء المؤلفين لم تنضب في الزمن الراهن. ويمدّد شال هورتون كوله (1864-1929) وعلم الاجتماع الأمريكي، في بداية القرن العشرين، أعمال الألمان إذ صاغا مفهوم **الجماعة الأولية** (كيان ذي بعد صغير، ينطوي على علاقات مباشرة، و«المواجهة»، وعلى عاطفة «النحن» القوية)، جماعة أثارت أعمالاً نظرية بقدر ما أثارت بحوثاً على أرض الواقع. وتكاثرت الأعمال بدءاً من عام 1935، في الولايات المتحدة وأوروبة على حدّ سواء، ولكن النماذج النظرية التي تدعم

التحليلات والتفكير مختلفة جداً. فالتيّار الذي أطلقه كورت لوفن (1890-1947) مستوحىً من **نظرية الغشطالت**: الجماعة محدّدة أنها كلية دينامية تتقدّم نحو أغراض. ويميّز الباحثون أولو التوجّه **التحليلي النفسي**، د. أنزيو، (و). ر. بيّون، على سبيل المثال، من جهتهم، مستويين في كل جماعة: المستوى الواضح، الظاهر، العقلاني، والمستوى غير المدرك، اللاشعوري والوجداني. ومنذئذ، ستكمن مهمة الباحث في أن يميّز العلاقات المعقّدة لهذين المجالين. والمقاربة **التفاعلية**، من جهتها، تعرّف الجماعة أنها شبكة من العلاقات بين الشخصية، المتكاملة قليلاً أو كثيراً، أو المتناقضة. أما **النظرية الاختبارية الديالكتيكية المغالية** المنسوبة إلى جورج غورفيتش (1894-1965) فإنها تسلّم بأن الجماعة «منظومة مفتوحة»، وذلك يعني أن ديناميك جماعة من الجماعات غير مفهوم إلا إذا أخذنا بالحسبان علاقاتها بالتجمّعات الأخرى والمجتمع الإجمالي، وكذلك عملها الوظائفي الداخلي. ولجأ بعضهم، لدراسة الجماعات، إلى الطرائق التجريبية والملاحظة على أرض الواقع. وتكمن الطرائق التجريبية في أن تخلق أوضاعاً خلقاً مصطنعاً بحيث يمكن أن نعزل بعض المتغيّرات ونحلّل تأثيراتها المتبادلة. واصطناعية الجماعة التجريبية، وفق أغراض البحث، عميقة قليلاً أو كثيراً. فبوسعنا أن نجري الملاحظة المباشرة حين نندمج في الجماعة التي نأمل أن ندرسها (ملاحظة مشاركة من وحي الإتنولوجيا) ونشرح التجربة المعيشة، كما فعل على سبيل المثال وليم فوت هوايت (1943) في دراسته الجديرة بالملاحظة «عصبات من المراهقين». وبوسعنا أن نجري الملاحظة المباشرة حين نوجّه الأسئلة إلى أعضاء جماعة، انطلاقاً من محادثات فردية، واستبيانات معيّرة، وروائز قياس اجتماعي، إلخ. ونقول، بصورة عامة، إن الطرائق التجريبية يستخدمها بالحري علماء النفس السوسيولوجيون والملاحظة على أرض الواقع يستخدمها علماء الاجتماع. ويلوم غالباً علماء الاجتماع علماء النفس السوسيولوجيين أنهم يعملون على خيالات؛ أما علماء النفس السوسيولوجيون، فيتهمون علماء الاجتماع بأنهم يتبنّون نهجاً لايسمح بتحقّق دقيق. وهذا التعارض عقيم ويقترح بعضهم حالياً تجاوزه إذ

يحدّدون موقع الملاحظة في المستوى الأعلى من التجريب والمستوى الأدنى أو العكس (س. موسكوفيتش). ففي المستوى الأعلى، ينبغي للملاحظة على أرض الواقع أن تدرك كل الجوانب ذات الدلالة من الجماعة وعلاقات هذه الجوانب، وأن تصوغ الفروض. وانطلاقاً من هذه العناصر إنما يكون بوسع الدراسات التجريبية أن تباشر عملها. وفي المستوى الأدنى، ينبغي للملاحظة على أرض الواقع أن تثبت صحة النتائج المستخلصة بمناسبة الأعمال التجريبية. فالبحوث في «التنافر المعرفي» التي قادها عالم النفس الأمريكي ليون فستنجر (مولود عام 1919) تقدّم المثال على تركيب موفّق على وجه الخصوص للملاحظة على أرض الواقع والتجريب.

M.B.

الجماعات متعدّدة الأشكال ويصعب وضع تصنيف لها. فجورج غورفيتش أخذ بالحسبان خمسة عشر معياراً للتمييز مثل: **المحتوى** (أسرة، كنيسة، أوركسترا..)، **سعة النطاق** (عدد المشاركين)، **المدة** (جماعات مؤقتة، **دائمة**...) إلخ، تفضي إلى تسعة وأربعين نموذجاً من التجمّعات. وليس ثمة أية جماعة مطلقة، ذلك أنها تتداخل جميعها لتكوّن النسيج الاجتماعي الحيّ المتحرّك الذي يصوغ الجزء الأكبر منا. فكل مجتمع هو في الواقع حقل قوى تحدث فيه ظاهرات جذب ونبذ؛ إنه يستخدم آلية سيكولوجية كالإيحاء، والتقليد، والمنافسة، مجموعها يؤلّف «الضغط الاجتماعي»، مصدر التغيّرات الفردية التي تظهر في اتجاهاتنا، وتصرّفاتنا، وحتى في إدراكاتنا. وليست المسألة في الواقع قسراً خارجياً، بل بالحري تأثير خفيّ يقودنا إلى إصلاح سلوكنا، على نحو شعوري على وجه التقريب، لنوفّق بيننا وبين الجماعة التي نعيش فيها. ذلك أن الموجود الإنساني موجود اجتماعي بصورة أساسية يحتاج إلى الغير ليتفتّح. وتمثّل الجماعة بالنسبة له ضرباً من الضرورة؛ فهو يجد فيها، على وجه الخصوص، الأمن، والتعاطف، وإمكان التواصل مع أمثاله وإمكان الاتّحاد بهم لتحقيق مشروع مشترك. إنه يقبل

إذن قـوانينهـا، ذلك أن الفـرد الرافض يتعـرّض إلى النبـذ، وهو ضـرب من «الموت الاجتماعي». بل إن من يقتصر على البقاء منسحباً يمكنه أن يستقطب عدوانية أعضاء جماعته الآخرين ويصبح «كبش الفداء» لهم. وتترتّب على الغالب، في هذه الحالة، اضطرابات نفسية جسمية، أو سلوكات هروب، تمضي من الفرار إلى التشرّد، ومن التخريف إلى الانتحار. ويقبل بعض الناس قواعد الجماعة لأسباب أخرى أيضاً، ولاسيّما لأنهم عانوا إيحاء نفوذ الغالبية. ويتوصّلون إلى أن يفكروا، ويحّسوا، ويدركوا مثلها، وإلى أن يتّخذوها نموذجاً ومنظومة إحالة، والى الحكم على أنفسهم وعلى الآخرين بحسب معاييرها.

ودراسة الجماعات، التي تتيح للمرء أن يفهم كيف يمكن أن يتغيّر تصرّف شخص بفعل حضور الغير، تنفذ أيضاً إلى معرفة الاتجاهات وتعديلها بفعل الدعاية، وإلى الأحكام المسبقة ووسائل تقليصها، وإلى ديناميك العلاقات الاجتماعية وإمكانات تحسينها. والواقع أن الجماعة تبدو أنها أفضل حامل للإعلام؛ ويظهر إذن أن من الممكن استخدامها لحلّ المشكلات التي تثيرها الأقليات، ولنشر قواعد علم للصحة جيد، ولجعل العلاقات الإنسانية منسجمة. (انظر في هذا المعجم: **النحن، جماعة المرجع**).

N.S.

جماعة بالان

F: Groupe de Balint

En: Balint group

D: Balint gruppe

طريقة في تقصّي علاقة الطبيب- المريض، طريقة عيادية وعلمية، تُعزى إلى الطبيب الانغليزي ميكائيل بالان (1896-1970).

تجمع جماعة بالان عدداً محدوداً من الأطباء الممارسين لا يتجاوز على وجه العموم أربعة عشر شخصاً بقصد مناقشة المشكلات والصعوبات التي يصادفونها في ممارسة مهنتهم. فكل مشارك يُترك حراً في أن يذكر الأحداث التي تشغل باله أو في أن يشترك في المناقشة وفق شروطه الخاصّة ويتيح حضور منشّط محلّل نفسي، في الواقع، مواجهة المشكلات العلائقية التي تُثار انطلاقاً من هذه الحالات، مع تجنّب كل توريط لحياة المشاركين الخاصة. وهدف هذه الجماعات يكمن في تعليم الأطباء أن يتجنّبوا كل انفصال بين **الجسم** و**النفس**، المرض والصحة، المشفى والعيادة، الطبيب الممارس والاختصاصي، إلخ، بل أن يبتكروا على وجه الخصوص ضرباً من علاقة «الطبيب- المريض» يضع مساهمة الطب الحديث وأهمية المؤسّسات في علاقة وتبادل شخصيين يأخذان بالحسبان حركات اللاشعور، والرغبات المتبادلة، والممكن، كلما توجّه مريض إلى طبيب. ومثل هذا التكوين، الذي لا يمكنه أن يُكتسب بالقراءات ولا بتعليم **وثوقي**، يرتكز بالضرورة على تجربة عملية، معيشة. وليس ثمة، في جماعة بالان، علاقات معلم بتلاميذ، ذلك أن المشاركين لا يتلقّون نصيحة، ولا توجيهاً، ولا وصفة جاهزة. ويُتجنّب في جماعة بالان أن يقدّم

المحلّل النفسي للطبيب، بالنظر إلى أن له دوراً مختلفاً عن دور الطبيب، نموذجاً تحليلياً نفسياً سيكون غير مناسب كلياً. فعلى الطبيب مع ذلك أن يحتاز الشعور باتجاهاته الخاصة وعواطفه إزاء المريض، وبإدخال خياله في العلاقة التي يقيمها مع المريض. وينبغي له أن يعلم مع ذلك أن كل ما يأتي من المريض: أعراضاً، مرضاً، قولاً، له صدى لديه، ويوقظ انفعالاً يمكنه أن يحوّل مجرى المرض والتقنية العلاجية على وجه الخصوص. ويكوّن احتياز الشعور هذا اتجاهاً علاجياً نفسياً نوعياً لدى الطبيب الممارس؛ إنه يفضي، بوصفه مكتسباً بالتكوين، إلى تعديل عميق في شخصيته المهنية.

وجماعة بالان جماعة **متمحورة على الغير**؛ إنها تعمل عملها الوظائفي إذن دون موضوع محدّد مسبقاً. وانطلاقاً على الدوام من حالات معروضة إنما يتطوّر النقاش، ولكن هذه الحالات تخضع لضرب من المنطق: فليس من قبيل المصادفة إنما تُذكر بصورة متتابعة. وبوسعنا أن نحدّد في أيامنا هذه ضرباً من «العيادة» لجماعة بالان. والمنشّط يمكنه أن يحدّد حياة جماعة تحديداً مسبقاً بسنتين أو ثلاث؛ وبعض هذه الجماعات مفتوحة (أي أن الأعضاء يمكنهم أن يغادروها ويحلّ محلّهم أعضاء آخرون) وأخرى مغلقة. ودورية الاجتماعات ثمانية أيام أو خمسة عشر. ويصرّح الأطباء الممارسون، حين يُسألون، أنهم يشعرون بالارتياح الكبير في مهنتهم بعد تكوين في جماعة بالان. ولم تندثر المشكلات مع ذلك؛ فالحصر باق، ولكنه ينتقل إلى تساؤلات أخرى، كمشكلات الطب في أيامنا هذه. (انظر في هذا المعجم: **الطب النفسي الجسمي**، **علاقة الطبيب- المريض**).

M.SA.

جماعة التشخيص

F: Groupe de diagnostic

En: Training groupe

D: Training gruppe

جماعة مؤقتة للمناقشة هدفها أن تجعل المشاركين حسّاسين للظاهرات، والتفاعلات والتغيّرات الفردية، التي تحدث في الجماعات المحدودة العدد، وأن تكوّن هؤلاء المشاركين في الوقت نفسه.

فكرةالتحليل الذاتي للجماعات المحدودة العدد بوصفه تقنية تكوّنٍ أساسية فكرة وُلدت عام (1946) خلال ندوة نظّمها، في نيوبريتان، كونيّكتيكوت (الولايات المتحدة الأمريكية)، كورت لوفن ومعاونوه: رونالد ليبيت، لولان ف. برادفورد، إلخ. وجمعت دورة الانعقاد الأولى لجماعات التكوين، في العام التالي، جماعاتٍ سُمّيت عندئذ **المهارة الأساسية في تدريب الجماعات**، في مدينة بيتيل الصغيرة (مين) لمدة ثلاثة أسابيع، سبعاً وستين مشاركاً من فروع معرفة شتّى، وستة منشّطين وثمانية وعشرين باحثاً. ومنذ ذلك الزمن، حدثت لقاءات منظّمة، نظّمها **مخبر التدريب الوطني في نمو جماعة**، وأصبحت بيتيل أحد الأماكن المشهورة في علم النفس السوسيولوجي الأمريكي.

وجماعات التشخيص، المسماة أيضاً «الجماعات الأساسية» أو «جماعات التكوين»، ترتكز على فكرة مفادها أن علينا، لنفهم حياة جماعة وديناميتها الخاصة، أن نندمج فيها ونلاحظ **ملاحظة مفعمة بالحياة** ما يجري فيها. وستسنح

الفرصة، من جهة أخرى، للمشارك، بوصفه مشاركاً، أن يعيش بعض التجارب التي هي أفضل من كل الشروح اللفظية. وهذه الجماعات تضمّ بين سبعة أشخاص وخمسة عشر من الجنسين، ومن أعمار ومهن مختلفة، قادمين من الآفاق الأكثر تبايناً، فهم لا يعرف بعضهم بعضاً ولن تتوافر لهم فرصة اللقاء. إنهم مدعوّون للعيش معاً خلال عدة أيام (ثلاثين ساعة على الأقل) في مساواة مطلقة يرمز إليها الاستخدام الحصري للاسم الأول [لا اسم الأسرة] وضمير المخاطب المفرد. ويُحدَّد لهم مكان للاجتماع؛ ولا ينبغي لأي جلسة أن تتجاوز ساعتين؛ وعملهم المقرّر تحليل ما يحدث في الجماعة، **هنا والآن**. وينبغي للجماعة أن تقرّر هي ذاتها فاعلياتها. ويحرص المنشّط (عندما يوجد، ولكنه ليس شخصاً ضرورياً في الجماعة) على ألا يحكم، ويستحسن أو يستهجن، أو أن ينخرط في المناقشة. إنه، بوصفه ملاحظاً صامتاً، يبذل جهده ليفهم السيرورة المستخدمة ولا يتدخّل إلا ليشخّص الوضع، إذ يؤدّي على هذا النحو ما كان كورت لوفن يسمّيه **وظيفة التقييم**. ولا تقع تحليلاته أبداً على مستوى الأشخاص، بل على مستوى الجماعة دائماً (تواصل، تعاون، علاقات بين المشاركين). وهو يصوغ مجدّداً، صياغة واضحة، تلك الرغبة التي عبّرت عنها الجماعة ويستخلص الرغبة التي ظلّت لا شعورية. ويساعد الجماعة أخيراً على أن تحتاز الشعور بما يمكنه أن يعوق عملها الوظائفي.

ويكوّن غياب الهدف والقائد لدى المشاركين، في البداية، عاطفة من الضيق يمكنها أن تمضي لدى بعضهم إلى حدّ القلق. ولكن الفراغ ينسدّ تدريجياً وعلى نحو ضمني، وتتوزّع الأدوار، وتنتظم الجماعة. وتظهر شخصية كل مشارك، بهذه المناسبة، ظهوراً بارزاً خاصاً، إذ يُتاح المجال للملاحظات وانتقادات عنيفة في صراحتها يبديها المشاركون. ولكن هذا الانعكاس غير المألوف، انعكاس الذات، يتيح أيضاً أن يكتشف المرء نفسه أنه مختلف عمّا كان يعتقد؛ إنه انعكاس يبيّن لكل شخص كيف يدركه الآخر ويحكم عليه.

وهذا الاحتياز، احتياز الشعور، يمكنه أن يكون له مفعولات مفيدة من حيث أن يوسعه أن يقودنا إلى تعديل بعض اتجاهاتنا التي تعوق تواصلاً جيّداً مع القريب منا، إذ نتعلّم، في عداد ما نتعلم، أن نصغي إليه دون أن نقاطعه، ألا نحسم حسماً مطلقاً، وأن ندخل النسبية في أحكامنا. ولكن التجربة ليست مريحة على الأقلّ؛ بل يصعب احتمالها في بعض الأحيان. ولهذا السبب كان بعضهم مدفوعاً إلى تغيير أنماط الجماعة، جماعة التشخيص، عندما تُستخدم لتكوين أطر الصناعة، والتجارة، والإدارة أو تكوين المدرسين، أو المربين أو العمّال الاجتماعيين. ومثال ذلك أن المنشّط يمكنه، بدلاً من أن يترك الجماعة في الحيرة الكلية، أن يقترح عليها أن تبحث في حالة واقعية؛ أو يمكنه أيضاً أن يعهد إلى جزء من المشاركين أن يناقشوا موضوعاً والجزء الآخر منهم أن يلاحظوا سير السيرورة ويعرضوا ملاحظاتهم. ونتجنّب على هذا النحو، دون التخلّي عن الأهداف البدئية، التي تظلّ احتياز الشعور بالذات في مواجهة الآخرين وجعل المشاركين يتحسّسون مشكلات الجماعة، أن نتّهم دفاعات المشاركين السيكولوجية، وهو اتهام قاس، وأن نكشف الحجاب عنها كشفاً في غير أوانه.

N.S.

الجماعة المرجعية

F: Groupe de référence

En: Reference group

D: Bezugsgruppe

مجموعة إنسانية نرجع إليها لنحدّد موقعنا، وقيمها ذات علاقة بالقيم التي اخترناها.

مفهوم الجماعة المرجعية يُستخدم بمعنيين مختلفين. إنه يُستخدم في بعض الأحيان للدلالة على الجماعة التي تتيح لفرد أن يطلق حكماً على نفسه أو على الغير. فللجماعة المرجعية في هذه الحالة وظيفة المقارنة. وتُستخدم الجماعة المرجعية على الأغلب بالتقابل مع جماعات الانتماء، أي مع الأوساط الاجتماعية التي يشكّل الفرد جزءاً منها، كالأسرة، والكنيسة، والتجمّع المهني، والطبقة الاجتماعية أو الفريق الرياضي.

وقبل علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي خلال زمن طويل أن أنماط السلوك هبة الجماعة أو الجماعات إلى الفرد الذي ينتمي إليها. ولكن عالم الاجتماع الأمريكي روبرت ك. ميرتون (المولود عام 1910) بيّن، ومعه آخرون، أن المعايير والقيم يمكنها أن تُملى على الفرد من جماعة لا ينتمي إليها ولكن يتمنّى الانضمام إليها؛ هذه هي الجماعة المرجعية. فهذه الجماعة تقوم، على نحو من الأنحاء، بوظيفة التنشئة الاجتماعية المستبقة. وبيّنت أعمال أخرى أن ثمة تفاعلاً مستمراً وتراكمياً بين تدهور العلاقات الاجتماعية في كنف جماعة الانتماء

والاتجاهات الإيجابية إزاء قيم جماعة مرجعية. فالفرد الذي يتبنّى معايير جماعة مرجعية وقيمها يمكنه أن يثير عداوة أعضاء جماعته، وهذه الصميمية، التي تزيد أيضاً دافعياته إلى الانضمام إلى المجموع الذي يتوحّد به، يمكنها أن تسرّع الانفصال مع أولئك الذين ينتمي إليهم. ولكن الفرد سيجد نفسه قبل أن تتحقّق مغادرته موجوداً في وضع غير مريح، يسمّى «الهامشية»، بمقدار ما يكون ممزّقاً بين الجماعتين. (انظر في هذا المعجم: **الجماعة**).

M.B.

الجُمْدة المفاجئة

F: Cataplexie

En: Cataplexy

D: Kataplexie

فقدان التوتّر العضلي والحركية الإرادية، يطرأ فجأة ولا يدوم إلا بعض اللحظات، ولكنه لا يترافق بأي تشوّه في الشعور.

نوبات الجُمدة المفاجئة كان عالم الأعصاب الفرنسي إدوار جان باتيشت جيلينو (1837-1906) قد وصفها للمرة الأولى عام (1880) باسم astasie، ولكن عالم النفس العصبي البرليني ريشارد هنّبرغ (1868-1962) هو الذي أطلق عليها التسمية الحالية 1916. وأزمات الجُمدة المفاجئة تُطلقها انفعالات سارّة (صياد يرى صيداً ينطلق، لاعب سُحب الرقم الذي يحمله، إلخ. . .)، أو مؤلمة (معاكسة، حداد). فإبطال التوتّر العضلي المفاجىء، يسبّب عادةً خَوَر الجسم، ولكن دون جرح؛ وقد يصيب مجموع الجهاز العضلي (باستثناء عضلات التنفّس) أو يقتصر على الطرفين العلويين أو السفليين، أو على الوجه. وهذه الظاهرة، التي يشعر بها الفرد شعوراً كاملاً، يرافقها حصر حادّ جداً. ولا تتجاوز مدة نوبة من هذا النوع بعض الدقائق، والمعاينات العيادية الموضوعية التي تُمارس خلال سيرها نادرة بالضرورة؛ وأتاحت تلك التي كانت بمتناول بعضهم ملاحظةً مفادها إبطال المنعكسات في أوتار العظام وحضور استثنائي لعلامة بابنْسكي (تمدّد إبهام الرجل عندما نثير الحافّة الخارجية لأخمص القدم). وتوجد أزمات الجُمْدة المفاجئة مترافقة، لدى الفرد نفسه على الأغلب، مع نوبات نوم مفاجئة وعابرة وهلوسات

نعاسية (تنبعث خلال النعاس) وضروب من شلل الاستيقاظ (جُمْدة الاستيقاظ)، إذ يحقّق هذا المجموع ما يُسمّى «تناذر جيلينو». وهذه الآفة، التي تبدأ في المراهقة وتدوم مدى الحياة، ليس لها أية سمة من سمات الخطورة.

وبيّنت التسجيلات النادرة بالمخطاط المتعدّد، التي أمكن تحقيقها خلال نوبات الجُمْدة المفاجئة، أن فاعلية الدماغ الأعلى تظلّ سويّة. فكل شيء يحدث إذن كما لو أنه كان ثمة، خلال هذه الأزمات، انفصال بين العنصر النفسي (المحافظة على الشعور) والعنصر الجسمي (إلغاء التوتّر العضلي)، فهذا الأخير هو المصاب وحده.

وأسباب الجُمْدة المفاجئة مجهولة، باستثناء بعض الحالات النادرة ذات العلاقة بآفة دماغية معيّنة (التهاب دماغي وبائي، ورم). ويؤكد معظم المؤلفين مع ذلك أهمية العوامل النفسية. والواقع أن هذه الأزمات تبدو على الأغلب خلال مراهقة عسيرة، نزاعية، ويُطلقها انفعال. ويبدو العلاج النفسي ناجعاً.

J.MA.

الجملة الطرفية

F: Système Limbique

En: Limbic System

D: Limbisches System

مجموعة من البنيات العصبية، القشرية وتحت القشرية، تؤدّي دوراً أساسياً في ظاهرات حفظ الذكريات والتعلّم، وتؤمّن تكيّف السلوك لدى الفرد انطلاقاً من تجاربه الماضية.

تحتوي الجملة الطرفية، المنظور إليها بالمعنى الضيّق للدماغ الخلفي، بنيات قشرية وتكوّنات تحت قشرية من العقد العصبية، أقدم، من ناحية تطوّر النوع، من نظير القشرة الدماغية الجديدة والجسم المخطّط الجديد. وتتلقّى الجملة الطرفية (لاسيما بواسطة القشرة الدماغية الصدغية الدنيا)، وعلى سفحها الوارد، واردات عديدة مصدرها مجموعة المناطق نظيرة القشرية المسماة «ارتباط»، وهي على هذا النحو قادرة على «معالجة» كل المعلومات الحسّاسة- الحسية. والجملة الطرفية ترتبط ارتباطاً وثيقاً، على سفحها الصادر، ببنيات الدماغ البيني والدماغ المتوسط؛ إنها يمكنها أن تعدّل، بواسطة هذه الارتباطات، استخدام مستجيبات عصبية جسمية- حركية وحشوية- حركية للعضوية. والواقع أن الدور الذي تؤدّيه الجملة الطرفية يكمن، بالنسبة للأساسي، في تعديل الاستجابات السلوكية للعضوية وفقاً لتجربتها الماضية، بفضل مقابلة مستمرّة للإعلام الحسّي الراهن مع الآثار التي يتركها «معيش» الفرد.

وتشارك الجملة الطرفية، في العضوية التي «تحاور» وسطها المألوف والمنفتحة بسبب ذلك على «تاريخها» الخاص، مشاركة أساسية في تكييف التعاقبات السلوكية مع شروط الوسط، وفي إظهار السمات السلوكية ذات العلاقة بشخصية الفرد السيكولوجية الاجتماعية. والواقع أن المعطيات التجريبية والملاحظات العيادية تبيّن على نحوٍ يسوده التوافق أن للآفات التي تصيب الجملة الطرفية انعكاسات على هذا السلوك المثار أو ذاك، هي أكثر عمقاً بقدر ما تؤدّي تلك العوامل، من جملة عوامل الدافعية المستخدمة، التي ترتبط بالتجربة والتكيّف مع شروط الوسط، دوراً أكثر أهمية. وهذه الانعكاسات انعكاسات ضعيفة نسبياً (في نظر عالم البيولوجيا) في حالة السلوك الغذائي كما في حالة السلوك الجنسي، أي بالنسبة إلى سلوكات تشكّل جزءاً متمّماً لهذين التنظيمين من التنظيمات البيولوجية الكبيرة الضرورية لبقاء الفرد أو النوع، وتراقبها، فيما يتعلّق بالأساسي، آليات تحت المهاد والدماغ المتوسط، آليات تشغّلها عوامل الوسط الداخلي (نسبة السكر في الدم، نسبة الهرمونات الجنسية السائرة).

والآفات الطرفية، في مجال السلوك الغذائي، لا تسبّب الاضطراب على الإطلاق في قدرة عضوية من العضويات على أن تكيّف كمية الغذاء المبتلع مع الحاجات الطاقية إلى الصيانة والنمو؛ ولكن لها صدى على بعض الاتجاهات الفردية إزاء الغذاء: عادات، أفضليات، ضروب نفور غذائية، تحديد سريع قليلاً أو كثيراً لحالة الشبع.

وتوصف بصورة كلاسيكية، في مجال السلوك الجنسي، علامات من «فرط الجنسية» في عداد العواقب التي يسبّبها التدمير الثنائي الجانب للبنيات الطرفية من الفصّ الصدغي: زيادة عامة في الفاعلية الجنسية، نقص التمييز في اختيار الشريك، سلوك سيّىء التكيّف مع الوضع بمجمله. وليس مفهوم «فرط الجنسية» ملائماً في الحقيقة، ذلك أن المقصود على وجه الخصوص شذوذات **نوعية** في

السلوك ناجمة عن خلل في الفروق الدقيقة الفردية المكتسبة خلال نشوء الفرد، وتُظهر المعطيات التجريبية ضرباً من توهين الدافع الجنسي بدلاً من بروزه.

وفي مجال الارتكاسات الانفعالية والتصرّفات الاجتماعية إنما تُناط على وجه الخصوص قوى الحضّ لمنبّه أو لوضع بالدلالة (لاسيّما ذات الطبيعة الوجدانية) التي تُعزى إليها بالإحالة إلى التجربة الماضية، وإلى التكيّفات الانفعالية والاجتماعية التي ينجزها الفرد طوال نشوئه الفردي؛ وفي هذا المجال أيضاً إنما تكون انعكاسات الآفات الطرفية عميقة على وجه الخصوص. فلم يعد قرد حي حرّ، في أعقاب تدمير ثنائي الجانب للوزة (تكوّن تحت قشري للفصّ الصدغي)، قادراً على أن يكيّف سلوكه مع سلوك أمثاله بالإحالة إلى معيشه، وتبين «اعادة تنشئته الاجتماعية» متعذّرة، على الرغم من الجهود التي يبذلها أمثاله من القرود لإعادة اندماجه في الجماعة.

وتؤدّي الجملة الطرفية (لاسيّما الحصين واللوزة)، طوال تكوّن الفهرس للذكريات وحين يُقابل الإعلام الحسّي الراهن بهذا الفهرس، دوراً هاماً في اندماج محتوى وجداني نوعي بمقاييس موضوعية لمنبّه أو وضع، وعلى نحو أدق في سيرورات تؤمّن ارتباط قيمة معزّزة (إيجابية أو سلبية، مشهيّة أو منفّرة) وتتيح التعديل (أكثر أو أقل) لهذه القيمة. ويتصوّر المرء بسهولة، في هذه الشروط، أن الآفات الثنائية الجانب التي تصيب اللوزة تسبّب نقصاً بارزاً في الفاعلية الارتكاسية الانفعالية، نقصاً يظهر بشيء من اللامبالاة إزاء البيئة، بارتكاسات مخفّفة إزاء التنبيهات الاجتماعية المختلفة. وهذه المفعولات السلوكية بارزة على وجه الخصوص في الحالات التي يكون مستوى الفاعلية الارتكاسية فيها، قبل التدخّل، مرتفعاً جداً ويكون التعبير عنه في استجابات سلوكية عنيفة على الغالب. وعلى هذا النحو إنما تصبح الفئران المتوحّشة، التي ترتكس ارتكاساً عنيفاً على أوهى تنبيه ويصعب التعامل معها حتى مع قفّازات سميكة للحماية، هادئة ويسهل التعامل

معها بيد تخلو من القفّاز، منذ أن تُستأصل لوزتها. كذلك تخفيف ارتكاسات الدفاع بعد عملية الاستئصال يكون بارزاً جداً لدى هررة هي على وجه الخصوص شرسة في البدء. ولدى الأطفال المصابين بـ «فرط الحركة» أيضاً إنما تكون مفعولات تدخّل عصبي جراحي في اللوزة بارزة على وجه الخصوص: تقليص سرعة التهيّج والفاعلية المضطربة، ظهور قدرة على التركيز على لعبة أو كتاب، زوال هبّات من العدوانية.

وتشارك أيضاً بنية طرفية أخرى، الحاجز، في رقابة الارتكاسات الانفعالية والتصرّفات الاجتماعية؛ ولكن دوره مختلف عن الدور الذي تضطلع به اللوزة والحُصين، ذلك أنه يتدخّل بوصفه ضرباً من «مخفّف» الفاعلية الارتكاسية الانفعالية والاجتماعية. وتُظهر المعطيات التجريبية أن آفات الحاجز تثير مغالاة بارزة في الارتكاسات الانفعالية والتفاعلات الاجتماعية، ولاسيّما زيادة في تواتر الاستجابات العدوانية وشدّتها. وتخريب الحاجز، لدى الإنسان أيضاً، يمكنه أن يتجلّى في ارتكاسات غيظ تحدث على نحو مقولب بكفاية؛ وثمة ارتكاسات انفعالية حادّة (من الغيظ أو الخوف) ترافق ضروب خلل النظْم الكهربائي في منطقة الحاجز، سواء أكانت هذه التشوّهات في الفاعلية الحيوية الكهربائية عفوية أم سبّبها التجريب.

P.K.

الجملة العصبية

F: Système nerveux

En: Nervous system

D: Nervensystem, Nervenagparät

مجموعة من البنيات العصبية التي تنظّم وتنسّق فاعلية مختلف الأجهزة (الهضمي، البولي- التناسلي، الحركي..)، إذ تؤمّن على هذا النحو عمل العضوية الوظائفي الجيّد.

نميّز اعتباطياً، لسهولة العرض، ثلاثة أجزاء في الجملة العصبية الإنسانية: **الجملة العصبية المركزية** المسمّاة أيضاً «الجملة الدماغية الشوكية» أو «جملة حياة العلاقة»؛ **الجملة العصبية المحيطية** المكلّفة بتأمين تبادلات الإعلام بين المستقبلات الحسية (العين، الأذن، إلخ) والجملة العصبية المركزية والأعضاء المنفّذة، التي هي منشأ الارتكاسات الحركية أو الإفرازية؛ وأخيراً، **الجملة العصبية الإنباتية**، التي تراقب الأحشاء، وجهاز الدوران، وكرتي العين.

1- الجملة العصبية المركزية تحوي الدماغ الذي يقع في القحف والنخاع الشوكي. **الدماغ** يشمل ثلاث طبقات: الدماغ الخلفي، الدماغ المتوسط، والدماغ الأمامي. ويتكوّن **الدماغ الخلفي** من الجسر والمخيخ والبصلة السيسائية التي تسمّى أيضاً النخاع الممتدّ الذي يطيل النخاع الشوكي نحو الأمام. وفي الجزء العلوي من البصلة، تتسع قناة الغشاء (قناة النخاع الشوكي) لتكوّن **البطين الرابع**، تجويفاً وحيداً ووسيطاً، محدوداً من الخلف بالوجه الأمامي من المخيخ، ومن الأمام

بالوجه الخلفي للبصلة والحدبة، ومن جهاته بالسويقات المخيخية. وهذا البطين الرابع يرتبط بـ **البطين الثالث** بقناة هي مسال سلفيوس، تحيط بها السويقات المخيخية والحبات الرباعية التي تكوّن سطحها. ويجتاز مسال سلفيوس **الدماغ المتوسط**، وهو بنية تربط بين **الدماغ الخلفي والدماغ الأمامي**. ويتكون الدماغ الأمامي من الدماغ البيني في الوسط والكرتين الدماغيتين. وفي الدماغ البيني، نجد البطين الثالث المحاط من الجانبين بالمهاد ومن الأسفل بتحت المهاد، التي تتعلّق به النخامى أو الغدّة النخامية. ويتّصل البطين الثالث بالفوهات بين البطينية مع البطينين الجانبيين، وهما تجويفا بطانة عصبية للكرتين الدماغيتين.

ويبدو **النخاع الشوكي** مثل حبل أبيض ذي طول قدره نحو 45 سم وقطر قدره سنتيمتر واحد، ينتهي في جزئه السفلي بحبل ليفي طوله 25 سم يسمّى **الخيط الانتهائي**. ونلاحظ فيه انتفاخين، أحدهما في منطقة العنق، والآخر على مستوى الكليتين، ومنهما تنطلق أعصاب الأطراف العلوية والسفلية. والنخاع الشوكي مقسوم إلى واحد ثلاثين قسماً نخاعياً تنطلق منها الأعصاب الشوكية المرتّبة بصورة متناظرة. ويحوي كل عصب من الأعصاب الشوكية جذراً بطنياً وجذراً ظهرياً. وتهجر الألياف المحرّكة (أو المنفّذة) النخاع الشوكي بالجذور الأمامية؛ والألياف الحسّاسة تصل إلى النخاع الشوكي بالجذور الخلفية. ويُظهر مقطع عرضاني من النخاع الشوكي، في المحيط، مادة بيضاء (تتكوّن من الألياف العصبية) ومادة رمادية مركزية على شكل حرف H الأجنبي، تخترقها قناة البطانة العصبية التي تحتوي السائل الرأسي الصلبي. والقرون الأمامية للنخاع الرمادي تتكوّن من الأجسام الخلوية للعصبونات المحرّكة التي تتحكّم بحركيّة العضلات المخطّطة والملساء. أما القرون الخلفية، فإنها تتلقّى الرسائل الحسّيّة؛

2- الجملة العصبية المحيطية وتحتوي الأثني عشر زوجاً من الأعصاب القحفية والأعصاب الصادرة عن الأقسام النخاعية التي عددها واحد وثلاثون؛

3- **الجملة العصبية الإنباتية** (أو الجملة العصبية المستقلّة) تنقسم إلى جملتين فرعيتين: الجملة **الودّية** المؤلفة من مراكز عصبية إنباتية لتحت المهاد والسلسلة المزدوجة للعقد تمتدّ على طول العمود الفقري؛ **الجملة نظيرة الودّية** (ثمة عصب رئوي معدي، ومراكز عصبية وعقد محيطية، ذات علاقة بهذه الجملة). ويبدو أن الخصائص المختلفة لهاتين الجملتين مرتبطة بطبيعة الوسطاء الكيميائية التي تحرّرها كل منهما: فالأدرينالين تحرّره عصبونات الجملة الودّية؛ والأسيتيلكولين تحرّره عصبونات الجملة نظيرة الودّية. والمراكز الودية موجودة في **السبيل المتوسط الوحشي**، أي في المادة الرمادية التي تحيط بقناة البطانة العصبية وتمتدّ من القسم النخاعي الرقبي العنقي الثامن إلى القسم النخاعي الثاني القطني. والمراكز نظيرة الودية تقع، من جهة، في الجزء الانتهائي من النخاع الشوكي، ومن الجهة الأخرى، في جذع الدماغ، على مستوى نوى الأعصاب القحفية. (انظر في هذا المعجم: **الدماغ، الدماغ البيني، تحت المهاد، وسيط كيميائي، المهاد**).

M.S.

جهاز القيادة

F: Commande

En: Control

D: Steuerung

جهاز غرضه تشغيل آلة وضبط عملها الوظائفي.

ثمة، إلى جانب أجهزة **التأشير**، المخصصة لتقديم كل المعلومات المفيدة عن حالة الآلة وتقدّم السيرورة، أجهزة **قيادة** تجنّد عضواً أو زمرة عضلية وتتطلّب أن تُؤخذ بالحسبان إمكانات العامل الحركية. وبعض هذه الأجهزة، أجهزة القيادة، يتمّ تشغيلها بالأصبع، وبعضها يتطلّب تدخّل الذراعين أو الساقين. فأجهزة القيادة اليدوية تمرّ بواسطة الرافعات، والملامس، والأزرار، والقاطعات، والمقابض، إلخ. وأجهزة القيادة بالرجل تستخدم الدوّاسات والقاطعات على وجه الخصوص.

وفي دراسة أجهزة الاستجابة، نأخذ بالحسبان تلك العلاقة الطبيعية التي يمكن أن توجد بين حادث منبّه ونموذج استجابة؛ وهذه العلاقة تُسمّى **التوافق** بين المنبهات والاستجابات. فبعض نماذج الاستجابات أكثر طبيعية (أكثر توافقاً) وبالتالي أفضل من الأخرى؛ ومثال ذلك أننا ندير بصورة تلقائية، لزيادة حدّة صوت، زرّ حجم الصوت في اتجاه عقربي ساعة. أضف إلى ذلك أن إبراز أجهزة القيادة باللون، إذ تتباين مع باقي الآلة، يسهّل التعامل معها. (انظر في هذا المعجم: **اللون**).

Y.B.

F: Appareil psychique **الجهاز النفسي**

En: Psychic apparatus, Mental appatus

D: Psychischer apparat, Scelicher apparat

نموذج نظري تخيّله س. فرويد ليمثّل العمل الوظائفي للحياة النفسية ويجعله مفهوماً.

وضع فرويد نظريتين للجهاز النفسي. الأولى، المصاغة عام 1900، تتصوّر الجهاز النفسي على غرار قوس المنعكس، مع نهاية حسّية ونهاية حركية. وتترك الإدراكات، في جهازنا النفسي، آثاراً، انطباعات لا يصبح كثير منها، تلك «التي أثّرت فينا التأثير الأقوى، انطباعات طفولتنا الأولى»، شعورياً، أبداً على وجه التقريب. وليست هذه المنظومة **اللاشعورية** مركز ذكرياتنا المنسيّة فحسب، ولكنها هي أيضاً مركز الدوافع الفطرية وبعض الرغَبات. وتقع على النهاية الحركية منظومة **قبل الشعور**، المسمّاة على هذا النحو «لتدل على ظاهرات الإثارة التي يمكنها من هنا أن تبلغ **الشعور** دون تأخير، إذا تحقّقت بعض الشروط الأخرى، ومثال ذلك درجة معيّنة من الشدّة، ضرب من توزيع الوظيفة التي نسمّيها الانتباه» (س. فرويد، 1900، ص. 444 من الترجمة إلى الفرنسية). إن **الرقابة** تفصل بين اللاشعور وقبل الشعور، رقابة تنظّم الانتقال بين هاتين المنظومتين.

وأقدمت النظرية الثانية للجهاز النفسي، التي عرضها فرويد عام 1923، تصحّح بعض نقاط الضعف في النظرية الأولى. إنها تميّز في الشخصية ثلاثة

مراجع: **الهو**، مركز القوى الدافعية والرغبات المكبوتة وخاضع لـ «مبدأ اللذة»؛ **الأنا**، التي تراقب الحركات الإرادية، وتؤمّن توافق الفرد مع محيطه، وهي خاضعة لـ «مبدأ الواقع»؛ **الأنا العليا**، التي تقابل استدخال القوى القمعية (الأبوية، الدينية، الاخلاقية، الاجتماعية) التي صادفها الفرد خلال نموّه. فتبكيت الضمير، والإثمية انفعالان يولّدان عندما الأنا العليا والأنا يدخلان في نزاع. (انظر في هذا المعجم: **الهو**، **الرقابة**، **الأنا**، **النكوص**، **الأنا العليا**).

N.S.

جهالة المرض الحركي أو الحسيّ

F: Anosognosie

En: Anosognosia

D: Anosognosie

جهل عاهة حركية أو حسية.

هذا المرض كان قد وصفه عام 1885، للمرة الأولى، عالم الأعصاب السويسري ذو الأصل الروسي كونستنتان فون موناكو (1853-1930)، ثم وصفه عام (1889) الطبيب النفسي العصبي النمساوي غابرييل أنتون (1858 -1933)، ووصفه أخيراً الفرنسي جوزيف بابنسكي (1857 -1932)، الذي قصر هذا المفهوم على عجز المريض عن أن يقبل واقع شلل نصفي أيسر (تناذر أنتون- بابنسكي). وجهالة المرض اضطراب إدراك ناجم عن آفة دماغية محدّدة؛ ففي **جهالة المرض البصرية**، على سبيل المثال، ثمة تدمير المناطق الحسّية في الفصّ القفوي حيث تنقل إليه الموردات البصرية ما تحمله من إحساسات بصرية، وذلك أمر يسبّب العمى الكلي. ولا يجهل المريض مع ذلك عاهته فحسب، بل يرفض في بعض الأحيان قبولها: إنه يصف ما يعتقد أنه يرى، إذ يعتبر هلوساته هي الواقع. (انظر في هذا المعجم: **المحلّل، عمه الإدراك**).

N.S.

الجهد الإرادي

F: Conation

En: Conation

D: Kontion, Streben

مصطلح Conation يستخدمه علم النفس في فرنسة للدلالة على الجهد الإرادي.

جوانب الجهد الإرادي (أو الجوانب الإرادية) من الشخصية، ذات العلاقة بالميول، والدافعيات، وديناميـة الدوافع، تكوّن أسس الوجدانيـة. ويمكننا تقييمها كيفياً بالتقنيات الإسقاطية. ويستخدم سيريل بورت، للدلالة على هذه الفئة من العوامل، مصطلح Orectique (من اليوناني Orektikôs أي ميل، نزعة). (انظر في هذا المعجم: **الوجدانية، فعل المعرفة، التقنية الإسقاطية**).

N.S.

الجنسية الثنائية

F: Bisexualité

En: Bisexuality

D: Bisexualität

مصطلح يدلّ على الميول الجنسية، المذكّرة والمؤنثة معاً، الموجودة لدى كل موجود إنساني.

كانت نظرية الجنسية الثنائية، كما كان الناس يتصوّرونها حتى عصر قريب، تستند إلى معارف القرن التاسع عشر البيولوجية، التي كانت توضّح أن الجنين، لدى الفقريات، غير متمايز من الناحية الجنسية أو ذو جنسية ثنائية. وتبيّن أعمال عالم الغدد الفرنسي ألفريد جوست (المولود عام 1916)، التي أجراها عام 1950 أول الأمر على الأرنب ثم على ثدييات أخرى، أن الجنين الصغير ليس عديم التمايز من الناحية الجنسية، بل أنثوي أول الأمر. والجنس التكويني محدّد تماماً عند الإخصاب، ولكن الجينات الجنسية لا تعمل عملها إلا في وقت متأخر (نحو الأسبوع الخامس أو السادس من الحياة داخل الرحم لدى الموجود الإنساني)؛ وهذا هو السبب الذي من أجله يصبح الجنين، الذي اقتُطعت غدده التناسلية قبل أن يتحقّق هذا التمايز، أنثى محرومة من المبيض. فالغدد التناسلية لكلا الجنسين تفرز معاً بصورة طبيعية الأندروجين (الهرمونات الذكرية) والإستروجين (الهرمونات الأنثوية) طوال الحياة، وذلك أمر يشرح الميول الجنسية الثنائية لدى الموجودات الإنسانية. ولا تنجم الجنسية الثنائية مع ذلك عن هذه الظاهرة البيولوجية وحدها،

ولكنها تنجم أيضاً عن التربية، وعلاقات الطفل النفسية الوجدانية بأبويه، وعن التوحّد بالأب أو الأم خلال النزاع الأوديبي. ويقبل الراشد السويّ جانبيه المذكّر والمؤنث، ويسعى جاهداً لإقامة توليف متناغم لميوله المتعارضة، وهو يضطلع بجنسه البيولوجي في الوقت نفسه. (انظر في هذا المعجم: **الأنيما**، **الأنيموس**، **الغدّة التناسلية**، **التماهي أو التوحّد**، **الجنسية المثلية**، **عقدة أوديب**).

M.C.

الجنسية المثلية

F: Homosexualité
En: Homosexuality
D: Homosexualität

انجذاب جنسي، حصريٌ قليلاً أو كثيراً، يستشعره شخص نحو أشخاص من جنسه.

الجنسية المثلية، أو **الانقلاب الجنسي**، موجودة منذ أن وُجد الإنسان وفي كل المناطق. ولكن النظرة إليها تختلف بحسب البلدان والعصور. وإذ يتسامح بها تماماً شعب الكومانش حيث يعترف الناس بمن يسمّى berdache ويقبلونه في دوره، دور «الرجل- المرأة»، فإنها منبوذة لدى بدو الشعب رولا (في رأي فورد وبيش)، الذين يحكمون بالموت على أولئك الذين يمارسونها. ونُظر إلى الجنسية المثلية في فرنسة، خلال عصر النهضة، أنها «الرذيلة النبيلة»، وكان بعض الملوك، كهنري الثالث (1551-1589)، جنسيين مثليين صراحة. ولكن رجلاً مقتنعاً باللواط كان قد حُرق حيّاً في باريس بعد قرنين من الزمن. والجنسية المثلية مستهجنة في الغرب خلال أيامنا هذه أيضاً. وكانت في ألمانية، خلال العهد النازي، تكوّن جريمة تستحقّ عقوبة الأشغال الشاقّة، والخصاء بل عقوبة الموت. والجنسية المثلية في فرنسة- التي يقصدها القراران، تاريخ 8 شباط (فبراير) (1945) و(25) تشرين الثاني (نوفمبر) (1960)، لا تشكّل جنحة إلا إذا ورّطت قاصراً. وليست موضع عقوبة في الولايات المتحدة الأمريكية إلا إذا أصبحت ممارستها معادية للمجتمع، ولكنها يمكنها أن تكون حافزاً للعزل بالنسبة للموظفين(*). ويعتبر الفاتيكان، من جهته،

(*)- تسامح المجتمعات مع الجنسيين المثليين تعاظم خلال السنين الأخيرة في بلدان كثيرة، بل إن بعض البلدان أصدرت تشريعات سمحت بالزواج بينهم «م».

«أن أفعال الجنسية المثلية أفعال منحرفة من الناحية الجوهرية وأنها لا يمكنها، في أي حال من الأحوال، أن تلقى استحساناً» (1976). والجنسية المثلية، على الرغم من الاستهجان الاجتماعي التي هي موضوعه، تكوّن ظاهرة متواترة نسبياً، لأنها، في الولايات المتحدة، ذات علاقة بنسبة 4,33 بالمئة من السكان بحسب تقرير كنسه (1948). ويُحصى في بريطانية العظمى، وفق ماذكره ك. ألّن (1958)، نسبة5 بالمئة من الرجال فوق السادسة عشرة من العمر جنسيين مثليين. وتتّفق غالبية المؤلفين على القول إن الجنسية المثلية منتشرة بين الجنسين. والنظريات في الجنسية المثلية عديدة. فالانقلاب الجنسي، في رأي أدلر، ناجم عن عاطفة الدونية: الخشية من الإخفاق تدفع الفرد إلى البحث عن شريك من جنسه. ويشاء بعض المؤلفين أن يشرحوا الجنسية المثلية بسيرورة شبيهة بـ **التعلّم الخفي** لدى الحيوانات، ولكن ذلك فرض أقلّه محفوف بالمخاطر. ويميل آخرون، إذ يستندون إلى تجارب الفيزيولوجيا الحيوانية، إلى شرح عصبي غدّي. وإذ حقن جـ. و. هاريّس وس. لوفين فئراناً إناثاً بهرمونات مذكّرة، فإنهما أثارا ظهور سلوك جنسي مذكر، عند البلوغ، لدى هذه الفئران. وسبّب حقن فئران ذكور، عمرها من يومين إلى خمسة، بمولّد الدودة الورقية (الدودة النزوية)، إلغاء مكوّن المنيّ، وكذلك كل سلوك جنسي عند البلوغ. وفشلت مع ذلك كل محاولات الكشف عن شذوذات غدّية أو حيوية كيميائية لدى الجنسيين المثليين، وبانت عبثية محاولات علاج الجنسية المثلية بالحقن أو زرع هرمونات أو تطعيم الخصية. ويصعب، في الحالة الراهنة لمعارفنا، أن نحدّد أسباب الجنسية المثلية. ولا يكوّن الانقلاب الجنسي بذاته، وهو شكل من السلوك الجنسي بين أشكال أخرى، اضطراباً من الاضطرابات التي يعالجه الطب النفسي. ولهذا السبب، قرّر مكتب **رابطة الطب النفسي الأمريكية**، بمساندة الدكتور ر. ل. سبيتزو (1973)، ألا تجعل مصطلح الجنسية المثلية ماثلاً في **موجز التشخيص وإحصاء الاضطرابات العقلية**. (انظر في هذا المعجم: **الجنسية الثنائية**. **العلاج بالسلوك**، **التعلّم الخفي**، **الانحراف الجنسي**).

M.S.

جنّغز (هربرت سبنسر) Jennings (Herbert Spincer)

عالم حيـوان أمريكي (تونيكـا، إيلّينوا، 1868- سانتا مونيكا، ضـواحي مدينة لوس أنجلوس، كاليفورنية، 1947)

اكتسب هربرت سبنسر جنّنغز، منذ ظهور كتابه عن سلوك المتعضّيات الأولية (**سلوك المتعضّيات الدنيا**، 1906) الذي أصبح كلاسيكياً في علم النفس المقارن، شهرة واسعة بالنوعية الاستثنائية لملاحظاته ودراسات الأواليات. وحارب نظرية الانتحاءات (أو ارتكاسات التوجّه والحركة لدى المتعضّيات الخاضعة لتأثير فيزيائي كيميائي خارجي) التي كان جاكوب لوب (1857-1924) يدعمها، وبيَّن السمة التعسّفية لهذه النظرية. ومن المعلوم أن الانتحاءات ليس لها، في رأي لوب، أية غائية: إنها حركات «قسرية» تنزع إلى توجيه المتعضّيات في حقل الطاقة بحيث تكون مستقبلاتها المتناظرة، الثنائية الجانب، مثارة بفضل العامل المنبّه. وهذه الأطروحة، الآلية على وجه الدقّة، تختزل الحيوان إلى آلة سيربرنية وسلوكه إلى ضرب من تسلسل المنعكسات. إنها تشرح لنا، على سبيل المثال، أن سرفة موضوعة في إناء منار من جهة تتوجّه نحو النور وأن هذه السرفة تصعد في الطبيعة، لأن النور يأتي من السماء، نحو طرف النباتات حيث ستجد غذاءها. ولكن هـ. س. جنّنغز بيّن أن الأمر ليس بسيطاً بهذا القدر، ذلك أن السرفة تنزل من قمة الساق بعد أن تأكل، على الرغم من النور. وإذا كان الإشباع يسبّب شروطاً داخلية جديدة، قادرة على أن تغيّر اتّجاه الانتحاء، فذلك يبرهن على الأقلّ على أن هذا

الانتحاء ليس «حركة قسرية»، لا تُقاوم، تؤثّر تأثيراً ميكانيكياً، بل هو سلوك نوعي يخضع لمجموعة معقّدة من ضروب الضبط. ونذكر من مؤلفات هربرت سبنسر جنّنغز الأخرى: **الحياة والموت، الوراثة والتطوّر لدى المعضّيات الوحيدة الخليّة** (1919)؛ **بروموثيوس، أو البيولوجيا وتقدّم الإنسان** (1925)؛ **الكون والحياة** (1933)؛ **التغيّرات التكوينية في العلاقة بحسب التطوّر** (1985). (انظر في هذا المعجم: **علم نفس الحيوان، التوجّه المكاني لدى الحيوانات**).

N.S.

الجنوح

F: Délinquance
En: Delinquency
D: Delinquenz

مجموعة من مخالفات قوانين المجتمع

يتكلّم علماء علم النفس الاجتماعي دون تمييز على الجنوح أو الإجرام. إن الجنوح ضرب من فقدان التكيّف. وهو يعبّر عن النزاع الذي يجعل الفرد يعارض المجتمع. والمجتمع يستجيب تبعاً للمذهب السياسي السائد فيه. ففي الأنظمة السلطوية، من النموذج النازي أو الفاشي، تتناسب العقوبة مع خطورة الجرم دون أي اعتبار آخر. وتُبذل الجهود في الأنظمة الديموقراطية لفهم دلالة الفعل الجرمي واتّخاد إجراءات التقويم التي تفرض نفسها في كل حالة خاصة. فلا فائدة من معاقبة مصاب بالضعف العقلي الذي يتصرّف دون تمييز؛ والأفضل توجيهه وتربيته. وسيكون كذلك خطأ أن نعلن العقوبة نفسها على مجرم مصاب بمرض عقلي أو انحراف، لا يرعبه شيء. ويطلب القضاة إلى الخبراء والأطباء النفسيين، تجنباً لارتكاب الأخطاء من هذا النوع، أن يباشروا فحص المجرمين من الناحية الطبية والسيكولوجية. فلكل مجتمع جانحوه، وعددهم ثابت بصورة محسوسة من سنة إلى أخرى (تقع النسبة المتوسطة في فرنسة حول 6 بالألف). ولكن الإجرام يزداد ازدياداً كبيراً خلال الحركات الاجتماعية العنيفة (الهجرة الريفية، والنمو الصناعي السريع) ولاسيّما خلال فترات الاضطراب (ثورة، حرب وبعد الحرب). ومصدر الجانحين هو الرجال (85 بالمئة) الذين لا أهلية مهنية لهم ويتحدّرون من

أسر مفكّكة : 45 بالمئة من أسر الجانحين مفككة : 75 بالمئة من القتلة و85 بالمئة من السارقين) .

وكانت العدالة فيما مضى قمعية فقط ، فالمجتمع يكتفي بالدفاع عن نفسه ويعاقب الآثمين . وبعد أن سيطر الاعتقاد، مع سيزار لامبروزو (1835-1909)، أن السلوك الجرمي كان واقع فئة من الأفراد معيّنة يمكن التعرّف عليهم من مورفولوجيتهم (قضية المجرم بالولادة)، بأن معظم الجانحين لا يختلفون اختلافاً أساسياً عن السكان العاديين . ويبذل علماء الجريمة جهودهم حالياً لإجراء توليف بين نظرية لومبروزو ذات النزعة الجبلّية وبين الموضوعين السوسيولوجيين، موضوعي غابرييل تارد وإميل دوركهايم، إذ يدرسون المجرم «في علاقته بالغير، وصلته بالواقع بين الإنساني» (أ. هيسنارد) . وفي رأي دانيال لاغاش (-1972 1903) أن الجانح هو، بصورة أساسية، فرد ذو تمركز على الذات، غير ناضج من الناحية الوجدانية، يبحث عن الحصول على إشباعات مباشرة وأخلاقيتُه ليست على وفاق مع الاتجاهات الرئيسة للجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها . أضف إلى ذلك أن علاقاته بالغير متأثّرة بمكوّنة سادية مازوخية ذات أهمية تضعه في وضع من نموذج «مضطهَد- مضطهِد» . ويبدو الجانح على الغالب أنه يحقّق ميلاً إلى حب العدل يُدخل السكينة إلى نفسه، ولكنه يظهر في الوقت نفسه أنه يبحث بحثاً لاشعورياً عن أن يدينه المجتمع .

والجرائم المرضية قليلة العدد نسبياً . فالذين يرتكبونها على وجه الخصوص هم : 1- المصابون بالصرع، في فترة الخلط العقلي التي تلي الأزمة الصرعية، والفعل، ذو العنف الأقصى، ينبعث فجأة؛ فثمة أشخاص، لا يعرفهم الفاعل على الغالب، يكونون موضع الهجوم والضرب بأية أداة؛ وليس لدى المريض بعد الأزمة أي ذكرى لما حدث؛ 2- الفصاميون الشباب؛ فقتل الإنسان عبث، عنيف وغير متوقّع؛ والموجود الأعز، الأم، هو الضحية في بعض الأحيان؛ 3- المصابون بالذهان الهذاني (البارانويا) والهذيان الذين يتوصّلون، جرّاء استنتاجات خاطئة،

إلى جعل الغير مسؤولاً عن تعاساتهم وآلامهم؛ إنهم يعتقدون أنهم مضطهَدون ويعزمون على استبعاد المضطهد المزعوم قتلاً؛ وهذا المضطهد المزعوم يمكنه أن يكون شخصاً حيادياً بل شخصاً عطوفاً من محيطهم، فجريمتهم فعل من أفعال الإنصاف في ناظريهم. وثمة فئة ثانية من الجرائم تضمّ أولئك الذين لا نجرؤ أن نسمّيهم «أسوياء». إنهم مصنوعون من أفراد اختاروا بعملهم أن يتحدّوا المجتمع جاهلين قوانينه. وبوسع المرء أن يتساءل عن هذا السلوك. كيف يتوصّل موجود إنساني إلى الجريمة؟ لماذا يرتكب المخالفة الخطيرة لقانون المجتمع الذي سيستبعده؟ وهل ثمة إمكان لإصلاحه، لإعادة تربيته، لإعادة تكييفه من الناحية الاجتماعية؟ إن علماً جديداً، علم الجريمة، قد تأسّس، يضمّ اختصاصيين من فروع المعرفة المختلفة، يبذلون جهودهم لدراسة الجنوح وفهمه.

والعوامل الاجتماعية الاقتصادية، والذكاء، والوجدانية، ترتبط بالجريمة ارتباطاً لا ينفصم. والمجموع المنظّم لهذه العوامل كلّه هو الذي يمكنه أن يشرح الجنوح. ويؤدي الشقاء، وعدم التكيّف الذي يلي الهجرة وظاهرات المثاقفة التي تفرضها، والحركية الجغرافية، وبنية المجتمع غير المستقرّة، دوراً مؤكّداً في الإجرام. ولكن عاملاً جبلّياً بين أسباب الجنوح يبدو أنه موجود. والواقع أن دراسات عالمي النفس الأمريكيين، س. غلويك (و) و. هـ. شيلدون، بيّنت وجود علاقة إيجابية بين النموذج المورفولوجي ذي التشكّل المتوسط، أي العضلي، وبين الإجرام، وبيّن من جهة ثانية ج. (و) جـ. فيردو في فرنسة، المختصّان في التصوير الكهربائي للدماغ، وجود فروق ذات دلالة بين مخطّطات الدماغ الكهربائية للأفراد الأسوياء ومخطّطات الدماغ الكهربائية للجانحين. وتبيّن الدراسات السيكولوجية، أخيراً، أن المجرمين ليسوا أقلّ ذكاء من غير الجانحين، ولكنهم، على الغالب، اندفاعيون، عدوانيون، حذرون، عصاة أمام كل سلطان، ويميلون إلى أن يؤكّدوا ذاتهم من الناحية الاجتماعية. فـ «أنا» هم ينبغي أن تسود؛ والمهم وحده إشباع رغباتهم؛ والجانح، العاجز عن أن يضع نفسه مكان مثيله- الذي لا

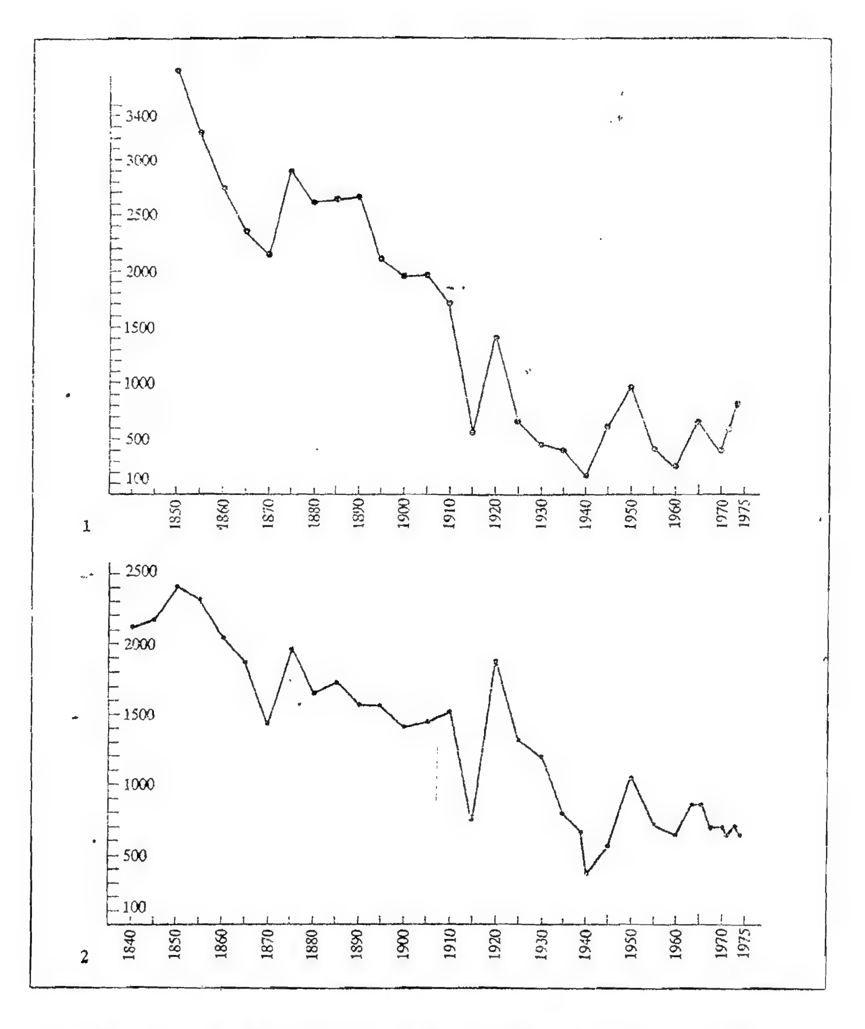
يقيم له الجانح أي اعتبار-، يرجع كل المشكلات إلى شخصه. فالنضج ينقصه في حكمه وفي نقده الذاتي، ولا يستمدّ عبراً من التجارب الماضية، ويراقب نفسه مراقبة انفعالية سيئة، ويميل دائماً إلى أن يعتبر نفسه محبَطاً، ضحية ظلم. فالمجرم ليس مريضاً ولا منحرفاً، ولكنه موجود غير محبوب جيداً لم يتكيّف من الناحية الاجتماعية ولم يفلح في أن يحلّ نزاعاته.

وتفترض إعادة تربية المجرم معرفة معمّقة بتاريخه وشخصيته. وتعلّمُ مهنة ممكنٌ في كثير من الحالات، ولكن يصعب عليك أن تمنح المحبة جانحاً لم يتلقّاها أبداً، ومعنى قيمته الشخصية التي كانت موضع نكران عليه، والمناخ المعنوي الذي يحقّق الأمن، مناخاً كان ينقصه دائماً. فالاجراءات التربوية، والعلاج النفسي، يظلان ضروريين، ولكن الأفضل، لتقليص الإجرام، مكافحة التعاسة، والكوخ القذر، والكحولية، وتربية الناس بـ**وسائل الإعلام الجماهيرية**.

وجنوح الأحداث، الذي يمثّل في فرنسة 10,6 بالمئة من الجنوح الإجمالي (58625 جانحاً عام 1975)، يعرف الأسباب النفسية الاجتماعية نفسها: كحولية الأبوين، التفكّك الأسري، شقاء الأطفال الوجداني. ولا يتميّز الجانح القاصر كثيراً من الأطفال الآخرين غير المتكيّفين. وفَهِمَ المشرّع جيداً هذا الأمر، وأصلح، بقرار كانون الأول (ديسمبر) 1958، إصلاحاً كاملاً بنيات العدالة في محاكمة الأطفال. ويُعتبر أنه لا يوجد فارق أساسي، منذ هذا التاريخ، بين قاصر معرّض للخطر لأنه موضع عناية سيئة أو تغذيته غير كافية وبين هارب صغير أو سارق. ويساعد قاضي الأطفال فرقاء من المربين، وعلماء النفس، والمساعدين الاجتماعيين والأطباء، ويبذلون جهدهم للوقاية من الجنوح بدلاً من علاجه. فالوقاية نابت مناب إعادة التربية والقمع. وهذا الإجراءات تمثّل تقدّماً إنسانياً واجتماعياً نفيساً جداً. وأحد أعمال الوقاية الأكثر رهافة هو العمل الذي يؤدّيه المربون في الشارع. وإذ يعرفون ميل الفتيان إلى التجمّع، والانتساب إلى جماعة، والانضمام إليها، فإنهم يبذلون جهودهم أول الأمر ليقبلهم أولاً مراهقو الحي، ثم يسعون، إذ

يستخدمون معنى الشرف والانضباط لدى هؤلاء المراهقين، إلى أن يحولوا العُصبات المغلقة إلى جماعات مفتوحة على الناس ومتكيّفة اجتماعياً.

وهؤلاء المربون، مربو الوقاية، تابعون إدارياً إما إلى هيئات عامة، كوزارة العدل أو وزارة الصحة، وإما إلى هيئات شبه خاصة، كالجمعيات الاقليمية لحماية الطفولة والمراهقة. (انظر في هذا المعجم: **الزيغان الصبغي**، **المراهقة**، **الأنوميا**، **العُصبة**، **النمذجة الحيوية**، **القصور العاطفي**، **قصور السلطان**، **السلوك**، **الشخصية الإجرامية**).



الجنوح: (1) عدد الإدانات التي أعلنتها محكمة الجنايات بالنسبة للجرائم المرتكبة ضدّ الأموال في فرنسة، منذ عام (1850).

(2) عدد الإدانات المعلنة بالنسبة للجرائم ضد الأشخاص منذ عام **1840**. الحولية الإحصائية الفرنسية (**1966 - 1970 - 1975**)، **INSEE**، باريس، ذكر ذلك أ. بيريفيت، **1977**، «في كتابه إجابات عن العنف» **N.S.**

جوميلّي (إيدوأردو، الأب أغوستينو) F: Gemelli (Edoardo)

طبيب وعالم نفس إيطالي (ميلانو، 1878– ميلانو، 1959).

كان جوميلّي يؤكّد، منذ عام 1908، في كتابه **أسس علم النفس البيولوجية**، اقتناعه بالعلاقات الوثيقة القائمة بين علم النفس والبيولوجيا، دون إخضاع الأول للثانية مطلقاً. فالإنسان كلّ، ينبغي أن يُدرس بوصفه كذلك والنظر إليه أنه فرد حرّ ومسؤول في العالم الذي ينتمي إليه. إن «على علم النفس أن يعترف أن الظاهرات التي يلاحظها ويصفها والفروض التي يبنيها ينبغي أن يُحدّد موقعها في دراسة الإنسان بإجماليته»، كتب يقول، بعد تسعة وثلاثين عاماً، في كتابه **المدخل إلى علم النفس**. وأكد جوميلي في عدة منشورات أن علم النفس الحديث ينبغي له أن يشدّد على دراسة سلوك الإنسان وإدراكه العالم الذي فيه يعيش ويعمل. «علينا أن ندرس الإنسان، أيامنا هذه، في واقع الحياة، لا في الشروط المصطنعة التي نضعه فيها في مخابرنا». وينبغي لنا، كتب أيضاً، أن نتجاوز هذا الوضع من «التقطيع» المتبنّى للضرورات التجريبية، تقطيع كان قد حطّم وحدة الإنسان وكليته. ونذكر أيضاً، من مؤلفاته العديدة، **الطرائق الجديدة وآفاق علم النفس التجريبي** (الطبعة الثانية، ميلانو، 1924)، **علم النفس في حالة التطوّر** (بالاشتراك مع سيدلوكيت، ميلانو، 1924، الترجمة الفرنسية: **علم النفس: من الطفل إلى الإنسان**، باريس، دار نشر إيلون، 1950.

V.L.

جونز (ألفريد إرنست) Jones (Alfred Ernest)

عالم أعصاب ومحلّل انغليزي (روسفيلين [غوورتاون الآن]، غلامورغان، بلاد الغال، 1879- لندن، 1958).

كان جونز رجل عمل بصورة أساسية، ولكنه ترك أيضاً تأليفاً نظرياً هاماً. دراساته الجنسية الأنثوية قادته إلى أن يُدخل، في التحليل النفسي، المصطلح اليوناني aphanasis ليصف الخشية من فقدان كل لذة جنسية والقدرة على الاستمتاع. وفي رأي هذا المؤلف أن الأفانازيا هي، لدى الجنسين، موضوع خوف ذي شأن أكبر من شأن الخشية من الخصاء. وكون الفرد يخشى أن يفقد القدرة على بلوغ الإشباع الجنسي أو يفقد إمكانه، أمر أساسي في الأعصبة وربما كان منشأه الاتجاه القمعي لدى الأبوين فيما يخصّ الجنسية، وهو اتجاه يعيشه الطفل بوصفه تحريماً حاسماً أن يبلغ الاستمتاع الجنسي. وحاول جونز أيضاً أن يحيط بمفهوم السواء النفسي (**مفهوم العقل السوي**، 1931). إن **الفكر السوي**، وهو مفهوم مثالي، لا يوجد في الواقع. ولكن بوسعنا أن نقاربه انطلاقاً من مفعولات العلاج في التحليل النفسي وبالرجوع إلى المعايير الثلاثة التالية: 1) **العلاقات مع الغير**. فالمظاهر المغالية من المحبة وحب البشر ليست أكثر سواء من قسوة القلب أو انعدام الحساسية الوجدانية. فكلا الجانبين ليسا، على الأغلب، سوى التعبير عن شخصية مصابة بالحصر؛ 2) **نجوع العمل الوظائفي للفكر**. إن فرداً سوياً قادر على أن يستمدّ من كمونه الفكري حدّه الأقصى؛ 3) **القدرة على السعادة**. الإنسان السويّ قادر على أن يخلق شروط سعادته، ويشعر باللذة ورضى الذات.

وخصّص جونز السنوات الأخيرة من حياته لتحرير سيرة كبيرة لفرويد: **حياة سيغموند فرويد وعمله** (في مجلّدات: 1953, 1955, 1957، نيويورك، دار نشر الكتب الأساسية، ترجمه إلى الفرنسية أ. بيرمان و ل. فلورنوا بعنوان: **حياة سيغموند فرويد وتأليفه**، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1961, 1969, 1958).

M.C.

الجو المحيط

F: Ambiace

En: Atmosphere

D: Atmosphäre, Stimmung

الوسط المادي والمعنوي المحيط.

سلوك أي شخص تابع، في جزء كبير منه، لشروط خارجية يخضع لها. ومثال ذلك أن دراسات عديدة أثبتت (دون شرح) وجود علاقة بين الفصول ونمو الذهانات. فالنوبات الهوسية الاكتئابية تحدث على الأغلب، في رأي ك. زيموف ومعاونيه، من صوفية، 1965، خلال الربيع والخريف. وفي رأي ليبانوف . ج.، الذي درس أضابير أكثر من 45000 شخص من المرضى العقليين، أن للقبولات في مشافي الطب النفسي حداً أقصى في حزيران (مايو) وتشرين الأول (أوكتوبر). وكان سيرجي كورساكوف (1854-1900) يعتبر أيضاً، قبل هؤلاء المؤلفين، أن تأثير المحيط الكوني أمر لاشك فيه ولكن أنماطه تظلّ غامضة. ففي الصناعة مع ذلك إنما كان الجو المحيط المادي موضوع دراسة على نحو أفضل بسبب انعكاسه على مردود العمل وكيفيته. وأمكن تقييم مفعولات الحرارة، والتهوية، والرطوبة، والنور والضجة، إلخ، على الإنتاجية. ولاحظ ب. باغيروف (1974)، من معهد الفيريولوجيا وعلم الأمراض للمناطق القاحلة في أكاديمية العلوم بتركمنستان (الاتحاد السوفييتي)، أن مردود العمال الذين يعملون في ورشات البناء يبدأ في الهبوط من 6,8 إلى 9,2 بالمئة بدءاً من حرارة 27 درجة مئوية. وفي 30 درجة مئوية، تتغيّر الخسارة الإنتاجية من 10,1 إلى 14,3 بالمئة؛ وتبلغ 23 بالمئة في حرارة درجتها

36. وليست أهمية التهوية أقل شأناً. فالتبادلات الحرارية في ورشة عمل سيئة التهوية، حيث يركد الهواء، لا تحدث بين الجسم والوسط حدوثاً سوياً، وكمية غاز الكربون يمكنها أن تصبح مع مرور الزمن مفرطة. فالعامل، بحسب دراسات هي الآن قديمة لليونار هيل ودراسات هـ. م. فيرنون، يعمل عملاً أفضل في مكان جيد التهوية، حيث الهواء طري لا حارّ، جافّ لا رطب، مكان ذي حرارة متنوّعة في شتى أجزائه لا موحّدة. وينبغي للإنارة أن تكون كافية، تجنّباً للتعب البصري. وستْختار الألوان بمهارة؛ وستُستخدم لتعزيز رؤية الأشكال، ومنح الأشياء حداً أقصى من البروز، وتحسين جمالية الأمكنة والآلات. وحين نلغي الضجّة الضارّة، التي تُزيد التوتّر العصبي، ونذيع في بعض الفترات موسيقى (في الساعة الثانية من العمل ونحو نهاية الفترة الصباحية في رأي س. واط)، يصبح من الممكن إيجاد شروط سيكولوجية تشجّع على العمل. والجوّ المحيط السيكولوجي يؤدّي دوراً كبيراً أيضاً في جماعات العمل. فعندما يكون الجو المحيط متوتراً، والحذر وسوء التفاهم سائدان، ينمو الشعور بعدم الرضى وبالإحباط، وتتكاثر المطالبات، وتنهار الإنتاجية. وبيّنت تجارب على مختلف الجماعات أن العدوانية تكون أقوى في الأوساط السلطوية منها في الجماعات الديموقراطية. ولتحسين الجو المحيط السيكولوجي في متّحد عمل، ثمة محاولة متنامية لإلغاء المهمّات المنفّرة وتشجيع إقامة صلات وديّة بين مختلف فئات المستخدمين. وتمضي الوسائل المستعملة من «استراحة القهوة» إلى مشاركة العمال في إدارة المشروع. ولكن تربية خاصة ضرورية لبلوغ هذه المرحلة الأخيرة. ينبغي تعليم هؤلاء وأولئك التواصل والحوار. ولدينا لذلك وسائل شتّى: اجتماعات الجماعات في جلسات إعلام ومناقشة؛ تشكيل لجان لدراسة مشروعات التحسين في المشروع، إلخ.

والمُناخ الوجداني السائد في أسرة حاسم على الغالب في مصير الأطفال. فالأطفال، في الجو المحيط المؤذي لأسرة مفككّة، تعساء، قلقون، ولا يفلحون في أن يتفتّحوا. وليس لكثير من الإخفاقات المدرسية سبب آخر. وعلى العكس، كل

فرد في وسط أسري يسود فيه التعاون والمودّة ينمو نمواً متناغماً. وبذل بعض علماء النفس، مثل أ. ل. بالدوين، جهودا لدراسة مفعولات الجو المحيط العام داخل أسرة. وتُلاحظ النتائج الأكثر إرضاء في الأسر الدافئة وحيث تُراعى «قاعدة اللعبة» الديموقراطية. فالطفل فيها ليس محبوباً فحسب، بل موضع تنشيط، وتشجيع، ومساعدة. أسئلته يُجاب عنها، ويُمنح الشروح التي يطلبها. وموقف الأبوين منه حازم وعطوف؛ حازم لأن الطفل بحاجة إلى تحديد إطار؛ عطوف لأن قسوة مغالية ليست ضرورية لإصلاحه. ويجري التعبير عن القرارات بوضوح؛ والاتصالات بين أعضاء الأسرة عديدة ومتواترة. ولأن الانسجام يسود، فإن أعمال كل منهم تتكلّل بالنجاح.

N.S.

F: Mégalomanie **جنون العظمة**

En: Mégalomania, Delusion of grandeur, expansive delusion

D: Mégalomanie, Grössenwahn

هذيان العظمة.

يقدّر بعض الأفراد، تقديراً مغالياً، قدراتهم ووسائلهم، وهم مقتنعون بأنهم يحوزون قوة غريبة- جسمية، جنسية أو اجتماعية- ويمتلكون ثروات خرافية، وأنهم روعة في الجمال، وأذكياء جداً، أو أقوياء كل القوة. ويعتقدون أنهم يحكمون العالم، بل الكون، أو يتماهون بملك عظيم، بنبي أو حتى بإله. وهذه الموضوعات الهاذية موجودة على الغالب في الشلل العام، والبارا فرينيا، وفي الهوس وخبل الشيخوخة أيضاً. وأفكار العظمة يمكنها أن تعبّر عن بنية ذهانية هذائية (بارانويا) أو بنية هوس الكذب. وعندما تكون متحفّظة على نحو نسبي، تسمّى أفكار الإشباع.

M.S.

جيزيل (أرنولد لوسيوس) Gesell (Arnold Lucius)

عالم نفس أمريكي، (ألما، وسكونسان، 1880– نيوهافن، كونّكتيكوت، 1961).

جيزيل، مؤسّس عيادة **نموّ الرضيع** (1911) في جامعة يال بنيوهافن، سيتابع بحوثه في علم النفس التكويني حتى تقاعده عام 1948. وتكمن طريقته، الوصفية على نحو أساسي، في أن يلاحظ، ملاحظة بصورة واضحة ودقيقة، سلوك الرضّع والأطفال الصغار بواسطة كاميرات ومرايا خالية من القصدير، ويلاحظهم أيضاً في بعض الأحيان ملاحظة تجريبية إذ يضعهم في أوضاع تجريبية مراقبة. وعلى هذا النحو إنما يكون مدفوعاً إلى ابتكار **روائز رضّع** واستخدام «طريقة التوائم»، واستخدام **الطريقة العرضانية** (دراسة جماعات الأطفال من عمر واحد) و**الطريقة الطولانية** (دراسة طفل أو عدة أطفال في مراحل مختلفة من التطوّر). وسيُختار، قبل عام من تقاعده، عضواً في **الأكاديمية الوطنية للعلوم** وفي **الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم**. وصنّف جيزيل، الذي يُعتبر الأب لعلم نفس الطفل غالباً، 110 كيلومتراً من الأفلام في بطاقات وقدّم الجرد المصورّ الأكمل، الذي يمكن أن يتخيّله المرء، لحركات الطفل واتّجاهاته خلال السنة الأولى من حياته. ولم يحاول أن يبني نظرية للنموّ النفسي، ولكنه ألحّ بصورة خاصّة جداً على أهمية سيرورة النضج وعلى شروط النماء الإنسانية.

ومن تأليفه الواسع جداً، نلفت النظر على وجه الخصوص إلى: **النموّ العقلي للطفل قبل المدرسة: مخطّط سيكولوجي للنمو السويّ من الولادة إلى السنة**

السادسة يتضمّن نظاماً من تشخيص النمو العقلي (1925)، **الطفولة والنمو الإنساني** (1928)، **أطلس سلوك الطفل: تخطيط نظامي لأشكال نماذج السلوك الإنساني ونموّها المتأخّر** (1934، مع مشاركين)، **علم نفس النمو المتأخر** (1938، مع هـ. ثومبسون وك. أماترودا)، **السنون السبع الأولى من الحياة، دليل لدراسة الطفل قبل سن المدرسة** (مع مشاركين، 1940). **تشخيص النمو: النمو السوي وغير السوي للرضيع** (1940، مع مشاركة ك. س. أما ترودا)، **الطفل والرضيع في الثقافة الراهنة** (1943، مع ف. ل. إليغ، ترجمة إي ليزين إلى الفرنسية بعنوان **الطفل الصغير في الحضارة الحديثة**، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1949)، **الأصول الجنينية للسلوك: بدايات العقل الإنساني** (1945، مع ك. س. أما توردا، تُرجم إلى الفرنسية بالعنوان نفسه، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1952)، **الطفل من سن الخامسة حتى العاشرة** (1946، مع ف. إلغ ومشاركين آخرين، ترجمه إلى الفرنسية ن. غرانجون، إي. لوزين بالعنوان نفسه، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1949)، **نمو الطفل والرضيع** (1949، مع إلغ، ج. إ. بولّيس)، **المراهقة من عشر سنوات إلى ست عشرة** (1956، مع إلغ، ل. باتز آم، ترجمه إلى الفرنسية، بالعنوان نفسه، إي. ليزين، باريس، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1959).

Cl.C.

جيلبريث (فرانك بانكر) Gilbreth (Frank Bunker)

مهندس أمريكي (فيرفيلد، مين، 1868- لاكاوانا، نيوجرسي، 1924).

إن جيلبريث، بوصفه تلميذ ف. و. تيلور، عمل مع تيلور على دراسة الحركات والأزمنة ونذر فاعليته المهنية للتنظيم العلمي للعمل. ولاحظ، وهو يراقب بنّائين يعملون، فروقاً كبيرة في المردود بينهم وفروقاً كبيرة، لدى عامل واحد، بين فترتين من عمله. واخترع عندئذ جهازاً لتحليل الحركات وسرداً للأعمال الأولية التي يمكن أن ترتدّ إليها كل حركة بسيطة أو معقّدة. هذه العناصر من العمل، التي سمّاها **ثيربليغ** (ضرب من التجنيس بقلب اسمه)، عددها سبعة عشر عنصراً. ويأمل على هذا النحو أن يحذف، بتحليل الحركات الأولية، تلك الحركات غير المجدية، ويتفادى التعب ويضع الطريقة الفضلى للعمل الممكن، ذلك الذي يمكن أن تتبنّاه مجموعة من العمال تنفّذ العمل نفسه. وأفلح على هذا النحو في أن يعلّم بعض البنّائين ألا ينفّذوا سوى خمس حركات من ثماني عشرة كانت ضرورية لهم من قبلُ ليضعوا آجرّهم. ولام علماء النفس مع ذلك ف. ب. جيلبريث على أنه استدلّ استدلال المهندس، جاهلاً الفروق الفردية الفيزيولوجية والسيكولوجية، وخالطاً بين الإيقاع الأقصى والايقاع الأمثل. ونذكر من مؤلفاته **نظام البناء بالآجرّ** (نيويورك، 1909)، **دراسة الحركة** (نيويورك، شركة فان نوستراند، 1911)، **دراسة التعب** (نيويورك، ماك ميلان، 1916)، **دراسة الحركات التطبيقية** (نيويورك، شركة ستور جيس ووالتون، 1917)، تُرجم إلى

الفرنسية بالعنوان نفسه، باريس، دونو، 1921). وهذان المؤلّفان الأخيران كان قد كتبهما بالتعاون مع زوجته. وهذه الزوجة، ليليان إيفلين مولّر، وهي مهندسة أيضاً، شاركت مشاركة وثيقة معه ووسّعت تطبيق تقنياتها على تنظيم العمل الزراعي والمنزلي. (انظر في هذا المعجم: **تحليل العمل**، **دورية الظاهرات الحيوية**، **الإيقاع**، **ثيربليغ**).

N.S.

جيمس (وليم) Jammes (William)

طبيب وعالم نفس وفيلسوف أمريكي (نيويورك، **1842**- شوكوروويا، همشاير، **1910**).

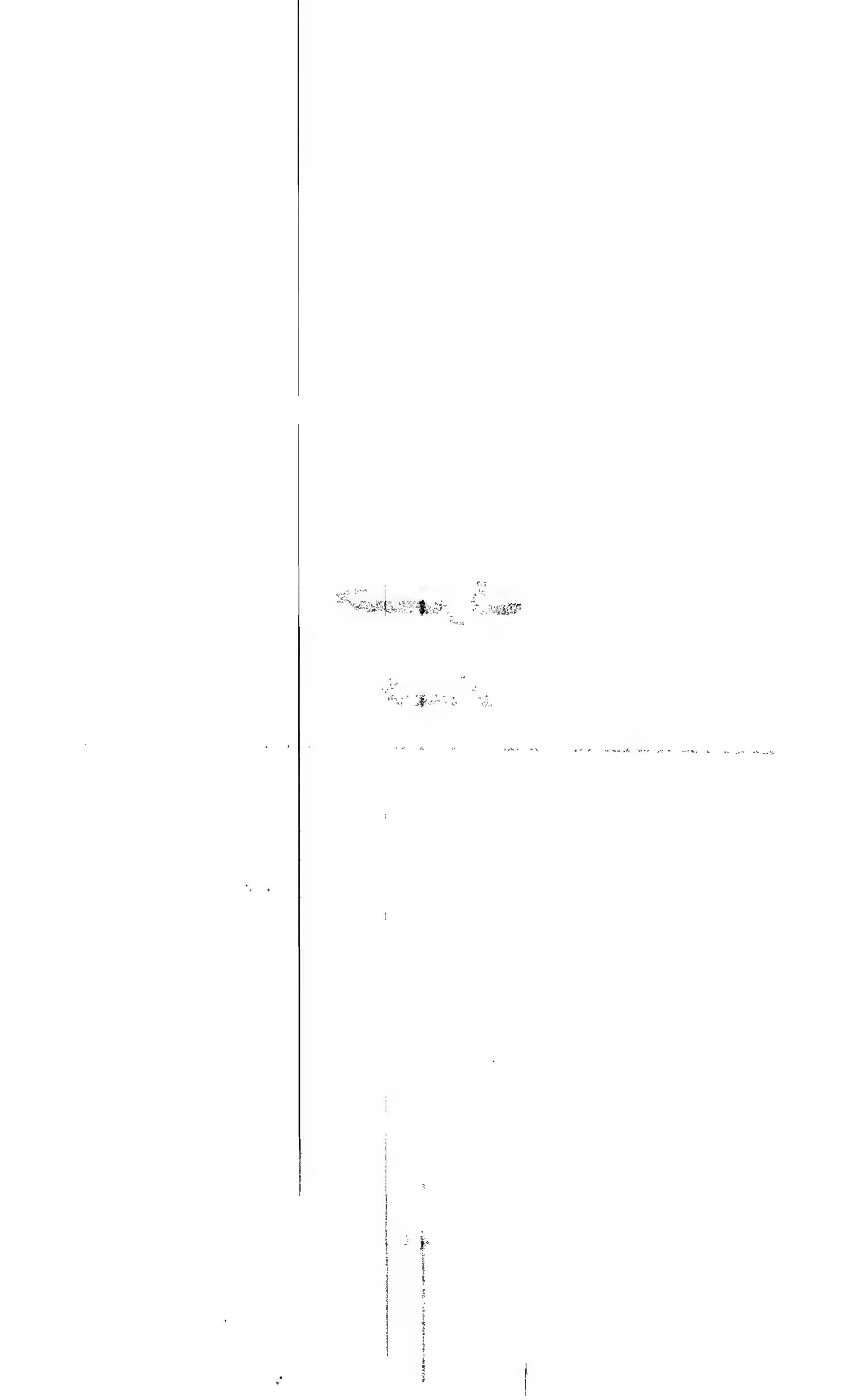
يعلّم جيمس على التوالي، بوصفه دكتوراً في الطب عام 1869، في جامعة هارفارد الفيزيولوجيا (1872)، والفلسفة (1880)، وعلم النفس (1889)، ثم يعلّم الفلسفة مجدّداً من عام (1897) إلى (1907). ويعطي عام (1875) محاضرة في «العلاقات بين الفيزيولوجيا وعلم النفس» وينجز طلابه تجارب في غرفتين يعتبرهما بعضهم المخبر الأول لعلم النفس في العالم. ويظهر وليم جيمس، عام (1880) نقداً لنظرية الجهد، نظرية مين دو بيران التي تتمتع بشهرة كبيرة، ولكنه بوصفه مؤسس المدرسة البراغماتية (الذرائعية) مع شارل ساندرز بيرس (18839-1914) سيصبح مشهوراً. وينشر عام (1907) كتابه **ذرائعية**، يؤكد فيه أن الحقيقة هي «ما هو عمليّ، مفيد أو ناجح». وسيظهر هذا التصورّ الدينامي أيضاً في مجال البيداغوجيا. فموقف المربي من الطفل، يقول، ينبغي له أن يكون مشخّصاً وحيّاً. إنه موقف يعارض معارضة إيجابية موقف عالم النفس، المجرد والتحليلي. (**أحاديث بيداغوجية**، تُرجم إلى الفرنسية عام 1917).

وكان وليم جيمس مفكّراً أكثر مما كان باحثاً، ولكنه أتقن تشجيع تلاميذه في درب البحث: إ. ل. ثورندايك في تجاربه في علم النفس الحيواني، غ. ستانلي هال الذي سيراه يتكوّن بإشراف و. وندت، جون ديوي، جيمس رولان أنجيل (1869-1949) وروبرت س. ودورث (بلشيرتاون، 1869- نيويورك، 1962).

ووضع أسس النظرية السيكوفيزيولوجية في الانفعالات التي ستكون موضع جدال. فأعلن فيها أن العواطف لا تنتج الانفعالات، بل يسبّبها احتياز الشعور بالارتكاسات العضوية الناجمة عن آليات قائمة مسبقاً، ومثال ذلك أننا ينبغي ألا نقول: «أرى دبّاً، فأخاف، فأرتعش، فأهرب»، بل أن نقول: «أرى دبّاً، فأهرب، فأخاف لأنني أهرب». فالوقائع النفسية لن تكون، من وجهة النظر هذه، سوى احتياز الشعور بالتغيّرات الفيزيولوجية (هذه الفكرة كان وليم جيمس قد بسطها في كتابه **مبادىء علم النفس**، 1890). وندين لوليم جيمس أيضاً. بمحاولات في التجربة الدينية: **الرغبة في الاعتقاد** (1897)، **ضروب التجربة الدينية** (1902)، **فلسفة التجربة** (1910). انظر في هذا المعجم: **الانفعال**، **الذرائعية**).

N.S.

حـــرف
الحـــاء



الحاجة

F: Besoin
En: Need
D: Bedürfnis

حالة سيكولوجية أو سيكوفيزيولوجية لشخص يستشعر نقصاً.

تعمل الحاجة وكأنها إشارة خطر وتقود الفرد إلى إنجاز عمل ضروري ليسدّ هذا القصور ويشبعها. والموجود الحي هو، في الواقع، متعضّ فاعل توازنه المؤقت يقتضي إعادة توافق دائم. ونميّز، في عداد الحاجات المختلفة، تلك الحاجات ذات العلاقة بالشروط الفيزيولوجية للمتعضّي (الحاجات الإنباتية، الحسية الحركية، الجنسية) والحاجات التابعة للشروط الاجتماعية. وإشباع الحاجات الأولى أمر لاغنى عنه لبقاء الفرد والنوع. إنها الحاجة إلى الغذاء، والهواء، والحرارة، والنوم، واستبعاد الفضلات، والعلاقات الجنسية، إلخ. وخلال زمن طويل، بدت النظرية المحيطية، نظرية عالم الفيزيولوجيا الأمريكي والتر برادفورد كانّون (1871- 1945)، التي تشرح ظهور الحاجة بحالة الأعضاء (الجوع ناجم عن تقلّصات إيقاعية معدية تلي نقص كمية السكر في الدم، العطش ناجم عن جفاف الأغشية المخاطية)، نظرية مرْضية، على الرغم من أنها لاتشرح بعض التصرّفات الشاذة. ففي التغذية على سبيل المثال، وُضعت الحاجات الفعلية للعضوية بصورة موضوعية، حاجات لا تقابل دائماً، لدى أشخاص عديدين، تلك الحاجات التي يشعرون بها. وحسبنا أن نذكر حالات الأفراد المصابين بالخلفة الذهنية أو البدانة. فبعضهم في حالة من فقدان التغذية تنذر بالخطر أحياناً؛ وبعضهم الآخر في بحث دائم عن الغذاء، على الرغم من أنهم يتغذّون تغذية مفرطة. فثمة، إلى جانب الإحساسات الحشوية التي يتكلّم عليها و. ب. كانّون، شروط عصبية أخرى بيّنتها أعمال علماء النفس الفيزيولوجيون ككارل سبنسر لاشلي (1890- 1958). ويوجد

في الدماغ، على ما يبدو، مركزان بالنسبة لكل حاجة عضوية مسؤولان، أحدهما عن إطلاق السلوك، والآخر عن الشبع. وإثارة هذين المركزين بالتأثيرات الحسّية (تقلّصات معدية عند رؤية طعام مشّه) وبالتغيرات الهرمونية (انخفاض مقدار السكر في الدم)، متضافرةً مع التأثيراتً الاجتماعية الثقافية والنفسية الوجدانية، هي التي تشرح ظهور الحاجات وإشباعها. وألحّ المحلّلان النفسيان الفرنسيان، جاك لاكان (1901- 1981) وأندره غرين، على واقع مفاده أن إشباع الحاجة لايلغي الرغبة بالضرورة. والسبب أن الحاجة التي نستشعرها، حاجة تظهر، بصورة مشخّصة، بفعل الرغبة في الأكل، والشرب، والنوم، إلخ، تقنّع على الغالب نقصاً آخر، من نسق نفسي وجداني، لايشعر به الفرد ذاته. فثمة إذن عدم تناسب، حتماً، بين «طلب» الموجود الفرد و«الاستجابة» التي تُقدّم إليه. ونفهم، في هذه الشروط، أن الشخص المتعطّش للحب، على سبيل المثال، الذي يتهاوى على الطعام، يظلّ في حال من عدم الإشباع، لأن الطعام ليس هو ما يبحث عنه.

والحاجات الأخرى، التي تسمّى ثانوية لأنها لاتضع موضع التساؤل وجود الفرد أو النوع، وجودهما نفسه، تحتلّ مع ذلك مكاناً مفضّلاً في علم النفس الإنساني. وهي معروفة أقلّ من الأولى بكثير لأنها لايمكنها أن تكون إلا مستنبطة من التصرّفات. إنها الحاجات الفكرية، الأخلاقية والجمالية، وحاجات التسلية، وإنجاز الذات وتجاوزها، والحاجة إلى المثال، والاعتقاد، إلخ. وعددها كبير. إن ألكسندر موره (مولود عام 1893) اصطفى منها عشرين حاجة اعتبرها أساسية (كالحاجة إلى نيل الإعجاب والسيطرة والاستقلال). ويبدو مع ذلك أن بوسعنا أن نميّز منها ثلاث حاجات ذات أهمية على وجه الخصوص: 1) الحاجة إلى **الأمن**، التي تنعكس على سبيل المثال في رغبة الفرد أن يكون له بلاد، وطن، مكان يشعر فيه أنه في منزله، أو تنعكس أيضاً في الاعتقاد بعالم مستقبلي حيث سيكافأ فيه «العادل»؛ 2) الحاجة إلى **استجابة وجدانية** تصدر عن الغير، هي جذر التنشئة الاجتماعية ذاته. والواقع أن الإنسان بحاجة إلى مثيله، لا ليتلقّى عونه فحسب (الإنسان يشعر بالسعادة حين يكون بمقدوره، عند الضرورة، أن يستدعي طبيباً، جاراً، بل ماراً مجهولاً)، بل ليكون بمقدوره التعاطف معه، والمشاركة في تصرّفاته

وانفعالاته، في حركة من التوسّع الرمزي لحدوده الشخصية. والإنسان يحتاج إلى أن يعترف به الغير ويؤيّده في قدراته (قوته، معارفه، طبعه...)، وفي وجدانيته (عواطفه، انفعالاته، ذكرياته، رغباته...)، في كل ما يفعله. وعلى هذا النحو، من جهة أخرى، إنما يتوصّل المرء إلى أن يمتثل لأعراف المجتمع «بفعل الرغبة في الاستحسان والخشية من العقاب على حدّ سواء» (ر. لانتون، 1959، ص. 13)؛

3)الحاجة إلى **الجدّة والإعلام** التي تقود الفرد إلى أن يمارس تجارب جديدة «ليرى». وهذه الحاجة ضرورية للمحافظة على الفرد والنوع، ولكنها تفيد على وجه الخصوص في النموّ. والتفتّح لدى الفرد. والواقع، يلاحظ ب. ف. سيمانوف (1973)، أن «نمو التعضيّات الحية سيتوقّف وتنحطّ هي مع مرور الزمن إذا لم تكن تنزع إلا صوب ما تعرف جيداً أنه مفيد لها». وهذه الحاجة إلى الجدّة أو الإعلام هي من العمق بحيث يُظهرها حتى الأطفال الصغار جداً ويلاحظها المرء لدى الحيوانات («منعكس الاكتشاف لدى الحيوان» الذي أشار إليه بافلوف على وجه الخصوص). ونقول مع كورت لوفن (1890- 1947)، لنوجز، إن الحاجة يمكنها أن تكون حالة فيزيولوجية (جوعاً، عطشاً...) أو رغبة (في شيء على سبيل المثال) أو حتى مجرد نيّة (نية إنجاز فعل). فهي عنصر دينامي يزيد التوتر الداخلي عندما يظهر، ويثير تحرير الطاقة، ويمنح نغمية وجدانية مناطق الوسط حيث يحدّد الفرد موقعه ويخلق القوة التي ستنزع إلى إشباعه.

ويسبّب تطوّر الحضارات تكاثر الحاجات غير الضرورية كالحاجة إلى امتلاك سيارة شخصية، وجهاز تلفزيون، ومنزلاً ثانياً، إلخ. وليس مؤكّداً أن إشباع هذه الرغبات يسدّ الفراغ الروحي لمجتمع الاستهلاك، ولكن إحباط هذه التطلّعات يمكنه أن يكون سبب المطالبات الاجتماعية، والعدوانية والضغائن، وأخيراً، سبب عدم الإشباع العميق. وسيكون علينا أن نؤسّس ضرباً من علم النفس البيداغوجي للحاجات، وتربية تحترم ضرورات الموجود الإنساني الأساسية (الحب، الحماية، الحرية، الاستقلال الذاتي)، ونولّد الحاجة إلى الشيء المفيد، ونعلّم إخضاع اللذة لمبدأ الواقع. (انظر في هذا المعجم: **مبدأ الواقع**).

N.S.

حاجات الإنسان إلى العمل

F: Besoin de l'homme au travail

En: The working requirment for man

D: Bedürfniss des Menschen bei der Arbeit

نعتبر أن فاعلية عمل معيّنة تشبع عدداً معيّناً من الحاجات. والمشكل الأكثر عمومية يكمن في مستوى الانتقال بين مراحل اللاعمل ومراحل العمل. فحاجات الإنسان إلى العمل، بالنسبة إلى هذا المشكل، ذات علاقة أكثر نوعية بوضع عمل؛ وحاجات العمّال ليست على ما يبدو واحدة بحسب وضعهم المهني. ونميّز على نحو مألوف حاجات الأمن من حاجات الانتماء، ومن حاجات اعتبار الذات وحاجات تحقيق الذات. ويعتقد بعض المؤلفين أن الإنسان يقيم تراتباً بين حاجاته وأن هذا التراتب تابع جداً للوضع المهني. ويمكننا بسهولة أن نتخيّل أن للعامل المهني تراتباً للحاجات مختلفاً عن تراتب العامل المتخصّص الذي يعمل في عمل مسلسل.

وترتبط حاجة الأمن بسلطة محدّدة جيّداً؛ فتنظيم المشروع يحفظ العامل من الحوادث، ويؤمّن له في مرحلة النماء الاقتصادي استقراراً ويتيح له، من خلال اختبارات مختلفة، أن يتقدّم في التراتبات المختلفة. وتظهر حاجة الانتماء بالبحث عن الاتّصال الاجتماعي: الانتساب إلى جماعة إنما هو المشاركة في بعض المُثل المشتركة، وهو الاطمئنان على دعمه تعويضاً عن شيء من الخضوع لمناقشات الجماعة. ويبدو أحياناً أن حاجة الانتماء أقوى من الحاجة إلى ربح المال. وليست حاجة الانتماء خاصة فقط بجماعة العمل، ولكنها ذات علاقة بجماعات خارجية

تظل مرتبطة بالفاعلية المهنية النوعية : نقابات، اتحادات، جمعيات، إلخ. ولحاجة الاعتبار شكلان : شكل قائم على الكفاءة كما يعيشها الفرد والآخر قائم على الوضع والنفوذ المرتبطين بالوظيفة. وحاجة الاعتبار درسها بعض المؤلفين على صورة حاجة الإنجاز وتحقيق الذات. إنها على سبيل المثال هي الرغبة في معرفة لغة أجنبية، وحيازة تقنية خاصة، وفي أن يكون مستقلاً بالنسبة لبيئة معينة، وفي النفوذ إلى مجال جديد وممارسة فاعلية جديدة.

Y.B.

الحاجات الروحية

F: Besoins spirituels

En: Spiritual needs

D: geistige Bedürfrisse

حاجات إنسانية إلى معرفة العالم الذي يحيط بنا، ومكان الإنسان وقدره. والجمال، والواجب.

لايمكننا، على الرغم من أن هذه الحاجات مرتبطة بالحاجات المادية والاجتماعية، أن نردّها إلى هذه الحاجات المادية والاجتماعية ولا أن نقصرها عليها. ونحن، على وجه العموم، نطلق على الانفعالات الإيجابية أو السلبية الناشئة من إشباع الحاجات الروحية اسم التجربة الوجدانية، العقلية، الجمالية، الأخلاقية. وينشأ الاستقلال النسبي للحاجات الروحية، جزئياً، من أن إسهاماً من الإعلام ذا دلالة ذرائعية غير معيّنة، غير نوعية، ضروري للأجهزة الحيّة ضرورة دفق المادة والطاقة. ويبرهن وجود فاعليات كشف لدى الحيوانات العليا وتجارب الحرمان الحسّي لدى الإنسان على ضرورة الإعلام دون علاقة بإشباع الحاجات المادية والاجتماعية. وهذه المنبّهات غير المتعيّنة من الناحية الذرائعية لا غنى عنها للموجودات الحيّة حتى تنمو، وتتقدّم وتصبح معقّدة أكثر فأكثر، وترقى إلى دوائر جديدة وتفوز بأشكال جديدة من السلوك. فإشباع الحاجات المادية ليس سوى شرط مسبق لا غنى عنه لتحقيق الأهداف الأساسية ومصير الإنسان الأساسي، وتحقيق النمو غير المحدّد لطاقته الكامنة المبدعة. ويشبع الإنسان حاجته إلى المعرفة بطريقتين على نحو أساسي: الكشف في العالم المادي والفاعلية المبدعة، تجديد (تركيب

جيد) ما هو مكتسب الآن. وثمة ثلاثة نماذج من الفاعليات الإنسانية، العلم والفن والإيديولوجيا، تشبع الحاجة إلى جواب عن هذه الأسئلة: ما ماهية الإنسان والجمال والواجب في هذا العالم؟ ولإشباع الحاجات الروحية، بالمقابل، مفعول على إشباع الحاجات المادية: إن تقدّم العلم مهمٌّ في نموّ إنتاج الرفاهية المادية، ومعايير الأخلاق الاجتماعية تجعل وجود المجتمعات الإنسانية ممكناً. إن قوانين تطوّر الحضارة الإنسانية التاريخي تحدّد محتوى إشباع الحاجات الروحية وأشكاله النوعية. (انظر في هذا المعجم: **الإبداعية**).

P.V.S. (ترجمه إلى الفرنسية **D.J.V.**)

حاجة العمل

F: Besoin de travail

En: The urge to work

D: Arbeitsbedürfniss

من المعاينة التي مفادها أن ثمة أناساً يعملون وآخرين لا يعملون، يمكننا أن نستخلص النتيجة التالية: لدى الأوائل حاجات ليست موجودة لدى الآخرين. والمقصود حاجات ليست أولية، تنمو مع اللغة، ومع دخول المدرسة والتكوين المهني على وجه أخصّ.

وبوسعنا أن نميّز ثلاثة نماذج من الحاجات المرتبطة بحاجة العمل: حاجات التنبيه، والارتياد، واستعمال اليد؛ حاجات المعرفة؛ حاجات الاستقلال، والإنجاز. فتجارب الحرمان الحسّي يمكنها أن توضّح حاجة التنبيه. ويحاول الأفراد، في الأوضاع التي لم تعد فيها البيئة تنتج التنبيهات، أن يبتكروا تنبيهات بالتقلّصات العضلية وفرقعة الأصابع، إلخ. وثمة أعمال شاقّة على وجه الخصوص جرّاء غياب التنبيهات الحسية؛ إنها أعمال المراقبة، واليقظة والرصد. وحاجة الارتياد واستعمال اليد يمكننا أن نؤكّدها بمقدار ما تكون ممارسة فاعلية ممتعة في ذاتها. وبيّن بعضهم أن الناس كانوا يختارون الدرب الأصعب على الغالب في حلّ مسألة. وحاجة المعرفة يمكنها أن تكون ذات شكل حسّي وإدراكي، والفضول المعرفي ينصبّ على المعرفة التي يمكنها أن تكون لدى الإنسان للأشياء والأوضاع. وفي رأي التحليل النفسي أن الحاجة إلى معرفة الأصول، أي الحمل والولادة، موجودة في أساس كل حاجات المعرفة، والاستيعاب والعلم. وهذه الحاجة إلى

معرفة الأصول هي أصل التكوين المهني أيضاً، ذلك أن كل عمل ينطوي على وضع بوسع الفرد أن يؤثّر فيه بالمعرفة الموجودة لديه عنه. وتبدو حاجة الاستقلال ذات علاقة بالعمل عند الانتقال من حياة المراهق التابع لأبويه إلى الحياة المهنية. وحاجة العمل الروتيني، التكراري، يمكنها أن تتغلّب على حاجة الإبداع والاستقلال؛ وفي هذه الحالة إنما يمكننا أن نتكلّم على «الدور الدفاعي للعمل». فالعمل الإبداعي المنطوي دائماً على حركة الاستيهامات يسبّب تغيّراً على مستوى الفرد، تغيراً يمكنه أن يكون مرفوضاً. والعمل الذي يعدّل علاقات الفرد بالعالم لايمكنه أن يكون سوى نصر على نرجسية الإنسان. ولا تبدو حاجة العمل عندئذ إلا انطلاقاً من اللحظة التي يكون بإمكان الفرد خلالها أن يتخلّى عن توظيف لذاته تخلّياً حراً.

Y.B.

F: Accident **حادث**

En: Accident

D: Unfall

حدث طارئ، مؤذ في العادة على المستوى الجسمي، الذهني أو المادي.

من الواضح أن الحوادث يمكنهاأن تطرأ في كل لحظة وكل مكان، ولكنها تحدث بصورة خاصة في الشارع وعلى الطرقات، حيث تنامي حركة المرور يزيد المخاطر بالنسبة لمستعملي شبكة الطرق، وفي أماكن العمل، حيث التقدّم التقني يُكثر من استخدام الآلات. ونسبة الوفيات في الحوادث، بحسب استقصاء أجراه المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية (I.N.S.E.E)، بين الرجال من سن 45عاماً إلى 54 (104 من كل 100000)، تحتلّ المركز الرابع بعد السرطان، وأمراض القلب، والإدمان على الكحول، ونسبة الوفيات في هذه الأمراض تبلغ على التوالي: 212، 136، 117، من كل 100000.

ويقدّم السير على الطرق نسبة مئوية من الحوادث هي من إثارة القلق بحيث تتّخذ شكل آفة اجتماعية حقيقية تصيب كل البلدان، ويبذل جهودهم في مكافحتها اختصاصيون، يتجمّعون في فرقاء من مختلف الفروع العلمية. وقُدّر في المملكة المتحدة عام 1965 أن نصف المواليد في العام سيكونون، عاجلاً أو آجلاً، ضحية حوادث الطرق، وأن واحداً من خمسين يموت. ويبدو أن الحدّ الأقصى من المخاطر يقع بين 15 و25 عاماً. والنساء أقلّ تعرّضاً للخطر من الرجال. ففي عام 1974، كان 100000 قد قُتل، وجُرح 2500000 على طرق أوروبة وحدها

(س. ج. رومر، 1978). وحدث في فرنسة وحدها، عام 1981، 239734 حادثاً جُرح من جرّائها 334289 شخصاً ومات 12428. وأسباب حوادث الطرق متعدّدة ومعقّدة، ولكن ثمة بعض العوامل هي السائدة. فتشبّع العضوية بالكحول لدى السائقين حين وقوع الاصطدام لوحظ في 50 بالمئة من الحوادث المميتة. وينبغي، إضافة إلى الكحول، توجيه الاتّهام إلى العقاقير، كالعقاقير الباربيتورية والمهدّئة، التي تسبّب، هي أيضاً، نقصاً في القدرة على تركيز الانتباه، وميلاً إلى النعاس، وإساءة تقدير الأخطار، وبطئاً في الارتكاسات. إن 90 بالمئة من الحوادث مرتبطة بالعامل الإنساني (اضطرابات بصرية أو قلبية، سكر، صرع، شرود، هموم، طيش، فقدان الوعي، سرعة الغضب، نزق، شعور بالقوة، عدوانية، احتقار النظام، إلخ) و3 بالمئة بحالة الطرق، و7 بالمئة بقصور ميكانيكي. وسيكولوجية المصاب بالحادث تكشف على الغالب عن شخصية غير ناضجة وسمات طبع من النموذج الذهاني الهذائي أو المازوخي. وثمة استقصاء أُجري في الولايات المتحدة الأمريكية، عام 1949، لدى جماعة من السائقين المهنيين الذين وقعوا في أكثر من أربعة حوادث، كان قد أبان أن هناك، لديهم جميعاً منذ الطفولة، عداوة لكل سلطان، وعدم استقرار، وتوازناً نفسياً رديئاً. فالسائق المثالي يبدو أنه فرد انفعالي باعتدال، مستقرّ، صبور، متسامح مع الغير، يقبل النظام، واع مسؤوليته إزاء مستعملي الطريق الآخرين، وقادر على النقد الذاتي. ومشكل الحوادث لايطرح نفسه على المستوى الإنساني فحسب، بل على المستوى الاقتصادي. فالتكاليف الاجتماعية للحوادث كبيرة. إنها ارتفعت عام 1970، في السويد على سبيل المثال، حسب تقديرات رون أندريسّون (1975)، إلى 440 مليون كورون أو 110 مليون دولار. وارتفعت تكاليف الحوادث في فرنسة، بالنسبة لعام 1978، إلى 40 مليار فرنك، أي 2 بالمئة من الإنتاج الوطني الإجمالي. واتّخذت هذه الظاهرة خلال السنين مثل هذه الأهمية بحيث أن الحكومة الفرنسية عهدت عام 1972 إلى لجنة مؤلفة من عدد من الوزراء، برئاسة رئيس مجلس الوزراء، بمهمة تنشيط سياسة وطنية لأمن الطرق. ونجم عن هذه السياسة، على وجه الخصوص، جهد هائل من

الإعلام الموجّه إلى الجمهور، وتحسين شبكة الطرق والإسعافات، التي، إضافة إلى تحديد السرعة والإلزام بوضع حزام الأمان، جعلت عدد الضحايا يتراجع. وانخفض رقم القتلى من 16900 عام 1972 إلى 12137 عام 1978، أي سجّل نقصاً قدره 28 بالمئة، في حين أن حركة السير على الطرق كانت قد زادت في الوقت نفسه بمعدل 35 بالمئة.

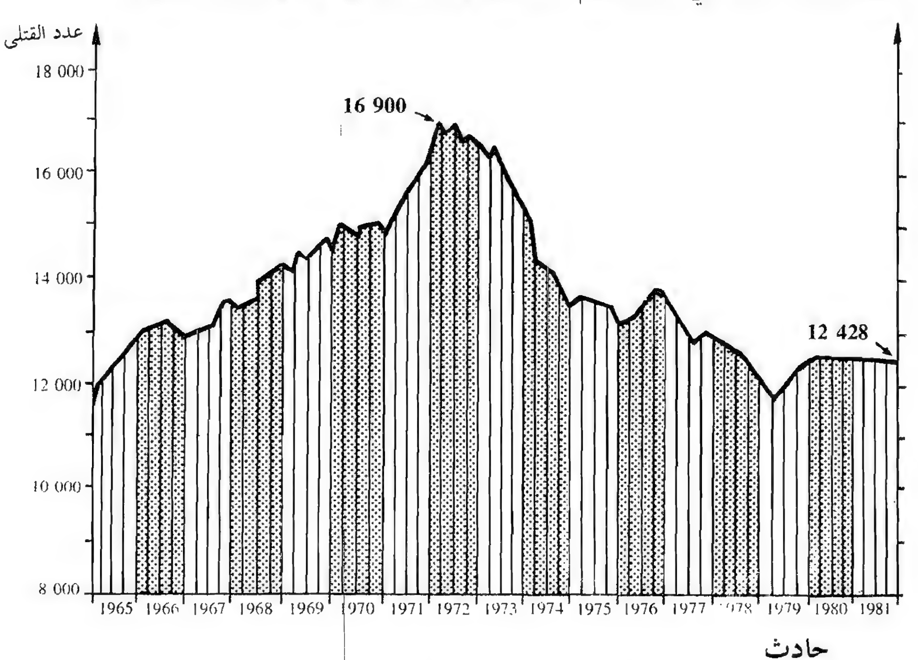
وتكوّن **حوادث العمل** ظاهرة تدعو إلى القلق هي أيضاً. ويُحصى كل عام، في المشروعات الفرنسية، أكثر من مليون حادث، منها حوالي 2100 إلى 2400 حادث مميت (أُحصي، عام 1974، 1154376 حادثاً في العمل، منها 119796 حادثاً خطيراً و2117 مميتاً). ومؤشّر الوفيات بالحوادث في تزايد مستمرّ. فقد ارتفع من 100 عام 1960 إلى 111,09 عام 1970.

وأتاح علماء النفس والاختصاصيون في تنظيم العمل، الذين انكبّوا على دراسة المشكلات التي تطرحها حوادث العمل، تحديد الأسباب الناجمة عن العامل وتلك التي ينبغي أن تُعزى إلى بيئة العمل. وتمثل، في عداد الأسباب الأولى، الهموم الأسرية، والنزاعات النفسية الداخلية والنزاعات النفسية بين الفردية، التي يكمن مفعولها في أنها تقلّل الانتباه واليقظة. وسيكون الاندماج الرديء بجماعة العمل (وهو موضوع ضعيف الشعبية، معزول أو منبوذ)، وفقدان الأمن المادي، والخشية من البطالة، ولاسيّما في فترة الانكماش الاقتصادي، عوامل تجعل العامل عرضة للحوادث أيضاً. ولوحظ في الواقع، عقب التسريحات الجماعية، استمرار القلق، وضرب من النزوع إلى الحوادث بالترابط مع العامل الأول، بين العمال الذين أفلحوا في إيجاد عمل جديد. وثمة عوامل أخرى، كالدافعية للعمل، والعمر، والقدم في المهنة والمشروع، تشترك في ظهور هذه الأحداث المؤسفة. ويبدو أن العمال من سن الثلاثين إلى أربعين عاماً أقل عرضة للحوادث. والأقلّ عمراً أكثر عرضة للحوادث بسبب قلّة الحذر والتجربة، والأعمر بسبب نقص الاستعدادات. وللكحول نصيبها في المسؤولية أيضاً. فحوادث العمل، في رأي

هاس (1971)، أكثر تواتراً بمرتين إلى ثلاث لدى الكحوليين، وتشكّل 10 بالمئة من المجموع على وجه التقريب. وبين أسباب الحوادث التي يمكننا أن نعزوها إلى بيئة العامل، تمثل مقتضيات الإنتاج وضروب قسر التنفيذ التي تقود العامل إلى أن يجازف على الأغلب، إذ لا يحترم تعليمات الأمن. فالحادث، يقول كزافيه كوني (1975، ص. 192)، ليس «سوى برهة في سيرورة العمل التي تُصاب باضطراب وظائفي». ويظهر أنه حاصل عوامل عديدة حيث يتدخّل، على حدّ سواء، تصرّف الفرد ومجموعة الآلات، والزملاء والرؤساء. وأزمنة التعلّم القصيرة جداً، والصيانة الرديئة للتجهيزات، والمواقع العسيرة والمملّة التي تُعهد إلى الشباب لأن العمال ذوي الخبرة لايريدونها، وخشية المرء ونفوره الطبيعي من الآلات الضخمة، والانتقال من فريق إلى آخر في نظام «3 × 8»، هي أيضاً عوامل ينبغي ألا نهملها. وبعض الفترات الزمنية ملائمة للحوادث أكثر من الفترات الأخرى؛ ومثالها استئناف العمل بعد راحة عادية أو بعد توقّف ناجم عن عطل الآلة. وبعض أماكن العمل يمكنها أن تكون مسرح حوادث متواترة. إنها الأماكن التي يعمل فيها عدة أشخاص معاً، والأماكن التي تلتقي فيها ورشتان كل منهما ذات علاقة بالأخرى، والأماكن التي يتناوب العمل فيها فريقان لتأمين العمل نفسه. وتتغيّر مخاطر الحادث أخيراً بحسب قطاعات الفاعلية. فالحوادث، في قطاع البناء والأشغال العامة، أكثر عدداً (71,55 بالمئة، عام 1973) منها في قطاع التعدين (12,11 بالمئة) أو في الصناعات النسيجية (5,71 بالمئة).

وتشغل الوقاية من حوادث العمل بال رؤساء المشروع لأسباب إنسانية وإنتاجية على حدّ سواء. فالعديد من الهيئات تبذل جهدها في أن ترهف حسّ العمال لهذا المشكل بواسطة الإعلانات، والوثائق، والمناقشات أو المحاضرات. وبوسع عالم نفس العمل، بتأثيره، أن يشجّع قبول الوسائل الفردية في الحماية كالقفّازات، والنظّارات، والجزمات المانعة الانزلاق، إلخ، التي تظلّ على الغالب غير مستخدمة. ولكن وقاية ناجعة لا يمكن تصوّرها دون عمل يتّفق عليه ممثلو العمال، والأطباء، وعلماء النفس، والمهندسون، ورؤساء العمال. ففي المدن،

كبرشلونة، دروس مخصّصة للعمال الذين يتعلّمون فيها دلالة الإشارات، ومجموع التعليمات، والإسعافات الأولى، ووسائل إسعاف الآخرين. ومن الممكن تقليص عدد الحوادث إلى حدّ كبير إذا أشركنا العمال بالبحوث واتّخذنا الإجراءات المناسبة، كما كانت الحال بالنسبة لمشروع بافاري في صناعة الحديد الذي جعل عدد الحوادث في مليون ساعة عمل بشري يتدنّى من 92 إلى 22. (انظر المصطلحات التالية في هذا المعجم: **الكحول والإدمان على الكحول، أمن الطرق**).



حادث

سجّل عدد المصابين بحوادث الطرق في فرنسة تقدّماً مستمراً حتى عام 1972، تأريخ أدّت بدءاً منه مجموعة من الإجراءات الحكومية في مجال أمن الطرق إلى تراجع في عدد القتلى، كما يدلّ عليه بوضوح هذا المنحنى الإحصائي (خط بياني نشرته أمانة السر العامة للجنة المؤلّفة من الوزراء لأمن الطرق تحت إشراف رئيس مجلس الوزراء).

N.S.

حاصل الذكاء (ح. ذ.) F: Quotient intellectuel (Q.I)

En: Intelligence quotient

D: Intelligenzquotient

علاقة بين العمر العقلي الذي يحصل عليه طفل في رائز ذكاء وبين عمره الزمني.

أتاح إعداد مفهوم **حاصل الذكاء** تحقيق ضروب من التقدّم في قياس الذكاء. وكان ألفريد بينه (1857- 1911) قد تجاوز الخطوة الأولى عندما خطرت بباله فكرة العمر العقلي. وبحث بينه في العمر المتوسط الذي كان أطفال يمكنهم خلاله أن يحلّوا بعض المهمّات العقلية وسلسلهم حسب العمر. والعمر العقلي لطفل من الأطفال -ولنسمّه هنري- يقابل العمر الواقعي لطفل نجح في الاختبار من المستوى الذي يبلغه هنري. فاذا تجاوز هنري بنجاح الاختبارات التي نجح فيها وسطياً طفل ذو ثماني سنوات، فإن عمر هنري العقلي ثماني سنوات، سواء أكان عمره الواقعي ست سنوات أو عشر. ولحساب حاصل ذكائه، نقسم، بكل بساطة، العمر العقلي على العمر الزمني ونضرب بمئة لاستبعاد الكسور العشرية. والأساس، على هذا النحو، أن ح. **ذ**. لجماعة من الجماعات هو 100. وتدلّ العلامات، من الناحية النظرية، على ذكاء عال إذا كانت تتجاوز المئة، وعلى ذكاء أدنى إذا كانت أدنى من مئة.

ونعتبر على وجه العموم أن للمصابين بالقصور العقلي حاصل ذكاء أدنى من 70، وأن حاصل ذكاء الطلاب ينبغي أن يكون، مبدئياً، 120 على الأقلّ ولخمسين

بالمئة من السكان حاصل ذكاء يقع بين 90 و110 . وليس لمفهوم حاصل الذكاء، بوصفه علاقة بين العمر العقلي والعمر الزمني، قيمة بالنسبة للراشدين، ذلك أن القابليات العقلية (أدوات الفكر الأساسية) تتوقّف عن التقدّم بعد السادسة عشرة على وجه التقريب. فالحسابات الإحصائية تكون عندئذ ضرورية لوضع علاقة لها دلالة حاصل الذكاء لدى الأطفال، وتسمّى هذه العلاقة أيضاً «حاصل ذكاء» لدواعي السهولة (انظر في هذا المعجم: **الانحراف المعياري**، **الذكاء**).

H.J.E. (ترجمة **D.J.V.**)

الحاضنة

F: Pouponnière

En: Nursery, Crèche

D: Sauglingsheim

مؤسسة للحياة الداخلية تستقبل أطفالاً عمرهم أقلّ من ثلاث سنوات لايمكنهم البقاء في منزلهم ولا أن يُعهد بهم إلى أسرة مرضعة.

نميّز، وفق الباعث على الوضع في المؤسسة، **حاضنات الاستقبال** أو «ذات السمة الاجتماعية»، التي لا تستقبل إلا أطفالاً في صحة جيدة ليس بوسع الوالدين، مؤقّتاً، أن يؤمّنوا لهم الحراسة، من **الحاضنات الطبية** أو «ذات السمة الصحية»، المخصّصة لإيواء أطفال تقتضي حالتهم الصحية عنايات خاصة، تحت المراقبة الطبية. والنصوص القانونية النافذة المفعول حالياً في فرنسة (مرسوم 15كانون الثاني (يناير) 1974) اقتصرت على أن تنظّم وضعاً آلت إليه، عقب تطوّر بطيء، الحاضنات لـ«الأطفال الأصحّاء» والحاضنات لـ«الأطفال المصابين بالضعف العقلي» التي حدّدها مرسوما 21 نيسان (أبريل) 1945 و9 آذار (مارس) 1956.

N.S.

بواعث القبول في الحاضنات الطبية كثيرة. فلْنذكر في عداد الأكثر شيوعاً التهابات القصبات الناكسة، ربو التهاب القصبات، اعتلالات القلب الجبلّية بانتظار تدخّل ترميمي، مرض البطن، ضروب التخلّف النفسي الحركي، اعتلالات الدماغ الطفلية، ضروب فقر الدم، ثم، حسب إنشاء المؤسسة المناخي، آفات الأنف والأذن والحنجرة الناكسة أو الكساح الشديد. وقرار 28 كانون الثاني (يناير) يحدّد

الأماكن، والموظفين، وعمل الحاضنات الوظائفي ذات السمة الصحية مع الأخذ بالحسبان مكتسبات الطب الوقائي، والدراسات السيكولوجية الجارية على أطفال يعيشون جماعياً، وخطورة الأمراض المعالجة. والحاضنات ذات السمة الصحية موجودة، في تصورّها الراهن، في منتصف الطريق بين الأسرة وخدمة طب الأطفال. وتُعالج فيها أمراض هي من القوة بحيث تتعذّر معالجتها في الوسط الأسري وهي من طول المدة بحيث تتعذّر معالجتها في المشفى. ويأتي الرضّع من المشفى على الأغلب، بعد الطور الحادّ من مرضهم أو بعد تقييم كامل للوضع الصحّي. ويقيمون في الحاضنة مدة غير معيّنة إلى أن يكون متحقّقاً أنهم في حالة تتيح اندماجهم الجديد في الأسرة. وتؤمّن المؤسّسة للرضّع المرضى مراقبة طبية دائمة، وعلاجاً نوعياً متعدّد الوجوه، وتربية متكيّفة مع كل طفل، ومجموعة دائمة من السيرورات التي تشجّع وتتيح لهم النمو السوي. وتحقّق، في أعقاب صرخة إنذار بالخطر حقيقية، أطلقها بعض المؤلفين الذين أصبحوا حسّاسين للعواقب الممكنة المترتّبة على القصور العاطفي، ضربٌ من احتياز الشعور على مستويات الأشخاص المعنيّين: الآباء، الموظفين، المكوّنين، المشرّعين، إلخ. وكانت نتائج، في سبيل تحسين دائم، قد بُلغت بفعل إعلام الآباء، وتكوينٌ -يتمركز، على نحو متعاظم، على مشكلات علائقية، تربوية، وبيئية -يُمنح المشرفات على رعاية الوليد والمساعدات، في المدارس المهنية وخلال الاستخدام على حدّ سواء. وضروب التقدّم التي أنجزتها الحاضنات، على مستوى العنايات السيكولوجية، واضحة، ولا يُلاحظ في هذه الحاضنات أبداً حالات الدنَف والاضطرابات الناجمة عن البقاء في المشفى مدة طويلة، حالات وصفها على وجه الخصوص، جون باولبي في بريطانية العظمى، ورونه سبيتز في الولايات المتحدة، وجنّي أوبري في فرنسة. وعلى هذا النحو لم تُظهر النتائج أبداً في معهد بودابست الوطني لعلم المناهج، الحاصلة والمراقبة في إطار المنظّمة العالمية للصحة، شذوذات في السلوك إلا في نصيب شبيه بنصيب فئة من السكان لم تغادر الوسط الأسري في العمر الغضّ، وذلك مع زمن يبعد عنا أكثر من ربع قرن. (انظر في هذا المعجم: **القصور العاطفي**).

F.B.

F: Motif instrumental, Motif opérant **الحافز الأداتي**

En: Instrumental motive, Operant motive **الحافز الفعّال**

D: Instrumentaler antrieb, wirkandar antrieb

الحافز الأداتي هو، في مصطلحات المحلّل النفسي والإتنولوجي الأمريكي جورج دوفوره (المولود عام 1908)، ما يسوّغ ويتيح الانتقال إلى الفعل. إنه الوسيلة والذريعة اللتين تتيحان نقل الحافز **الفعّال** من القوة إلى الفعل. أما فيما يخصّ هذا المصطلح الأخير، فإنه يدلّ على الدافعية الأساسية التي تنتج الطاقة الضرورية لتنفيذ فعل.

وينعكس وضع الحوافز وفق إطار الشرح المختار، علم النفس أو علم الاجتماع (انظر في هذا المعجم: **الطب النفسي الإتني**).

F.M.J.

الحالة الحدّية أو الهامشية F: Cas limite Ou Cas Marginal

En: Borderline Case

D: Rendfall, Grenzfall

فرد موقعه في منطقة حدودية، على تخوم صنفين سيكولوجيين أو حالتين سيكولوجيتين.

مثال ذلك أننا نعتبر طفلاً «حالة حدّية» عندما يكون حاصل ذكائه يقع على وجه الضبط تحت الحدّ الأدنى من السواء. ونتكلّم على «حالات حدّية» في علم النفس المرضي للدلالة على أشكال من تنظيم الشخصية تتميّز بنقص الثبات؛ وتترجّح هذه الأشكال، من وجهة نظر البنية والأعراض، بين الأعصبة والذهانات، وبين السواء وعدم السواء من وجهة نظر التكيّف.

ومنذ أن اقتُرح تصنيف الأمراض الذهنية إلى أعصبة وذهانات، اصطدم مؤلفون عديدون بتعذّر أن يوضع بعض من الحالات الخاصة في كلا الزمرتين. وتكاثرت الأوصاف انطلاقاً من هذه الصعوبة، إذ اقترح كل منهم تسمية جديدة لهذه الحالات الوسطى، وكان أكثر من أربعين مصطلحاً قد أُحصي، يمكنها أن تعتبر قريبة من «الحالة الحدّية» أو مترادفة. وتكلّم عام 1884 شارل هاملتون هوجز (1839- 1916)، أول من تكلم، على **سجل الطب النفسي للحالة المتاخمة** للدلالة على «الحالة المتاخمة للجنون». واستأنف هذا المصطلح عام 1890 جـ. ك. روس. ثم استخدمه استخداماً جديداً أ. ستيرن (1938)، ف. و. إنشتاين (1949)، بعد

مرحلة طويلة من النسيان. وهذان المحلّلان النفسيان الأنغلوساكسونيان لم يكونا يكتفيان ببعث مصطلح سقط بفعل عدم الاستخدام ولكنهما كانا قد دشّنا مسعى جديداً باحثاً عن أن يحل"كياناً مستقلاً حقيقياً محل" عدم الدقة في هذا الإطار من تصنيف الأمراض أو محل" الضبابي. وتبعهم في ذلك محلّلون نفسيون وأطباء نفسيون، عديدون. ووجهة نظر التحليل النفسي في البنية الأساسية لهذه الحالات لخّصها جيداً موقف جان بيرجوره (1970). وفي رأيه أن تاريخ الحالات الحدّية يبدأ من الطفولة الأولى، بعد أن كان الطفل قد تجاوز دون صعوبة خاصة فترة «المرحلة الفمية» (من الولادة إلى نحو سنتين) والعلاقات الأكثر اتصافاً بأنها مبكّرة. ويطرأ في نهاية المرحلة السادية -الشرجية (بين سنتين وأربع سنوات على وجه التقريب)، في بداية «المرحلة القضيبية» تماماً، حادث وجداني، من النسق الجنسي على وجه العموم، يوصف بأنه «صدمة مبكرة تفكّك التنظيم»، تلقي الفرد في الوضع الأوديبي على نحو مبتسر وعنيف. وبالنظر إلى أن الطفل عاجز عن مواجهة مثل هذا المشكل، فإن تطوّره يجد نفسه معاقاً؛ وسيتخثّر في ضرب مزيّف من «مرحلة كمون» سابقة لأوانها، ذات علاقة بتكثيف كبت الدافع الجنسي، تكثيف سيستطيل إلى ما بعد المراهقة، خلال جزء من سن الرشد بل كلية سن الرشد. والفترة الزمنية التي تحدث فيها الصدمة البدئية، بين تأسيس العلاقات الأولى بالموضوع، الذي ستكون اضطراباته في منشأ التبنينات الذهانية، وبين مرحلة النزاع الأوديبي، الذي يمكن أن يرتسم انطلاقاً منه تطوّر عصابي، عنصر أول يتيح تحديد معالم وضع التصنيف المرضي للحالات الحدّية. وتنتمي آليات دفاع الأنا إلى السجلّين الذهاني والعصابي معاً. وينجم عن ذلك ضرب من تنظيم الشخصية يسمّيه بيرجوره «الجذع المشترك للحالات الحدّية». والواقع أن نقص المتانة والاستقرار لمثل هذا التنظيم لايتيح الكلام على بنية، بل على «وضع منظّم» فقط. ومثل هذا التنظيم يمكنه، من جهة أخرى، أن يستطيل زمناً طويلاً، كل الحياة في بعض الأحيان؛ ويتيح تكيّفاً اجتماعياً سوياً، بل مغالياً في السواء أحياناً، ولكن لقاء صرف كبير في

الطاقة ناجم عن إقامة تكوّنات ارتكاسية باهظة الثمن بالنسبة للفرد. وهذا التوازن يمكنه أيضاً أن يتقوّض، بمناسبة حادث في الحياة اليومية (حداد، إخفاق مهني، انقلاب اجتماعي، حادث سير، تقاعد)، تاركاً الفرد فريسة أزمة من الحصر الحادّ، في حال تبدو أنها حالة اكتئاب مبتذلة.

وهذا الشكل من تنظيم الشخصية، إذا استثنينا كل فقدان للتعويض، أي مادامت آليات التعويض مستمرّة في القيام بوظيفتها والتوازن مصاناً، يتضمّن تشكيلة متنوّعة من الأعراض التي يمكننا أن نجمعها حول بعض الأقطاب. وعلى هذا النحو إنما يميّز ر. ر. غرانكار، ب. ويربل، ر. ك. دراي (1968)، أربعة أنواع من الحالات الحدّية وفق غلبة العدوانية، واضطراب في العلاقات، واضطراب في الهوية الشخصية، أو الاكتئاب الناشئ من الشعور بالعزلة الوجدانية. ففي الزمرة الأولى («حالات حدّية ذهانية»)، يتحدّد موقع أفراد تصرّفاتهم غير متناسبة مع الأوضاع التي يدركونها إدراكاً سيئاً؛ إنهم على الغالب سلبيون وعدوانيون إزاء الآخرين. وتجمع الزمرة الثانية أشخاصاً يترجّحون، في علاقاتهم بأعضاء محيطهم، بين العدوانية والاكتئاب ترجّحاً مستمراً. ونجد في الزمرة الثالثة أفراداً متكيّفين جيداً من الناحية الاجتماعية في الظاهر، ولكن الإنهاك يصيبهم في البحث عن هويتهم ويتبنّون الانطواء على الذات وإضفاء الصفة الفكرية على حالاتهم الوجدانية بوصفه آلية دفاع، وذلك أسلوب في إضفاء الحياد، إن لم يكن السيطرة، على نزاعاتهم وانفعالاتهم إذ يبعدونها. والزمرة الرابعة، أخيراً، («حالات حدّية عصابية»)، تتألف من أفراد شرهين للحب والمكافآت والاعتبار، حسّاسون بمغالاة لكل استهجان. إنهم يظهرون أن الحنين إلى الطفولة الأولى، وذكرى علاقة التكافل مع الأم، وعاطفة شديدة من العزلة الوجدانية، تَسْكُنُهم، كما في الاكتئاب الاعتمادي الذي وصفه رونه سبيتز (1887- 1974).

ويكمن الانطباع الأول الذي نستمدّه من الحالات الحدّية في أن ثمة فصلاً في الشخصية إلى قطاعين: أحدهما يدرك الواقعي إدراكاً جيداً، والآخر يعمل عمله

الوظائفي على نمط سلبي تابع ونرجسي. ويمنح تنسيق هذه السمات المختلفة أشكالاً عيادية متنوّعة، قريبة من الذهان قليلاً أو كثيراً (أشكالاً كاذبة من الفصام والذهان الهذائي) أو من العصاب (أشكالاً كاذبة من الهستيريا والوسواس).

وبعد نوبة حادّة من فقدان التعويض، يمكن أن يحدث «اندمال الندوب» وفق ثلاثة أنماط ممكنة: عصابي، ذهاني، نفسي جسمي. ولكن الحالة الناجمة عنها تظلّ دائماً غير كاملة، فقيرة في الأعراض بالنسبة للأشكال المألوفة، إذ تؤكّد نزعة هذا النموذج من الشخصية إلى الاحتفاظ دائماً بوضع ملتبس في تكيّفه السوي وفي تطوّره المرضي على حدّ سواء. وينبغي أن نضيف أن «الحالات الحدّية» لا تكوّن، بالنسبة لغالبية الممارسين، مؤشّراً جيداً لعلاج بالتحليل النفسي، بسبب عطوبة الأفراد وعدم الاستقرار في وسائل الدفاع التي تستخدمها الأنا.

J.MA.

حالة مصاحبة للنوم

F: État Parahypnique

En: Parahypnic state

D: Parahypnischer zustand

حالة هامشية بالنسبة للنوم.

الحالات المصاحبة للنوم، بالمعنى الدقيق، تطرأ خلال الغفوة أو الاستيقاظ. إنها تتضمّن ضرباً من الغنى في تكوين الصور أو الأفكار وشحنة انفعالية قوية. وتتجلّى مكوّناتها البيولوجية بغلبة الجملة نظير الوديّة (التي تظهر بإبطاء إيقاع القلب، وتمدّد الأوعية. . .) وظهور المرحلتين الأولى والثانية من النوم في تخطيط الدماغ الكهربائي، فالمرحلة الأولى خاصة بالنوم الخفيف جداً وتندر فاعلية «ألفا»، والثانية خاصة بالنوم الخفيف. . . وثمة نمطان عياديان نوعيّان على وجه الخصوص: تخيّلات النعاس وتعاقب الأفكار السريع. وتستجيب الحالات المصاحبة للنوم، بالمعنى الأوسع، لأوضاع متعدّدة الأشكال، ولا تتحدّد بمصطلحات التباعد بالنسبة للنوم، بل بمصطلح تموّج اليقظة. ويُظهر الفرد، دون أن يستسلم مؤقتا للغفوة أو دون أن يخرج منها، ضرباً من درجة الإظلام النفسي. وحضوره في العالم «تنسلّ إليه الذاتية» على غرار « حلم معيش». ونغمية ساحة الشعور هي نغمية هذيان الحلم. وهذيان الحلم هو ذاته تناذر توجد فيه على الغالب تخيّلات النعاس وتعاقب الأفكار السريع، إلى جانب آليات السرنمة والحالات الثانوية.

ويُعنى عالم النفس بالحالات المصاحبة للنوم من وجهة النظر التشخيصية والتقصّي العميق لشخصية من الشخصيات، بقدر ما يُعنى بها من وجهة نظر مقاربته العلاجية. والواقع أن بوسعنا، إذا فكّرنا بأهمية النوم والأحلام في هذه المجالات، أن مواد أكثر تطوّراً (انحلالات الشعور ومعيش الحالات المصاحبة للنوم) يمكنها أن تثير دراسات ذات أهمية كبيرة جداً، إذا توحّدت هذه المواد حول أشكال من المعيش مميّزة على نحو خاص. والحال أن ثمة واقعاً مفاده أن الطرائق العلاجية كالتنويم المغناطيسي، والتحليل بالتخدير، والعلاج بالنوم، والاسترخاء، والحلم المستثار، إلخ، تتضمّن غالباً، بين ما تتضمّن، تخيّلات النعاس وتعاقب الأفكار السريع: إنهما نمطان من التعبير والاندماج النفسي الانفعالي اللذين يمكننا إثارتهما، واكتشافهما، وتحليلهما -بل توجيهما بفضل نصف النوم. فهما، دون أي شك، ينالان حق المواطنة في علم النفس وعلم النفس المرضي الإسقاطي. ويمكننا أن نعتقد، في هذا المنظور، أن دراسة الحالات المصاحبة للنوم ستكون لها أهمية بقدر الأهمية التي لحالات النوم المغناطيسي بحصر المعنى، إن لم يكن لها أهمية أكبر. (انظر في هذا المعجم: **التنويم المغناطيسي الذاتي**، **تخيّلات النعاس**، **تعاقب الأفكار السريع**).

H.F.

الحالة المعنوية

F: Moral

En: Morale

D: Moral

حالة ذهنية لفرد أو جماعة أمام الصعوبات، والمرض أو الموت.

المريض الواثق من شفائه، والأوركسترا المتحمّسة، والجيوش المندفعة، توجّههم حالة معنوية رائعة. ويشبه مفهوم الحالة المعنوية مفهومي الدافعية والاتجاه. إنه يُستخدمْ في علم النفس الفردي ولكنه يُستخدم على وجه الخصوص في علم النفس الاجتماعي لوصف الاستعداد الذهني لدى سكان أو جماعة معيّنة (سياسية، رياضية، ثقافية. . .). والحالة المعنوية، التي يمكننا تعريفها بإيجاز أنها الإرادة المشتركة في بلوغ هدف من الأهداف، تنطوي على الاستحسان العام وذات علاقة بعدّة عوامل، كالإعلام، والثقة بالنجاح والرؤساء، ونموذج القيادة، والتماسك الاجتماعي (غياب زمرة ذات نزعة إلى الانفصال)، والفخر بالانتماء إلى متّحد معيّن. وفيما يخصّ الصناعة، بيّن دانييل كاتز (1949) أن لهذا العامل السيكولوجي الأخير، الفخر، أهمية أكبر من الإشباعات التي يحقّقها العمل، والشروط المادية أو الأجر. وتتجلّى الحالة المعنوية السيئة بانخفاض الإنتاجية، وزيادة نسبة التغيّب وعدد الحوادث. وترتكز حالة المقاتلين المعنوية على العناصر المذكورة آنفاً، عناصر تُضاف إليها العوامل النوعية للحياة العسكرية. فالحاجات الأولية (حاجات الغذاء، والنوم، والحماية من البرد. . .) والحاجات الثانوية (حاجات المشاركة أو التضامن، حاجة التأكيد أو إعلاء الشأن الشخصي)، ينبغي

إشباعها أيضاً. وثمة عامل أساسي للمحافظة على حالة معنوية مرتفعة هو الإعلام الموضوعي ومحادثات الشرح. وكشف بحثٌ أجراه علماء النفس الأمريكيون خلال الحرب العالمية الثانية، رواه بول هـ. موكور (1952)، عن أن ثلاثة أرباع الجنود، من عدد من الجند يبلغ أربعمئة، سرية من جنود المشاة التي شكّلت موضوع الاستقصاء، لم يكونوا يستخدمون سلاحهم في ساحة المعركة. فكثير من المقاتلين كانت الدينامية تنقصهم لأنهم كانوا مركز نزاع نفسي داخلي غير محلول. إنهم كانوا، من جهة، مدفوعين إلى القتال؛ وهم، من جهة ثانية، يرفضونه إما بفعل الحاجة إلى الأمن (الخوف من الجرح أو القتل)، وإما بفعل عاطفة الإثمية أو الدونية. ونظّم اختصاصيو العمل السيكولوجي، بغية تقليص هذا التوتّر الداخلي ومكافحة الخوف، محاضرات ومناقشات كان واقع المعركة خلالها يوصف بدقّة. وأفلحوا، إذ استبقوا الوضع المرهوب المخاطر الذي يبذل كل مقاتل جهده حتى لا يفكر فيه، في إنقاص القلق وتحسين حالة المقاتلين المعنوية. أضف إلى ذلك أنهم بذلوا جهداً لخلق جماعات ذات تماسك قويّ حين طبّقوا روائز القياس الاجتماعي على وحدات صغيرة، كالمغاوير وطاقم الطائرات والغوّاصات. (انظر في هذا المعجم: **الجو المحيط، الاتجاه، التماسك، القيادة، الجماعة، استقصاءات هاوشرن، العلاقات الإنسانية**).

N.S.

الحالة الوجدانية، العاطفة

F: Affect

En: Affect

D: Affekt

العنصر الأساسي للوجدانية.

بين الحالات الوجدانية المتميّزة، كالسرور والحصر، اللذة والألم، توجد عواطف وسطى، سيّئة التحديد، يمكنها أن تنتقل من الواحدة إلى الأخرى، إذ تطرأ عليها تحوّلات متتالية. وهذه الحالات النفسية الأولية، التي يصعب تحليلها، يمكنها أن تُلاحظ وتُدرس بواسطة سلوكات تثيرها. فارتكاسات التوقّع أو السبر لدى فرد من الأفراد على سبيل المثال تعبّر عن اهتمامه بوضع معيّن، في حين أن حركات التوسّع أو الهروب تثيرها إحساسات مستساغة (لذة) أو غير مستساغة (ألم). فهذه العواطف الأولية، المتغيّرة في نغميتها الوجدانية، تسبق الإدراك المتميّز للصورة والتمثّل؛ إنها سبب انفعالات وتكوّن ما نسمّيه، بصورة عامة، مزاج فرد. ولفظة حالة وجدانية ترادف الانفعال في رأي يونغ، أي الحالة الفيزيولوجية والعاطفة، ولكنها لاتدلّ، في رأي فرويد، إلا على الجانب الكيفي، الذاتي، من كمية الطاقة الدافعية. إنه موقف قريب يدافع عنه بول د. ماك لين الذي يرى أن الحالات الوجدانية **عواطف متحرّرة من محتواها**. «إن الإحساس بالحاجة إلى رفقة، كتب يقول، لا ترتبط بأي شخص بصفة خاصّة. فيبدو إذن أن الحالات الوجدانية تتألف أول الأمر داخل دارات الجملة الهامشية» (1970، ص. 65). ويميّز ماك لين بين ثلاث بنيات للدماغ البشري: «الدماغ الزواحفي» (الجزء الأقدم، الذي يكوّن

المنطقة المركزية من جذع الدماغ ويحتوي الجزء الأعظم من التكوين الشبكي، والدماغ المتوسط والعقد العصبية الأساسية)؛ و«الدماغ الثديي القديم» أو الجملة الهامشية، التي تؤدّي دوراً ذا أهمية في السلوك الانفعالي؛ و«الدماغ الثديي الجديد»، مركز الوظائف المعرفية. فالدماغ الزواحفي يحوّل التجربة إلى سلوك قاسر، ويترجمها الدماغ «الثديي الجديد» إلى أفكار مجرّدة، في حين أن الجملة الهامشية تنظّم الإعلام إلى حالات وجدانية. وهذه الحالات الوجدانية يمكنها أن تنقسم إلى 1- **حالات وجدانية أساسية** تخبر العضوية بالحاجات الجسمية الأساسية (جوع، عطش، حاجة إلى التنفّس، تغوّط، تبوّل، إقامة علاقات جنسية، إلخ)؛ 2- **حالات وجدانية نوعية**، تثيرها جملات حسية نوعية، كالرغبة في لفت الانتباه بالصراخ؛ 3- **حالات وجدانية عامة** كالعدوانية، والإشباع، والحنان، إلخ. (انظر في هذا المعجم: **الانفعال، الجملة الحافية**).

N.S.

حب

F: Amour

En: Love

D: Liebe

اندفاعة القلب التي تحملنا نحو موجود آخر.

يتضمّن الحب كل الضروب من الدرجات (من الحنان الرائق إلى الهوى المقلق) والأشكال (حب أناني أو غيري، جسدي أوعذري، إنساني أو إلهي، إلخ). لكنه **واحد** مهما كانت مظاهره. «كل هذا التنوّعات من الحب، يكتب فرويد قائلاً، تعبيرات عن مجموع واحد من الميول» تدعو إلى الاتّحاد الجنسي في بعض الحالات، في حين أنها تصرف المرء عن هذا الهدف في حالات أخرى وتمنع تحقيقه، محتفظة في الوقت نفسه احتفاظاً كافياً بسمات تميّز طبيعتها بحيث لا ننخدع بهويتها (التضحية بالذات، البحث عن الاتصال الصميمي).

«ونحن نعتقد أن اللغة، إذ نعزو إلى الحب هذا التعدّد في الدلالات، أجرت تأليفاً مسوَّغاً كل التسويغ». (1921، ص100 من الترجمة).

والحب يجذب الموجود بكليته. والجسم متورّط بعمق، حتى في الحب الصوفي، وتستخدم القديسة تيريز دافيلا، استخداماً عفوياً، لغة عاشقة مشبوبة العاطفة، وهي مغشيّ عليها من الشهوة، عندما تصف اتّحادها بالله: «كان الألم من الحدّة بحيث كنت أئنّ، وكانت عذوبة هذا الألم من القوة بحيث لايمكن أن يرغب المرء في أن تتوقّف. إنه ألم روحي وليس جسدياً، مع أن الجسد لايفوته أن يشارك فيه... بل أن يشارك فيه كثيراً».

والحب هو الأمنية الأعمق، أمنية الموجود الإنساني. وإذا كان الموجود الإنساني يقتضي مودّة وحناناً، ويرغب في أن يكون محبوباً، فإنه بحاجة أكثر إلى أن يحب. إنه يشعر، في حالة الإثارة العاطفية للحب، بالسعادة في أن يكون مخلصاً، إذ يمضي في بعض الحالات إلى أن ينجز التضحيات الكبرى. فالإنسان، كتب سان أوغستان يقول، «يحبّ أن يحب».

والحب يحوّل الواقعي حين يعظّمه. إنه يزيّن الشخص المحبوب بالكمال ويبلور حوله كل الصفات الإنسانية. ويقارن ستندال هذه السيرورة بتلك التي يمكن أن يلاحظها الإنسان في مناجم الملح بسالزبورغ: إذا «ألقينا في الأعماق المهملة من المنجم غصناً من شجرة عرّاه الشتاء من أوراقه»، وسحبناه بعد شهرين أو ثلاثة، فإنه يكون «مغطّى بتبلّرات لامعة: فالأغصان الأصغر، تلك التي لاتكون أكبر من قائمة عصفور قُرقب، مزيّنة بكمية لا تُحصى من الماسات المتحرّكة المبهرة؛ وليس بوسع المرء أن يتعرّف على الغصن الأوليّ» (1822، الكتاب الأول، الفصل الثاني). فالعاشقان يبدوان منتقلين إلى عالم مذهل يبدو لهما فيه أن كل شيء ممكن. ولا يتردّدان، إذ ينهلان الثقة، والجرأة، والقوة، والجمال والذكاء، من عواطفهما المتبادلة، في أن ينطلقا في مشروعات مجنونة، إذ يقسران الحظ ويتغلّبان في الغالب على الصعوبات الكبرى. فالحب يحضّ الإنسان على أن يتجاوز نفسه. وإذ يقودنا إلى أن نخرج من وجودنا، فإنه يجعلنا نحقّق وجودنا على نحو واسع (وكلمة **وجود**، في اللغة اللاتينية تعني «سما»).

ولكن الحب، الذي يضفي على المحبوب قيمة مطلقة، تهاجمه بعنف سمة ما هو يومي. ولا تتأخّر هذه السمة عن أن تكشف، خلف الموجود الذي أُضفي عليه الصفة المثالية، عن الشخص الجسدي بحدوده ونواقصه. وزوال الوهم أمر أليم في الغالب. ولكن الحب الحقيقي قادر مع ذلك على أن يقبل جواز الآخر، أي ضروب ضعفه، وعيوبه، وتغيّراته، وتناقضاته. (انظر في هذا المعجم: **الوجدانية**، **الصداقة**، **القصور الوجداني**، **النحن**، **الهوى**، **تبادلية ضروب الشعور**، **الحنان**).

N.S.

F: Coprophilie **حب الغائط**

En: Coprophilia

D: Koprophilie

اهتمام مرضي بالمواد البرازية التي يحبّ المريض أن يتكلم عليها ويلعب بها بسرور.

حب الغائط، المتواتر لدى الطفل في السنة الأولى أو السنتين من عمره، يزول بسرعة. ويمكنه، عندما يدوم أو يظهر مجدّداً لدى الأفراد الأكبر عمراً، أن يعبّر عن التثبيت على مرحلة عتيقة من النمو الوجداني، أو النكوص إليها، أو يعبّر أيضاً عن وهن نفسي. وإذا لم يتعدّ الأمر حديثاً قذراً، فإنه يمكن أن يكون الحديث ناشئاً بكل بساطة عن نقص تربوي.

وحب الغائط، الناجم عن توظيف المنطقة الشرجية المثيرة للغلمة بطاقة الدوافع الجنسية، يمكنه أن يتحوّل إلى انحراف جنسي حيث إخراج الغائط وحده (إخراج غائط الفرد وغائط الغير) يؤمّن اللذة. ويوجد حب الغائط في بعض الأحيان مترافقاً مع التلصّص الجنسي والسادية والاستعراء. (انظر في هذا المعجم: **الاستعراء، السادية**).

M.S.

الحُبسة

F: Aphasie

En: Aphasia

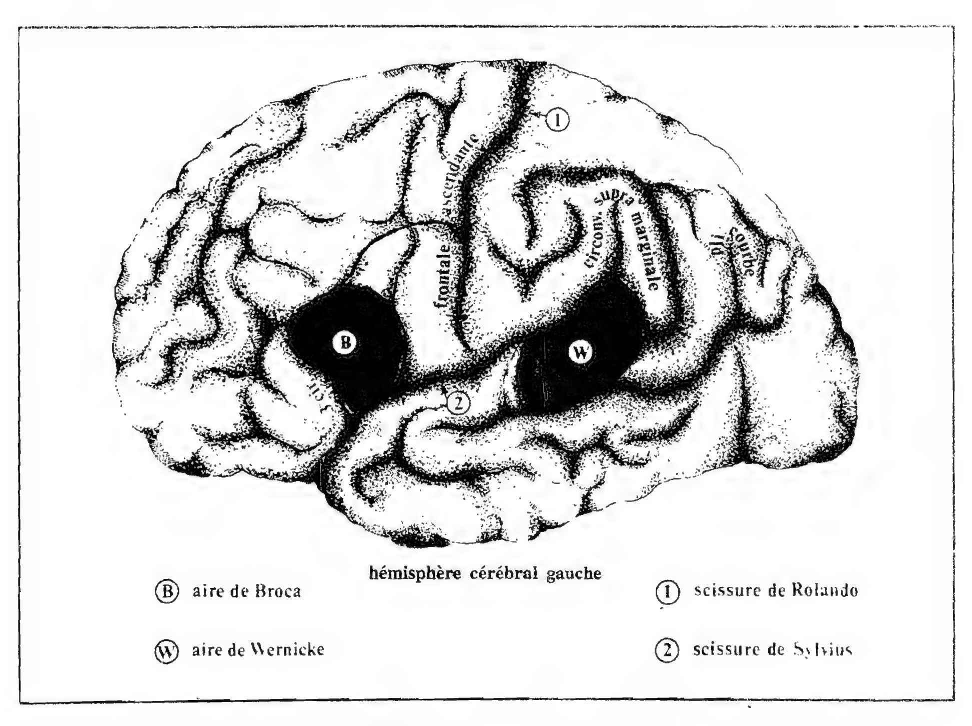
D: Aphasie

تشوّه مرضي في اللغة ناجم عن آفة دماغية يمكنها أن تنشأ لدى أفراد ذوي ذكاء سويّ ولا يُظهرون أي اضطراب في الوجدانية ولا قصوراً في الوظائف الإدراكية أو الحركية.

ليس ثمة إلغاء (a في بداية الكلمة الأجنبية تعنى إلغاء، phasie تعني الكلام)، على الرغم من الاشتقاق، والكلام غير معنيّ بصورة مباشرة. والمقصود اضطراب في اللغة ناجم عن آفة دماغية. وعلى عكس ما يحدث في **العُقلة**، فإن إصدار أصوات اللسان (الكلام) ممكن. والخلَل يقع على مستوى **النظام** اللفظي (اللغة) الذي يتيح للأفراد المنتمين إلى متّحد ألسني واحد أن يتواصلوا بينهم. فدلالة الكلمات مصابة بالاضطراب، وكذلك التقابلات التصويتية (الفونيمية) التي نميّز بواسطتها هذه الكلمات بعضها من بعض (مثال ذلك، ساء، جاء، فاء، إلخ) وليس التعبير مصاباً فحسب، بل الفهم أيضاً على وجه العموم؛ إنهما مصابان في صورتهما الشفهية والكتابية على حدّ سواء. وتبدو الظاهرات على نحو أكثر تعقيداً عندما نترك التعريفات العامة جداً وننظر في الواقع السريري، فليست «الحبسة» هي التي ينبغي أن نصفها، بل **حُبسات**.

تاريخ المصطلح. وجّه الناس على الدوام اهتماماً باضطرابات اللغة، نظراً لأهميتها في تاريخ الفكر. واذا كانت مثل هذه الأمراض قد وُصفت، منذ العصور

القديمة، وعُزيت إلى آفات دماغية، فانتظار عصر النهضة أمر لابدّ منه لتكون هذه الأمراض موضوع ضرب من التحليل من وجهة نظر علم العلامات. ولكن تاريخ



1- شقّ رولاند B- منطقة بروكا

2- شق سيلفيوس W- منطقة فيرنيك

حُبسة

الفحوص بعد الموت والتشريحية العصبية والأشعة العصبية بيّنت أن الآفات الواقعة داخل المناطق المتمثّلة باللون الرمادي تسبّب على نحو متواتر غالباً اضطرابات لغوية. والأمر يقتصر على مقاربة إحصائية، بالنظر إلى أن حدود مناطق اللغة لا يمكننا أن نحدّدها بوضوح.

الحبسة لم يبدأ إلا في القرن التاسع عشر عندما حدّد فرانز غال (1758 -1828) في القشرة الدماغية موقع البنيات التشريحية التي تُناط بها الوظائف الفكرية العليا. وفي هذا العصر، وجدت الحبسة نفسها مركز مناقشات جعلت أصحاب تحديد المواقع وأصحاب الفكر متعارضين. فبُعْد الفصوص الجبهية أصبح، كاللغة، علامة النمو الفكري، بالنظر إلى أن بروز الفكّ خاصّة الحيوان وعروق تُعتبر عندئذ دنيا؛ وكان يبدو إذن منطقياً أن يُحدّد موقع «عضو» اللغة في الجزء الأمامي من الدماغ. وإذا كان الفَرَض صحيحاً، فإن علينا أن نجد آفة في الفصّ الجبهي من دماغ المصابين بالحبسة. وبدا البرهان مكتسباً عندما عرض على التوالي، عام 1861، الجرّاح والأنتروبولوجي الفرنسي بول بروكا (1824- 1880) دماغي مريضين لم يكن لديهما من اللغة كلها، في أثناء السنوات الأخيرة من حياتهما، سوى بعض التعابير المقولبة، دماغين كان جزء من التلفيف الثالث الجبهي مدمّراً. وهذا التأكيد الظاهر، ومكتشفات علم الأعصاب الفيزيولوجي التجريبي أيضاً، شجّعا التفكير النظري الأكثر عرضة للمجازفة. ورأت نفسها كلُّ فاعلية فكرية تُعزى في النظريات السارية المفعول إلى «مركز» يرتبط مع المراكز الأخرى بوصلات كثيرة. وبمساعدة مثل هذه التخطيطية الارتباطية إنما فسّر الطبيب النفسي الألماني كارل فيرنيك (1848- 1905)، عام 1874، علم أعراض الحبسة، التي لوحظت ملاحظة جيدة جداً إضافة إلى ذلك؛ وبيّن، فضلاً عن هذا، أن الآفات لا تقتصر أبداً على الفصّ الجبهي. ونقد هنري برغسون عام 1896 نقداً شديداً، في كتابه **المادة والذاكرة**، هذا التجزيء للفكر. وتلاه عالم الأعصاب الفرنسي بيير ماري (1853- 1940)، الذي وضع تحديد بروكا موضع الاتّهام عام 1906؛ وأعلن بيير ماري أنه لايوجد إلا حُبسة واحدة، الحبسة التي وصفها فيرنيك، واعتبر أن حبسة بروكا كانت اتّحاد حبسة فيرنيك وضرب من العُقلة. فكان الأول على هذا النحو، الذي ميّز تمييزاً واضحاً بين اضطرابات الكلام واضطرابات اللغة. ومن المؤسف أنه أخطأ في أن يقدّم ضرباً من التكريس لوجهة النظر القائلة –وجهة نظر شاركه فيها بعض من أتى بعده– إن الحبسة هي المظهر الرئيس من مظاهر ضعف عقلي أكثر عمومية.

علم العلامات والتصنيف. تغيّرية الأعراض، وكون الحبسة ترافقها على الغالب اضطرابات من طبيعة أخرى (عجز حركي على سبيل المثال)، اضطرابات كانت قد شُبّهت بها خلال زمن طويل، وغياب التفسير المتواطئ للظاهرات، كلها أسباب جعلت دراسة الحبسة مرتبطة بالافتراضات النظرية. فثمة، لهذا السبب، تصنيفات عديدة لاضطرابات اللغة. وبوصفنا غير قادرين على أن نصفهاكلها، فإننا سنختار التصنيف الفرنسي الكلاسيكي، اختياراً لا بسبب البواعث التاريخية، بل لأن فئاته وجدت ضرباً من التأكيد في الأعمال التجريبية الحديثة.

1- حبسة فيرنيك: وتظهر، على مستوى التعبير، بكون المريض يشعر بكثير من الصعوبة في إيجاد كلماته. ولكن خاصة أخرى أكثر أهمية تُضاف إلى هذه الخاصة المشتركة بين أغلب أشكال الحبسة: يستخدم المريض استخداماً مستمراً كلمات مشوّهة (**لجلجة تصويتية [فونيمية] أو لجلجة حروف**، مثال ذلك: «un pe-tit orfèleuil» بدلاً من «fauteuil»؛ «vendrier» بدلاً من «vendredi»، إلخ) أو يستخدم بعض الألفاظ بدلاً من أخرى (**لجلجة دلالية أو لفظية**: «un reposoir» بدلاً من «un Fauteuil»، «une toilette d'oiseau» بدلاً من «une poule»، إلخ). وفي هذه الحالة، ليس من النادر أن يكون البديل من الصنف المنطقي ذاته للكلمة الأصلية، بالنظر إلى أن الالتباسات أكثر تواتراً بين الأشياء من النوع نفسه. وليس ثمة انتظام في التشوّهات؛ فالكلمة الملفوظة بصورة صائبة في لحظة معيّنة يمكنها أن تكون مشوّهة على أنحاء شتى في فترات أخرى. وبما أن المريض لايعي كل الوعي اضطراباته وليس لديه صعوبة في اللفظ، فإن التنغيم مصان، والإيقاع سويّ، بل غزير؛ ونكون عندئذ أمام رطانة غير مفهومة (**حبسة رطانة**).

والتشوّهات نفسها موجودة في القراءة بصوت عال وفي الكتابة. وفهم اللغة الشفهية أو الكتابية مصاب بخلل كبير أيضاً. والكلمات المعزولة، في القراءة، مفهومة على نحو إجمالي. ويستند المصاب بالحبسة في الأغلب، ليفهم محدّثه، إلى معلومات من خارج اللفظ: إيماءات، حركات، سياق مادي أو سيكولوجي.

2- حبسة بروكا: صياغة بيير ماري تقول: إن حبسة بروكا = حبسة فيرنيك +العقلة، لا تشرح الواقع السيميولوجي. فصعوبات النطق تقلّص الإيقاع اللفظي تقليصاً كبيراً وتجعل المريض أكثر وعياً باضطراباته، وذلك أمر يسبّب ضرباً من «غياب التحريض الإرادي» على التعبير عن النفس. واللغة، في فترة حلول الحبسة (حلول عنيف يرافقه شلل نصفي على الدوام تقريباً)، يمكنها أن تُلغى إلغاء نهائياً (حبسة كلية) أو أن تقتصر على بعض القوالب الثابتة اللفظية. وعندما لايكون القصور في اللغة كبيراً جداً، نلاحظ اللجلجات، الموصوفة في حبسة فيرنيك، تُضاف إليها التشوّهات الصوتية (في إصدار الأصوات). فالعون يُقدّم للمريض عندما يباشر أحدهم الكلمة، التي لايمكنه أن يلفظها، وعندما يكون بوسع الصيغ الآلية أن تنطلق (صلوات، تحيات، أشهر السنة، إلخ)، يكون بوسع المريض أن يعبّر عنها بسهولة أكبر كثيراً من اللغة الإرادية. والفهم يمكنه أن يكون أقلّ إصابة مما هو في حبسة فرنيك.

3- الحبسة الوَهَلية: صفة الوهلية في غير موضعها، ذلك أن المقصود ليس اضطراباً للذاكرة. وعلى الرغم من أن بوسعنا اعتبار الحبسة الوهلية شكلاً خاصاً من أشكال حبسة فيرنيك، فإن نوعيتها موضع منازعة، ذلك أن «غياب الكلمة» التي تميّزها موجود في كثير من أمراض الجملة العصبية المركزية وتكوّن على وجه الخصوص تلك التشوّهات اللغوية الأولى في الخَبَل. وثمة مع ذلك عدة مؤلفين جعلوا من هذه الاضطرابات، التي عزلها عام 1898 ألبير بيتر (1848- 1927)، كياناً سريرياً. وهذه الحبسة يرافقها دائماً، في رأي كورت غولدشتاين (- 1965 1878)، عجز عن التفكير بصورة مجرّدة، ويرافقها، في رأي باي، فقدان القيمة التصورية للكلمات، وذلك أمر لم تؤكده الأعمال التجريبية. إن بمقدور المريض دون عسر أن يقرأ، ويكتب، ويفهم ما يقال له. فالاضطراب الرئيس يكمن في صعوبة التسمية؛ والتعبير الشفوي مصاب بالخَلَل على نحو مستمرّ بفعل أنا غائبة. والكلمة الناقصة تحلّ محلّها تعبيرات مثل «ماخود»، «فلان»، «علاّن»، ضروب

من الحشو وتعريفات بالاستخدام. فليس ثمة اضطراب في النطق ولا كلمات مشوّهة على وجه العموم.

4 – **حُبسة النقل**: هذا الشكل من الحبسة، شأنه شأن الشكل السابق، تدين باسمها للتصوّرات النظرية في القرن الماضي التي شاءت أن يوجد، في هذه الحالة؛ انقطاع في الألياف التي تصل «المركز السمعي» بـ«المركز اللفظي الحركي» (كلاهما افتراضيان). وهذه الفكرة النظرية تجد تسويغها في الخاصة الرئيسة لهذا التناذر: فالمريض يفهم ما يُقال له ولكنه يعاني صعوبات كبيرة في تكرار ما سمعه وفهمه. والظاهرة نفسها موجودة في القراءة شبه المتعذّرة بصوت عال، في حين أن فهم النصّ جيد بالنسبة له. والتسمية شاقّة. وتبين في اللغة العفوية تشوّهات عديدة تصويتية (فونيمية) يعيها المريض على وجه العموم؛ وينجم عن ذلك محاولات تصويب ذاتي، لا تثمر على الغالب، تثير تعبيراً لفظياً فوضوياً. وفي الكتابة، صعوبات مشابهة.

ولا يعتقد العلماء حالياً بوجود «مراكز» مستقلّة، لكل منها تحت إمرته فاعلية فكرية خاصة وتعمل عملها الوظائفي على نحو مستقلّ. فكل سيرورة ذهنية تفترض العمل الوظائفي لمجموع الدماغ. وليس هناك شك مع ذلك في وجود مناطق دماغية تكتسب خلال النمو تخصّصاً يجعلها ضرورية، لا كافية، لممارسة بعض الوظائف، وضرورية لوظيفة اللغة على وجه الخصوص. وليس تحديد هذه المناطق أمراً يسيراً، ذلك أن مهلة تنقضي، على الأغلب، بين اللحظة التي يكون خلالها استقصاء كامل للاضطرابات ما يزال ممكناً وبين اللحظة التي يمكن أن تجري خلالها معاينة تشريحية **تعقب الموت**؛ فالآفات يمكنها في أثناء هذه المهلة، أن تتّسع وتتكاثر. وتسبّب، من جهة أخرى، آفة، مهما كانت محدّدة الموضع، ضروباً من الخَلَل لا تقتصر على مركزها. والوسائل الموجودة بمتناولنا لبيان المناطق التي آفتها مسؤولة عن ضرب من الحبسة (تشريح جثث، جراحة عصبية، تنبيهات كهربائية قشرية، صور شعاعية دماغية)، قدّمت مع ذلك طوبوغرافيات متقاربة. وتقع هذه

المناطق، لدى الأيامن، في نصف الكرة الدماغية الأيسر. أما الأعاسر، فإن أعراض الحبسة لديهم خاصة، واضطراباتهم أقل خطورة على وجه العموم؛ ويبدو أن نصفي الكرة الدماغية لديهم يتدخّلان في سيرورة اللغة -بنسبة مختلفة مع ذلك من فرد إلى آخر. ولنضف أيضاً أن الدماغ الفتيّ ينطوي على ضرب من المرونة. وإذا لم يكن بوسع منطقة دماغية أن تكتسب خلال النمو وظيفتها النوعية بسبب تشوّه أو بسبب أي آفة أخرى، فإن جزءاً آخر من الدماغ هو الذي سيؤمّن إنابة. وتشرح هذه الظاهرة أن الاضطرابات لدى الأطفال أقلّ من عشر سنوات من العمر هي اضطرابات انتقالية بصورة عامة وأنه «لا وجود لحبسة حقيقية» حتى هذا العمر.

وما تزال الآليات الفيزيولوجية السيكولوجية المثيرة للمرض، آليات الحبسة، غير معروفة. فإضافةً إلى بعض المحاولات النظرية لتحدّد موضع ظاهرات الحبسة في إطار ألسني (رومان جاكوبوسون [1896- 1982])، قامت محاولات تحليل تجريبي للغة المرضى. وانصبّ هذا التحليل بصورة خاصة على الإيقاع اللفظي، وعلى النطق والتنغيم. وكانت قد درُست أيضاً شتى الجوانب من الفهم. وبيّنت هذه الأعمال أن غالبية المصابين بالحبسة يمكننا توزيعهم في صنفين كبيرين: صنف الحبسات المسماة «**سيّالة**» وصنف الحبسات المسماة «**غير سيّالة**»؛ فخصائص الصنف الأول توافق موافقة جيدة بصورة كافية حبسة فيرنيك، والصنف الثاني ينتمي إلى حبسة بروكا. وأخيراً، بيّنت دراسة التشوّهات (اللجلجات)، دراسة ذات علاقة بنماذج أخرى على آليتين مختلفتين من الإعداد الوظائفي للغة: الجانب التصويتي [فونيمي] (الذي يتيح لنا أن نجعل الكلمات متقابلة ونميّزها) والجانب الدلالي (المعاني التي تنقلها هذه الكلمات)، جانبين يمكن أن يُصابا بدرجات شتّى. (انظر في هذا المعجم: **العُقلة**، **اللجلجة**، **الألسنية**).

P.M.

حُبسة الإنجاز اللغوي

F: Aphasie de Performance

En: Performance aphasie

D: Leistungs aphasie

خلل في اللغة يختلف عن حبسة الكفاية اللغوية في أن «الألغورتيمات» الألسنية (القواعد الدلالية والنحوية) المكتسبة منذ الطفولة الأولى مصانَة.

القدرة على تقييم التصويب الدلالي والنحوي للجمل باقية وكذلك فهم قول المخاطِب. وإمكان استخدام القواعد الألسنية مصاب مع ذلك بالخلل عندما يقتضي الأمر أن يُنتج المصاب بحبسة الإنجاز اللغوي جمله الخاصة. وربما ينبغي لنا أن نذكر أيضاً، في هذه الزمرة، **العمه اللغوي** (اضطراب في البناء النحوي يظهر بأسلوب برقي) الذي يتجلّى خلال الحبسات الحركية أو التعبيرية، وأن نذكر كذلك **الأنوميا**، المفهومة بالمعنى الذي أطلقه هالستيد على هذا المصطلح، أي هذا الضرب من الحبسة حيث المريض لم يعد يمكنه، على الرغم من أنه يتعرّف على الأشياء المألوفة أو الرموز، أن يستحضر الكلمات التي تدلّ عليها، أو أنه أصبح عاجزاً عن التعرّف على الشيء الذي نسمّيه **الذاكرة**. ويتميّز العمه اللغوي بتعذّر التوليد النحوي الصحيح للجملة (حروف الجرّ، والروابط، والضمائر، إلخ، تنقص في الجملة أكثر من غيرها). والانتقاء الدلالي هو المصاب بالإعاقة في الأنوميا (والأسماء على وجه الخصوص). وهذه الزمرة من الحبسات لاتنطوي على وجود ضروب من الخلل اللفظي ذي العلاقة بالعجز الحركي؛ فإما **العقلة الخالصة**، أي اضطراب لفظ

الكلمات دون قصور آخر، وإما «حبسة حركية تحت قشرية» وكذلك **العجز الحركي الفمي الوجهي** الذي يصيب بالخلل حركات عضلات الوجه واللسان. (انظر في هذا المعجم: **عمه الإدراك، الحبسة، العجز الحركي، حبسة الكفاية اللغوية**).

L.M.

حُبسة الكفاية اللغوية

F: Aphasie de compétence

En: Comptence aphasia

D: Kompetenz -aphasie

اضطراب في اللغة يتميّز بتفكّك تنظيم «الألغورتيمات» الألسنية المكتسبة منذ أيام الطفولة، أي القواعد الدلالية والنحوية التي تنتمي إلى منظومة لسان معيّن (**مافلوف، 1975**).

وعواقب مثل هذا الاضطراب هي: أولا، تعذّر أن يحكم المصاب، بصورة ملائمة، على الصواب الدلالي والنحوي لجمل محدّثه؛ ثانياً، فهم عسير لكلام الغير، بما في ذلك اللغة المكتوبة؛ ثالثاً، إنتاج قاصر لقوله الخاص حيث تبدو ضروب من **البارافازيا** (أي أن التعبيرات اللفظية لا تطابق ما كان المرء يريد أن يقول) وضرب من **الحبسة التركيبية** (الجمل سيئة التركيب وبدائية). ويظهر أيضاً هذا التوليد الألسني المعيب في كل أشكال التواصل اللفظي: الكلام والقراءة، إلخ. ويمكننا أن ندرج الحبسات «الحسية» في هذه الزمرة، باستثناء الاضطرابات اللفظية العمهية كالصمم والعمى اللفظيين الصرفين. (انظر في هذا المعجم: **عمه الإدراك**، **الحبسة**، **حبسة الإنجاز اللغوي**).

N.S.

الحركة (أو المفعول) الستروبوسكوبية

F: Mouvement ou effet stroboscopique

En: Stroboscopic movement

D: Stroboskopsche bewegung

وهم حركة ناجم عن عرض متناوب لمنبّهين بصريين ثابتين، يبتعد أحدهما عن الآخر قليلاً ويفصل بينهما فاصل زمني قصير.

لنفرض أن لدينا مصدرين ضوئيين آ، ب، شدّتهما متوسطة ومتباعد أحدهما عن الآخر بصورة مناسبة، يمكننا مراقبتهما من خلال منظار. فالمجرّب يضيئهما على التوالي إذ يغيّر الفاصل الزمني بينهما. وعندما يكون هذا الفاصل من مستوى نصف ثانية، ندرك ببروز تعاقب المنبّهين؛ وإذا كان الفاصل الزمني قصيراً جداً (نحو 30 بالألف من الثانية)، نشعر أنهما يبدوان متزامنين؛ وبين هاتين القيمتين (60 بالألف من الثانية على سبيل المثال)، لدينا الانطباع أن ليس ثمة سوى منبّه واحد ينتقل بالتناوب بين آ، ب. وكان ماكس ويرثيمر (1880- 1943) قد سمّى هذه الحركة الظاهرة أو **المفعول الستروبوسكوبي ظاهرة في** (Phi). وهذه الملاحظة أصل نظريات الغيشطاليتين في الإدراك. فويرثيمر يلفت النظر إلى أن علينا، إذا لم تتغيّر طبيعة المنبّهين، أن نسلّم أن الإدراك لا يرتدّ إلى مجرّد إدراك سلبي، وإنما هو فهم «الأشكال» و«البنيات» التي تفرض نفسها علينا بصورة تلقائية. (انظر في هذا المعجم: **الصورة أو الشكل، الإدراك**).

N.S.

حركات الأعمى اللاإرادية

F: Blindisme

En: Blindism

D: Blindismus

آلية نفسية حركية تُلاحظ على الغالب لدى الأطفال العميان بالولادة، تكمن في تكرار بعض الحركات وبعض المواقف التي تمتّ بصلة إلى العرّات.

الرئيسة في هذه المقولبات هي الاهتزاز ودوران الفرد حول نفسه، وإدخال الأصابع في محجري العينين، وهزّ الرأس، هز مصحوب بحركات العنق، وفرقعة الأصابع، والسير بخطىً قصيرة أو مع توسيع مضلّع الإسناد، أو مع حركات الزراعين غير المتناوبة. ويُلاحظ اشتراك الحركات الإرادية وغير الإرادية (ظهور حركات لاإرادية بمناسبة حركات إرادية)، واستمرار التوتر العضلي بدلاً من التراخي (تستمر العضلة في التقلّص بدلاً من أن تتراخى كما يريد الفرد) ويُلاحظ أيضاً تصلّب الحركات في هذه الحالات. وتتفاقم بعض حركات الأعمى اللاإرادية مع العجز الإجمالي للطفل وتقترن بمقولبات متواترة لدى المتخلّفين عقلياً. وبوسع المرء، على سبيل المثال، أن يرى الصغير ذا العاهة واقفاً، وقدماه متباعدتان، إحداهما أمام الأخرى، يهتزّ من الأمام إلى الوراء على نحو إيقاعي وهو يفرك عينيه أو يدخل أصابعه في محجري عينيه. ويسترعي انتباهنا، من الفروض الشارحة القادرة على أن توضّح هذه السلوكات، فرضُ إضفاء قيمة مثلى على التجارب الحركية، التي تقدم على أن تعوّض تعويضاً جزئياً غياب الرؤية لتتيح

للفرد أن يدرك جسمه إدراكاً أفضل (تكوين المخطط الجسمي). ومن المحتمل أيضاً أن تمتّ هذه الاهتزازات الإيقاعية بصلة إلى فاعليات الغلمة الذاتية وتحافظ عليها اللذّة التي تؤمّنها. و «إعادة التربية» الناجمة عن هذه الفروض تكمن في جعل الطفل يختبر جسمه بإحساسات جلدية وحركية، وتقديم دعم العلاج النفسي له.
(انظر في هذا المعجم: **الغلمة الذاتية، العمى**).

P.V.

F: Mouvements oculaires rapides (M.O.R)حركات عينية

En: Rapid eye movement (R.E.M) سرعة (ح.ع.س)

D: Schnell Augenbewegungen (R.E.M)

فاعلية حركية للعين تحدث خلال أطوار النوم المفارقة (مرحلة 5).

يمكننا أن نلاحظ، في أثناء النوم كله، حركات عينية بطيئة، منعزلة، لا تخصّ سوى عين واحدة في بعض الأحيان (خلال الغفوة على وجه الخصوص)، أو نلاحظ أيضاً حركات نواسية، شبه إيقاعية (في المرحلة 2 على وجه الخصوص أو النوم الخفيف). والحركات العينية، في المرحلة5 (النوم المفارق)، سريعة، متقطّعة، ذات سعة متغيّرة، متجمّعة على الأغلب. ولهذا السبب، نسمّي المرحلة الخامسة من النوم أحياناً «مرحلة الحركات العينية» (م.ح.ع). ولاحظ اثنان من علماء الأعصاب الفيزيولوجيون من شيكاغو، أوجنين أزيرنسكي وناثانيل كليتمان، أن هذه الحركات العينية في المرحلة الخامسة كانت موجودة لدى الهرّ والوليد والإنسان الراشد على حدّ سواء. وجعلاها ذات علاقة بالفعالية الحلمية، ذلك أننا إذا أيقظنا أفراداً خلال هذه المرحلة، فإنهم يصرّحون، في غالبية الأوقات، أنهم حلموا (75بالمئة من الحالات). وعلى العكس، لم يروا الأشخاص أنفسهم، عندما سئلوا عن مراحل أخرى من النوم، أحلاماً إلا في 7بالمئة من الحالات فقط. وتبدو الحركات العينية السريعة أنها ذات علاقة تماماً بالحلم ومحتواه، ذلك أن مرتسمات شاقولية كانت قد سُجّلت لدى من كان يقول إنه حلم أنه كان يلعب بالكرة الطائرة، على سبيل المثل. وكانت انتقالات عينية أفقية قد سُجّلت لدى شخص آخر من

الأشخاص الذين كان يصرّحون أنهم سافروا في القطار ونظروا من خلال نافذة مقصورتهم إلى المنظر وهو يتتالى. وكان تأييدٌ لهذا القول قد أسهم به هـ. ب. روفورغ الذي طلب إلى فريقين من الملاحظين، يتألف كل منهما من ملاحظين اثنين، أن يتنبّأ أحدهما بشكل مرتسم التصوير العيني بحسب قصة الحلم، وأن يتخيّل الآخر قصة، منطلقاً من المرتسم المعروض. وكانت هذه التجربة، التي تكرّرت عدة مرات، حاسمة: الوفاق بين المرتسم والقصة كان قد تجاوز 80 بالمئة مع الفريق الأول؛ ومع الفريق الثاني، كان الوفاق قد تجاوز 75 بالمئة. وتظهر الحركات العينية السريعة لدى الإنسان خمس مرات في الليل وتدوم كل مرة زمناً طويلاً على وجه التقريب. إن وليم رومون يقدّم الأرقام التالية، الموضوعة خلال 71 ليلة.

م.ح.ع	الزمن بعد الغفوة (الوسطي بالدقائق)	مدة ح.ع.س. (بالدقائق)
1	67	9
2	156	19
3	253	24
4	338	28
5	404	34

(انظر في هذا المعجم: **النوم المفارق**، **النوم**).

N.S.

الحركة الكشفية

F: Scoutisme

En: Boy-scouting, Boy-scout movement

D: Pfadfinderbewegung

حركة شبيبية مشروعها البيداغوجي يكمن في تنمية الصفات الجسمية، والعقلية، والأخلاقية، للأطفال والمراهقين.

ابتكر الحركة الكشفية عام 1907، في انغلترة، الجنرال بادنبوول (لندن، 1857 - نيري، كينيا، 1941) على طراز الكشافين الذين كان قد كوّنهم خلال حصار مافوكنغ، في أثناء حرب البوير. وكانت فكرته الأكثر خصوبة تكمن في استخدام روح المغامرة واللعب لتكوين شخصية الشبيبة. ولاقت تصوّراته، التي عرضها في كتابه، **الحركة الكشفية للصبيان** (1908)، نجاحاً كبيراً على وجه السرعة: وكان عدد المنتسبين إلى الحركة الكشفية في العالم 500.000 منذ عام 1911؛ وكانت تضمّ أكثر من 21 مليوناً عام 1975 (ثلثهم بنات)، منهم 9 ملايين في الولايات المتحدة ونحو 200.000 في فرنسة.

والحركة الكشفية مدرسة الحزم التي تقرن العمل بالتفكير، وتؤسّس حواراً بين الصغار والكبار عمراً، وتنمّي بالتربية المتبادلة (عمر رئيس الدورية عمر رفاقه) روح المبادرة، والتعاون، والمسؤولية، والانضباط الذاتي، والحكم الذاتي. فلْنذكر على سبيل المثال إنجازات جماعة من الكشافة الفتيات» اللواتي بنين، هن ذاتهن، بيتاً صغيراً في المنطقة الباريزية؛ وإنجازات جماعة من «المرشدين» الذين رفعوا

أنقاض قرية مهجورة في الهوت بروفانس ليجعلوا منها مركزاً لقضاء أوقات العطل؛ وإنجازات «كشّافي فرنسة» الذين يستقبلون كل عام بضعة آلاف من العمال في معسكر منشأ في الألب. وامتدّت الحركة الكشفية إلى الأطفال والمراهقين المعوّقين، ولاقت نجاحاً فريداً مع القاصرين الجانحين. (انظر في هذا المعجم: **الحكم الذاتي، التربية**).

N.S.

الحركية النفسية

F: Psychomotricité

En: Psychomotricity

D: Psychomotorik

مجموعة الحركية النفسية الناجمة معاً عن النضج النفسي الفيزيولوجي والتعلّم.

لفت الأنظار هنري والون من جهة، وجان بياجة من جهة أخرى، إلى أن الفاعلية النفسية والفاعلية الحركية ليستا واقعين غريبين، أحدهما ينتمي إلى الفكر، والآخر إلى آليات الجسم الفيزيائية، بل هما تعبير عن سيرورة واحدة، سيرورة تكيّف العضوية مع وسطها. إن فعلاً من الأفعال هو أكثر من مجموعة تقلّصات عضلية: إنه أيضاً حاجة، ورغبة، وإرادة. وليس بوسعنا أن نفهمه تماماً إلا إذا نظرنا إليه في كليته النفسية الحركية. و«ليست مادية حركة من الحركات هي التي لها الأهمية، يقول هنري والون، إن ما له الأهمية هو المنظومة التي ينتمي إليها في اللحظة التي تظهر خلالها». فالحركة تقيم مع الفكر والوجدانية علاقات ليست موضع ريب. ولكل حادث شعوري، ولكل انفعال، صدى على الجسم ويسبّب ضرباً من تغيّر الحظربة العضلية التي تكون الوضعات الجسمية والإيمائية هما التعبير عنه. فبعض الاضطرابات النفسية الحركية، كالعرّات، وعدم الثبات، والحركة الكثيرة، أو ضروب العسر في الكتابة، هي المظهر على وجه العموم لضيق وجداني ويمكن أن تقلّصه إعادة التربية النفسية الحركية. وتستعين إعادة التربية هذه بتقنيات شتى كالمعالجة بالماء، والاسترخاء، والتمارين الرياضية (تمارين التوازن والتنسيق،

إلخ)، والرقص، والتمثيل الإيمائي أو الرسم الزيتي. وتحدث الجلسات، التي مدة الواحدة منها ثلاثة أرباع الساعة، مرة أو مرتين أسبوعياً. ونميّز فيها، على التوالي، التهيئة (سيراً موقّعاً، قفزات، نطنطة. . .) والتمرينات التنفّسية، والاسترخاء، والتكيّف الزماني المكاني (ينتقل الأطفال وفق أشكال مرسومة على الأرض، على وقع طبلة أو مِسْرَع)، والسيطرة الحركية، والألعاب أو العودة إلى الهدوء. ويستمدّ الأطفال، الذين لا تظهر لديهم الغلبة الوظيفية لإحدى كرتي الدماغ بوضوح، فوائد من العلاج النفسي الحركي، على أي الأحوال. (انظر في هذا المعجم: **الجانبية**).

N.S.

الحريـة

F: Liberté

En: Liberty, Freedom

D: Freheit

غياب القسر.

الحرية، بالمعنى السيكولوجي والأخلاقي، هي، بالنسبة للفرد ومن وجهة نظر ذاتيته، إمكان أن يعمل ويقرّر بتفكّر مستقلّ، بالرجوع وحده إلى القيم الأخلاقية وبمسؤولية عن قراره. وذلك أمر يستلزم ضرباً من سببية الأنا، وقدرة بالنسبة للإرادة على ألا تنساق إلى أن تكون متعسّفة ولا مكرهة بفعل الضغوط «الداخلية» الصادرة عن الدوافع، والأهواء، والأفكار أو الصور التي لا تقاوَم أو ميول أخرى لاتراقبها الأنا الشعورية. وهذا التصورّ هو الذي أثار، في علم النفس، أكثر المناظرات، من حيث أنه يحمل في ذاته نفياً للتقيّدية في السلوك (أساس علم سيكولوجي على الطراز ذي النزعة الطبيعية) وأنه يعيد إدماج المظاهر الميتافيزيائية التي تأسّست السيكولوجيا العلمية لمعارضتها. ومن هنا منشأ الميل إلى اعتبار الحرية السيكولوجية، وكل أشكالها التي يمكننا ملاحظتها، كالانتباه الإرادي، والإرادة، والاختيار الحرّ، والإبداع، والتصرّف الأخلاقي، ضروباً من الوهم. «ليس بوسعي مع الأسف أن أشبع حاجاتك الدينية»، أجاب فرويد بانسفنغر الذي كان قد سأله ما المكان الذي كان يُفسحه لحرية الفكرة (ذكر ذلك ل. بلنسفنغر في كتابه **قول فرويد ومسيرته**). فالحرية، بالنسبة لكل السيكولوجيات التقيّدية (السلوكية، مبحث

المنعكسات، التحليل النفسي، عاطفة ذاتية وهمية خاصة بـ**الأنا**. إن «شعور المرء أنه حرّ، كان سبينوزا (1632- 1677) يقول، إنما هو جهل الأسباب التي تجعلنا نتصرّف بالفعل». وليس ثمة في الأنا ذاتها، بالنسبة للسيكولوجيات الفينومينولوجية و**السيكولوجيا الإنسانية** الحديثة، طاقة خاصة فحسب، بل **رغبة في الوجود** تكوّن سببيتها وحريتها النوعية. وفي رأي فرويد أن السلوك تحدّده إما دوافع (في الأغلب تحت أقنعة وتحوّلات ناجمة عن تدخّل آليات الدفاع الخاصّة بالأنا)، وإما قيم صادرة عن الأنا العليا. فإذا كانت الحرية ضرباً من امتثال التصرّف للقيم والالتزامات الناجمة عن الأنا العليا، فهي وهمية، ذلك أن الأنا العليا هي اجتياف المبادئ التربوية الخاصّة بالوسط التاريخي (الاجتماعي والأسري)، وبالتالي قوة إكراه وقمع الاندفاعات الغريزية. فـ«تحرّر» الفرد يمرّ إذن بانحلال الأنا العليا (و. رايخ. هـ. ماركوز)، وتكون الحرية عندئذ، على نحو مفارق، هي إشباع كامل للرغبات الذاتية التمركز (تماهي الأنا بالهو). (انظر في هذا المعجم: **الهو، الأنا، الأنا العليا**).

R.M.

الحسـد

F: Envie

En: Envy

D: Neid

عاطفة اشتهاء تختلط بالغم والغيظ والعداوة، تسبّبها رؤية مزايا الغير. إنه بالتعميم، رغبة في امتلاك ما يملكه الغير.

يذكر فرويد، في نظريته لتطوّر الجنسية، أن الاهتمام الذي توجّهه البنت الصغيرة لعضو ذكر الصبي يفرضه الحسد. ويتحوّل هذا الحسد لعضو ذكر الصبي، فيما بعد، إلى رغبة في أن يكون لها طفل (طفل من الأب على وجه أخص)، قبل أن يفضي إلى الرغبة الراشدة في الاستمتاع بعضو الذكر في الجماع. وقد نجد آثار هذا الحسد لدى بعض النّساء اللواتي ينافسن الرجال أو يتبنّين سلوك الذكر. (انظر في هذا المعجم: **عقدة الخصاء، عقدة أوديب**).

N.S.

الحَصَر

F: Angoisse

En: Anxiety

D: Angst

خوف لاعقلاني.

الحصر إحساس من العسر العميق يصعب احتماله، وانشغال البال في حدّه الأقصى، يسبّبه انطباع منتشر من خطر مبهم، ملازم، يظلّ المرء أمامه أعزل وعاجزاً. وهذه الحالة ترافقها تغيّرات عصبية إنباتية شبيهة بتلك التي تُلاحظ في الانفعالات العنيفة: تعرّق، ارتجاف، رؤية مشوّشة، جفاف الفم، خفقانات القلب، غثيان، إسهال في بعض الأحيان وزيادة في تواتر الرغبة في البول. وتناسق الحركات مصاب بالخلل، والكفاية منقوصة. والحصر يمكنه، على المستوى الجنسي، أن يشيد العجز لدى الرجل، والبرودة الجنسية لدى المرأة. وقد يولد الحصر من صعوبات وجودية (شقاق أسري، بطالة) أو ينجم عن نزاع داخلي (كأن يقمع المرء عدوانيته على سبيل المثال)؛ وقد ينجم عن فاعلية جنسية غير مرْضية، عن ضياع الحب (استهجان شخص عزيز، حداد، طلاق) الذي ينشّط تنشيطاً جديداً عاطفة هجر قديمة نشأت من تجارب عسيرة سابقة. وليس الوضع الواقعي هو الذي يولّد الحصر في بعض الحالات المرضية، بل استيهامات وامتثالات متخيّلة لوضع نزاع لاشعوري. ومثال ذلك أن التهديدات الخرقاء التي يوجّهها الآباء للأطفال النزّاعين إلى الاستمناء، تهديدات تنضاف إلى قاع من الإثمية، يمكنها أن تسبّب ارتكاسات انفعالية قوية وتصرّفات غير متكيّفة ترتبط بحصر الخصاء،

وبالخشية من التشوّه أو فقدان عضو الرجولة. فعندما يعتقد طفل في نفسه أنه مسؤول عن الخلافات الأسرية، تُضاف عاطفة الإثمية لديه إلى الحصر. وليس الحصر في ذاته ظاهرة مرضية. إنها مرتبطة بالوجود الإنساني. ويعتقد أوتو رانك (1884- 1989) أن الحصر مصدره صدمة الولادة، أي الوضع الأول الخطر الذي عاشه الطفل. وتعبير فيليس غريناكر تعبير أكثر دقة؛ إنها تعتقد أن الولادة تسبّب حالة من توتّر العضوية، حالة لا تُوجد الحصرَ الأصلي بل أنموذجه الأصلي الجسمي. أما دينه سبيتز (1887- 1974)، فإنه لايجعل منشأ الحصر ذكرى مطمورة لتجربة غير مستساغة، بل إدراك الطفل الصغير ضرباً من الفارق بين المألوف والغريب: المظهر الأول من مظاهر الحصر الحقيقي يحدث، في رأي هذا المؤلف، نحو الشهر الثامن من العمر حال غياب أمه واقتراب شخص غريب يعترف به الطفل أنه كذلك بصورة مفاجئة. وهذا التصرّف، الذي لن يكون على الإطلاق مظهراً غير سويّ، سيكون إذن علامة تقدّم، وبرهاناً على أن الطفل اكتسب ضرباً من القدرة على التمييز.

ويجد الفرد نفسه يواجه الحصر فيما بعد، خلال الفترات الحاسمة من وجوده، ولاسيّما عندما يكون عليه أن يبتكر الشروط اللازمة لتكيّف جديد. فإذا كان عاجزاً عن التكيّف، فإن عدم الأمن يستقرّ استقراراً دائماً، وذلك أمر قد يقوده إلى العُصاب أو الذُهان. (انظر في هذا المعجم: **الهجر، القصور العاطفي، العصاب، رانك (أوتو)**).

N.S.

الحقل الدلالي

F: Champ sémantique

En: Semantic field

D: Semantisches feld

مصطلح «الحقل الدلالي» نصادفه غالباً بمعنى نجعله قريباً بسهولة من مصطلح «دائرة القول» الذي استخدمه غاستون باشلار، ومن «الحقل الإعلامي». ويرتبط مفهوم «الحقل الثقافي» أيضاً، ارتباطاً وثيقاً جداً، بمفهوم الحقل (أو المكان) الدلالي، ولكن ضرباً من الغلبة الإتنولوجية والاجتماعية يمنح مفهوم الحقل الثقافي صفة مميّزة خاصة. وعناصر الحقل الثقافي هي عناصر الحقل الدلالي، ولكنها يُنظر إليها فيه من حيث هي نتاجات اجتماعية، إذ يتثقّف الإنسان في وسط اجتماعي بالضرورة. والواقع أن «مصدر الثقافة هو **البيئة** الاجتماعية، جزء منها يُكتسب بالتربية وجزء آخر بالتعلّم الخفي (البصمة الإدراكية)، وذلك بواسطة القادمات الجديدات إلى عالم الفكر: وسائل التواصل الجماهيرية...» (مولز، 1967، ص. 30). أما التعريف ذاته، تعريف «الحقل الدلالي»، فإنه أتاح المجال لتقلّبات دون المساس بالمفهوم الأساسي الذي استُؤنف أحياناً باسم «الحقل الإعلامي».

والنعت Sêmantikos («الذي يدلّ»، «الذي يعني»)، المتكوّن من Sêma، «علامة»، كان ماثلاً من قبلُ في القاموس الإغريقي، وكان ينتمي في فرنسة، خلال القرن التاسع عشر، إلى لغة الموجزات العسكرية للدلالة على فن الإشارات (رموز مصنع أعلام ورايات، رموز إشارات على الذراع)، وذلك ما كان من جهة أخرى مطابقاً للاشتقاق بصورة كافية. ويدخل المصطلح، بمعنى «الدالّ»، في مجال

العلوم الإنسانية عندما ينشر ميشيل بريال (لاندو، 1832- باريس، 1915) كتابه **محاولة في علم الدلالة** (باريس، 1897). وفي المنظور البنيوي، منظور ف. سوسّور، الذي كان يسترعي الانتباه إلى أهمية «الكوكبات» و«العلاقات الترابطية»، يوضّح الألسنيون واقعاً مفاده أن الكلمة المنعزلة ليس لها معنى مطلق، وأن الإعلام الذي تكشف عنه متعلّق، بصورة وثيقة، بشبكة العلاقات التي تقيمها مع الكلمات الأخرى.

فكل القاموس يمكنه على هذا النحو أن يُنظّم بالتدريج في «حقل ألسني» (ترير، 1931)، حقل مفهومي، كوكبات من الصفات، حيث تظهر وحدات ذات دلالة، نُوى مزوّدة بالمعنى أو «ذرّات دلالية» تُسمّى **وحدات دلالية**، ويرتبط بعضها ببعض بقوى ترابطية شديدة قليلاً أو كثيراً.

ولكن الحقل الدلالي ليس مجال شخصيتنا المعرفي فقط، إنه يحتوي أيضاً جزءاً ذا أهمية من الوجدانية. فالوحدات الدلالية ليست مشتقّة فقط من **دلالات** اللغة المحكيّة أو المكتوبة، دلالات هي في الواقع قريبة قليلاً أو كثيراً، وفق درجة القرابة من شيء مدلول يكون مركز استقطاب لهذه الدلالات. والشيء، بوصفه علامة، لا يحمل إلينا فقط إعلاماً فكرياً يتيح لنا أن نحدّد هويته (إعلاماً دلالياً على نحو صرف)، ولكنه يحمل إلينا أيضاً معنى متضمّناً، إعلاماً أكثر رهافة، مصنوعاً من انطباعات وعواطف، وانفعالات، أي إعلاماً جمالياً (أ. مولز) أو إعلاماً خارج الدلالة. وسيكون، بالتالي، جهل تأثير الكلمات الوجداني، والعلامات على وجه أعم، إهمال جانب سيكولوجي أساسي. ونقول بكلمات أكثر بساطة إن لكل شيء بالنسبة لنا قيمة عاطفية هي **أيضاً** عنصر دلالي. وهذ الحقل غير التعييني من الحقل الدلالي كان ش. أوسغود قد أوضحه، أوسغود الذي بيّن أن الحقل الدلالي يمكنه من الزاوية الوجدانية أن يكون مماثلاً، **بصورة إجمالية**، لمكان ذي ثلاثة أبعاد. فالأشياء -أي المنبّهات- تفعل فعلها فينا على نحو مختلف وفق شخصيتنا، ولكن للحالات الوجدانية الناتجة على هذا النحو، جميعها، ثلاث خصائص (أو أبعاد) أساسية، إيجابا أوسلباً على وجه التقريب: **التقييم** (الشيء جيّد أو رديء بالنسبة لي

قليلاً أو كثيراً)؛ **الاستطاعة** (الشيء قوي أو ضعيف، قليلاً أو كثيراً)؛ **الفاعلية** (الشيء مضطرب أو هادئ، قليلاً أو كثيراً). ويجد الحقل الدلالي نفسه وقد رُدَّ (بمعنى «الردّ الفينومينولوجي») إلى مكان ذي ثلاثة أبعاد، حيث يمكن أن يتحدّد موقع كل شيء.

ومن البدهي أن لكل فرد حقله الدلالي الخاص، بمعنى أن كل شخص يستجيب على طريقته أمام شيء معيّن. مثال ذلك أن الأسرة، والكنيسة، والجيران، ليس لهم التضمّن نفسه؛ فهم لايشغلون إذن الموقع نفسه في الحقول الدلالية بالنسبة لكاثوليكي أو بروتستانتي، ولا بالنسبة لساكن مدينة أو ريفي، أو بالنسبة لعازب أو لأم أسرة. ولكن قيم التقييم، بالنسبة لأعضاء جماعة اجتماعية متجانسة، وقيم الاستطاعة وقيم الفاعلية، هي واحدة على وجه التقريب، بحيث أن ثمة أسلوب إدراك اجتماعي يؤكده وجود **قاع مشترك** من الدلالات يكوّن حقل الجماعة الثقافي، قاع أوضحته الدراسات عبر الثقافية التي أنجزها ش. أوسغود، من خلال ثلاثين متّحداً ألسنياً في العالم.

ومن المهم أن تكون منظومة الإحالة مستقرّة، حتى يكون وجود مثل هذا الحقل الدلالي ليس موضع منازعة، أي أن تكون هذه المنظومة واحدة (مع مقدار تقريبي جيّد على الأقل) بالنسبة للناس كلهم وللمنبّهات جميعها. وأتاحت تجارب عبر ثقافية عديدة تحديد هوية هذه الأبعاد الثلاثة الأساسية نفسها لدى الشعوب كلها. وكان مقرّراً، فضلاً عن ذلك، أن كل بعد يظهر تماماً أنه بعد ثنائي القطب، بالنسبة للأشياء المادية على الأقلّ، إذن بالنسبة للأشياء الخاضعة لتأثيرنا المادي. ولبيان ذلك، ريز ستة أشياء على ستة أبعاد وحيدة القطب، وأمكن لبعضهم أن يلاحظ ترابطاً سلبياً فيما يخصّ الأبعاد الوحيدة القطب المتقابلة. وعلى هذا النحو يجد نفسه محدّداً مكان دلالي، مكان هو وسيلة تحديد العالم للمفعولات الذاتية للدلالة التي ننسبها إلى الأشياء. (انظر في المعجم: **الثقافة الذاتية**، **المميّز الدلالي**، **مركز علم النفس الألسني المقارن**، **علم الدلالة**).

A.A.M.

حقل الرؤيـة

F: Champ visuel

En: Visual field, Field of vision

D: Gesichtsfeld, Schfeld

امتدد مكان يمكننا أن ندركه بالبصر، في حين أن الرأس والعينين ثابتة.

نعرّف حقل الرؤية، على نحو أكثر تقييداً، بزاوية الرؤية لعين واحدة (حقل الرؤية بعين واحدة) أو بالعينين (رؤية بالعينين)، إذ تُحدّد نقطة من المكان. ولكل عين حقل رؤية واسع قدره نحو 170درجة؛ والجزء المشترك من حقل الرؤية بالعينين 120 درجة، وحقل الرؤية الكلي 220 درجة. والآفات في الجهاز البصري مسؤولة عن تقليص حقل الرؤية (عمى نصفي)، ولكن ثمة أيضاً تضييقات محيطية لحقل الرؤية، من مصدر هستيري. وفي رأي فورنزي أن الأجزاء البعيدة عن مركز الرؤية ستغزوها بسهولة «امتثالات» غريزية لاشعورية، وستكون لهذا السبب موضوع كبت قوي. وينجم عن ذلك أن كل الأشياء التي تظهر على محيط حقل الرؤية ستمرّ دون أن تلفت النظر. (انظر في هذا المعجم: **الهستيريا**).

N.S.

الحقل السيكولوجي

F: Champ psychologique
En: Psychological field
D: Psychologisches field, Psychisches field

مصطلح منسوب إلى عالم النفس الأمريكي كورت لوفن (1890- 1947)، يدلّ على كل الوقائع الموجودة في لحظة معيّنة، وقائع تحدّد سلوك شخص أو جماعة في هذه اللحظة المعيّنة.

الحقل السيكولوجي مجموعة دينامية من المتغيّرات السيكولوجية (حاجات، تطلّعات، إدراكات. . .)، اجتماعية (معايير ثقافية على سبيل المثال)، بيولوجية (حالة فيزيولوجية للعضوية)، فيزيائية (مناخ). ويسبّب كل توتّر في هذا الحقل تعديلاً وتوزاناً جديداً للمجموع، أجزاؤه كلها ترتبط بعلاقة من التبعية المتبادلة:

السلوك تابع للشخص ووسطه، ولكن الشخص تابع للوسط، والوسط تابع للشخص.

ومفعول منبّه من المنبهات ليس تابعاً لصفاته الذاتية فحسب، بل هو تابع أيضاً، في الجزء الأكبر منه، لحالة الشخص الفيزيولوجية والسيكولوجية التي يمارس تأثيرها فيها. ومثال ذلك أن طعاماً سيظهر مشهّياً وذا مذاق طيّب لدى فرد جائع، وخالياً من أية جاذبية للفرد نفسه عندما يشبع.

ويتكلّم كورت لوفن أيضاً على ضرب من حقل الجماعة السيكولوجي. وهو يقصد بهذا المصطلح مجموعة من الأجزاء ذات ارتباط متبادل لجماعة من الجماعات، معاييرها وأهدافها، أدوارها وأوضاعها، والأسلوب الذي به تحدّد موقعها بالنسبة لبيئتها. (انظر في هذا المعجم: **نظرية الحقل**).

N.S.

الحكم القبْلي

F: Prèjugé

En: Prejudice

D: Vourteil

حكم قـبلي، ملائم أو غـير ملائم، قـائم على اعـتـقـاد يفرضـه الوسط والتربية، ويمكنه أن يقاوم الإعلام.

تظهر الأحكام القبلية في جميع المجالات: الدينية، العرقية، السياسية، الفلسفية، الغذائية، إلخ. وأصلها معقّد. فالأحكام القبلية الغذائية، على سبيل المثال، مرتبطة بندرة الأطعمة: سكان أفريقية الأصليون يأكلون الجراد، والأفاعي، والنمل، التي لايريد الأوروبيون تذوّقـها. ويستند بعض الأحكام القـبليـة إلى معتقدات قديمة جداً. وهكذا كان أفراد شعب التوبيسنامبا في البرازيل، الذين وصفهم الراعي الفرنسي جان دو ليري (1534- 1613)، لا يأكلون البطّ، خوفاً من أن تنتقل إليهم مشية الحيوان البطيئة، وذلك كان يعوق الصيد أو الحرب؛ كذلك لم يكن شفنين البحر، الذي يسبح ببطء، ماثلاً في وجباتهم.

والأحكام القبلية العرقية يمكن أن تشرحها جزئياً أسبابٌ **اقتصادية** (عبودية السود، في الجنوب من الولايات المتّحدة، كانت تكوّن فائدة كبيرة بالنسبة للبيض)؛ ضرورة تحويل **العدوانية الاجتماعية** على فئة من السكان تشكّل أقلّية، فئة تشغل وظيفة «كبش الفداء»؛ عقدٌ شخصية (نفي المرء دونيته بوضع نفسه فوق أشخاص آخرين، يتبنّى حيالهم موقف احتقار، أو تواضع أو شفقة).

وبيّن ج. مورفي، ر. ليكر، (1938)، أن الأحكام القبلية متجمّعة على وجه العموم. فبعض الأفراد القلقين على وجه الخصوص، الذين يجدون في نزعة المحافظة والامتثالية وسيلة لمكافحة حصرهم، معادون بصورة طبيعية لكل الفئات والأقلّيات، سواء كانت دينية، عرقية، سياسية أو فلسفية. وتتيح الأحكام القبلية لآخرين أن يقيموا مقولات حاسمة، و«يشرحوا» سلوك الغير وفق «أوهى جهد». فالفرنسيون كيّسون، والألمان شجعان، والصينيون عمّال، والأمريكيون ذرائعيون، إلخ. والعادة أن الأحكام القبلية تعكس رأي جماعة وتُظهر عاطفة الانتماء إلى هذه الجماعة. وهي، بهذه الصفة، مطمئنة لمن يجاهر بها. وللجماعة التي تطلق على نفسها حكماً مناسباً جداً رأي زريّ بالجماعات الأخرى. فروح الجماعة، والعشيرة، والطائفة، والمنطقة، تولد على هذا النحو؛ ويمكنها أن تظهر بمجرّد التنافر أو تمضي حتى الفصل العرقي أو الديني.

والأحكام القبلية يمكنها أن تولد من وجود جماعتين معاً بينهما فوارق في السلطة، والتأثير أو الأهمية العددية. وتشعر جماعة الأكثرية بأنها مهدّدة منذ أن تحاول جماعة الأقلية أن تتجاوز حدوداً أو ترتفع من الناحية الاجتماعية. وارتكاس الدفاع يجلب الأحكام القبلية التي تهن أو تنطفئ عندما يبدو الخطر مستبعداً. ومثال ذلك وصول المرحَّلين، في فرنسة، إلى وطنهم من الشمال الأفريقي خلال الستينات من هذا القرن، وتمركزهم في منطقة البحر المتوسط، وقد أصابتهم البطالة عندئذ، مرحّلين أحدثوا توترات تلاشت منذ الاندماج الاجتماعي للواصلين الأخيرين.

وليس من النادر أن يرى المرء جماعة اجتماعية ضحية حكم قبلي تتصرّف بالأسلوب نفسه حيال أقلّية أخرى. وهكذا ترفض أسرة جزائرية من المهاجرين أن تسكن في مجموعة من المساكن يشغلها، أكثرها، برتغاليون. ولكن الحكم المسبق الأكثر رسوخاً هو الحكم القبلي العرقي. إنه، بوصفه حاضراً منذ أيام الطفولة، محاكاة الراشد في الأصل. ولاحظ هورووتز وهارتلي أن أطفالاً في سن الخامسة، طُلب إليهم أن يختاروا الشخوص الماثلة في صورة، يصطفون البيض دائماً.

وفي رأي إ . ل . (و) ر . إهارتلي (1952) أن حلول الحكم القبلي العرقي لدى الطفل يمرّ بثلاث مراحل : انتباهه ينجذب أول الأمر إلى خصائص الآخر الجسمية (شعر جعْد، جلْد أسود)، ثم إلى خصائصه الخاصّة به (شعر ناعم، جلد أبيض)، إذ يثمّن خصائصه الخاصة بالقياس على خصائص الآخر . ويتوصّل الطفل، انطلاقاً من ذلك، إلى التفكير أن البيض متفوّقون على السود، الذين ينتهون إلى أن يفقدوا خصائصهم الفردية كيلا يكونوا سوى سود . فتصبح مثل هذه الأحكام القبلية من القوة بحيث يشارك فيها الأشخاص الذين يتّصفون بأنهم ضحاياها . وعلى هذا النحو إنما تختار بنيّات سوداوات، دُعين إلى الاختيار بين لُعْبات بيضاء أو سوداء، لعبات بيضاوات، «لأن البيضاوات ألطف» .

والأحكام القبلية تعزّزها الدعاية السياسية، كما كانت الحال في ألمانية، تحت السيطرة النازية، وضحايا الأحكام القبلية لايمكنهم الدفاع عن أنفسهم أبداً؛ فإذا هم ارتكسوا ارتكاساً عدوانياً، فإنهم يسعّرون الكراهية ويسوّغون اتّجاه خصومهم؛ وإذا لم يرتكسوا، فإنهم يظهرون بمظهر المعترف بمشروعية مواقف خصومهم . فالأحكام القبلية الجماعية تقود إلى النزاعات، والحرب، والعرقية، وإبادة النوع . إنها، في الحياة اليومية، مانع للتواصل والعلاقات بين الإنسانية المتناغمة . وينبغي محاربتها في كل مكان، بدءاً من المدرسة حتى المصنع، وفي كل برهة وبكل وسائل التربية الشعبية : الإذاعة، والسينما، والتلفاز، والصحافة، والتبادلات الثقافية، إلخ . (انظر في هذا المعجم : **الاتجاه**، **الثقافة**، **الجماعة**، **الرأي**، **الدعاية**) .

N.S.

حلّ مشاكل العمل

F: Résolution des proplèmes du travail

En: Solution of labor problems

D: Lösung der Arbeits Problemen

عمل هدفه توضيح الصعوبات الناشئة في المجال المهني.

كل فرع من علم النفس يمكن أن تُلتمس معونته لحلّ مشكلات العمل؛ فكل فرع منه يحدّد عناصر خاصة يعتبرها أساسية ويصوغ عدداً من الفروض يوضع انطلاقاً منها ضرب من التشخيص يليه تدخّل محدّد.

وتنجم مشكلات العمل عن تحليل العمل، تحليل يجري، أقلّه، على مستويين: الأول خاص بتحليل العمل الذي شُرع به (وصف السيرورة الإجمالية)؛ والثاني خاص بالجانب السيكولوجي (مؤشّرات يستخدمها العامل، تواصلات لا غنى عنها، إلخ). ويرتكز تحليل العمل دائماً، تحليله ذاته، على «أعراض» تثير الطلب. وهذه الأعراض هي، من جهة، شكاوى القادة الذين يعاينون انخفاض الإنتاجية، زيادة عدد الحوادث أو نسبة التغيّب، إلخ؛ ومن جهة أخرى، شكاوى المنفّذين، التي تعبّر على الأغلب عن ضيق ناجم عن شروط العمل.

ويُستعان بفرع سيكولوجي خاص وفق نموذج المشكل. فثمة توجّه إلى **علم النفس الفرقي** لتمييز الفروق بين الأفراد؛ وإلى **علم العمل وقوانينه**، لتحليل

العلاقات بين الإنسان والآلة؛ ويُلجأ إلى **علم النفس الاجتماعي** لتوضيح كل المتغيّرات ذات العلاقة بالتواصلات بين الأفراد والجماعات المختلفة؛ ويُستعان بـ **التحليل النفسي التطبيقي** لمحاولة اكتشاف الاستيهامات الداعمة لبعض التصرّفات الشاذة في جماعات العمل؛ ويتُوجّه أخيراً إلى **علم النفس الفيزيولوجي** الإنساني لاكتشاف النتائج المترتّبة على تدخّل الوظائف الكبرى في العمل. (انظر في المعجم: **تحليل العمل، قياس العمل، العمل**).

Y.B.

الحلم

F: Rêve

En: Dream

D: Traum

(الاشتقاق: الكلمة الفرنسية Rêve مشتقّة من اللاتيني الشعبي exvagus، من vagus، «تائه»، «متسكّع»، أو من الفرنسي القديم desver، «يفقد الاتجاه». فكلمة rêve تشدّد على عدم التكيّف مع الواقعي. في حين أن المقابلين، الألماني Traum والانغليزي Dream، المشتقّين من الجرماني القديم Draugma، «صورة خادعة»، يلحّان بالحري على أهمية «الصورة البصرية»).

الحلم سلسلة من الصور والظاهرات النفسية التي تحدث في أثناء النوم.

منذ أن أوضح أزورنسكي (1953) فاعلية حلمية خلال «الطور المفارق» للنوم، لم يعد يمكننا أن ننظر إلى الحلم من وجهة النظر السيكولوجية والتحليلية النفسية، ذلك أن البحث السيكوفيزيولوجي غزا هذا المجال، إذ طرح مشكلات صعبة وجديدة.

ويمكننا القول، مع أرسطو وفرويد، إن الحلم هو فاعلية النائم النفسية، ولكن بوسعنا، مع فرويد، أن نميّز ثلاثة ضروب من الأحلام: الأحلام المفهومة، التي تذكّرنا بدقة بحياتنا النفسية خلال حالة اليقظة؛ الأحلام ذات المعنى الواضح، ولكنها التي تُدهشنا بالأفكار والعواطف التي تعبّر عنها؛ وأخيراً، الأحلام التي تتوافق مع التصوّر المألوف للحلم بغرابتها، وعدم تماسكها، بل بعبثيتها. وهذا الضرب من الأحلام الأخيرة هو الأكثر تواتراً.

١- وجهة نظر التحليل النفسي

بسط فرويد نظريته في الحلم في كتابه الكلاسيكي **تفسير الأحلام** الذي ظهر عام 1900 . وتمثّل هذه النظرية دائماً وجهة نظر التحليل النفسي. فالأحلام لا يمكنها أن تُفسَّر تفسيراً آلياً بواسطة بعض «مفاتيح الأحلام». ومعناها لايمكنه أن يوجد إلا بمقارنة سرد الأحلام مع ارتباطات الأفكار التي يدلي بها الفرد فيما يتعلّق بها. ونميّز في الحلم، بهذه الطريقة، محتوى ظاهراً (قصة الحلم) ومحتوى كامناً (الأفكار التي تعبّر عنها الارتباطات). وتتعدّل الحياة النفسية، جرّاء النوم، أي أن بعض السيرورات الذهنية تتّخذ عندئذ أهمية كبيرة ويكتسب الحلم بالتالي سماته الكلاسيكية من الغرابة واللامنطقية. فالعمل الأول للحلم يكمن في أن يحوّل أفكار النائم إلى مشهد صاخب قليلاً أو كثيراً. وهذه هي نتيجة سيرورتي التجسيم والتمثيل. وثمة سيرورتان أخريان عاملتان في الحلم: التكثيف والانزياح. ويفضي **التكثيف**، على سبيل المثال، إلى تركيب شخصية من شخصيات الحلم انطلاقاً من عناصر مستعادة من عدة أشخاص يعرفهم النائم. والفكرة الكامنة من الحلم يمكنها، على العكس، أن تكون موجودة في عدة تفصيلات مختلفة. ويعكّر **الانزياح** وضوح السبل كثيراً، ذلك أن بوسعه أن يعكس العواطف، ويُحلّ الكره محلّ الحب أو يجعل الهامّ ملحقاً؛ ويمكنه أيضاً أن ينسب إلى شخص عواطف شخص آخر. وينزع التكثيف والانزياح على هذا النحو، إلى تعطيل محاولات التفسير.

ويُبنى الحلم انطلاقاً من موادّ مختلفة: ذكريات الطفولة، ذكريات الأنهر السابقة (بقايا نهارية)، والإثارات التي يدركها النائم أحياناً خلال نومه، وهذه الإثارات موجودة على نحو أكثر ندرة. ولكن العنصر الخلاّق والمحرّك في الحلم هو الرغبة اللاشعورية، وهي في الأغلب رغبة طفلية مكبوتة. وكان فرويد قد حدّد مفهوم الرغبة هذا، الأساسي في التحليل النفسي، بأنه، فيما يخصّ الحلم، ضرب من حركة الفكر التي تدفعه إلى أن يعيد إنتاج تجربة إشباع. وتحدث إعادة الإنتاج هذه، في الحلم، بواسطة الدرب الهلوسي. والرغبات غير المشبعة يمكنها، عندما

يكون عمل الحلم ناجعاً، أن تحدث دون أن تسبّب الاستيقاظ، ومن هنا منشأ صيغة فرويد الشهيرة: «الحلم حارس النوم».

وخلاصة القول أن الحلم، بالنسبة للتحليل النفسي، إنجاز رغبة لاشعورية، من طبيعة جنسية على الأغلب، تقترن بالرغبة في النوم.

2- علم النفس الفيزيولوجي للحلم

أوضح أزورنسكي عام 1953، خلال النوم، أطوار حركات عينية سريعة كانت ذكرى حلم في أثنائها ترافق اليقظة المثارة. وكان هذا الاكتشاف نقطة انطلاق لمجموعة من البحوث الخصبة حيث اشتُهر بها وليم ك. دومان، في الولايات المتّحدة وميشال جوفه في فرنسة. ومنذ ذلك الزمن، ثمة قبول أن النوم، بحصر المعنى، تتخلّله «أطوار مفارقة» ترافقها حركات عينية سريعة. وهذه الأطوار تثير الاهتمام على وجه الخصوص لأن الأحلام فيها متواترة أكثر بكثير مما هي عليه في أثناء «النوم البطيء» (المسمى على هذا النحو بالرجوع إلى رسم مخطّط الدماغ الكهربائي المقابل لهذا الطور من النوم). والمشكل الذي يطرح نفسه منذئذ يكمن في أن نعرف ما إذا كانت الفاعلية النفسية في هذا الطور المفارق متميّزة من فاعلية النوم البطيء، مادامت التباينات الفيزيولوجية بين هاتين الحالتين كبيرة. والواقع أن الأطوار المفارقة تقابل حالة تختلف معاً عن اليقظة والنوم. ويشبه رسم التخطيط الدماغي الكهربائي خلال هذه الأطوار رسم اليقظة، ولكن الفرد لايدرك الإثارات عادة، الواردة من العالم الخارجي، وحظربة العضلات لا وجود لها. وعلى العكس، كل الدماغ، خلال الأطوار المفارقة، في حالة من الإثارة القصوى، في حين أن العضلات الصغيرة في العينين، وأصابع اليدين والقدمين، تتقلّص تقلّصاً مختصراً كما لو أنها كانت تشهد على مشاركة الفرد في مشهد حلمه. وأخيراً، ثمة حادث طريف يذكّر بنظرية فرويد مفاده أن الأعضاء الجنسية، هي أيضاً، في حالة إثارة خلال هذه الأطوار. ولْنبيّن أن جوفه كان قد أوضح البنيات التشريحية والعصبية الكيميائية المسؤولة عن هذه الحالة.

ونقول على وجه الإجمال إن كل موجود إنساني يقضي خلال يومه ست عشرة ساعة في حالة اليقظة، ست ساعات في حالة النوم وساعتين في حالة مفارقة تكون لديه في أثنائها فاعلية حلمية غنيّة على نحو خاصّ.

وإذا كان تمييز اليقظة فيزيولوجياً أمراً يسيراً، فإن تمييز الفاعليات النفسية ذات العلاقة بهذه الحالات الثلاث أمر أكثر حرجاً. وحالة اليقظة تُعرف بسهولة من وجهة النظر السيكولوجية، على الرغم من أن حالة عدم الانتباه تقرّبها من النوم وأحلام الحالة المفارقة.

إن شروط الملاحظة هي التي تجعل التمييز بين الفاعلية النفسية في النوم البطيء والفاعلية النفسية في النوم المفارق (المسمّى «النوم السريع» أيضاً)، أمراً عسيراً. والواقع أن من الضروري إيقاظ الفرد في الحالين لمعرفة ما كان موجوداً في ذهنه في حين كانت عيناه مغلقتين. وهكذا سيظلّ الحلم المعيش إلى الأبد مجهولاً خلال الفترة التي يحدث فيها. ولن نعرف أبداً إلا حلماً مرويّاً من الذاكرة. وبوسعنا مع ذلك، في حالة واحدة، أن يكون لدينا فكرة مباشرة لحياة الحالم النفسية: إنها حالة **المتكلّم خلال النوم**. ومن الممكن أن نقارن لدى هؤلاء الأشخاص بين كلامهم وقصة الحلم الذي يمكنهم أن يحلموا به مقارنة بعد الاستيقاظ. ونلاحظ في هذه الحالة ضرباً من التوافق.

فاذا أطلقنا على الحلم تعريفاً ضيّقاً (إدراك هلوسي مشاهد غريبة وعبثية)، فإن بإمكاننا القول إن الحلم يحدث بالحري خلال الطور المفارق. وإذا أطلقنا بالعكس عليه تعريفاً واسعاً (فاعلية الحالم النفسية)، فان بوسعنا أن نقول إن الحلم يحدث في أية لحظة من لحظات النوم.

3- الحلم والكابوس

هذان الضربان من الفاعلية النفسية الليلية يستحقّان تمييزاً بينهما، وعلى وجه أخصّ بين حلم الحصر والكابوس. ولنوضّح بهذه المناسبة أن فرويد لم يتكلّم على كابوس في كتابه، ولكن على حلم حصر فقط (والترجمة الفرنسية خاطئة بهذا الصدد).

إن **حلم الحصر**، الذي يحدث على وجه الخصوص في الطور المفارق، يسبّب استيقاظاً غير مستساغ، لا أكثر، وليس الأمر على هذا النحو بالنسبة للكابوس الذي كان فيشر قد درسه. وينبغي أن يكون اسم كابوس وقفاً على فاعلية نفسية تسبّب الحصر، إذ تثير ضرباً من تسارع ضربات القلب (تسارع تواتر ضربات القلب إلى أكثر من 120 ضربة في الدقيقة) وتثير على وجه الخصوص استيقاظاً عنيفاً في حالة خاصّة جداً. والواقع أن الفرد الذي يوقظه كابوس يصرخ، يطلب النجدة، ويسقط من سريره أحياناً؛ إنه، على وجه الخصوص، مصاب بالهلوسة، دائماً مشوّش وفاقد التوجّه. وتدوم هذه الحالة من الذهان الحاد، والجنون العارض، بعض الدقائق في الحدّ الأقصى، يمكن أن يقصّ الفرد في نهايتها أحياناً قصة كابوسه. والمقصود على وجه العموم مشهد مأساوي من العدوان أو الحادث يمكنه أن يرتبط في بعض الأحيان بذكرى حادث معيش. ويمكننا، لدى الطفل، أن نلاحظ مثيل الكابوس بصورة ضروب من **الرعب الليلي** التي تحدث في بداية الليل. ويتميّز الكابوس، من جهة أخرى، أنه لايحدث أبداً خلال الطور المفارق وإنما خلال النوم الأعمق، النوم بالمعنى الضيّق للكلمة (المرحلة الرابعة). ولْنلاحظ بهذه المناسبة أن في هذه المرحلة إنما تنطلق مظاهر ليلية كالسرعة وسلس البول.

ومن المناسب، لننهي حديثنا، أن نقول كلمة عن وظيفة الحلم (بالمعنى الواسع). فهذه الفاعلية النفسية الليلية تتيح تفريغ شحنة التوترات السيكولوجية، وتنبيه الجملة العصبية في أثناء النوم، وإحلال الفكر محلّ العمل، وإقامة رابطة بين المستويات المتنوّعة لحياتنا النفسية (الشعور واللاشعور). ويمثّل الكابوس إذن، في هذا المنظور، قصوراً خطيراً في الوظيفة الحلمية. فالأفضل، لهذا السبب، أن نميّزه من الحلم. ومزية البحوث المعاصرة، التي لم تفض بعدُ إلى نتائج حاسمة، تكمن في أنها جعلت الحلم موضع تقييم جديد، كانت حضارتنا التقنية تبدو أنها تنكر كل قيمة له، في حين يبدو جيداً أنه يؤدّي دوراً في صيانة توازننا الذهني. (انظر في هذا المعجم: **التنشيط، الكابوس، الشعور، تخيّلات النعاس، النوم**).

A.BO.

الحلم المستثار الموجّه

F: Rêve éveillé dirigé

En: Guided daydream

D: Wachtraum

طريقة علاج نفسي استكملها الفرنسي روبير دوزوال (1890- 1966)، تكمن في بعث استيهامات الفرد بالخيال القسري، وتفسيرها ودمجها في الحياة الشعورية.

المريض متمدّد على ديوان، في غرفة نصف مظلمة، ولا يرى المعالج. وعندما يبلغ حالة من الاسترخاء قريبة من الغفوة، يُطلب إليه أن يتخيّل وضعاً، ويُدعى إلى أن يتحرّك في المكان الذي خلقه خياله: صعوداً، نزولاً، تجاوز مانع، إلخ. ونلاحظ على نحو عام أن عواطف هناء وصوراً مشرقة ترتبط بحركة الصعود، في حين أن النزول يثير الضيق والقلق. ويحرّر المريض، بعد كل جلسة، تقريراً يوضّح فيه طبيعة العواطف التي يعبّر عنها. ويحلّل، خلال محادثات مع المعالج، تلك الجوانب المتعدّدة من امتثالاته المتخيّلة، وذلك أمر يقوده إلى اكتشاف أصل نزاعاته الداخلية وثرواته المخبوءة، المتروكة في حالة الكمون جرّاء عصابه. أضف إلى ذلك أن المريض يتعلّم، خلال الجلسات، وعلى مستوى المتخيّل، أن يواجه صعوباته، ويتجاوز نزاعاته، وأن يُحلّ محل الاتجاهات العصابية تصرّفات أفضل تكيّفاً (انظر في هذا المعجم: **الاستيهام، العلاج النفسي**).

N.S.

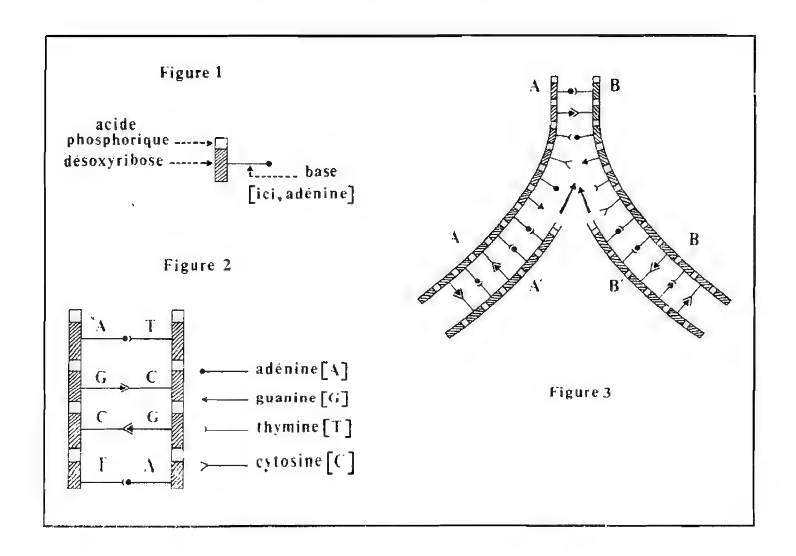
الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين (الدنا)

F: A.D.N
En: D.N.A.
D: D.N.S.

حمض نووي، ذو وزن جزيئي مرتفع جداً (عدة ملايين من الوحدات بل عدة مليارات)، يتكوّن من اتحاد ملايين الوحدات النووية، أي من مركبات عضوية تكوّنها ثلاثة عناصر: الحمض الفوسفوري، السكر -السكر الريبي المنزوع الأوكسجين، وأساس من البورين أو البيراميدين (شكل 1).

يوجد هذا الحمض بصورة أساسية في نواة الخلية، حيث يكون المكوّن الرئيس للصبغيات. وبنيته كانت قد توضّحت عام 1953 بفضل الجهود المتضافرة لعالم البيولوجيا الانغليزي فرانسيس هارّي كومتون كريك (المولود عام 1916)، وعالم البيولوجيا الأمريكي جيمس ديوي واطسن (مولود عام 1928) والعالم البيولوجي الفيزيائي البريطاني موريس هوغ فريديرك ويلكانز (مولود عام 1916)، الذين مُنحوا، لهذا الاكتشاف، جائزة نوبل للطب والفيزيولوجيا (1962). وفي رأي واطسن وكريك أن جزيئاً من الحمض النووي الريبي المنزوع الأوكسجين (A.D.N) يمكن أن تمثّله سلسلة حلزونية مزدوجة ملتفّة حول محور متخيّل ساقاها مرتبطتان بجسور من الهيدروجين موضوعة بين الأسس المسماة متكاملة. فثمة أربعة أسس في هذا الحمض: الأدينين، الغوانين، الثايمين، والسيتوزين. فالأدينين لا يمكنه أن يتّصل إلا بالثايمين، والسيتوزين إلا بالغوانين (شكل رقم2). وسيكون الإعلام الوراثي الذي تحتويه الصبغيات مرتبطاً بتعاقب الأسس طوال السلسلة من

هذا الحـمض، وهذا التنسـيق هو الذي يمنح، في رأي علمـاء الوراثة، كل مـورّثة سمتها المميّزة، وهذا التسلسل النوعي للوحدات النووية ينتقل من الخلية الأم إلى الخلية البنت كلما انقسمت خلية. وعندما تنفصل ساقا الحلزون البدئي، بانقطاع الارتباطات بين الأسس، تُستخدم كل منهما قالباً لسلسلة متكاملة وتخلق جزيئاً جـديداً من هـذا الحـمض (A.D.N). وتجري هذه السيرورة التركيبيـة انطلاقاً من الأسس الحرة في الوسط الخلوي، بفضل أنزيم (خميرة) نوعي هو: البوليمياراز الخاص بالحمض النووي المنزوع الأوكسجين (شكل رقم3). وتتيح هذه الآليـة أن نتصور ما مفاده أن كل خلايا عضوية من العضويات تمتلك الإعلام الوراثي ذاته الذي تحتويه الخلية البدئية، البويضة المخصبة، حيث تكون نصف المورّثات من أصل أبوي ونصفها الآخر من أصل أمّي. (انظر في هذا المعجم: **المورّثة**).



A.D.N

الشكل الأول: تمثيل نوويد.

الشكل الثاني: النماذج الأربعة من النوويدات التي نجدها في A.D.N. إنها تختلف بأسسها. والترتيب الذي تتبعه هذه الأسس على ساق الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين مختلف، ولكن الترابط يحدث دائماً بين الأسس المتكاملة. G-C, T-A.

الشكل الثالث: تضاعف حمض .A.D.N. وانفصال الساقين A، B، يحدث في اتجاه الأسهم، في حين يتكون نوويدان جديدان (Á-A) و(B-B́) يماثلان السلسلة المزدوجة البدئية.

M.S.

F: Lysergide, Lysergamide — **حمض الليزرجيك**
En: Lysergic acid — **(الليزْرجيد)**
D: Lysergicsaüre diäcylamid

مادة مزوّدة بخصائص تثير الهلوسة، مشتقّة من حمض الليزرجيك، مستخلص من فطر طفيلي على نباتات الحبوب، أي دابرة السُلت أو الشيلم (ergot de seigle)[*].

نجد في التاريخ الغربي، خلال العصور الوسطى، تسمّمات كبيرة جماعية تسبّبها دابرة السلت أو الشيلم في أثناء فترات القحط. وهذه الأوبئة الناجمة عن تناول دابرة السلت أو الشيلم، التي تسمّى أيضاً «داء المتحمّسين» أو «نار القديس أنطوان»، عاثت فساداً في القرن التاسع عشر. وفي عام 1938، يحقّق أ. هوفمان، باحث في مخبر ساندوز، ببال، تركيب الديئيتيلاميد من حمض الليزرجيك (L.S.D.25)، إذ جمع حمض الليزرجيك إلى الديئيتيلامين. ويدرس هوفمان مع و. أ. ستول، خلال بضع سنين، هذا المركّب الجديد، ويكتشف عام 1943 بالمصادفة، بعد أن ابتلع بصورة غير إرادية جزيئات قليلة من الناتج الذي كان يتعامل معه، تلك الخصائص التي تثير الهلوسة من هذا الناتج. إن و. أ. جاكوبز هو الذي قدّم الصيغة الكيميائية للمادة الأكثر فاعلية:

(*) ergot de seigle: دابرة الشيلم أو السُلت. وهو مرض يحصل في الشيلم أي السُلت خاصة، وفي الحنطة وغيرها أحياناً. سببه فطر مجهري طفيلي يقلب زهر السنابل كتلاً سوداء كدابرة الديكة. ويعرّبه بعضهم بـ«الأرغوتية» «م».

ومنذ دراسات إميل كريبلن، كانت تحليلات عديدة للذهانات التجريبة قد أُجريت. وتنشد هذه الدراسات، من جهة، أن تبحث بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن السبب الجسمي لهذه الذهانات المسمّاة داخلية المنشأ، وتنشد من جهة أخرى أن تحلّل، تحليلاً سيكولوجياً وباثولوجياً، حياة الذهاني النفسية. وتفرّغ للنقطة الأولى دو جونغ، أو سموند وسميثي، هوفر، رنكل، إلخ. وتقع هذه البحوث حالياً على مستوى الوسطاء الكيمائية للدماغ. وحمض الليزرجيك (L.S.D.25) هو المثير للهلوسة الأكثر نجوعاً من **مثيرات الهلوسة** (وفق تصنيف ل. لوفن، 1927)؛ إنه يؤثّر بجرعات ضعيفة جداً لأن 200 جزء من مليون جزء من الغرام من حمض الليزرجيك (L.S.D) لها المفعولات نفسها التي لـ600 مليغرام من المسكالين أو 40 مليغرام من بسيلوسيبين. ويتناول المرء حمض الليزرجيك (L.S.D.25) على قطعة من السكر، من البسكويت، من الملبّس، أو قطعة صغيرة من النشّاف؛ ويمكن أن يتناوله المرء استنشاقاً أو بالحقن. ويمكنه أن يُحدث إدماناً لدى الأفراد الذي يستخدمونه مخدّراً. إنه يدخل في فئة **الموهمات النفسية**، لأنه يسبّب اضطراب الفاعلية العقلية ويُحدث أوهاماً حسّية عديدة: فالأشياء تظهر مزوّدة بالحركة، وتستطيل المسافات والزمن أو تقصر، والعالم مشوّه كلياً، وإدراك الجسم متغيّر (وجود أعضاء أشباح). ولدى الفرد أيضاً انطباعٌ بفقدان شخصيته وفكّ الارتباط بالواقع؛ إنه مبتهج، ويشعر بعاطفة الفرح والسلام والاستطاعة اللامتناهية. وهو مصاب بالحصر في بعض الأحيان، والخوف، ويمكنه أن ينتحر أو يقتل أحداً تحت سيطرة الخوف. وحامض الليزرجيك (L.S.D.25) مسؤول أيضاً عن اضطرابات جسمية: صداعات، غثيانات، سرعة ضربات القلب، تمدّد بؤبؤي العينين، عرق،

فقدان الشهيّة والنوم. والفرد في حالة صفاء طوال هذه التجربة، ويشهد عرض الأوهام التي يمكنه أن ينقدها. وعندما تنتهي مفعولات المخدّر، يحتفظ الفرد بذكرى تجربة يتعذّر وصفها. وتتنامى هذه المفعولات عندما تحدث التجربة جماعياً (تأثير الظاهرات الجماعية في غنى «السفر»). ولا يسبّب حامض الليزرجيك L.S.D «أي تبعية جسمية. وانتشر استخدامه، في الولايات المتّحدة على وجه الخصوص، بدءاً من عام 1960. وثمة اسمان يقترنان بتجربة الحالة الهلوسية: تيموثي ليري وريشار ألبير، طالبان في جامعة هارفارد، مروّجان حقيقيان لـL.S.D. وحمض الليزرجيك L.S.D.25 نادر جداً في فرنسة. إنه ماثل في الجدول، إذ سُحب من السوق التجارية عام 1966. إنه، بسبب سمّيته الكبيرة، لا يُستخدم لغايات علاجية، باستثناء بعض التجارب لتهدئة الآلام لدى المصابين بالسرطان أو مكافحة مختلف أشكال الإدمان. (انظر في هذا المعجم: **الموهم النفسي، الزمن**).

A.M.

الحمْل

F: Grossesse

En: Pregnancy

D: Schwangerschaft

حال المرأة التي تنتظر طفلاً، منذ لحظة الإخصاب حتى الولادة.

الحمْل واقعة ذات أهمية دائماً في وجود المرأة. فمعرفة أنها ستمنح حياة، والارتقاء إلى وضع الأم، أمران يضفيان خطورة جديدة، بمستوى المسؤوليات التي يتضمّنها هذا الدور الجديد. وإحدى المسؤوليات العظام ذات علاقة بصحة الطفل في حالة التكوّن. وبيّن مؤلفون عديدون إلى أي حدّ يمكن أن يتردّد صدى تغذية المرأة الحامل على التطوّر اللاحق للجنين. ولاحظ الدكتور هيغجنز من **مشفى فيكتوريا الملكي للأمومة** في مونتريال، في إطار برنامج تربية غذائية يمتدّ من 1966 إلى 1970 وينصبّ على نساء حوامل ينتمين إلى راقٍ اجتماعي اقتصادي من المستوى الأكثر تواضعاً، أن الأطفال الذين ولدتهم أمهات قُدّمت إليهن علاوة غذاء يومية تتألف من بيضتين، برتقالتين وليتر من الحليب، كانوا قد تعرّضوا إلى نسبة من الأمراض تعادل على وجه التقريب نصف النسبة من الأمراض التي كان أطفال الفئة السكانية الضابطة قد تعرّضوا إليها. ولكن المرأة الحامل لاينبغي مع ذلك المغالاة في تغذيتها: ولنقل مع ب. لوروا (1974)، على سبيل الإعلام، إن زيادة الوزن ينبغي ألا تكون أدنى من 9كغ ولا أعلى من 12كغ. وينبغي لها أن تفيد من تغذية متوازنة، ملائمة لحالتها، لاتتضمّن لحماً نيئاً (أو مشوياً بصورة ضعيفة جداً) يمكنه أن ينقل طفيليات خطرة ويسبّب أمراضاً خطيرة للجنين كداء المقوّسات أو المصوّرات

الذيغانية. والكحول محظور عليها ذلك أنه ضارّ ولو كان بجرعات قليلة. فالسيد م. كامنسكي ومعاونوه (1974) بيّنوا، انطلاقاً من دراسة انصبّت على أكثر من تسعة آلاف حالة، أن الاستهلاك اليومي الذي يساوي 40 سنتيلتر من الخمر يزيد، زيادة محسوسة، أخطار ولادة طفل ميت. وعلم الصحة في حياة المرأة الحامل ينبغي له أن يحظّر عليها التبغ ذا المفعول الضارّ أيضاً: لوحظ أن قلب الجنين تتسارع ضرباته من خمس إلى أربعين ضربة في الدقيقة حين تدخّن المرأة، وأن أطفال المدخّنات، وفق بحث تناول 1700 طفل انغليزي، كان قد ظهر لديهم تأخّر في النموّ النفسي الحركي في الطفولة الأولى قدره نحو أربع أشهر. ومن البدهي أن كل مخدّر، مثل L.S.D. والهيروويين أو المورفين، ينبغي أن يكون محظوراً، وكذلك استخدام العقاقير (المنومّة، المسكّنة، إلخ) التي لا يصفها الطبيب، ذلك أن بعضها يمكنه أن يكون له عواقب مأساوية على الأم والطفل معاً.

والمرأة الحامل ليست مريضة، ولكن مراعاتها واجبة. وينبغي لها على وجه الخصوص أن تتجنّب القيام بأعمال مجهدة أو التي تقتضي بذل جهد عصبي كبير جداً. (لوحظت في دار ألزاسية للأمومة بهاغينو، نسبة من الولادة قبل الأوان قدرها 14.7 بالمئة لدى العاملات والفلاحات مقابل نسبة 7.85 بالمئة لدى نساء من الفئات الاجتماعية الأخرى). ويمكنها أن تمارس التمرينات الرياضية باعتدال، ولاسيّما تلك التي تنشد تقوية عضلات البطن، وتستمر في أن يكون لها علاقات جنسية سويّة.

ويتضمّن الحمل أيضاً موكبه من المشكلات السيكولوجية. إنه يثير لدى المرأة الصبيّة، ولو أنه مرغوب فيه بحرارة، خليطاً من الخشية والأمل، من الابتهاج والقلق، وعلى وجه الخصوص عندما تكون التجربة هي الأولى. فعند امرأة حامل معيّنة، سيحدث ضرب من التنشيط الجديد لنزاعات نفسية جرت تصفيتها على نحو سيّء، يرافقها ظهور جديد لعاطفتي المنافسة والإثمية إزاء أمها؛ وستسبّب تشوّهات الجسم، لدى امرأة حامل أخرى، خشية من فقدان حب الزوج،

وستشعر الجنين وكأنه دخيل خطر؛ ويكون التوتّر الانفعالي، في بعض الحالات، من الشدّة بحيث ينتهي إلى أن يثير الإجهاض. ويصبح الحمل انتظاراً يحفّ به القلق، بالنسبة لبعض النساء اللواتي يعلمن أن الطفل الذي يحملنه يمكنه أن يكون غير سويّ لأن في أسرتهن مرضاً وراثياً، أو لأن عمرهن تجاوز الأربعين، أو لأنهن ولدن من قبلُ طفلاً مصاباً بشذوذ صبغي (تثلّث صبغي 21، مرض هورلر، أو مرض آخر). ويوصى في هذه الحال ممارسة بزل عينة من السائل الأمينوسي. وهذا التدخّل، الذي يكمن في سحب عينة من السائل الأمنيوسي بعد تحديد موقع المشيمة بواسطة الأمواج فوق الصوتية، يجري تحت التخدير العام. ولايدوم البقاء في المشفى سوى يومين أو ثلاثة، ولكن النتائج لايمكنها أن تُعرف قبل مهلة أسبوعين إلى أربعة أسابيع.

والحمل مصدر سرور في أغلب الأوقات. فهو يؤمّن لبعض النساء رضى فائق الحدّ يتيح التحليل السيكولوجي أن ينسبه في بعض الأحيان إلى عقدة الخصاء التي لم تُحلّ حتى ذلك الزمن. والرغبة المضطرمة في الأمومة لدى بعض النساء العقيمات يمكنها أن تظهر بما نسميه «الحمل العصبي» أو الحمل الكاذب. فكل العلامات الخارجية ماثلة فيه، من توقّف الطمث والغثيان إلى التضخّم التدريجي للبطن، ولكن المرأة ليست حاملاً. وحدث مثل هذا الحادث المؤسف للملكة تيودور (غرينوتش، 1516- لندن، 1558) التي كانت قد تزوّجت متأخّرة فيليب الثاني ملك إسبانية (1527- 1598). ولم تُعرف حالتها الواقعية إلا اللحظة المفترضة للولادة، في حين أن أجراس المملكة كانت تدقّ في ذلك الحين.

والحمل مرحلة خصبة يتردّد صداه في شخصية المرأة الحامل. وهذه المرأة ستتفتّح بمقدار مايتقن محيطها أن يخلق حولها مناخاً متناغماً من الأمن والصفاء، إذ يسهم هذا المناخ في جعل حملها، كما كانت تقول كوليت، «عيداً طويل المدة». (انظر في هذا المعجم: **الزيغان الصبغي، الإجهاض، الاعتلال الجنيني**).

N.S.

F: Tendresse **الحنان**

En: Tenderness

D: Lartlichkeit

عاطفة، عميقة ودائمة، من المودّة والحب.

يتميّز الحنان من الشهوانية في أنه، من الناحية الأولية، دافع جنسي مكفوف من حيث هدفه. وهذا الدافع، الذي تمنعه مقاومات داخلية أو موانع خارجية من أن يتحقّق تحققاً كاملاً، يجد إشباعه في علاقات المودّة أو الصداقة. وفي رأي سيغموند فرويد (1856- 1939) أن الحياة لا تنفكّ تعيد، إزاء الغير، إنتاج موقف الطفل من أبويه أو الأشخاص الذي كانوا يُعنون به ويطعمونه. والحنان، في علم الطباع، عامل من عوامل الميول، عوامل استخلصها غاستون برجه (1896- 1860)؛ ويظهر الحنان بسهولة الاتصالات الاجتماعية، والانفتاح على الغير، والقدرة على أن يتماهى الفرد بمثيله، ويفهم حاجاته ورغباته، ويتبنّى آماله. (انظر في هذا المعجم: **الشراهة، الطبع**).

N.S.

الحيـاة

F: Vie

En: Life

D: Leben

حالة خاصة من المادة التي تتكوّن من جزيئات عضوية (هي ذاتها تتألف من الكربون، والهيدروجين، والأوكسجين، والآزوت) من الماء والملح، وتكوّن منظومات متفرّدة تجري فيها، خلال مدة محدّدة، فاعليات منظّمة تؤمّن نموّها، والمحافظة عليها، وتكاثرها.

مجموع هذه المنظومات، التي تُسمّى أيضاً **متعضّيات**، تكوّن الغلاف الحيوي. وليست الفاعليات الحيوية دائمة بالضرورة. فثمة عضويات يمكنها أن تكون لها حياة كامنة أو «خفيّة» تتوقّف فيها الفاعليات على نحو عابر تحت تأثير بعض الشروط، كنزع الماء. وهذه الحالة مختلفة عن الموت، حيث يكون انقطاع الفاعليات نهائياً ولا رجعة فيه.

.أصل الحياة. لم تكن الحياة قد شوهدت إلا على كوكبنا. فظهورها في أماكن أخرى، الذي يُعتبر منذ زمن طويل غير محتمل، يبدو حالياً -في ضوء النتائج التجريبية ونظريات علم الحركة الحرارية للظاهرات التي لاتنعكس، المطبّقة على المنظومات المفتوحة البعيدة جداً عن التوازن -أمراً حتمياً على وجه التقريب. ومن المعلوم أنه كان ممكناً، منذ عام 1953، تركيب نحوٍ من عشرين حمضاً أمينياً انطلاقاً من طريقة الأمريكي ستانلي ميلر، التي تكمن في أن نُخضع، خلال عدة أيام، خليطاً من الهيدروجين، والميتان، وغاز الأمونياك، وبخار الماء، إلى تفريغات

كهربائية قوية. ولم يكن ثمة بدٌّ من أن توجد كل هذه العناصر، بكميات كبيرة، في الجوّ المحيط البدئي من كوكبنا الذي كانت سيّالة مستمرّة قوية من الطاقة الشمسية والنشاط الإشعاعي الأرضي تعبره. وكان أمراً محتّماً إذن أن تتحوّل هذه المكوّنات الأولية إلى جزيئات عضوية بسيطة (حموض أمينية، أسس بورينية وهرمية، سكّريات، إلخ) وأن تتحوّل هذه الجزيئات هي ذاتها، ما إن تنحلّ في المحيط المائي الأولي، إلى مركّبات كيميائية معقّدة قليلاً أو كثيراً. ولكن ثمة، بين هذه المركبات الكيميائية، عدداً معيّناً يمثّل فاعلية وظيفية أنزيمية تسهّل إما تدمير الجزيئات (**الأيض**، أو **الاستقلاب الهدمي**)، وإما، على العكس، خلق جزيئات معقّدة أخرى (**الأيض البنائي** أو **الاستقلاب البنائي**). وتخلق مزاوجة هذه الفاعليات سلاسل من الارتكاسات الاستقلابية في كَنَف الجزيئات الكبرى الضعيفة الانحلال في الوسط. وهذه المنظومات السابقة على الحياة هي، على وجه الاحتمال، أصل الموجودات الحيّة الأولى، المتعضيّات الوحيدة الخلية. وكانت مستحاثّات هذه المتعضيّات قد وُجدت في أراضي العصر السابق على العصر الجيولوجي الكامبري (أقدم تكوّن جيولوجي ليس وجوده مؤكّداً إلا في بعض مناطق الكرة الأرضية: كندة، إسكاندينافية، سيبيرية، البريتان. . .)، الذي حدث منذ ثلاثة مليارات وثلاث مئة مليون سنة، في حين أن تكوّن كوكبنا يُحدّد منذ أربعة مليارات وست مئة مليون سنة.

وحدة الحياة. كل الموجودات الحيّة مشتقّة من هذه المنظومات الأولية، وذلك أمر يشرح وحدتها. ومهما كانت الجزيئات النوعية لكل موجود حيّ معقّدة ومتنوّعة، فإنها تتكوّن، من وجهة النظر الكيميائية، انطلاقاً من الجزيئات الأولية نفسها. والطاقة الضرورية لتركيب العناصر (الأيض البنائي) والعمل الوظائفي للمتعضيّات يقدّمها، من الناحية الفيزيائية، تدمير بعض الجزيئات (الأيض الهدمي). وهذه الارتكاسات تصونها الطاقة الشمسية التي ليس استثمارها المباشر ممكناً إلا بالنباتات الخضراء (ذاتية التغذية): فالتركيب اليخضوري يكوّن الغلكوز انطلاقاً من الماء وغاز الكربون، وكل التركيبات اللاحقة تحدث على حساب تدهور

هذا الغلكوز؛ والمكونات التي تركّبها النباتات تُستخدم فيما بعد في تغذية الموجودات الحيّة الأخرى (غيرية التغذية). فلنر على هذا النحو أن الحياة كلها تابعة للشمس؛ والحياة تستخدم طاقة الشمس، التي تؤخّر تدهورها فقط.

والسيّالة الأيضية (الاستقلابية) منظّمة على نحو واحد لدى الموجودات الحيّة كلها: إن التحوّلات الكيميائية، التي تراقبها الأنزيمات ذات الطبيعة البروتيدية (جزيئات وظيفية)، تكوّن شبكة من الارتكاسات تُستخدم الطاقة الناتجة فيها، بفعل استقلاب بعض الجزيئات، في تركيب (توجّهه أنزيمات بروتيدية أخرى) كلّ مكوّنات المادة الحيّة، الجزيئات البنيوية والجزيئات الوظيفية والجزيئات الإعلامية على حدّ سواء. والجزيئات الإعلامية، المسمّاة **مورّثات**، تحتوي، على شكل مرموز (تعاقب نوويدات)، «التعليمات» لبناء سلاسل الحموض الأمينية (التي تكوّن البروتيئينات الوظيفية كلّها)، وتحتوي بالتالي الإعلام الخاص بتركيب كلّ مكوّنات المادة الحية. أضف إلى ذلك أن هذه المورّثات تتكوّن من جزأين متكاملين، كل منهما يمكنه، بعد الانفصال، أن يعيد تكوين مكمّله بمساعدة باقي المنظومة؛ ويُعاد على هذا النحو إنتاج الجزيئات، المتطابقة مع ذاتها وتسبّب تكوّن منظومات جديدة (تكاثر).

والشبكة الأيضية (الاستقلابية) «منظومة مفتوحة» تعبرها سيّالة مستمرّة من المادة والطاقة، وتجعلها ارتكاسات سلبية ذات مفعول رجعي راسخةً: زيادة تركيز الجزيئات المركّبة يُنقص فاعلية الأنزيمات التي تنتجها. فنحن نرى إذن أن المادة الحيّة مستقرّة وغير مستقرّة معاً: إنها غير مستقرة لأن مكوّناتها تُدمَّر باستمرار ويُعاد بناؤها (تجديد)؛ وهي مستقرة لأن المنظومة يُعاد بناؤها مشابهة لذاتها دائماً، بتوجيه المورّثات. وإعادة البناء هذه، الدائمة، للمنظومات الحيّة، وتكاثر هذه المنظومات، ليسا ممكنين إلا لأنها تتغذّى تغذية مستمرّة بحاصلات الأيض الهدمي التي تتكوّن بفضل الطاقة الصادرة عن الشمس. وهذا الاستقرار في عدم الاستقرار سمة أساسية من سمات الحياة. وثمة سمة أخرى للحياة تكمن في أن للتركيبات غلبة

على ضروب الهدم، وذلك أمر يقود إلى الزيادة بفعل تكاثر المتعضّيات، وينجم عن ذلك ضغط في الانتشار وتنافس الأنواع. ويميل ضرب من التوازن، في وسط واحد، إلى أن يقوم.

التطوّر: التوازن بين الأنواع يهدّده دائماً حادثان يصيبان المورثات: تحدث، من جهة، تغيّرات في تأليف الجزيئات الإعلامية، من وقت إلى آخر، خلال تركيبها؛ وعدد هذه الجزيئات يمكنه، من جهة أخرى، أن يتضاعف ضعفين في أثناء تكاثر المتعضيات. وتسبّب هذه **التبدّلات الفجائية** في المورّثات تعديلات في المنظومات التي توجّه المورّثات بناءها. والمفعول المفيد أو الضارّ الناجم عن ذلك، يظهر بتغيّر عدد سلالات المتعضّيات التي تتعدّل على هذا النحو؛ والتعديلات تُصطفى على نحو طبيعي؛ وتتغيّر بنية المتعضّيات تغيراً بطيئاً. وتقود السيرورة التطوّرية، في خطوطها الكبرى، إلى ضرب من التعقيد المتعاظم: فلم يكن ثمة بدّ من انقضاء مليار وثمانمئة مليون سنة حتى تصبح الخلايا البسيطة الأولية (عضوية وحيدة الخلية خالية من النواة) خلايا حقيقية، ذات نواة، تتميّز بعناصر عضوية متمايزة، ونواة، وحبيبات خيطية، وشبكة هيولية باطنة، إلخ. ودخلت المتعضّيات، خلال هذا الطور الأول، في تنافس على أن تتموّن بالجزيئات المنحلّة في المحيط المائي الأولي. وعندما ظهر التركيب الضوئي، منذ نحوٍ من ملياري سنة، انقلب توازن الغلاف الحيوي الأولي. وتغيّر التركيب الكيميائي للمحيط الجويّ، بالنظر إلى أن الطاقة الضوئية مستخدمة في النباتات لتحويل غاز الكربون والماء إلى غلوكوز وأوكسجين: إن هذا التركيب أصبح مؤكسداً بدلاً من مُرجع، وذلك أمر حولّ، بالمقابل، شروط الحياة لكل المتعضّيات الأخرى.

ومنذ نحوٍ من ثمانمئة مليون من السنين إنما ظهرت الخلايا القنّاصة، أي مستهلكة متعضّيات حيّة أخرى، وذلك أمر زاد تعقيد العلاقات بين الموجودات الحيّة وسرّع سيرورة التطور. والواقع أن الموجودات المتعدّدة الخلايا ظهرت بعد مئة مليون سنة. ومع ازدياد عدد الخلايا في متعضٍ من المتعضّيات، أصبح تقسيم العمل

الخلوي والتخصّص الذي يزداد اتساعاً أمرين ممكنين. فتكوّن لدى الحيوانات وسط داخلي سائل في الكتلة الخلوية؛ إنه يحتوي كل ما تحتاج إليه خلية: أوكسجين وطاقة كيميائية من الأغذية، ويستقبل فُضالة العمل الوظائفي الخلوي. والوسط الداخلي يوازنه الدوران لدى الأنواع العليا؛ إنه يتموّن بالأوكسجين بواسطة التنفّس وبالعناصر المغذّية بواسطة هضم الغذاء، الذي يحصل عليه بمجموع الفاعليات الحركية التي تكوّن السلوك الغذائي؛ وتُصفّى من غاز الكربون، بالوظيفة التنفّسية، فضلات تحلّها الكليتان والغدد الهضمية. وكل هذه الفاعليات تنسّقها إشارات كيميائية (هرمونات) وكهربائية (سيّالة عصبية). وأخيراً، تحافظ وظائف الاتّزان الحيوي على ثبات عدد كبير من المتغيّرات الفيزيولوجية (الضغط الارتشاحي، مقدار الصوديوم، والكلسيوم، والغلوكوز، إلخ) وتوطّد منظومة المتعضّي بكاملها على هذا النحو. وهذا التوطيد ينجم عن حركة السيرورات الضابطة التي تستعين، كالتنظيمات الأيضية، بأعمال سلبية بالمقابل.

وينجم **تنظيم الموجودات** الذي يتعاظم تعقيداً عن تجمّع منظومات تتفاعل تفاعلاً قوياً لتكوّن منظومة جديدة من مستوى أكثر ارتفاعاً. وهكذا ترتفع المنظومات من مستوى الجزيئات الأولية إلى الجزيئات الكبيرة، إلى المكوّنات العضوية، إلى الخلايا، إلى الأعضاء، إلى الجملات الكبرى الوظيفية، لتفضي إلى المتعضّيات. وتشكّل المتعضيات الحيّة منظومات بيئية يكوّن اجتماعها الغلاف الحيوي أخيراً.

وتتميّز الحياة بضرب من بنية التشبيك؛ فليست خصائص منظومة فقط مجموع صفات العناصر التي تؤلّفها، ولكنها مميّزات جديدة ناجمة عن تكوّن وحدات عمل جديدة. وتتحرّر المتعضّيات، من جرّاء هذا التطوّر، تحرّراً متعاظماً من ضغوطات الوسط وتزيد استقلالها. والحياة، المولودة من البحر، غزت المياه الحلوة ثم الأرض، حيث انتشرت إلى أقصى مايمكن في الأوساط. ولكنها ظلّت

تابعة تبعية تامة للطاقة الشمسية والارتكاسات الضوئية الكيمائية (حسب بعضهم أن 6000 طنّ من الكربون تُعالج بالثانية في الغلاف الحيوي).

والخلاصة أننا نقول إن الحياة نسق دينامي، يعارض تبديد الطاقة الشمسية، نسق دينامي يتنامى ويتّسع بفضل ظاهرة التبدّلات الفجائية. وهكذا تخلق الحياة أشكالاً مستقلّة لا يُحصى عددها، تخضع لمنطق داخلي يفلت منا في جزئه الأكبر، ذلك أننا لاندرك دلالة البنيات الحيّة إلا من حيث أنها ذات علاقة بمقارنتها بالوسط الفيزيائي الكيميائي وعلى وجه الخصوص بالموجودات الحيّة الأخرى من المكان الحيوي نفسه. ونقول بعبارة أخرى إن معرفتنا بالحياة محدودة بقدرات الذكاء الإنساني، ذكاء هو من إبداع الحياة أيضاً. (انظر في هذا المعجم: **الحمض الريبي النووي المنزوع الأوكسجين، المورّثة**).

C.M.

محتويات

الجزء الثاني

٢٥٠٠ ط١ / ٤ / ٢٠٠١